الجمهورية العربية المتحدة
الثقافة والإرشاد القومي

المكتبة العربية
التأليف

المثال مختار

تأليف
بدر الدين أبو غازي

المثال مختار

المكتبة العربية

تصدرها

الثقافة والإرشاد القومي

بفروعها الثلاثة

المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية
المؤسسة المصرية العامة للأنباء والنشر والتوزيع والطباعة
المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر

الجمهورية العربية المتحدة
الثقافة والإرشاد القومى



المثال مختار

تأليف
بدر الدين أبو غازى

الناشر
الدار القومية للطباعة والنشر
القاهرة
١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م

المحتوى

تقديم

منذ ثلاثين عاماً أتيح لى أن أقف فى مسكن صغير يطل على الفضاء المديد من الصحراء الواقعة على مشارف مصر الجديدة أجمع أوراقاً وملابس وقطعاً قليلة من أثاث كانت كلها تجتمع في البيت الذى عاش فيه المثال « محمود مختار » أيامه الأخيرة التى كان يزحف عليها الموت .

وحملت هذه المخلفات إلى بيتى ؛ ومنذ هذا التاريخ وأنا أعايشها وأستمع لنبضها ، وألمح فيها قصة حياة وكفاح ومعالم شخصية مضت فى حياتنا كالبريق ولكنها خلفت وراءها أثراً عميقاً .

ولقد ربطتنى هذه المخلفات بحياة مختار ، وأحسست إزاءها بكلمات تولستوى عن ديستويفسكى عندما قال : « إنى لم أر الرجل في حياته ، ولكنه بعد أن مات أحسست بأنه كان أعز إنسان عندى ؛ بل كان ضرورة من ضرورات الحياة لى » .

ولئن كنت قد رأيت « مختاراً » في حياته ، ومازال بريق عينيه ونبرات صوته العميق يعاودان نفسى ؛ إلا أننى كنت في سن باكرة حين خطفه الموت من الحياة ؛ وكان موت مختار هو بداية ارتباطى العميق به حتى ليخيل إلى الآن أننى عشت دائماً معه .

ومنذ خمسة عشر عاماً أصدرت كتابى الأول عن مختار ، غير أن البناء التأليفى للكتاب كصورة حياة اقتضى أن تمضى الأحداث في وحدة من التكوين والتركيز على الخطوط الموحية من معالم الشخصية . ولكن وراء كل خط من هذه الخطوط أحداثاً ووثائق ما أجدرها أن تسجل ، فهى تفاصيل السيرة لمن يريد أن يعيش في عصر مختار ويستعيد أيامه وكفاحه .

وإذا كان مختار يعيش بفنه على هذه الأرض حياة لا يحدها الزمن ؛ إلا أن الورق قد يعيش أحياناً عمراً أطول من الحجر ، لقد مات فيدياس وطوى الزمن أعماله ولم ينقل إلينا أثراً ثابتاً منها ؛ ولكن اسم فيدياس يحتل قمة من أعلى قمم الخلود فوق صرح من الكلمات التى مجدت اسمه وفنه .

ومن أجل هذا الكتاب عدت أعيش بعمق مع الأوراق التى خلفها مختار ومع الوثائق التى حفظها عصره ، وأردت أن أعيد لهذا العصر نبضه وأثبت ملامحه ، فلم أجد

أصدق من السيرة تسجلها الكلمات التي كتبت ، والمساجلات التي ثارت ، والوثائق التي حفظت معالم الكفاح ، والصور التي نقلت ملامح الأماكن والأشخاص .

ولقد طفت من أجل هذا الكتاب بالأماكن التي عاش فيها مختار ، ورجعت إلى زمنه ، ولقيت من عاصرهم ، ومضيت معه ومع أصدقائه من قريته إلى حى درب الجماميز حيث عاش صباه ، وطفت بأماكن وحيه ، ووقفت بين ميدان المحطة وشارع الأنتكخانة حيث كان « مَنْحَتُه » في البقعة التي شهدت ميلاد آثاره الرائعة من « نهضة مصر » حتى « رياح الخماسين » .

وذهبت إلى باريس ووجدت فيها ظلاله وأصدقاءه ، رأيت مقهى بونابرت الذى شهد احتفال استقباله بمدرسة الفنون الجميلة ، وشارع بون مارشيه الذى مر به موكب احتفاله ، موكب « رمسيس الثانى » محاطاً بطلبة الفنون من كل الأمم ، وقطعت طريق راسباى المواجه لمقابر مونبارناس الشاعرية ، وشهدت مسكنه بهذا الطريق ، وزرت مَنْحَتَه في شارع فوجيرار حيث ولدت فكرة تمثال « نهضة مصر » ، ورأيت في هذا الشارع بقايا مساكن النحاتين ، بيت برانكوزى وغيره من كبار أساتذة النحت الذين كانوا يقطنون هذا الحى .

واستعدت في مقهى الدوم والروتوند أيامه قبيل الحرب وأعقابها ، حيث كان يعيش قريباً من قلب الحياة الفنية ، وحيث كان يجلس موديلياني وجوجان وفان جوخ قبل أن يحيطهم بريق الشهرة .

وجلست في مقهى الـ « Deux Magots » في المكان الذى كان يجلس فيه قريباً من كنيسة سان جرمان ، وكان يلتقى بديسبيو ويتبادلان أحاديث الفن ، كما كان يلتقى بورديل في مونبارناس .

ووقفت عند بيته الأخير المطل على بستان مونسوريس وجلست على مقاعد البستان الخشبية التي شهدت أيامه الأخيرة ، وزرت قاعة برنهيم في طريق سانت أونوريه ، القاعة التي عرضت أعمال الخالدين من أساتذة الفن ، وأقام فيها معرضه الأول .

ولقيته في باريس ، في شخص صديقه أرمان ميجليه الذى كان يحفظ — برغم انقضاء سنوات هزت فيها الحرب كيان الناس وذكرياتهم — كل معالم شخصه وحياته ، وكان يعتز بسرير ومقعد أبقاهما في بيته من مخلفات مختار ، وبمجموعة من تماثيله ، ولقد أطلعني ميجليه على جوانب من حياة مختار ، وشهدت الأماكن التي كان يتردد عليها ، والأشخاص الذين كانت تربطه بهم وشائج المحبة ، وجمعت من عنده وثائق وصوراً لأيام مجده .

وعدت من باريس مأخوذاً بفكرة هذا الكتاب ، أردت أن أقدم به نسيجاً من خيوط مجهولة عن حياته وعصره ، وأن أحيي من خلاله الجو الذى أحاط بأعوام حياته القصيرة التى عاشها للكفاح والحب والفن ، وأن أضم بين صفحاته أكثر الوثائق اتصالاً بنبض الحياة والعصر .

ولقد أراد المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية أن يقدم بهذا الكتاب سيرة عصر مختار وحياته لجيل لم يعاصرها ، فهووثيقة تحفظ تاريخ الحركة الفنية في أبرز معالمها ، وتسجل حياة رائدها وكفاحه وملامح شخصيته .

القسم الأول

عصر مختار

لكل عصر ملامح تنعكس على فنونه وآدابه ، وعلى قدر اتصال الفنان بعصره وصدق إحساسه يكون مدى تعبيره عن مثاليات العصر ، عن أمانيه وأحلامه ، وتطلعاته الروحية والثقافية .

كانت مصر التى تفتح عليها شباب مختار بلداً قد أخذه الزهو بالمجد ، وترددت فيه أصداء التغنى بالقديم ، كان العصر عصر الغناء ؛ حديث الزعيم خطاب رومانسى يرنمه مصطفى كامل « بلادى بلادى لك حبى وفؤادى » ، وشعراء العصر شوقي وحافظ وصبرى ومطران يرددون على قيثارة الشعر أغانيهم ويزهون بمجد الفراعنة والعرب .

وكان الأدب يتحرر من قيود السجع والتكلف بعد أن فتح الشيخ حسين المرصفى أفقاً بكتاب « الوسيلة الأدبية » ، كان الانتقال من « صهاريج اللؤلؤ » إلى « حديث عيسى بن هشام » ، تطوراً في الأدب وإن كان الاهتمام بالصناعة ما زال مسيطراً .

وكان منشد العصر « سلامة حجازى » يشخص المشاعر والأحداث ويقلد ظواهر الطبيعة ، ويرسل في مراثيه وحماسياته وأنغام حبه أغانيه فيحلق خيال معاصريه مع رواياته « الإفريقية » و« عظة الملوك » ، و « روميو وجوليت » و « صلاح الدين » ويرون في غنائه التمثيلى تجاوباً مع ميلهم إلى التشخيص وتسجيل ظواهر الأشياء في جو من النغم الزخرفي :

البشارة إلى الفن :

وسبق عصر مختار تمهيد لاستقبال روح طمستها بصمات الغزاة وأودت بها سنوات الانكسار والهزيمة . . كان فى الجو بشارة بعودة الفنون الجميلة إلى حياتنا بدأ مع ركب العلماء والمصورين الذى صحب الحملة الفرنسية ، وكان للأضواء التى ألقاها شامبليون على الفن المصرى القديم بريق لفت الأبصار؛ وأخذ بعض الفنانين الأجانب يفدون إلى مصر يصورون معالمها في جو خرافي ملىء بالبخور والطنافس ، صحراوى الطرق يظله النخيل :

وكان في أفراد الجيل الذى سبق مختار عناصر قوة واستنارة وسعة أفق جعلتهم يكتشفون قيمة الفنون الجميلة ويتحدثون عن أهميتها وأثرها .

في سنة ١٩٠٣(١) عندما كان مختار صبياً يسعى بخطاه من قريته إلى القاهرة كتب الأستاذ الإمام فصلاً عن الفنون الجميلة ، ما أروعه حين يقول :

« إذا كنت تدرى السبب في حفظ سلفك للشعر وضبطه في دواوينه ، والمبالغة في تحريره ، خصوصاً شعر الجاهلية وما عنى الأوائل رحمهم الله بجمعه وترتيبه ، أمكنك أن تعرف السبب في محافظة القوم على هذه المصنوعات من الرسوم والتماثيل ، فإن الرسم ضرب من الشعر الذى يرى ولا يسمع ، والشعر ضرب من الرسم الذى يسمع ولا يرى ، إن هذه الرسوم والتماثيل قد حفظت من أحوال الأشخاص في الشئون المختلفة ، ومن أحوال الجماعات في المواقع المتنوعة ، ما تستحق به أن تسمى ديوان الهيئات والأحوال البشرية ، يصورون الإنسان أو الحيوان ، في حال الفرح والرضا ، والطمأنينة والتسليم ، وهذه المعانى المدرجة في هذه الألفاظ متقاربة لا يسهل عليك تمييز بعضها من بعض ، ولكنك تنظر في رسوم مختلفة ، فتجد الفرق ظاهراً باهراً ، يصورونه مثلاً في حالة الجزع والفزع ، والخوف والخشية ، والجزع والفزع مختلفان في المعنى ولم أجمعهما هنا طمعاً في جمع عينين في سطر واحد ، بل لأنهما مختلفان حقيقة . ولكنك ربما تعتصر ذهنك لتحديد الفرق بينهما وبين الخوف والخشية ، ولا يسهل عليك أن تعرف متى يكون الفزع ومتى يكون الجزع ، وما الهيئة التى يكون عليها الشخص في هذه الحال أو تلك . وأما إذا نظرت إلى الرسم وهو ذلك الشعر الساكت فإنك تجد الحقيقة بارزة لك تتمتع بها نفسك كما يتلذذ بالنظر فيها حسك ، إذا دعتك نفسك إلى تحقيق الاستعارة المصرحة في قولك : رأيت أسداً – تريد رجلاً شجاعاً . فانظر إلى صورة أبى الهول بجانب الهرم الكبير تجد الأسد رجلاً أو الرجل أسداً . فحفظ هذه الآثار حفظ للعلم في الحقيقة وشكر لصاحب الصنعة على الإبداع فيها . . » .

ويعرض لحكم الشريعة في الفنون فيدفع عنها شبهة التحريم الدينى قائلاً :
« إن الراسم قد رسم والفائدة محققة لا نزاع فيها ، ومعنى العبادة وتعظيم التمثال ، أو الصورة ، قد محى من الأذهان .. وبالجملة يغلب على ظنى أن الشريعة الإسلامية أبعد من أن تحرم وسيلة من أفضل وسائل العلم بعد تحقيق أنه لا خطر فيها على الدين ، لا من وجهة العقيدة ، ولا من وجهة العمل . . » .

---

(١) عباس محمود العقاد : محمد عبده ، سلسلة أعلام العرب ص ٢٦٤ – ٢٦٦ .

كذلك كان قاسم أمين يشير في كلماته إلى أهمية الفن وتقدير الجمال مبهوراً بما رآه في سياحاته بمتحف اللوفر ، وكان لطفى السيد ينشر في الجريدة مقالات عن الفنون الجميلة ، على حين ينشر فرح أنطون في مجلة الجامعة فصولاً عن فلسفة الفنون الجميلة عند رسكن ، فكان ذلك كله أروع تمهيد لإنشاء مدرسة الفنون الجميلة سنة ١٩٠٨ ، ولظهور مختار .

في أعماله الأولى في عهد المدرسة ، التقت ملامح العصر : الوطنية والمشاعر الرومانسية ، النغمة والصناعة ، روح البطولة والتغنى بمجد العروبة ، وصاغ من هذه الملامح تماثيله لأبطال العرب « طارق بن زياد » و « عمرو بن العاص » بل إنه عندما ظهرت دعوة قاسم أمين إلى تحرير المرأة والمطالبة بحقها في الحياة الاجتماعية ، نحت تمثال « خولة بنت الأزور » البطلة التى حررت نساء تبع وحمير من أسر الروم ، كما صور في تماثيله مشاعر الحب ، ومشاهد من الحياة القاهرية .

جيل مختار :

واتجه مختار إلى أوروبا مع أفراد جيله ، هذا الجيل الذى حفظت القرية بذرته الأصيلة في أرضها ثم بعثته إلى العاصمة ، ولم يلبث أن تحول إلى أوروبا حيث احتكت روحه الشرقية بمناهج الفكر الأوروبى ، من هذا الجيل الذى نبت من نفس تربته وارتوى من نفس منابعه . كان طه حسين ومصطفى عبد الرازق وحسين هيكل ومحمود عزمى وأحمد ضيف ومحمد صبرى ، ومنهم مجموعة من المثقفين الذين ألقى عليهم إقامة مصر الحديثة في القانون والطب والهندسة والعلوم .

كان هناك روح واحد يجمعهم ، وإحساس مشترك يقرب بينهم ، وكانت أصالة معدنهم أقوى من أن يجرفها التيار الأوروبى ، فتعلموا من مناهجه وتفتحت أعينهم على آفاق جديدة من البحث ، ولكنهم عادوا إلى التراث ؛ لم يتجهوا ببحوثهم إلى ديكارت وهيجو وموسيه ، وإنما التقوا في الحى اللاتينى ليكتب طه حسين عن ابن خلدون وفلسفته الاجتماعية وليعد مصطفى عبد الرازق رسالة عن الإمام الشافعى ، وليكتب هيكل قصة زينب إلى جانب رسالته القانونية ، ويمضى محمد صبرى عبر تاريخ مصر الحديثة ، ويدرس محمود عزمى حقوقها السياسية والدستورية ، ويعد أحمد ضيف قصة « منصور » ، وينحت مختار تمثال « خالد بن الوليد » و « طارق ابن زياد » .

وفي الوقت نفسه كان من الجيل أفراد آخرون لم يعايشوا جو الحياة الاجتماعية في أوروبا ولكنهم تعمقوا ثقافتها دون أن يرحلوا إليها وكان هؤلاء يبشرون بالأدب والفن . كان هذا عهد مطالعات العقاد في الكتب والحياة ، ومراجعاته في الآداب والفنون وكتاباته عن فلسفة الجمال ، وكان المازني « يحصد الهشيم » وينسج مقالات رائعة من « خيوط العنكبوت » .

وكان هذا عصر الإحياء والبعث ، عصر الشغف بالآثار والاعتزاز بالقديم . كتب المازني في هذه الأيام يقول(١) :

« الحجر لا يحس الحجر . . هذا – فيما نظن – لا نزاع فيه ، ولقد غبر بنا زمن انحطاط كانت فيه آثار الفراعنة والعرب وغيرهم ممن حفظت مصر ذكرهم حجارة وكان الناس شبهها لا يتنزلون إلى نظرة يلقونها عليها ، وإذا أخطرها شيء ببالهم عجبوا للقدماء وما تجشموه من جهد ، وأضاعوه من وقت ومال في نقل هذه الحجارة ورصفها وتوطيدها وتلوينها ، وكان أهل الغرب يفدون إلى هذه الحجارة ويوسعونها نظراً وتدبراً ، وإعجاباً ، ويوسعهم أهل مصر عجباً وتهكماً واستخفافاً ، ويهزون رءوسهم وهم يقولون – وعلى شفاههم ابتسامة الفطنة الساخرة ! . . « رزق الهبل على المجانين » .

« والآن تغير كل شيء . حلنا نحن وحالت الحجارة ، نطقت لنا ووعينا منطقها ، وارتسمت على ألواح صوانها معان ندركها ونتحرك لها وتجسدت لعيوننا وقلوبنا وعقولنا صور مجد قديم وعز باذخ تالد نتعشقها ونكبرها ونحِنّ إلى مثل الحياة التى أنتجتها . وإذا جاءت وفود الغرب إليها ألفونا أشد منهم جنوناً بها ووجدوا من بيننا من لهم في أصل المصريين وعلاقتهم بالعرب الأقدمين نظرية لا يبعد أن يحققها ما يقال إنه ظهر في سبأ من الآثار الشبيهة بآثار الفراعنة الأولين . . ومن من المصريين لم يحرك أغوار نفسه وأعمق أعماق قلبه ما سمعه من العثور على جثث محنطة على الطريقة المصرية في أمريكا ؟ من ذا الذى لم يشعر أن قامته اعتدلت لما صافح أذنه هذا النبأ ؟ أى حجر ذاك الذى لم تشع من جوانب نفسه الخيلاء وزهو الفخر ولم يحس أن أمته أخت الدهر؟ ومن شاء فليفرض أن هذا الخبر طير إلى مصر منذ مائة عام أكان في ظنك أحد يعبأ به ؟ وإذا عبأ أكان يعرب إلا عن إعجابه بهمة رجال الغرب .. وصبرهم على التنقيب ؟ .

---

(١) إبراهيم عبد القادر المازني : حصاد الهشيم ؛ وهو مقال نشر فى إبريل سنة ١٩٢٢ تحت عنوان « الآثار فى مصر » .

« ألا لقد حلنا حقاً ! وهذا هو الذى يطمئننا على حركتنا القومية ويذيع في نفوسنا الإيمان بها واليقين فيها والثقة بحسن مصيرها — لاشيء سواه — وماكان بح الأصوات بالهتاف والاستقلال ، ولا اللجاجة في المطالبة به ، وما يبدو من التصميم على نيله كاملاً غير منقوص — ماكان لهذا وحده أن يقنعنا بأن هبّتنا صادقة وحركتنا صميمة عميقة ، فما رأينا في تاريخ بلد ما نهضة قومية لم يكن يريدها نهضة فنية . ولعمر الحق هل يعقل أن يحس المرء بحقوقه وواجباته ووظيفته في الحياة قبل أن يحس بنفسه وبما حوله ، وقبل أن يعرف ماذا هو وماذا كان من شأنه ، وقبل أن ينشئ هذا الإحساس والذكر في نفسه الآمال ؟ » .

هذه الصورة التحليلية التى قدمها المازنى في مقاله تصور نقطة تحول وانطلاق في روح العصر كان لها مقدمات منذ مطلع القرن وهى قد ترددت على تفاوت في الزمن خلال قصائد الشعراء ومؤلفات الأدب .

فكرة البعث روح العصر :

كان البعث هو حلم العصر والزهو بالمجد القديم نغمته ، أليس شوقي هو القائل :

يا شباب الغد وابناى الفدا!	لكم أكرم وأعزز بالفداء
من رآكم قال مصر استرجعت	عزها في عهد « خوفو » وميناء

ثم هو في مناجاته لأبى الهول يقول :

بسطت ذراعيك من آدم	ووليت وجهك شطر الزُّمَر
تطل على عالم يستهل	وتوفي على عالم يحتضر
فعين إلى من بدا للوجود	وأخرى مشيعة من غبر
فحدث فقد يهتدى بالحديث	وخبر فقد يؤتسى بالخبر
فلم يبق غيرك من لم يخف	ولم يبق غيرك من لم يطر
تحرك أبا الهول هذا الزمان	تحرك ما فيه حتى الحجر

ولاتقف آثار موحيات أبى الهول على شعر شوقي ؛ بل هى تتردد أيضاً في قصائد غيره من شعراء العصر .

يقول مصطفى صادق الرافعى في النشيد القومى الذى وضعه سنة ١٩٢٠ :

رسا أبو الهـول ركيناً ربض   ربضة جبار على الأرض قبـض

فالفزع الأكبر يوماً لونبض

ويتغنى سيد درويش في السنوات الأولى من الثورة بالمجد القديم في نشيده :

قوم يامصرى مصر دايماً بتنـــاديك

خد بناصرى ناصرى دين واجب عليك

صون آثارك يا للى ضيعت الآثـــار

دول فاتوا لك مجد خوفو لك شعار

وفي هذه الأيام يكتب هيكل تاريخ الآلهة المصرية القديمة كما كانت عودة الروح حينئذ تتشكل في وجدان توفيق الحكيم في إطار هذا النداء الرمزى :

انهض انهض يا أوزوريس

أنا ولدك حوريس

جئت أعيد إليك الحياة

لم يزل لك قلبك الحقيقى

قلبك الماضى

ويتخذ المصريون عنواناً لمظاهر نهضتهم وحياتهم أسماء تؤكد فكرة البعث : فالمسرح يحمل اسم « رمسيس » ، والجماعات والمنشئات تسمى بأسماء « آمون » و« الأهرام » و« أبو الهول » :

من أجل هذا كان تمثال نهضة مصر أروع تعبير عن مشاعر العصر وأصدق رمز لها . . فالمناخ الثقافي لهذه الفترة سواء ما جاء مصاحباً لظهور فكرة التمثال أوما امتد في أعقابه يدل على إعجاز الفكرة في تصوير هذه الحقبة من تاريخ مصر وتجسيمها في رمز كان يحلق في جو العصر ، ويهيم في وجدان الناس دون أن يجدوا له تحديداً.

كذلك ظهر من وحى هذا الجو الذى كان يحفل بالآثار ويمجدها تماثيل مختار « اللقية » و« كاتمة الأسرار » بعد حركة الكشف الباهر عن آثار توت عنخ آمون .

ولقد تغنى مختار « بإيزيس » وصنع لها تمثالاً ينبض بالحب والشجن والذكرى كما بكاها شوقي في قصيدته « أنس الوجود » :

أين إيزيس تحتهـا النيـل يجرى ... حكمت فيه شـاطئين وعرضا
أسـدل الطرف كاهن ومليـك ... في ثراها وأرسل الرأس خفضا
مالها أصبحت بغـير مجـير ... تشتكى من نوائب الدهر عضا
هى في الأسر بين صخر وبحر ... ملكة في السجن فوق حضوضى

وتميز هذا العصر بظاهرة أخرى إذ بدت فيه بوادر الاهتمام بالفلاح فقد كان أحرار المفكرين يتجهون في كتاباتهم إلى تمجيد عنصر الأمة الأصيل وإلى إعلاء اسم الشعب .

كتب لطفي السيد في سنة ١٩٠٩ يقول(١) : « لست في حاجة إلى مصباح ديوجونيس ، لأبحث عن الرجل أوعن الرجل الطيب إني لأراه من غير مصباح في ذلك الرجل طويل القامة كبير الرأس كثيف اللحية ، يسوق المحراث طول النهار بحركة بطيئة تدل على نفس صبور مملوءة بالرجاء لا يروعها خوف الحوادث الجوية تذهب بما يبذر ؛ أرى الرجل الطيب حتى في المدينة في شخص ذلك الصانع الذى يظل نهاره يعمل ؛ وروحه الموسيقية تجعله يعبر من غير ملل ولا تعب ألحاناً مضبوطة ولكنها تزيد في سروره » .

وكانت الجلاليب الزرق من أعلام ثورة سنة ١٩١٩ كما كان يقول سعد زغلول ؛

ووضحت صورة القرية في رواية « زينب » التى أصدرها هيكل باسم « مصرى فلاح » ، كما صاغ طه حسين « الأيام » في إطار الريف ، وكتب أحمد ضيف رواية « منصور » ، وكان توفيق الحكيم يحلم بعودة الروح ويدير فيها الحوار عن تمجيد الفلاح ، وظهرت الاستعراضات الشعبية في موسيقى سيد درويش ؛ الريف في العشرة الطيبة ، وألحان السقايين والصناع والمراكبية والعربجية في ألحانه الأخرى .

غير أن مختار وقف فنه على التعبير عن الفلاحين — جعل الفلاحة نموذجه الأصيل الذى لم يغادره طوال حياته ، وأطلقها تتغنى بالحياة والشمس والحب .. الفلاحة عنده هى مصر تعلن النهضة ، وتمثل الدستور والعدالة والحرية ، وهو لم ينسها في كل مراحل فنه وأعماله ، كانت هى أيضاً العنصر الماثل في تمثال سعد ، وفي تسجيل جموع الفلاحين وأصحاب الحرف على قاعدة التمثال رمز باطن يشير إلى أن الشعب هو القاعدة وهو الأساس ، هو الصخرة التى لا يحطمها التيار ،

(١) الجريدة ٢٣ فبراير سنة ١٩٠٩ .

وفي ظهور أصحاب الحرف إلى جانب الفلاحين على قاعدة التمثال معنى انبعاث واستعادة أمجاد قديمة ، فعلى أكتاف هذه الطائفة قامت فنون مصر حتى العصر الإسلامى ، هؤلاء هم الذين برعوا في صناعات هذه البيئة ، وهم مصدر قوة شعبية فلما جاء السلطان سليم إلى مصر حبس عدداً منهم في أبراج الإسكندرية انتظاراً لقيام المراكب بهم إلى القسطنطينية وكانت إيذاناً بهجرة براعات مصر في الصناعات الفنية وبدء غزو لذوق الشعب . تراهم في صفحات ابن إياس محمولين من أرض بلادهم في عنف وقسوة ، وترى على قاعدة تمثال سعد عودتهم في خطاً ثابتة خالدة فيربطك ذلك بدلالة الرمز .

وهكذا كان مختار مولعاً بالرموز وباستخلاص الدلالات من حياة الشعب وكان فنه كله وقفاً على هذه المعانى .

يقول الأستاذ يحيى حقى(١) :

« كم يهتز قلبى حناناً ومحبة وإعجاباً بهذا الفنان العظيم ابن الشعب ، ففى وقت يسبق بزمن طويل اهتماماتنا بالدلالات الفنية في حياة الفلاحين نرى مختار يفطن لها ، ولكنه لا ينقلها نقل مسطرة ، بل يرفعها إلى ذروة الفن حينما يسعى في تماثيله الصغيرة إلى أن يربط بين هذه الدلالات وبين أصولها الغارقة في ثرى مصر ، فكرة أصيلة لا أظن أن فن النحت قد سار في الدرب الجميل الذى انفسح أمامه ، كما لا أظن أن الأدب قد انتبه لها أو عرف كيف ينتفع بها ، ولعل المشتغلين بالفنون الشعبية هذه الأيام يفهمون عمل مختار ، لأن تقديم الفنون الشعبية من غير هذا الرباط بينها وبين التاريخ يضفى عليها جواً تافهاً من السطحية والابتذال » .

روح العصر فى فن مختار :

ولم يقف مختار عند مصرية الموضوعات والاهتمام بحياة الشعب ، وإنما كان فناناً قومياً يستلهم التراث ويشيع في عروقه نبض مصرى وروح طافت بكل الحضارات وانغمست في روح العصر ، وقد يكون إيمان مختار بمصريته وحبه لفن بلاده وكذلك روح القومية السائدة في عصره هى التى حمته من الانسياق وراء تيار المذاهب الحديثة وأعانته على أن يصمد للتيارات الفنية التى كانت تحيط بعصره دون أن يضل

---

(١) من كتابه « خطوات فى النقد » .

خطاه ، فهو قد تعلم في بيئة المدرسة الفرنسية ووفق تقاليد القرن التاسع عشر فتأثر بالتمثال الإغريقى وألم بالأساليب الرومانية ، ولكنه عاش في باريس في فترة من أخطر الفترات التى مر بها الفن المعاصر . . كان رودان قد اعتلى قمة فنه وحطم المقاييس التى أملتها تعاليم المدرسة على الفنانين وتحرر منها في سبيل التعبير عن العواطف والانفعالات النفسية التى كانت محور فنه . . وكان بورديل يلقى تعاليمه في الكوخ الكبير داعياً إلى العودة إلى الفن القوطى لإقامة نحت جديد يجمع بين التكوين البنائى والتعبير عن الأحاسيس والمشاعر ، بينما تحول بظهور مايول فن النحت نحو اتجاه بنائى جديد ، وكان لوسيان شنج يدعو أيضاً إلى النحت البنائى في حين أخذت النزعة التكعيبية تبدأ زحفها مبشرة بالأمارات الأولى للفن التجريدى ، وكان المستقبليون بزعامة مارينيتى وبوشيونى يزحفون بمنشورهم الثورى ليطلقوا الفن من قيود الأساليب والموضوعات والخامات التقليدية محاولين إيجاد تعبير جديد عن المستقبل في تحركه وصخبه ، وبدأ ارشبينكو يصنع التماثيل من الورق المقوى والأسلاك والزجاج ، فى حين ظهرت في أعمال برانكوزى وليبشتز وهنرى لورنس معالم اتجاه تشكيلى جديد .

وقد كانت عودة مختار إلى بلاده وتراثه سياجاً حماه وأتاح له أن يصوغ أسلوب فنه من وحى إحساسه وإلهامات عصره واحتياجات بلاده ، فجاءت لغته التشكيلية ملائمة لروح العصر . وكانت تماثيله تثير في الناس هزة من الشعور بالجمال ، وأتاح أسلوبه للرجل العادى أن يتذوق الفن إلى جانب العارفين الذين كانوا يدركون ما في أعماله من رسوخ واستقرار وما وراءها من استيعاب عميق للأساليب المعاصرة واستخلاص للمقاطع التى تتناسب مع شخصيته وعصره .

*

وكان عصر مختار هو عصر النهضة بمثله وتطلعه وإشراقه ، كان معنى « الأمة » يتبلور وكان « الدستور » هو مطلب العصر و« العدالة » هى نداء الناس و« الاستقلال » هو أملهم الذى يسعون إليه ، وقد ترددت في أعمال مختار هذه المعانى وعبر عنها باعتبارها مقومات الشعب ، ولاح في تماثيله الأمل والإصرار ، الحياء والكبرياء فيها تلتقى صورة العصر ، ورموزاً تشكيلية للوطن ، وما تطلعت إلى تماثيل مختار إلا رأيت فيها مصر فى هذا التصوير الشعرى الموجز لمطران :

بلد من حيائه دعة الوادى ومن كبريائه الأهـــرام

وكان عصر مختار عصر إنشاء ، بدأ فيه لمصر كيان سياسى وأعلن الدستور ووجدالبرلمان وأقيم بنك مصر وأنشئت الجامعة، ولكن كانت فيه أيضاً تيارات رجعية تعوق هذا النشاط وتقف في سبيل الفكر الحر كهذه التيارات التى أصابت طه حسين عندما كتب عن الأدب الجاهلى ، وعلى عبد الرازق عندما أصدر « الإسلام وأصول الحكم » ومختار عندما كان يقيم تمثاله« نهضة مصر » .

عصر المنشئات الفنية :

ولكنه برغم ذلك أفاد من قوى النهضة الدافعة، فعمل على إقامة المنشئات الفنية ، وأحاط به مفكرو عصره وجيل المثقفين الذى تأثر بما شهد في أوربا وعاد مؤمناً بحاجة بلاده إلى نهضة فنية ، ومع هؤلاء كان يعمل من أجل تكوين الجماعات الفنية ، بعث الروح في الجمعية المصرية للفنون الجميلة، وأشرف على تنظيم معارض الربيع التى كانت إيذانا ببدء النشاط الجماعى في الحياة الفنية ، وشاركه في هذه الجمعية وتنظيم نشاطها الأستاذ عزت شكرى والمهندس كامل غالب والدكتور سامى كمال ومسيو بول. أفيس . وكانت المرأة المصرية قد بدأت نشاطها الاجتماعى فاستهوتها حركة الفن وقد أشرف على معارض الجمعية من بين السيدات السيدة هدى شعراوى وحرم كل من السادة المهندس كامل غالب والدكتور حافظ عفيفي وحسين سرى وويصا واصف .

وبدأت لجان التحكيم تتشكل من زملائه من شباب الحركة الفنية فشارك معه الأساتذة يوسف كامل ومحمد حسن وراغب عياد وعثمان دسوقي .

وكانت هذه المعارض تجمع جيل الفنانين الأول ، ومجموعة من الهواة ومن الفنانين الأجانب .

وقد لقى مختار من بيئة المثقفين تأييداً كبيراً ، كانت دار الأخبار ومكتب المرحوم أمين الرافعى بداية التقاء للجهود الفنية أيام الدعوة لإنشاء تمثال نهضة مصر ، ثم كانت ساحة تمثال نهضة مصر مركزاً من مراكز النبض الفكرى ولدت فيها أفكار وخططت مشروعات للنهضة الفنية ، كانت هذه الساحة ملتقى كثير من مفكرى العصر ومثقفيه .

وكانت دار السياسة بمقرها القديم بشارع المبتديان مركزاً آخر من المراكز الثقافية ، هنالك كانت مجموعة مستنيرة تعمل من أجل البناء السياسى والاقتصادى والاجتماعى والثقافي للبلاد .

وفي جو هذه المجموعة وجد الفن مجالاً ؛ أول معالمه أثر مختار في إدخال الرسوم والعناوين الرمزية المرسومة على الصحيفة اليومية ، وثانيها الاهتمام بالدراسات الفنية في الصحف وإفساح أولى الصفحات لها والعناية بالنقد . كان طراف على المهندس يكتب في النقد المسرحى ، وكان محمود عزمى يكتب عن الفنون إلى جانب السياسة : وهناك مجموعة من المثقفين يستهويهم الفن ويختصونه باهتمامهم ونشاطهم ؛ منهم القضاة ومنهم رجال المال والاقتصاد ومنهم الأطباء . ومع هؤلاء وبمعونة مجموعة واعية من السياسيين مضى مختار ووجد الجو الملائم لدعوته الفنية ، وأراد أن يمضى بتنظيماته الفنية إلى مجال جديد ، وأن يهيئ لأهل الفن هذا الجو الموحى بالإبداع فأخذ يعمل على أن يجعل من بعض البيوت المواجهة للمتحف المصرى والتى كانت تشغلها مراسم بعض الفنانين حياً للفن ، وأسس « جماعة الخيال » للدعوة إلى «إحياء الفن المصرى بجميع أشكاله ونشره في داخل البلاد وخارجها عن طريق الدعاية والتعليم والإذاعة وإقامة المعارض بمصر والخارج » :

وقد أحاط جماعته بمجموعة من رجال الفكر والأدب تألفت منهم « لجنة أصدقاء جماعة الخيال » . من هذه اللجنة العقاد وهيكل والمازنى ومحمود عزمى ومىّ وبأقلامهم كتبت مقالات النقد الفنى منبعثة عن إيمان بفكرة الفن القومى :

وقد دفعت روح العصر الوثابة رجال السياسة أنفسهم إلى المشاركة في رعاية نشاط هذه الجماعة ، فجعل السيد حسين رشدى معارض الجمعية تحت رعايته وتولى رئاستها الأستاذ ويصا واصف وشجعها السيد على الشمسى :

وفي هذا الجو بدأت تتبلور جهود الفنانين المصريين وظهر في أعمال طلائعهم عبير الروح المصرية ؛ اتجه راغب عياد ومحمد حسن ويوسف كامل إلى تصوير الأحياء الشعبية والقرية ، بينما ظهرت الصورة الشخصية في فن أحمد صبرى :

وفي جو هذه المجموعة ظهر فن محمود سعيد مشبعاً بروح مصرية وشرقية ومبشراً بشخصية في فن التصوير . كما كان ناجى أيضاً يستوحى جو العصر ، صور « نهضة مصر » بإيحائها الفرعونى في لوحته التى وضعت بمجلس الشيوخ ، واتجه نحو معابد مصر وصعيدها وريفها يصور معالمه :

وفي اعتداد كليهما بالفن وانصرافهما له عن مراكزهما الرسمية دليل على ماغرسته روح العصر من تقدير للفنون وعناية بها :

وإذا كانت طاقات الإبداع وروح الإنشاء في الأمة قد انبثقت في هذه السنوات الواقعة بين ثورة ١٩١٩ وبين نكسة الحكم الدستورى في سنة ١٩٣٠ فإن ما ظهر في هذه الفترة من معالم الإبداع والتشييد كان مسبوقاً بمقدمات قريبة لا تجعله جديداً في هذا العصر ، فجيل الشعراء صبرى وشوقي وحافظ ومطران كان قد حلق في آفاق عصرين : عصر ما قبل الثورة والعصر اللاحق له وكان مسبوقاً بأستاذية البارودى ، وجيل الأدباء كان مسبوقاً بأجيال أخرى في القرن التاسع عشر وأول العشرين ، وعصر الصناعة الذى بدأ مع طلعت حرب كانت له بشائر وبوادر سبقته ، أما الفن التشكيلى فكان الحدث الجديد فى هذه الفترة ، وظهور مختار كان شيئاً كالمعجزة ، كان مسبوقاً بأجيال طوال من الصمت الفنى ، وقد بدأ بظهوره ورد الفنان التشكيلى في مصر الحديثة .

من أجل هذا تعتبر هذه السنوات عصر مختار ، عصره الذى عاش فيه ، وعصره الذى ينسب إليه . وملامح هذا العصر قد التمت في شخصه وفنه وحملت طابعه .

حياته وفنه

"صورة مجملة"

خلال إطار من الزمن يبدأ في نهاية القرن التاسع عشر ويختتم في ثلاثينات هذا القرن عاش محمود مختار عمره القصير ، ولكنه على قصره احتوى حياة عميقة الأبعاد تخطت زمنها المحدود وما زالت تعيش على هذه الأرض عمراً لا يحده الزمن .

وسر هذا الاستمرار والقدرة على التجدد في حياة مختار ، وحياة كل عبقرى هو فيما يخلفه من أثر ، ومايحدثه في حياة بلده أو في حياة الإنسانية من تحول ، وماتحمله أعماله من مقومات البقاء .

ومن هذه الجوانب كان مختار مثلاً .. وكان رمزاً لعظمة مصرية سواء بشخصه وأعماله أو بفنه .

ومنطق التاريخ يشير إلى أنه لابد لكل دعوة جديدة من رائد ، ولا بد لكل نهضة في بدايتها من أشخاص تجتمع فيهم مواهب وخصائص غير عادية ؛ روح الثورة وعاطفة مجتاحة تقتحم السدود تساندها إرادة صلبة وقدرة على هبة النفس من أجل فكرة ، وسياج من شجاعة الرأى والاعتداد بالذات ، وطاقات من الخيال تنمى هذه الخصائص وتكون للنفس كالقوى المحركة تولد فيها روح الإبداع .

وقد اجتمعت في شخص مختار هذه الخصائص ، وهيأته لأن يكون رائداً للنهضة الفنية في بلاده ، وإذا كان قد حظى بما يناله الرواد من فخر فإنه تحمل مثلهم أيضاً عناء المقاومة والتضحية ، وألقى عليه عبء معارك خاضها لجيله ، ولأجيال تتبعه حتى مهد الطريق وهيأ الأرض للازدهار والنماء .

في حياته رمز لقدرة المصرى على الاحتفاظ بأصالته مهما حلق بفكره وجاب الآفاق ما دامت أقدامه ملتصقة بأرض بلاده .

وفي كفاحه — منذ خرج من القرية فلاحاً مجهولاً صغيراً إلى أن أصبح رائداً من رواد وطنه — دروس عميقة الدلالة ، فهو أحد القلائل الذين حققوا لهذا البلد ذاتيته القومية ، وردوا إليه الثقة في نفسه . وفتحوا له معالم الطريق وأصبحوا جزءاً من وجوده ووجدانه .

قد أثر في حياة بلاده في مجال الفنون كأثر محمد عبده في مجال الإصلاح الاجتماعى وأثر سعد زغلول في مجال الزعامة القومية والسياسية وأثر طلعت حرب في المجال المالى والاقتصادى ، وحياته كحياتهم خلقت الظروف وصنعت الحوادث وخطت بإرادة الإصرار أثراً كبيراً :

المعالم الأولى :

تطالعنا معالم حياته الأولى في قرية نشا من قرى الدلتا المجاورة للمنصورة وهى لاتبعد كثيرا عن القرية التى أخرجت محمد عبده وعن قرية سعد زغلول وتطل طفولته في القرية على صورة من صور البطولة والثورة ، صورة جده لأمه الذى نفى إلى السودان في عهد إسماعيل لتمرده على الظلم الذى كان يقع على الفلاحين من أجل جباية الضرائب ، كانت قصة هذا النفى تروى إليه مع قصص الأساطير الشعبية ، وكان أهل القرية يصوغونها في شكل هذه الأساطير يحكون عن هذا الراحل الكبير من قريتهم الذى نفى إلى السودان مع جماعة من سكان هذا الإقليم وعاش ودفن هناك ، ويحكون عن الأشياء العجيبة التى صنعها لأهل البلد الذى نفى إليه ، كيف كان يعلمهم الزراعة ويرشدهم إلى صناعة الشواديف ، كانت هذه الحكاية تتردد على القرية وكأنها بقايا أسطورة أوزوريس الذى انطلق بحبه للخير يعلم أهالى البلاد التى رحل إليها كيف تكون الزراعة .

بهذه الروح المشبوبة بالبطولة المتوهجة بالثورة وبأحلام الطفولة التى كان يصنع منها على شاطئ الترعة تماثيل من الطين ، ساقته الظروف إلى القاهرة ليلتقى بخط قدره بعد حين :

عاش في أحيائها القديمة في بيئة كانت تجمعها تقاليد الحارة مهما تفاوتت مستويات السكان ومراكزهم ، فخالط التلاميذ وأصحاب المتاجر والصناع واندمج في هذه البيئة الشعبية الصميمة تحوطه في هذا الحى روائع القاهرة الإسلامية وفنونها العريقة وتبهره مآذنها وجوامعها ، وتعلم من جو الحى أكثر مما تعلم من مدارسه ، وعاش يرسم انعكاس هذا الجو على الورق دون أن يدرك من أمر مصيره شيئاً فقد كان تعليم الفن حينئذ غريباً عن القاهرة .

وكانت روح البعث والإنشاء يقظى : فأنشئت الجامعة المصرية القديمة وافتتحت لأول مرة مدرسة للفنون الجميلة بحى درب الجماميز سنة ١٩٠٨ :

الإعداد والتكوين :

لم يكد يعلم بأمر هذه المدرسة التى كانت على مقربة من بيته حتى أدرك أنها طريق حياته ومستقبله ، وأدرك أساتذته أنهم إزاء موهبة فذة ، فأحاطوه بتشجيعهم ورعايتهم.

ومن بداية الطريق كان يعيش في حلم كبير ويصوغ من هذا الحلم شعراً من نبض الشباب يقول فيه :

أعلل نفسى بالمعالى تخيلاً   فيا ليت آمال الخيال تكون
سأرفع يوماً للفنون لواءها   ويبقى لذكراها بمصر رنين

وتظل هذه الكلمات شعار حياته ؛ يدخل بها باريس ويطرق أبواب مدرستها العتيدة فيكون أول الفائزين في مسابقة القبول ، ثم لا تمضى سنوات حتى يطرق باب معرضها الفنى الكبير « صالون الفنانين الفرنسيين » بتمثاله « عايدة » فيكون أول أثر فنى مصرى يعرض في المعارض الخارجية .

ويطلب إليه في ذلك الوقت — وكان لا يزال في سن الثانية والعشرين — أن يعود لبلاده ناظراً لمدرسة الفنون الجميلة مكان أستاذه لابلانى ، فيرفض برغم إغراء المنصب لأنه ما زال في بداية الطريق ، ولأنه اختط لنفسه أملاً تضيق عنه قيود المناصب ، وبعد ذلك بقليل وفي أثناء الحرب العالمية الأولى يدعى إلى منصب آخر كان يشغله أستاذه — منصب مدير متحف جريفين بباريس — فيقوم بهذه المهمة باعتبارها خطوة في طريق إعداده . ووسيلة تعينه على استكمال تكوينه ولأنه يرى في دعوته مصدر فخر له ولبلاده ، ولكنه يدع هذا المنصب بعد حين برغم إغرائه وبأنه كان سبباً من أسباب زهو بلاده به يتركه لأنه يراه طريقاً يصرفه عن رسالته ، ولأن فكرة تمثال « نهضة مصر » كانت قد أخذت تستحوذ عليه ، وتشغل فكره .

ولقد مرت به في باريس أياماً من الضيق والفقر ، ولكنه تغلب عليها بإرادته وشجاعة نفسه ، عمل في مصانع الذخيرة فى أثناء الحرب بعد أن انقطعت موارده ، وظل يحفظ لفنه أوقات فراغه من العمل بالمصنع حتى انتهت الحرب وفتحت المعارض أبوابها فحمل تمثاله « نهضة مصر » إلى معرض الفنانين الفرنسيين ، فرأى فيه نقاد الفن « أول شعاع تنبثق منه نهضة الفن المصرى وحياته حياة جديدة » .

فنان عصر النهضة :

ويعود مختار إلى مصر بطلاً من أبطال نهضتنا ، وتبعث عودته في نفس مواطنيه إحساساً بالثقة والعزة ، فتمثاله رمز للنهضة وعلامة من علامات الثورة والبعث ، فهو أول أثر فني يقيمه مصرى . . ويقيمه في عهد « السلاطين » ولكنه لا يرمز للنهضة بالحاكم وإنما يرمز لها بالشعب ويجعل الفلاحة في الميدان العام رمزاً لمصر .

وتصاحب عودة مختار حماسة شعبية تنعكس في حركة الاكتتاب لإقامة التمثال . ويرتبط الفن بالقومية ، غير أنه وإن لقي التأييد الشعبي ومعاونة الحكومة في مراحل إنجاز تمثاله فإنه لقي أيضاً مقاومة بعض الرسميين ، ولكن إرادته تقتحم العقبات التى أقيمت في سبيله ، ويقام تمثال « نهضة مصر » ويزاح عنه الستار في سنة ١٩٢٨ .

رائد الحركة الفنية :

وهو كصاحب دعوة ورائد طريق لا يقف عند حد آثاره الفنية ، فبينما يمضى إبداعه الفنى في خطه الذى كانت نهضة مصر بدايته ، فإنه يمد جهوده إلى ميادين أخر ، ميادين الدعوة إلى الفن وإنشاء المؤسسات الفنية التى تتطلبها النهضة الجديدة وإقرار مكانة الفنان في المجتمع . وهو يؤمن كرائد للفن في بلاده بوجوب بعث محفزات تخرج أولى الأمر من طور الإعراض إلى طور الاهتمام ليقيموا للنهضة الفنية دعائمها ، فيستعين في دعوته بالمحفزات التاريخية من ماضى مصر وبالمحفزات القومية من مكانتها ووجوب اضطلاعها بدورها على رأس الحركة الفنية في الشرق وبالمحفزات الاقتصادية باعتبار الفن مصدراً من مصادر الثروة القومية وبالمحفزات الاجتماعية من حيث أثر الفن في الارتفاع بذوق المجتمع .

ويظل ينادى بوجوب إقامة المدارس الفنية ، وإنشاء المتاحف وجمعيات الفنون والعناية بالبعوث ، وهو حريص على أن يوفر للفنان المصرى الجو الحر الذى يتيح له أن يعبر بشجاعة عن فنه ورأيه دون أن يخضع لقيد أو سلطان غير ضميره الفنى ، ومن أجل هذا يطالب بتشجيع الدولة للفن دون تدخل يمس كرامة الفنان ، وهو يمهد لأهل الفن الجو الذى يتيح لهم حرية التعبير وحرية الحياة دون حائل من الظروف المادية أو من القيود الاجتماعية الزائفة .

ولقد استطاع بشجاعة نفسه واعتداده بكرامته وصلابة إرادته أن يضع نظرة التقدير الاجتماعي للفنان منذ البدء في مكانها الصحيح ، فلا يعانى مثلما عانى أصحاب

المهن الجديدة في مجتمعنا عند ظهورهم ، عندما كان الممثل هو « المشخصاتي » ، وكان الصحفي هو « الجرنالجي » ، وكان المحامي هو « الأبوكاتو » وكانت مقاييس التقدير لا تضعهم في مكانهم الصحيح .

وهكذا حفظ للفنان احترامه ومكانته ، وكان يهاجم كل انحراف في الذوق أوخروج على أصول الفن بشجاعة ولوكان مصدره الدولة ، وكان في هجومه إصرار صاحب الدعوة وحماسة الرائد وشجاعة الحر ، وكم من أخطاء في اتجاه البلاد الفنية قوّمها وكم من دعامات أقامها ، وما لم تواته الظروف لتحقيقه حرص على أن يتركه خطوطاً على الورق ، فمن هذا الطريق تتخذ الأفكار شكلها ، ويتحقق مولدها .

ولقد استطاع أن يمد الفن التشكيلي إلى كثير من مظاهر الحياة إلى الصحيفة وإلى المسرح وإلى المصنع والمبنى الحكومي وأن يسرى بالفن في مسالك الحياة اليومية .

وإلى مختار يرجع فضل إيجاد جهاز مختص بالفنون الجميلة بالدولة ، وإلى جهوده يرجع فضل بدء البعوث الرسمية في الفن ، وتخصيص اعتمادات في ميزانية الدولة للفنون ، وإليه يعود تنظيم مدرسة الفنون الجميلة العليا ، وإنشاء الجمعيات الفنية وإقامة المعارض الدورية .

هو الذى بث معالم الفن في حياتنا القومية ، وفيما كتبه عنه مفكرو عصره تصوير لدوره الكبير كرائد لنهضة الفن في بلاده .

يقول الدكتور طه حسين في مقال بعنوان « مختار ومصر » أعده قبيل وفاة مختار ونشر بالفرنسية بمجلة « أفور(١) » بعد وفاته :

« من العسير على شباب اليوم أن يتصور دهشتنا وانبهارنا عندما بدأ الحديث عن مختار منذ خمسة عشر عاماً ، فنحن نتكلم كثيراً عن الفن اليوم ونحن ندرس وننظم المعارض ونثير المناقشات ، ونحن الآن نتخذ موقف الحكم على الأشياء ، ولكن منذ خمسة عشر عاماً كانت أمور الفن غريبة على الشباب المصرى غرابة اللغة السريانية . لقد كان مختار ظاهرة فذة وكان حدثاً معجزاً أثار إعجابنا دون أن ندرك له تفسيراً ، وكانت هذه الفجاءة وتلك الدهشة التى صاحبت ظهوره هى التى جعلتنا نسميه جميعاً « النابغة » ، وعلى شباب اليوم أن يعلموا تماماً أنه إذا كان الفن الآن معترفاً به تشجعه السلطات العامة فإننا ندين بذلك لمختار ، ولن ينسى له هذا الفضل أحد ؛ فهو دائماً نابغتنا » .

---

(١) مجلة أفور ؛ عدد خاص تحية لمختار ؛ إبريل ١٩٣٤

Un Effort Hommage â Moukhar Avril 1934.

ويعبر المرحوم الدكتور محمد حسين هيكل عن أثر مختار في هذه الكلمات :

« لقد كان الطليعة الموفقة لإحياء الفن المصرى في أروع صوره ، والطليعة كذلك في إكبار الفن واحترام أربابه إلى المكان اللائق بهم في هذه البلاد التى كانت مهد الفن ومهبط وحيه منذ ألوف السنين » .

*

وبرغم إلحاح الظروف في أن يكون مختار على رأس مناصب الفن الرسمية في بلاده ، وإغراء العروض التى كانت تواتيه لتولى مناصب فنية في الخارج ، فإنه كان دائماً يؤمن بأن السلطة الزمنية قبر الموهبة وأن الوظيفة قيد على حرية الفنان فرفضها جميعاً برغم ما كان يمر بحياته من ظروف عصيبة . وآثر أن يكون له سلطة الرأى عن أن يكون له سلطة المركز . فذلك يكفل للأفكار أسباب الاستمرار والبقاء .

ولقد آمن دائماً أن له دوراً كبيراً إلى جانب دور الرائد والداعية ، دور الإبداع الفنى ، وكما يقول المثال أنطوان بورديل : « إن سر الفن في الحب ، ومن لا يهب حياته لفنه يجب أن يتخلى عن رسالة بعث الفن في الحجر وهذه الكلمات تلخص شعاراً من شعارات مختار ، فقد كان متفانياً في فنه فوهبه كل طاقته وحياته ، وما كان رغم شواغل الإنشاء والإعداد للحركة الفنية لينصرف عن إبداعه الفنى ، لم يقنع بالنجاح الذى أحرزه في معارض باريس وما اكتفى بما أحاطه من تقدير ، كانت آماله دائماً أكبر من خطاه ، وكلما حقق شيئاً ضاعف المسير . »

وهو من أجل فنه يبذل كل شىء ، جهده وماله ونفسه ، لا يكاد يتجمع لديه قدر من المال حتى ينفقه بسخاء على إخراج تماثيله وعرضها ، يوزعه على بيوت « السبك » ودور العرض ليبرز فنه في أروع الصور كأعظم رجال الفن في العالم ، فهو لا يؤمن بالعمل المتواضع ، ولا يريد إلا العمل الكامل الكبير ، وطموحه يأبى أن يقف به عند حد .

وبهذا أقام الدليل على قدرة الفنان المصرى على أن يعيش وينتج كأكبر أساتذة الفن دون أن يعتمد على ثروة أومنصب ، وإنها لشجاعة تنم عن قوة نفسه ، ففى مطلع الطريق وسط بيئة حديثة العهد بالفن لم يكن يسيراً أن يهب فنان حياته لفكرته كهبته لها متجرداً من أى سند آخر مضحياً بإغراء السلطة وطمأنينة الاستقرار المادى من أجل رسالته .

وهذا درس عميق من حياة مختار ألقاه في مطلع الحركة الفنية ، كم هو جدير بفنان اليوم أن يتدبره .

وإذا كان مختار يعيش بالمعانى الباقية من شخصه وبالمثل الذى قدمه كرائد من رواد نهضتنا وبالأعمال الجليلة التى حققها للحركة الفنية والدعائم التى شادها من أجل الفنان المصرى والمعارك التى خاضها ليمهد له الطريق ، فإن فنه الذى اختصه بأثمن هبات حياته والذى اعتصر فيه نبضات قلبه هو الذى جعل منه رائد فن النحت المصرى المعاصر ، وسجل اسمه بين كبار مثالى العالم في وقته .

وبرغم أن مختاراً ظهر بعد أجيال من الصمت الفنى ، فإن فنه يشير إلى عراقة الاستمرار وإلى وحدة الفن المصرى عبر تاريخه ، فقد تجمعت في أعماله خلاصة تقاليد مصر وكان الوريث لحضاراتها الفنية تلقاها فانصهرت في نفسه مع تجارب الفن الحديث .

فن مختار :

وهو رغم قصر عمره الفنى قد خلف لنا تراثاً ضخماً ؛ من تماثيل الميدان « نهضة مصر » و « سعد زغلول » ومن حياة القرية قصائد منحوتة صاغ منها أحزانها ومشاعرها وأفراحها ورفع أحداث حياتها اليومية إلى قمة التعبير الفنى .

ومعجزة مختار في فنه تتمثل في قدرته على التعبير في أعماله عن شخصية بلده ، وفي إبداع أسلوب فنى خاص به برغم تيارات العصر المتعارضة ، وبرغم انقطاع تجربة مصر ، في النحت لآلاف السنين .

لقد استطاع برغم ضجة المذاهب الفنية في عصره ، أن يعصم نفسه من الانسياق وراء بريقها فعاد إلى تقاليد بلاده الفنية في عصورها المختلفة ، ولم يغفل في نفس الوقت تجارب الفن الحديث ؛ ولكنه تأملها بإدراك ووعى ثم ربط بينها وبين التراث وترك لحساسيته حرية التعبير بلغته الخاصة .

ونقف في هذا الفصل عند سنوات إنتاجه الفنى الثابتة المتمكنة بغض النظر عن فترة الإعداد والتمهيد ، هذه السنوات تبدأ مع تمثال « نهضة مصر » وتنتهى بإعداد تمثالى « سعد زغلول » ، سنوات لاتجاوز في مداها عشر سنوات يتمثل فيها إنتاجه الفنى .

تخلد هذه التماثيل الميدانية الحركة القومية في مراحلها الثلاث « اليقظة — تحطيم القيود — انتصار الإرادة » .

في تمثال « نهضة مصر » تعبير عن اليقظة ، عن البعث الجديد ، عولج بأسلوب من البلاغة التشكيلية جمع البناء مع الإيجاز ، وتعدد عناصر التعبير عن المعنى مع التركيز ، والسكون مع الحركة ، والتنوع مع وحدة الإيقاع والترديد .

وهو بالنسبة لفن مختار بداية الطريق نحو أسلوبه الفنى ، فالفلاحة هى الحاضر ، هى نموذجه الذى تطور به وأودعه إلهامات عصره ، وأبو الهول هو التراث مجرداً من عقائده الداخلية والميثولوجية التى كانت تسيطر على الفراعنة ، ولكنه مازال يحفظ في عينيه تلك القدرة العجيبة على « التطلع إلى الخارج والنظر في الأعماق » التى لمسها إيلى فور في التمثال القديم ، وهذا هو محور فن مختار ، النظر إلى الماضى لاستخلاص العناصر الثابتة من الفن المصرى القديم والتطلع إلى الخارج ، إلى مذاهب العصر ومثالياته وإلى انفعالاته وأحاسيسه .

من نهضة مصر إلى سعد زغلول :

وإذا كان تمثال « نهضة مصر » بداية الطريق ونقطة التحول فإن تمثالى سعد هما ختام تطور حياته الفنية التى مرت بنا معجلة الخطا :

يجعل مختار من شخص سعد في التمثالين رمزاً مجرداً يمثل حركة من حياتنا القومية ، فنى تمثال الإسكندرية يقف سعد متحفزاً قابضاً يديه ماضياً في عزم أكيد لا يحيد ولا يلتفت ، هو في هذا التمثال رمز لكفاح الأمة وعزيمتها التى هبت تحطم القيود :

وفي القاهرة يطل سعد برأسه الشامخ ويده تشير إلى البعث والانتصار ، لا تكاد تلوح هذه اليد من بعيد من الشاطئ الآخر للنيل حتى تهزنا وتشيع فينا شعوراً بالنصر . إن أحاديث سعد وخطبه قد تحولت من كلمات بشرية إلى خطوط منحوتة ، ومن العبارة إلى الرمز .

لم يرد مختار أن يسجل بتماثيله صورة للفقيد وإنما أراد أن يصور رمزاً ، يصور ما بقى من الرجل بعد موته ، أثره وتطلعاته الوطنية وزعامته الشعبية ، ويمجد معنى عودة مصر إلى نفسها وتجمعها حول زعامة مصرية وانتصار إرادتها على الضعف والظلم ومطالبة الشعب بحقوقه وحرياته .

وكانت تماثيل الأشخاص التى أقيمت في مصر حتى ذلك الوقت تمثل السلاطين وأتباعهم ، وقد صيغت على غرار أسلوب القرن التاسع عشر وعلى نهج الواقعية الأكاديمية ، كذلك كانت تماثيل محمد على وإبراهيم ولاظوغلى وسليمان باشا ، ولذا كان في تمثالى سعد ثورة في الموضوع ، وثورة في أسلوب التناول ، وصورة من التعبير خرجت عن تفاصيل الواقع ودقائق الملامح لتخلد معنى رمزياً وحقيقة عميقة .

ومشكلة تطويع تماثيل الأشخاص للتعبير عن معان رمزية مشكلة قديمة عرضت لأكثر من فنان ؛ عرضت لميشيل انجلو نفسه حين أقام تمثالى لورنزو وجيليانو دى مديتشى ، إذ كان البابا كليمنت السابع يود أن يطالع فيهما صورة الرجلين البشرية في حين أقام ميشيل انجلو رمزاً أعمق من الصورة الواقعية .

وكذلك تعرض رودان للنقد حين أقام تمثال « بلزاك » إذ رأى فيه معاصروه صورة جديدة لم يألفوها وآثروا عليه تمثال « فاليجيير » لمحاكاته للشبه وقربه من الواقع .

ولكى نصدق الحكم على تمثالى سعد يجب أن نضعهما في إطارهما الرمزى التعبيرى وأن نتأملهما في ضوء هذه الفكرة .

في رأس التمثال ؛ وهو في تقديرى من الأعمال الفذة في فن النحت المعاصر عامة ؛ في هذا الرأس أودع المثال معنى إرادة الإصرار وقوة الاعتداد بالذات وكبرياء هذا الشعب وقدرته على المقاومة ، وقد عولج ارتباط المسطحات وترديد الخطوط المحددة العارمة بعمق وإدراك للقيم التشكيلية ، واستخدمت على نحو يدل على تعمق لجوهر تجارب الفن الحديث ولكن روح المثال المصرى القديم مازالت تحف بهذا الرأس .

في لوحات النحت الغائر المحيطة بقاعدة تمثال القاهرة صورة من استمرار حياة هذا الشعب برغم الظروف وفق تقاليده وعاداته ومظاهر عمله وحياته ، على جانب منها النيل مصدر الحياة ، وفي الواجهة رموز لأقاليم مصر ثم لوحتا « الزراعة » و « أصحاب الحرف » ، في هذه اللوحات دليل على استيعاب أصول هذا الفن الذى برعت فيه مصر القديمة مع إضفاء طابع الفنان الشخصى وإحساسه المعاصر على العمل الفنى .

وعلى القاعدة رموز تعبر عن « الدستور » و« العدالة » و « الإرادة » ولقد شغلت هذه الرموز خيال الفنان في مراحل مختلفة من حياته الفنية ، وعالجها أكثر من مرة ، وظاهرة العودة إلى الموضوع الواحد ظاهرة تبدو في أعمال كثير من كبار الفنانين ومن خلالها تجلو مراحل التطور الفنى التى يمر بها الفنان ، كانت العدالة في رموزها التى عالجها الفنان من قبل في بعض مشروعاته القديمة كمشروع تمثال الاستقلال سنة ١٩٢١ ذات أسلوب خطابى ، ولكنها هنا تحمل قدرة اللغة التشكيلية على التركيز والإيجاز والتعبير ، إنها هنا تشير بأقل قدر من الخطوط وبشحنة مركزة من التعبير إلى أن العدل حق تسانده القوة ، ويستخدم الفنان ملامح الوجه وحركة الذراعين لإبراز عمق المعنى .

والإرادة رمز يجمع الصلابة والإصرار ويشير إلى قيود الحرية حين تتحطم بقوة العزيمة المنبثقة من الشعب :

لقد كانت الإرادة في نماذجه القديمة تتخذ أسلوباً رومانسياً ممتدة الذراعين محلقة بأجنحتها معبرة عن الحرية ، ولكنها هنا في وحدة من التعبير التشكيلى تحقق كل الإيحاء المطلوب من العمل الفنى في نطاق لغته الجديدة التى اكتسبها الفنان عبر تجاربه ، في هذين التمثالين معالم اتجاه من الفنان نحو طريق جديد بعد أن نضجت مقدرات تعبيره ، وهما يشيران إلى قدرة النحت على التعبير عن المعانى الوجدانية والرمزية بأسلوب من البناء التشيكلى وفي نطاقه دون الخروج إلى الأساليب الأدبية .

أما في تمثال الإسكندرية فقد نهج المثال نهجاً آخر ، فالفنان الصادق لايحد نفسه بطريقة واحدة من التعبير وإنما هو يدع الموضوع يوحى إليه بالطريقة ويظل هو نفسه مادام عمله صادراً عن صدق وإحساس :

في هذا الصرح إلى جانب لوحات النحت البارز تمثالان من أروع ما أخرج مختار أحدهما للوجه البحرى والآخر للوجه القبلى ، واللغة التشكيلية تخرج هنا عن نغمة الشعر الهامس في تماثيله الصغيرة لتعبر بنغمة جهيرة عن شخصية هذا الشعب تعبيراً ينبض بالحب والاعتزاز . والروح التى أودعها الملامح ورسوخ البناء والتكوين والتعبير التشكيلى التى تؤديه حركات الأيدى في التمثالين والتوفيق في إبراز الإحساس بالوطن ، بالأمل وبالكبرياء ، كل ذلك يجعل من هذين التمثالين بما يحتويانه من القيم التشكيلية قصيداً سيمفونياً يجسم شخصية مصر بلغة النحت .

وبين عهد تمثال « نهضة مصر » وعهد تمثال « سعد زغلول » نلمح الفلاحة في فن مختار تعبر مراحل تطورها الفنى في فترة واقعة بين سنة ١٩٢٥ وسنة ١٩٣٠ وترتفع من رقة الأعمال الفرنسية وحركتها ومن التسجيل الواقعى العابر الذى يبدو في فلاحات المرحلة الأولى لتحقق في نهاية المطاف بلاغة الصمت وإحساس السكينة الرائعة والشعور بالاستمرار ، وهى في أعمال هذه المرحلة تكشف عن الجمال الهندسى الداخلى الذى اكتسبه من تأمل فن بلاده القديم ويبدو فيها ترديد منغم للخطوط والمسطحات مع تعبير بنائى يضفى على هذه المنحوتات الصغيرة سمات النحت الكبير .

ولقد مرت فكرته الفنية عبر تطور متصل حتى حققت هذا النماء والنضوج ، نلمح هذا التطور في موضوعه الأصيل « الفلاحة والجرة » نراها في أولى صورها تنبض بالرشاقة والحركة والعناية بالدقائق والتفاصيل فنذكر بها النحت الفرنسى في الحقبة الأخيرة من القرن التاسع عشر حين كان يصور الجانب الواقعى من حياة

الحاصدات وبائعات اللبن بأسلوب يجمع الحيوية والرشاقة ، ونرى فيها أيضاً ظلالاً من فن مصر في العصر الصاوى .

ولكن طول تأمله فن بلاده أيقظ في نفسه الإحساس بالجمال الهندسي ونمى عنده مقدرة التحليل والتركيز فتوالت تماثيل « الفلاحة والجرة » مرة في خطوط منحنية تعبر عن الدعة والليونة في « نحو ماء النيل » وتردد إيقاعاً موسيقياً رائعاً كأنها نغم يوقعه النهر في لحن تشكيلي هامس ، ومرة في انحناءة مستديرة يتمثل فيها حاسة التكوين البنائى وتبسيط الكتلة مع انسياب الخطوط في تمثال « الفلاحة تجر الماء » وتتحدد النسب والأبعاد ونقط التقابل على نحو يحقق أقصى ممكنات الإيقاع التشكيلي . وينحت تمثال « على شاطئ النيل » فلاحة تصلح رمزاً لشعب بأسره ، في خطوطها وحدة متناسقة تحقق التوازن البنائى للتمثال ، وفي يدها التى تسند الجرة ويدها الأخرى التى تضعها في شاعرية تشكيلية على صدرها إيقاع يتردد مع باقي خطوط التمثال ومسطحاته ، وفي استعمال الخط المستقيم وما يدخله عليه من تكسير براعة تدل على نضوج الفكر الفنى ، وفي الخطوط الخلفية للتمثال وتقابلها وابتعادها واستخدام التجريد استيعاب لتجارب الفن الحديث دون اعتناق شعاراته والتقيد باتجاه بذاته ، وهى ظاهرة تلوح في فن مختار إذ نراه يستوعب تجارب الفن الحديث ويستخلص منها ما يتفق وإحساسه الفنى ثم يصوغ ذلك في حبكة بنائية محكمة .

ومرة أخرى يبدو التكوين البنائى وموسيقية الخط في مجموعته « العودة من النهر » وما أودعه داخل إطار وحدتها التشكيلية من تفاوت في الحركة والإيقاع جعلها تبدو كمقاطع من النغم المنحوت .

على نفس أسلوب المعالجة الذى يعتمد على النحت لا على التشكيل ثلاثة من أروع تماثيل مختار :

تمثال « الخماسين » من الحجر وفيه يعتمد على ديناميكية الخط للتعبير عن عنف المقاومة وعصف الريح ، وهو تمثال يعتبر بمتانة تكوينه البنائى وتماسك كتلته من الآثار الفذة في فن النحت الحديث ، وفيه فضلاً عن قيمه التشكيلية طاقة نفسية عميقة ترفعه من المحلية إلى العالمية ، من أن يكون تمثالاً للريح التى تعصف بمصر إلى أن يكون رمزاً للإنسانية كلها في صراعها بين المد والجزر .

وتمثالا « الحزن » و « القيلولة » وكلاهما تلتقى فيه أيضاً المحلية مع العالمية ، التعبير بالكتلة واستخدام عناصر الجمال الرياضى في اللغة التشكيلية ، مع الاحتفاظ بهذه الشحنة الإنسانية العميقة في التمثالين برغم إيجاز التعبير وتركيزه .

ويعبر مختار عن نظرته الجمالية للجسم في تماثيل ثلاثة « اللقية » و « إيزيس » و « عروس النيل » . إنها جميعاً تشترك في تصوير نموذج ثابت من الجمال ، جمال يحمل معنى السمو ، في استقامته تعبير عن النيل والنخيل وشموخ الوادى لا تلقى فيها الانحناءات والخطوط المتعرجة الماثلة في تماثيل النحاتين الأجانب فهى برغم موضوعيتها تبدو فيها النظرة الجمالية المصرية والتأثر بالبيئة .

وتتجلى حاسة مختار في توفيقه في اختيار الشكل الفنى الملائم لكل موضوع . فهو حين يعالج بعض المشاهد والأحاسيس الإنسانية يدع أسلوب النحت في الحجر إلى أساليب التشكيل في البرنز ، عالج بها موضوعات عدة من بينها تماثيله « المكفوفون الثلاثة » « عند لقاء الرجل » « حارس المزرعة » « شيخ البلد » « الفلاح يسير » وفي هذه التماثيل يلوح إحساس مختار الرهيف إذ نرى الحركة وملامح التعبير وإيقاع الخطوط وأدق التفاصيل في المعالجة التشكيلية تتفاوت من تمثال إلى تمثال وفقاً لموضوعه ، فنلمح الأسى الحزين في تمثال « المكفوفون الثلاثة » واستقامة التكوين التى تصور تمجيد الفلاح في تمثالى « حارس المزرعة » و « الفلاح يسير » بينما البناء التشكيلى في تمثال « شيخ البلد » يكشف عن لمحة ساخرة ، والتكوين في تمثال « عند لقاء الرجل » يحقق اللمسة الإنسانية التى يومئ إليها الفنان والتى تجعل من تمثاله برغم ملامحه الإقليمية تعبيراً إنسانياً أخاذاً ، ويساير الملمس التشكيلى التكوين البنائى للتمثال فى حساسية مرهفة فيحققان معاً الأثر الفنى المقصود .

تماثيل الأشخاص :

وفي تماثيل الأشخاص عند مختار كما يقول الناقد الفنى جورج جراب مدير متحف رودان السابق نلمح شيئاً من سر الحياة في أعمال الفراعنة قد أقبل علينا منتصراً على الزمن ، ولعل مرجع ذلك التقاؤه مع المثال الفرعونى في تصوير الحقائق الداخلية للأشخاص واستفادته من تجارب هذا المثال القديم الذى عنى بالشبه وبالرمز ، بالمثالية والواقع ، بالحاضر وبالخلود ، وجمع بين هذه العناصر جميعاً في تماثيله وما كان مختار في ذلك مقلداً لأسلافه ، وإنما هو استوعب تجاربهم ، ونبع من جنسهم وإن اختلفت عقائد عصره عن عقائدهم ، فبقى في تماثيله أثر الطبيعة والجنس في أعمالهم .

وقد مرت تماثيل الأشخاص في فن مختار بمراحل من التطور ، كانت في في المراحل الأولى تسجيلاً لملامح الشخصية على النهج الذى اكتسبه من المدرسة الفرنسية . ولكنه لم يلبث أن مضى نحو تطور كان تمثال « ثروت » من معالم بدايتـــه حيث

أجتمع التعبير عن المميزات النفسية الشخصية مع الملامح الخارجية ثم مضى على النهج في تماثيل عدلى وحسين سرى وعلى إبراهيم وب . أ . فيس وأرمان مجليه — في هذه الرءوس يلوح تمكن الفنان من أسلوب المعالجة التشكيلية وقدرته على ترجمة ملامح الوجه إلى مقاطع تشكيلية وإخضاعها لنسق واحد .

وكل تمثال من هذه التماثيل ينتقل من تصوير الشخص إلى التعبير عن النموذج ، من الحياة الخارجية إلى الحياة الداخلية ويطوع اللغة التشكيلية للتعبير عن النموذج الذى تمثله الشخصية وعن ملامحها الباطنة ؛ ففى رأس على إبراهيم يلوح ذكاء الروح ولماحيتها ويسهم أسلوب التشكيل في إبراز هذا المعنى ، ويبدو في نظرة التمثال زمن لا أبعاد له وتحوم فيه روح تذكرنا بمصر برغم أن التمثال لايحمل علامات مميزة لبلد بذاته . .

وبينما يمثل عدلى يكن كبرياء النفس واعتدادها فإن أرمان مجليه يمثل الإنسان في سموه وروحانيته وتسجل ملامحه شفافية شاعرية في التشكيل فى حين يبدو في رأس ب.أ. فيس صلابة الإرادة ونفاذ الذكاء ، وإذا ما قابلنا هذه المعانى بنهج البحث التشكيلى الذى استخدمه الفنان نلمس توفيقه في تزاوج الخط النفسى مع الخط التشكيلى في كل تمثال وقدرته على ربط عناصر التكوين وتحقيق التوازن .

في فن مختار تتمثل رحلة الفنان عبر حضارات بلاده وتأويل رؤياه لها ، فيه جوهر الفن المصرى القديم من حيث متانة التكوين والتوازن والهندسة غير المنظورة للأشياء ، وفيه مذاق من الجمال الإغريقى وفيه رقة وروح زخرفية من ميراثه الإسلامى وهو يضمن تماثيله لمحات تجريدية وتكعيبية ، ولكنه يأخذ منها ماينتمى إلى حضارتنا ، فمصر الفرعونية قدمت في فنونها أصول التجريد والتكعيب ولكنها لم تجعلها شعاراً وهدفاً وإنما استخدمتها كوسائل لتعميق التعبير الفنى ، ومصر الإسلامية ترنمت بالتجريد في فنونها وهكذا كان دور التكعيب والتجريد في فن مختار وسيلة تكمل مقتضيات التعبير وتحقق الأثر التشكيلى الذى يربط المشاهد بالعمل الفنى ، وهو يمضى بهذا التراث خلال تجارب الفنون المعاصرة ويتطلع إلى حضارة البحر المتوسط التى أثرت فيها مصر وتأثرت بها فيخرج فنه تعبيراً جديداً عن شخصية الوطن .

وفن مختار كفنون هذا الوادى الفرعونية والإسلامية ، فن ألفة مع الحياة ، وفي تماثيله إشراقة التفاؤل وإيحاء الصباح ، قد تلمح فيها الشجن ولكن الشجن من محبة الحياة وتعبيرات نماذجه الريفية تشير إلى اليقظة والأمل لاترى فيها ما تراه في أعمال فنان معاصر آخر مثل بارلاخ كانت نماذج بلاده الشعبية محور فنه ولكنها تعبر عن مأساة

الصراع الداخلى ، وتتفجر بالأنين فى حين تترنم تماثيل مختار بالغناء ولو اتشح بغلالة من الأحزان ، وهو برغم أنه يستوحى فنه من حياة الشعب إلا أنه يضفى على تماثيله لمحة لازمنية ويرتفع بها من إطارها اليومى إلى صورتها الدائمة ، ومن واقعها إلى الأحلام .

ولقد كان فنه في مطلع نهضتنا بشارة تفاؤل تمثلت فيه قدرة الفنان المعاصر على أن يعبر عن روح جنسه وشخصية عصره ومعالم بيئته وأن يؤكد ذاتيته من خلال تعبيره الشامل عن شخصية المجموع .

ملامح شخصيّة

وجه مميز فيه شيء لا يغيب عن كل من رآه ، سره كامن في قوة خفية تفرض تأثيرها على كل من اتصل به . كان في شبابه وجهاً خجولاً حالما يتردد فيه لمح حزين ، فلما سافر وطاف وخبر الحياة تغير فيه كل شيء وعاد من هذا المطاف وقد تشكلت ملامحه بمعالم الفن وتحولت سماته واكتسب صوته عمقاً وبعداً وأغواراً ، كان في عينيه بريق نافذ ، بريق لا يوصف ، مزيج من الحلم والكبرياء والاعتداد والطيبة والذكاء استعصى تسجيله على الراسمين ، كان في نظرته عمق تحس فيها معالم النظرة المفكرة وكان فيها حماسة وصفاء ، في جبهته العريضة وأنفه الضخم ولحيته ، وفي هذا البريق من عينيه ملامح تذكر بصور وتماثيل أسطورة الحقول ، وقد كان أصدقاؤه يرون في وجهه شبيهاً من تماثيل هذه الأسطورة ، أما هو فقد رسم نفسه على شكل أسطورة الحقل وصنع تمثالاً صاغ ملامحه من وجهه ، ولكن أسطورة مختار ليس مغرقا في الحسية وإنما هو رقيق مرح باسم هائم في الجمال مترنم بالحيـــاة من أجل الفن لا من أجل اللذة ، رأيت تمثال أسطورة رودان في بيته بميدون فدعاني هذا إلى المقارنة بينه وبين تمثال مختار ، تمثال رودان يستغرق في متعة الجنس مستحوذاً على فتاته استحواذاً جنسياً ، أما تمثال مختار فهائم بغناء الحياة ، مترنم بالجمال .

شيء آخر كان له أثر في صورة مختار هو صوته ، كان في صوته عمق وفي نبراته نفاذ يستولى على الحواس ، كانت الكلمات التى ينطقها تخرج محملة بشحنة من شعوره محـــددة صارمة كمقاطع النحت ، كانت الكلمة لا تخاطب السمع وإنما تنفذ إلى المشاعر وبقى لهذه الكلمات رنين في نفوس أصدقائه ، يقول صديقه الدكتور سامى كمال : « من لم يسمع منك لفظ الثورة التى قامت بهذا البلد الذى شعرت أنك من ترابه أو من التراب الذهبى لهؤلاء الفراعين ، من لم يسمعك تتحدث عن الثورة بلفظها الذى كنت تنطق به فيصير تمثالاً من صنع بصيرتك وحسك وقلبك الكبير ، من لم يسمعك لم يضطرب قلبه من هولها »(١).

وكان في قامته على قصرها اعتداد ، وفي سيره ثقة وفي سمته صراحة ووضوح .

---

(١) الدكتور سامى كمال مختار : « مجلة الرسالة » ٤ إبريل ١٩٣٤ .

غير أن وجهه الحقيقى لا يبدو إلا لمن يعرف كيف يقترب منه ، فهذه الملامح التى يشيع فيها التأمل والرحابة والطيبة تتحول حين يستثار أو يغضب إلى عبوس وثورة ، وصوته العميق يطلقه في ساعات الغضب كخط هجوم على المرائين والفضوليين وأصحاب الدسائس ، فهو مع هؤلاء يبلغ حد القسوة لأن طبيعته الصريحة الرحبة تأبى أن تتقبل شيئاً غير واضح وترفض الرضوخ للنفاق والأذى .

ولا يمكن لرجل أن يصبح فناناً عظيماً دون أن تكون في حياته قيم عظيمة ترفع الحياة إلى كرامة الفن .

وقد كانت هذه القيم راسخة في حياة مختار ، كان فيه صلابة الإرادة وشجاعة الرأى ورحابة النفس ووضوح الصراحة ، وكان في طبيعته كرم لا ينضب ، كان يؤمن بأن لأصدقائه الحق في كل ما يملك ، وأن لهم أن يضعوا أيديهم حيث يضع ماله ، وعند ما سافر إلى باريس مبعوثاً بقى زميلاه يوسف كامل وراغب عياد في انتظار دورهما في البعثة وكان يدعوهما في رسائله بإلحاح إلى الحضور لاستكمال دراستهما تباعاً ويعرض عليهما صادقاً ومتحمساً أن يتقاسما معه مرتبه ، وعلم قبل أن يغادر باريس ليقيم تمثال نهضة مصر أن صديقه المهندس فريد نجم الذى قاسمه أيامه في باريس يسعى لاقتراض مبلغ من المال وأنه يكتم عنه الخبر حتى لا يضطر إلى إعطائه هذا المبلغ الذى قد يحتاج إليه في سفره ، فذهب إلى صديقه ثائراً وقال له : « إنك تعلم اين أضع نقودنا ، اذهب إلى البيت فوراً وخذ من الأدراج ما تشاء » .

وكان من عادة مختار حين يأتيه مبلغ من المال أن يوزعه في كل أركان البيت ، في أدراج الملابس ، وفي الدواليب وتحت المقاعد وبين صفحات الكتب فهو جواد متلاف ، وما لم يخف المال عن نظره لوقت شدة فإنه سيبذره وأحياناً ينسى مخبأ نقوده فيظل يبحث عنها ، ويكون لفرحة اكتشافها وقع سعيد في نفسه ، وكثيراً ما يلمس حاجة بعض أصدقائه إلى المال في لحظات شدة تمر بهم فيقدم لهم كل ما يملك ، يقول صديقه الشيخ مصطفى عبد الرازق : « يقولون إنه كان كثير الإسراف ولكننى أعلم أنه كان يعين كثيرين من الأقارب والأصدقاء ، ولقد كنت أراه يعمل في باريس ساعات إضافية ويبذل فيها جهداً شاقاً ليبعث النقود إلى مصر »(١) وكان برغم عناء الحصول على المال لا يكترث له ولا يسعى إليه على حساب كرامته مهما تكن الأحوال .

وما كان يحلو له التمتع بشىء وحيداً ، فعند ما يدعوه صديق لتناول الطعام يشترط دعوة أصدقائه ، ولو لم يكن الداعى يعرفهم جميعاً ، وكان يتفنن فيما يقيمه

---

(١) مجلة أفور : « تحية لمختار » عدد إبريل ١٩٣٤ .

لأصدقائه من ولائم في أيام الرخاء وما ينظمه لهم من رحلات سواء في مصر أو في فرنسا وكان يريد أن يخلق في مصر هذا الجو الفنى المرح وعصر الولائم الفنية التى شهدها في باريس والتى كانت تحفل بها أوساط الفن في مونمارتر ومونبارناس على غرار وليمة روسو التى أقامها بيكاسو بمرسمه في مونمارتر وظل لها ذكرها في حياة أهل الفن ، على هذا النسق الفنى كانت حفلة التكريم الساخرة التى أقامها لصبرى السوربونى ببار اللواء ، وكانت الاجتماعات المرحة في مرسمه بشارع الأنتكخانة وفي باريس .

وهو يخلق دائماً حول صداقاته جواً ويترك في محيطها تأثيراً ، ويقول صديقه المصور « روجيه بريفال » : « إنه كان يحب أصدقاءه بطريقة فذة وبحماسة ، فلقد كنت مرة قد اعتذرت عن إحدى دعواته لاضطرارى إلى العودة إلى مصر ، وما أن وصلت مرسيليا حتى وجدته وقد قدم إليها خصيصاً لمجرد توديعى قبل سفرى وقضى نصف يوم فى محطة القطار يرقب قدومى لأنه لم يكن يعلم موعد وصولى ، ولقد كان يحب أن يترك دائماً جواً حياً ، فعند ما دعى مرة إلى تناول الشاى في باريس عند « مارسيل فيوا » أرسل سلة من الورد لم أر لها مثيلاً في العالم كله ، ولقد بلغ من ضخامتها أننا وجدنا صعوبة شديدة في أن ننفذ بها من باب البيت »[1] .

على أنه كان لا يفعل هذه الأشياء للزهو وإنما لأن شعوره يوحى له بها في مناسبات عزيزة عليه أما حين لا يجد من نفسه صدى لالتزام من الالتزامات الاجتماعية المتعارف عليها فإنه لا يقوم به ، وكان في طبيعته خروج على الأوضاع التقليدية للمجاملات حيث لا يجد لها في نفسه اقتناعاً .

وكان في إخلاصه لأصدقائه وتفانيه من أجلهم مثلاً فذاً ، كان من العسير أن يطلب شيئاً لنفسه ، ولكن عندما يتصل الأمر بصديق فإنه يطرق كل الأبواب بإصرار وحماسة للدفاع عن قضية صديقه والسعى من أجله ، وهكذا استطاع أن يشق لأصدقائه في مطلع الحركة الفنية الطريق ، كانت صداقته لحافظ عفيفى وويصا واصف وعثمان محرم وعلى الشمسى وصلاته الوثيقة بعدلى وثروت ورشدى وتقديرهم له من الأسباب التى أعانته على أن يفتح طريق البعثات لزملائه ، وأن يجعل الدولة تقدر أعمالهم وتقتنيها وتعهد إليهم ببعض المهام الفنية .

عرفت أحمد صبرى في شيخوخته وفى أثناء مرضه ، وبرغم آلام هذا الرجل بين الصمت الذى كان يكتنفه فإن وجهه كان يشرق بالذكرى والعرفان عندما كان يدير الحديث عن مختار ، كان يذكر أيامه معه وما فعله من أجله في باريس ،

(١) مجلة « أفور » عدد إبريل ١٩٣٤ .

وكان يشيد بجهود مختار عند ما كان صبرى يعرض أعماله في الصالون، فقد كان يحس بوجوب تقديره ، وكان يسعى لاقتناء الدولة لأعماله ، بهذا كان يتحدث صبرى ويتنقل بنا الحـــديث إلى مجالات أخر ولكن إلحاح ذكرى مختار وأيامه معه كان يستعيده إلى هذا الجو من الصداقة والصراحة والحماسة الذى أحسه من اتصل مع مختار بأسباب المودة والمعرفة .

وكان مختار يتحمس لكل موهبة جديدة ، وعند ما ظهرت أم كلثوم حاملة روح الريف والطبيعة إلى الغناء المصرى كان من أشد المتحمسين لها مع مجموعة من الأصدقاء وتمثلت حماسته وصداقته لها في تمثال يفيض بالرقة والشجن والجمال ، وفي تمثال آخر من الشمع أقامه لها إلى جانب تمثال بافلوفا بمتحف جريفين بباريس .

ولئن كانت تماثيله الشخصية للسيدات قليلة العدد فإن النبض التشكيلي في تمثاله لأم كلثوم واضح الخفقات يدل على إرهاف في التعبير ، وذلك ما نلمحه مرة أخرى في تمثال شخصى آخر غير معروف أقامه للفنانة الأمريكية فيراكوبر ، وكانت فيرا قد قدمت القاهرة وعاشت فيها فترة ، وقد كانت أيضاً صديقة للفنان العالمى الكبير « فان دونجن » وكان مختار شديد الإعجاب بها كما أن شخصيته قد استهوتها فكانت تعاود زيارته في « ساحة » تمثال نهضة مصر بميدان باب الحديد فى أثناء إقامته غير أن أمها كانت تضيق من كثرة هذه الزيارات ولكن مختار لم يلبث أن أقنع الأم بتعلم فن النحت وأخذ يلقنها تعاليمه حتى استطاعت بعد شهر أن تصنع تمثالاً لابنتها وأن تعرضه في صالون القاهرة سنة ١٩٢٤ ، وأقام هو أيضاً تمثالاً آخر لفيراكوبر يفيض بالرقة وكان من تماثيل الأشخاص النسائية القليلة في نحته .

ولقد كان يرى في بافلوفا وفي ايزادورا دونكان معجزتين من معجزات فن العصر ، إذ ارتفعتا بالباليه إلى قداسة العبادة الفنية ، وعندما قدمت بافلوفا مصر كان حريصاً على أن يجعل من قدومها حدثاً فنياً ، ونظم مع جريدة السياسة الحديث الكبير الذى نشرته لها ، وأعد له الرسوم التى صاحبت أسئلة الصحفى القديم على بليغ ، وكان لهيام مختار بفن الباليه الرهيف وتعمقه لتعبيرات الجسم الإنسانى بالحركة عن المشاعر المختلفة أثره في موسيقية فنه وتعبيره .

وهكذا كان حريصاً على أن ينشر الوعى الفنى ويبشر بالذوق والجمال في كل مواضعه .

وكان محيط أصدقائه محيطاً واسع الشمول ، نرى بينهم أسماء جهيرة عرفت بنشاطها العام وأثرها في مختلف مجالاتنا مثل : عزيز المصرى ، على إبراهيم ، طراف على ،

ويصا واصف ، حافظ عفيفي ، عثمان محرم ، بهى الدين بركات ، عبد الحميد بدوى ، على الشمسى ، شوقي ، حافظ ، محمود عزمى ، حسين هيكل ، طه حسين ، صبرى السوربونى ، سيد كامل ، وآخرين لم ينالوا هذا الحظ من الشهرة ولكن كان لهم اهتماماتهم وحماستهم للفن والثقافة ؛ منهم الطبيب الذى يهوى الفن ويشارك في الحركة الفنية مؤيداً أو منظماً — سامى كمال — والقاضى الذى يحب الثقافة والفن والسياحة — عبد الحميد فهيم — وقاض آخر ترك أبهة المناصب وأبهاء القصور وساحات المحاكم ليصور ويسخر ، وكانت ساعات إنتاجه الفنى هى أسعد ساعات حياته ، ذلك هو مصطفى مختار ، وطبيب أبلى في حرب طرابلس ومارس السياسة هو سيد شكرى ، ومحام شغل بالفن والأدب والثقافة وضحى من أجلها بكل الاعتبارات هو محمود خيرت ، وآخرون غيرهم .

وكانت صداقاته تترامى من باريس إلى القاهرة ، عاش في باريس فترة « العهد الجميل » La belle epoque وعرف كتاباً وشعراء وفنانين مثل تريستان برنار وهنرى بوسكوولوران فيبر ومستنجت ولقى عديداً من أهل الفن في مونمارتر ومونبارناس وقد ظل رواد هذه الأماكن يحفظون له أجمل الذكريات ، يذكرون مرحه وطيبته وجو الحياة الحافل الذى كان يخلفه أينما حل .

وفي مصر كان له في كل مكان من أماكنه المألوفة صدى وأثر ، لو أن الأماكن تحفظ حياة اللحظات التى عاشها روادها لاستعدنا صوته وضحكاته بين أصدقاء بار اللواء حين كان مركزاً من مراكز الحياة الفكرية يتوافد عليه أهل الفن والفكر والسياسة ، ولرأيناه في مجلسه مع دواد بركات وهيكل ومصطفى عبدالرازق ومحجوب ثابت وصبرى السوربونى ومحمود عزمى ، ثم لشهدناه بين الكافيه ريش والأنجلو في مجالس حافظ والبشرى وعلى إبراهيم ؛ ولسمعنا ضحكاته عند سلستينو وفي جروبى مع طائفة من أصدقائه كانت تتردد على المكان ، ولشهدناه يرتاد مجلس صولت مع شوقي ، وفي دار السياسة حيث كانت تجتمع كل ليلة مجموعة من المفكرين ، حافظ عفيفي يعلق على الأحداث السياسية ، وهيكل يعد مقاله اليومى ، وصبرى السوربونى يتناول قصيدة من شعر إسماعيل صبرى ، وأحمد نجيب المالى والأديب يتردد بين السياسة المالية والأدب ، وسيد كامل بخبرته وحياته الحافلة يكتب في الاقتصاد ، ومحمود عزمى يعلق على الأحداث الخارجية ، ومختار بين حجرات الدار يتردد صوته العميق ويقترح أفكاراً ورسوماً للجريدة .

هكذا كانت حياته واسعة المحيط ، ترك في كل مكان طابعها وأثرها ولكن عند ما تواتيه فكرة تمثال لا يلبث أن ينعزل ، يهجر كل هذه الأجواء فجأة

ودون مقدمات وينقطع لفكرته في عزلته ، عندئذ لايطيق أن يتردد عليه أحد أو يقطع عليه تنفيذ فكرته التى تواتيه في يسر وتلقائية ، حتى أن لمساته الأولى التى يضعها تحمل دائماً كل نبض فكرته ، اللمسة الاولى والتشكيل الذى يخرج من أنامله يستقر في ثبوت ورسوخ دون إضافة أوتعديل ، وفي نفسه دائماً طاقة متحركة نحو التعبير بأشكال لاعداد لها تفيض بالشجن وموسيقية النحت .

وبرغم عنفه في صد المترددين على « مَنْحَتِه » عندما تواتيه فكرته ويستحوذ عليه العمل فإن حبه للحيوان يمنعه من أن يتخذ منه موقف الصد ، وفي لحظات استغراقه في النحت تتقدم قطته وتظل تتمسح به فلايستطيع أن يصدها ، وعندما كان ينحت تمثال « عروس النيل » ظلت قطته جالسة على كتفه طوال ساعات استغرقها في تشكيل التمثال فلم يدفعها ولم يصدها بل كان سعيداً بها .

وهذا الحب العميق للحيوان يقابله حب آخر للطفولة ، إن شغفه بالأطفال واحتفاءه بأطفال أصدقائه من السجايا التى عرفت عنه ، وحتى اليوم مايزال أبناء أصدقائه برغم تباعد العهد يذكرون أيام طفولتهم ولحظات من المرح قضوها معه .

لقيت في باريس صديق وصديق مختار « أرمان مجليه » فقص على كيف أن أبناءه وقد أصبحوا اليوم رجالاً ما زالوا يذكرون ليلة من ليالى عيد الميلاد قضاها مختار معهم مشغولاً بعمل مجموعة صغيرة من التماثيل لمهد المسيح ، وكيف كانت سعادة الاطفال بهذه التماثيل ومتعتهم بذلك العيد .

وكانت البساطة مع الذوق هما طابع مختار في حياته ، ينشدهما في زيه ومسكنه ومنحته ، كان لكل المناحت التى عمل بها طابع الورشة ، فهو يكره طابع الصالون التقليدى الذى كان يغلب على مراسم كثير من أساتذة النحت في أوروبا ، وكان يبدو في ساعات العمل كصانع بسيط يشمر عن ساعديه ويضع على رأسه قبعة من ورق تقيه وهج الشمس ويجلس على المقاعد الخشبية أو على قطعة من حجر ، وفي هذا الجو يدير مناقشاته بسيطة نابعة من القلب ، يشع منها بريق الملاحظة والذكاء .

بهذا الزى كان يستقبل الوافدين لزيارته في ساحة تمثال نهضة مصر أياكانت مراكزهم ، وبه استقبل سعد ورشدى وويصا واصف ومجموعة الزعماء والمفكرين عند زيارتهم الرسمية للتمثال سنة ١٩٢٧ .

على أن هذه البساطة تتحول إلى ثورة عارمة عند ما تمس كرامته ، ولقد كان حريصاً على أن يؤكد كرامة الفنان التشكيلي ومكانته في المجتمع .

وكان يخوض من أجل هذه الكرامة معارك ؛ حتى استطاع أن يضع الفنان موضع

التقدير من المجتمع فهو لم يتردد في طرد بعض كبار الموظفين الذين كانوا يشرفون على الشئون الإدارية للتمثال عندما رأى في تصرفاتهم مساساً بكرامته الفنية ، ولم يتردد في أن يقف موقف العنف من بعض ذوى المراكز عندما كان يصطدم بروحهم البيروقراطية .

وكان في مختار طبيعة الثائر وروح التمرد على الأوضاع . كانت في نفسه هذه الرغبة في تحطيم القيود والتقاليد التى كانت تبدو عند رجل كان قريباً من نفسه هو حافظ إبراهيم .

وعندما دعاه الملك فؤاد لمقابلته جلس يخاطبه بلهجة متحررة من ألفاظ (الجلالة) وتقاليد الملوك ، ذكرت بها لقاء حافظ بالسلطان حسين ، كلاهما وضع الفنان في مكانته واستدبر القيود والشكليات في وقت كان الناس فيه يمشون بظهورهم عند لقاء الملوك والسلاطين ويقفون في حضرتهم وقفة العبيد . .

وعندما بدأ مختار في عمل تمثال للملك فؤاد ، وأبدى الملك ملاحظة رأى فيها المثال مساساً بكرامته الفنية ، لم يتردد في أن يتوقف عن العمل ويحطم التمثال وصنع تمثالاً كاريكاتورياً للملك ، وكاد هذا الموقف يطيح به لولا أن تداركه بعض الأصدقاء وألقوا ظلالاً حجبت معالم الحدث ، وكان في مختار صفة الاعتداد التى تميز بها كثير من عباقرة الفن ، ويذكرنى موقفه من الملك فؤاد بموقف بتهوفن من أميره ليكنوفسكى عندما غضب منه وحطم تمثاله الذى كان يحتفظ به .

وعند ما أتم مختار تمثال نهضة مصر ظل الملك ستة أشهر يرجئ إزاحة الستار عن التمثال ، ولكنه لم يلبث أن استجاب إزاء الرغبة الشعبية ، ويوم إزاحة الستار وفي لحظات الاحتفال الرسمى الباهر ، انعزل مختار بعيداً عن مظاهر الاحتفال مع مجموعة من الأصدقاء ، وعندما طلب الملك استدعاءه لم يجده رجال التشريفات وبدأ الحرج يرتسم على الجو ، وأخيراً وجدوه بعد بحث في الجانب الآخر من الميدان يمزح مع بعض الأصدقاء .

وبرغم أن عمل مختار كان مفخرة لعصره ، وكان أول عمل من نوعه يقام في العصر الحديث فإنه لم يلق تقديراً ملكياً ، لا لقباً ولا رتبة ولا مجرد وسام ، ومع هذا فقد كانت هذه الأشياء أبغض الأمور إلى نفسه فلم يحفل بها ، كان التقدير العام هو حسبه ورضاه .

وكان مختار يتلمس الثورة على الأوضاع ، يعلنها في مجاله ويتلمسها في قصائد الشعر الثائر ، وفي الأفكار التى كان يودعها تماثيله ويؤكد فيها سيادة الشعب وقيمه ، وفي سعيه لإقامة تمثال لعرابى الثائر .

وهو إلى جانب الثورة مأخوذ بالبطولة ، يعيش في صحبة أبطال التاريخ تستهويه حياة ميشيل انجلو ، وكتابات قيصر ، وفلسفة أفلاطون وفولتير ، ويأخذ نفسه أدب موباسان وبلزاك وأناتول فرانس وريمى دىجورمونوأروع مايعجبه أساطير الأبطال الأقدمين ، الأسطورة المصرية القديمة بكل آلهتها ، والأسطورة الإغريقية بأبطالها ، إن كل ذلك يطلعه على عوالم وأحداث تشحذ نفسه وترهف خياله ، طبيعته وإحساسه الفنى يجعلانه دائماً مأخوذاً بالحرية ، وهوعند ما يفقدها في بلده ، يرحل إلى فرنسا ويطيل فيها إقامته ، ويتلمس العزاء عن هجرة أصدقائه عند مجموعة كان يلتقى بها في باريس ، عند صديقة حياته وفكره مارسيل دوبرى التى كانت شديدة الإيمان بعبقريته وشخصيته وكانت تقف إلى جانبه في لحظات المجد والشدة والمرض معاً ، وقد حفظت رسائله وكلماته لها أصدق العواطف وأعمقها .

وبالرغم مما يتردد في هذه الرسائل من نغم نفسه الحزين فإنها تمثل عزاءه الروحى وسلوى حياته ، وفي هذه الرسائل وفي تأملاته الفردية نلمح وجهه الحقيقى الذى كان يخفيه وراء مظاهر المرح وأحياناً وراء ثورة الغضب عندما يعتدى عليه .

ولقد كانت أجواء الثقافة تستهويه وتأخذه ، وكلما خلص من مشاغل الكفاح الإنشائى للحركة الفنية فرغ لثقافات فكره وروحه ، وهو في سنواته الأخيرة مشغول بالمشاركة مع مجموعة من المفكرين والشعراء والفنانين ، كانوا يؤمنون بحضارة البحر المتوسط والشعوب التى عاشت على ضفافه ، وكانوا يعملون على أن يجعلوا من قلعة قديمة بلورماران في جنوب فرنسا ملتقى لأهل الفن والفكر ومركزاً للفنون التى عاشت على ضفاف هذا البحر .

هنالك كان يندمج في الأعياد التى تقام لتمجيد فرجيل وميسترال وغيرهما من شعراء البحر العتيد ويشارك في المظاهر الفنية التى كانت تحفل بها لورماران وتعرض أعماله مع أعمال موريس دينيس ولابراد ودفرينوى ومارشن وريوونويل فيسبير وبواسونوجينو ، وفي هذا الجو يلقى عزاء روحياً آخر ويحلم لبلاده بأن يسودها هذا الجو الرائع ، هذا المزاج من الحرية والفن .

وإحساس الحياة القصيرة الذى يدفع العباقرة إلى غزارة الإبداع كان يستولى عليه ويسوقه إلى الإنتاج الفنى المتصل ، فهو في هذا مثل موزار وشوبير ورافاييل أولئك الفنانين الذين قدمتهم الطبيعة كالربيع فأنضجت ثمارهم قبل أن يذوى عودهم .

وطاقة الحماسة وإرادة الإصرار التى كانت تشتعل في نفسه جعلته برغم وجوده المحدود يبدع هذه الآثار العديدة التى كانت أعمق الكلمات صدى في حياة فننا المعاصر .

من كتابات مختار

رسائل

رسالة إلى صديق(*) :

«إنك تعرف كيف تعيش حياة كاملة نافعة ، وإن حماستك ونشاطك وإرادتك وروح الإنشاء والابتكار عندك ، كل هذه من خصائصك التي تتفق وضخامة ماتتولاه من مهام .

إن طبيعتك وخلقك وتسامحك صفات نحتت في نفسك على نسب وأبعاد تجعل كل من يراك ويتصل بك يلمس فيك مقومات الامتياز الإنسانى ، وإنك لتستطيع بهذه الصفات أن تؤثر في الناس وتوجههم وتستمع إلى متاعبهم وتمضى بهم في أشد المسالك وعورة لأن طبيعتك الدبلوماسية توفر لك هذه المقدرات .

إن بابك مثل قلبك كلاهما مفتوح للتعساء يجدون فيه مأوى من متاعبهم :

ولكنها مميزاتك الخاصة يا صديقي وهى مميزات لا تتوافر لكل الناس :

أنا لست مع الأسف من هذا النوع من الناس الذى يستطيع أن يحاور محدثه ، وأن يقوده ببراعة إلى مناقشة ما يعنيه ثم يستطيع أن يحصل بعد هذا الحوار على موافقته ، ولست أيضاً ممن يحسنون المفاوضات ، بل إننى على العكس أحس بدواعى الانسحاب في اللحظة التى يحسن فيها الاستمرار .

ومن أجل هذه التصرفات وبسبب طبيعة النضال في نفسى أوثر الاعتزال في صمت .

وإذا كان الأوان قد فات لتغيير طبيعتى فإن في الوقت دائماً متسعاً للاعتراف بها :

غير أنني ما بدأت أحداً بالهجوم وإنما كان موقفى دائماً يقتضينى الدفاع ضد هجمات الآخرين .

= أتذكر أنك قلت عندما قدمتنى « إنه رجل يعرف كيف ينطق الحجر ويبث فيه الحياة ، ونحن لا نطلب منه أكثر من أن يكون فناناً » .

(*) مسودة من رسالة موجهة إلى صديقه الدكتور حافظ عفيفى . فى العشرينات فى أثناء المفاوضة التى لقيها عند إقامة تمثال نهضة مصر .

هل تعلم أن ميكيل آنج كان مكروهاً من معاصريه لأنه كان له شخصيته وخلقه الصارم حتى أنهم أسموه « الجلاد » .

ولقد غضب ميكيل أنج من الناس جميعاً ، وامتد غضبه إلى البابا الذى كان يرعـــاه .

وفيدياس الذى توج الإنسانية بغمار من المجد الخالد ما كان يحميه سوى شخص واحد . . بركليس ، فلما سقط نفى فيدياس ومات في المنفى .

وفولتير ، ألم يثر حفيظة معاصريه ، وألقى به مرتين في الباستيل .

إننى إذ أذكر هؤلاء الرجال لا أفكر في أن أقيس نفسى بهم ، فهم عمالقة ولست إلى جانبهم شيئاً مرئياً ، ولكنى أذكرهم لأنهم نماذج عالية تمثل موقف الناس من عباقرتهم .

وإذا كان هذا هو الوضع بالنسبة لهؤلاء فلعل دهشتك تنتفى إذ ترى كثيرين يقفون في سبيلى ويعملون ضدى .

لماذا يهيننا هؤلاء السادة ويعملون على إهدار اعتبارنا فى حين كان من واجبهم أن يبحثوا عنا ، وأن يشجعونا ، وأن يبثوا فينا الحماسة ؟ إنهم حقاً ليسوا على مستوى مناصبهم ، وهم لم يحققوا إلا العظمة الزائفة التى لا تلبث أن يحجبها الظلام .

إنهم لايدركون أن جو العلاقات الفكرية ينبغى أن تحوطه مشاعر نبيلة .

لماذا نراهم ينقبون عن أخطائنا ويغضون الطرف عن مزايانا .

إن الإنسان يجب أن ينظر إليه ككل ، لا أن يقطع أجزاء وينظر إليه كما ينظر للاختبارات المعملية من خلال الميكروسكوب .

إننى يا صديقى الدكتور أشكر لك احتمالى كل هذه السنين الطوال . . ولكن لم يبق إلا القليل ، وبدلاً من أن أنفى من هنا نتيجة دسيسة أومؤامرة فسأنفى نفسى باختيارى . إننى أكاد أن أعيش في قفص من زجاج ، ولكن رأسى في حاجة إلى الهواء فهو غذاء الفن وحياته » .

إلى « مارسيل[1] » :

لقد نضب الشعر اليوم من نفسى . . فبعد جولة في جبال الجرانيت ، وبعد ساعات طوال من الإرهاق والعمل ، أستلقى مجهداً ، وغداً لن يكون لى من اليوم لحظة ، يوم ثقيل بغير وحدة .

ولقد كان من الحكمة ألا أكتب إليك اليوم ، ولكنك يا عزيزتى مصدر الأفكار التى تستمد قيمتها من وحيك وإلهامك .

وإنه يطيب لى أن أتصور أسماءنا المنسية وقد انبعثت بغتة من بين أوراق خطاب قد يعثر عليه ، وقد يتساءلون عن تلك المرأة التى لقيت كل هذا الحب ، وعندئذ سيصمون أطيافنا بالكثير من الحماقات والسخف . فإذا كنا نسيء الحكم على الأحياء فماذا يكون الحكم على الغائبين ؟

إننى أكتب إليك وأنا مستلق على الرمال التى ما زالت تحفظ سخونة يوم محرق . وفي الجو ريح قبلات ، والرغبات اليائسة تتبخر في الأحزان . وعاودتنى الأوهام ، رأيتك تنبثقين فجأة من بين أحجار الجرانيت ، وفي مهاد الرمال حيث كنت أتمدد بانت لى معالم تكوينك تتشكل .

إننى أرى النيل أمامى ، وفي الضفة الأخرى كشك أثرى قديم يغمره الليل والصمت .

وحين أفتقد وجودك إلى جانبى تنصتين إلى وأحياناً تبسمين فإننى إلى هناك أتجه ، ولكن طالما كان على مقربة منا شخص يحتاج لنا ألا تكون الحياة جميلة ؟

وهل لنا أن نشكو حين يكون هذا الشخص محبوباً نستمد من وجوده ومن غيابه عواطف وأحاسيس عديدة غير محدودة ؟

وإذا كنا نحب من جانب واحد ، وإذا كانت الحياة تنطوى على نفسها وتصبح إحساساً داخلياً ، أليس في هذا أيضاً شعور بالراحة ؟ »

---

(١) مترجمة عن الفرنسية من رسالة إلي صديقته « مارسيل دو برى » .

كلمات

ترنيمة حزينة :

« كتبت لها أولاً خطاباً فوجدته مراً فحرقته . بأي حق أشكو منها ؟ إني أحببتها بهذا الحب الذى لا يعبر عنه بالكلام بل ينحت في الحجر الصوان الأصم .

« نعم كنت أحبها بهذا الحب المقدس وأبحث في عينيها عن هذا السر الذى كان يجذبني دائماً إليها ، لا كما يبحث الإنسان بين الأعشاب عن خاتم وقع من أصبعه بل كما يبحث المرء عن سعادة صنعتها له الحياة بكل هدوء في أسرار الأشياء . كنت أحبها وأفاخر بهذا الحب السامي الذى وضعت تحت تصرفه جميع مواهبي لأقذف بها في أمواج الحياة المتلاطمة لأجعلها خالدة هي .

« كان هذا وكان أكثر من هذا مما لايكتب ولا يقال ، ولكن يظهر لى أنها لم تقدر هذه العواطف الرهيبة وكأنها خشيت أن تنظر إلى عمق هذا الحب المخيف الذى لم تتعوده بعد ، فأوقفته بيد من الثلج .

« انظر كيف نعامل هذا الحب فقد بقيت كل هذه المدة بدون أن أراها أو تصلني أخبارها ، كأن الحياة قدانقطعت أسبابها ، ونحن نعيش في مدينة واحدة كأنه وضع بيني وبينها سد من حديد فأصبحنا لا يعرف أحدنا الآخر .

« انظر كيف تسرف في عدم الاكتراث وهى تعلم أن عدم الاكتراث ما هو إلا سم الحب القاتل .

« انظر إليها بعد أن سقته كأس الموت كيف تنظر إليه يحتضر ولا يندك قلبها وتذوب روحها إجلالاً لهذا المنظر الرهيب .

« انظر كيف تبتسم أمام هذه الدماء المقدسة وهى تعلم أن للحب إلهاً حسابه عسير ، فسوف يأتي يوم تثوب إلى رشدها وعندها تلبس الحداد إلى آخر يوم من حياتها البائسة . ولكن لماذا أقول لها كل هذا ؟ .

« إنها سعيدة بدون هذا الحب وهل أنا أردت شيئاً آخر غير سعادتها .

« بأى حق أريد أن أشركها في مستقبلي الملآن آلاماً وغيوماً .

« بأي حق أريد أن أقذف زوابع حياتي وعواصفها في حياتها الهادئة الساكنة .

« لافلتكن هي سعيدة ، ولتسامحني إذا عكرت عليها صفوها لحظة واحدة ولتكن كما أرادت .

« أما أنا فسأخضع لعزة نفسي وأعود إلى وحدتي الساكنة التي أجد فيها دائماً الدواء الشافي لآلامي والبلسم الذي يضمد جروحي ، وسأنظر من هذه الوحدة إلى تذكار هذا الحب كما ينظر الإنسان إلى كسوف الشمس من خلال قطعة زجاج علتها سحابة من الدخان إلى أن تغيب .

ولكني سأبقى كالإنسان الذي لا تراه العيون العادية أترقبها من بعيد حتى إذا زلت قدماها ؛ أمد لها يد الشفقة لأنتزعها من الهاوية[1] » .

---

(١) كلمة كتبها مختار بالعربية بين مخلفاته تنبض بإحساس يأس حزين ولكنها لاتحمل إشارة إلى الشخصية التي أثارت في نفسه لواعج الحزن .

متفرقات من كلماته[1] :

« إننى مثل الدب ، نعم الدب الذى يحافظ على سكينته ولا يستفز أحداً ، ولكننى مثله أثورعند ما يعتدى على » .

« إننى أعيش دائماً كذئب عجوز ، أدخن وأحلم وأعمل وأتدفأ وأنسى حيـــاتى » .

« إننى أعلم جيداً أن الصداقة مهما كانت رقتها لا تعيش تحت رحمة خطاب ، ولكن ما نعرفه تماماً ليس دائماً هو الحقيقة » .

« ما أعجب الناس ، إننا نواجه احتقارهم الشديد عند الإخفاق وحقدهم الشديد عند النجاح » .

« هناك أشخاص يجمعون بين النفاق والشراسة ، إنهم لايظهرون إلا في المصائب ، ينقضون على الإنسان في محنته كهذه الحشرات المؤذية التى لا تخرجها الأرض إلاوقت العاصفة » .

« إنهم يثيرون بغير سبب الشكوك وسوء الظن والحسد والحقد والانتقام ، إن لديهم شهوة الإيذاء » .

« لماذا تضل الحقائق الثابتة طريقها في بعض الرءوس؟ » .

وقد يكون من الأفضل أن نحيا الحياة دون هموم وأفكار ولكننا لسنا أصحاب الاختيار . .

إن مانعرفه جيداً ليس دائماً هو الحقيقة ، لماذا نفكر فى الموت ؟ ألايكفى أنه دائماً يذكرنا . .

---

(١) مقتطفات من كلمات مختلفة بين مخطوطاته ترجمت عن الفرنسية . وكان من عادة مختار فى لحظات تأمله ووحدته أن يسجل خواطره فى أوراق متناثرة . وهى تدل على الملامح الداخلية لنفسه ومشاعره .

« في هذه اللحظات من تجدد العام ، عندما نتبادل الزهور أتجه إليك وأذكرك ، وأذكر نفسي معك ، وأذكر كل من أحببنا ، من يعيشون ، ومن ماتوا في القلب ، وأذكر النساء الجميلات وأجسامهن في عزة جمالها ، وعيونهن المتلألئة ، وأذرعهن التي تتفتح وتغلق على نداء الحب ، وأذكر أيضاً المشردين والأشقياء والمرضى والضعفاء ، والجبناء الذين يخافون من رغباتهم ، وأفكر في عناء الحياة بقلب دون أمل ، وجسد دون رغبة ، وعيون دون ابتسام » .

« إن لدينا أشياء كثيرة نرددها معاً بالصمت أو بالكلام . . ولكنني أشعر أن الوحدة بالنسبة لي أكثر من حاجة ، من ضرورة . . . وأنا أجد أكثر من سؤال يطوف بنفسي نأرحب به وأضرب له موعداً إلى جانبك لنبحث عن جوابه معا . .

« وإني أهيم في عينيك . . إنهما ترتشفان عقلي وروحي وكل خطط . . إنهما يستحوذان على في اللحظة الحاضرة وإني لأشعر بالأسى عندما أحس أن هذه اللحظة ستبتعد عني متحولة إلى الماضي » .

تذكارات باريسية

كان لباريس أثر بعيد في حياة مختار ، صقلت مواهبه ووجد فيها الجو الحر الذى تحلق فيه آفاق الفنان وتنطلق طاقاته .

ولقاء روحه الشرقي بباريس ، واحتكاكه بتيار الحياة فيها قد طبع في نفسه أثاراً أودعها هذه الكلمات التى نشرت في كتاب « باريس » للأستاذ أحمد الصاوى محمد قبيل وفاة مختار بقليل .

وقد كان هذا الكتاب من الكتب الأخيرة التى ألقى عليها نظره قبل أن يموت ، والكلمات التى نشرها بالكتاب هى آخر ما خطه قلمه ، وهى تصور قطاعات من الحياة الفنية وذكرياته فيها .

ولقد كان لمختار من باريس ذكريات زاخرة غير أن هذه الكلمات هى كل ما بقى من كتابته عنها ، أما ذكرياته الأخيرة فقد كان يقصها لأصدقائه ، ومن هذه الذكريات ما رواه لصديقه الكاتب الأستاذ إبراهيم المصرى وصاغه قصصاً نشرها في بعض مجموعاته وأشار إلى أنها من حصاد أحاديثه مع مختار .

وصول المثال

كان سفرى في أواخر عام ١٩١١ لدراسة الفنون الجميلة بعد إتمام دراستى بالقاهرة . وكنت لا أكاد أعرف من الفرنسية شيئاً يذكر ، وقد أوصوا بى فرنسياً وزوجه كانا مسافرين معى وكان ذلك من بور سعيد ولى من العمر تسع عشرة سنة .

ولما جاء الظهر ودق جرس الطعام سار الناس أفواجاً وكانت الباخرة كبيرة آتية من الهند ، فتبعتهم فإذا بهم يجلسون إلى الموائد فلم أجد شجاعة من نفسى للجلوس إلى جانبهم إذ زعمت أنه ربما لم يكن لى في ذلك حق ! ورجعت أدراجى ، وبعد ذلك سألنى صاحبى الفرنسى هل أكلت ؟ فأجبته بالإيجاب ، وكذلك لما جن الليل ،وكنت جائعاً ودق الجرس نزل الناس أيضاً فذهبت ورأيتهم فخجلت وتراجعت . فلاحظ رئيس الخدم ذلك وجاء فأجلسنى في مكانى . وإذا بى إلى جانب سيدة تسألنى أن أقرب منها الخبز فأمسكت قطعة منه بيدى وأعطيتها إياها فوجدتهم يتبادلون النظرات وأدركت أننى ارتكبت خطأ فاحشاً ، وكان يجب أن أمسك السلة وأقدمها كلها وأن أرى كيف يفعلون وأقلدهم ، وهذا هو أول درس في غربتى ، وهاتان حادثتان بقيتا في نفسى حتى اليوم .

فلما جئنا مرسيليا أدهشتنى خيولها الضخمة وبيوتها المرتفعة . وكنت في سكة الحديد بصحبة رفيق الباخرة ووصلنا باريس ليلاً . فكان أول شعور نالنى منها سيئاً جداً . واتخذت مركبة ذات حصان واحد كانت مركباتنا أحسن منها بكثير ، وكان لدى عنوان فندق صغير فاخترقت المركبة شوارع ضيقة وأزقة حقيرة من محطة ليون إلى شارع دوبان أمام باب « البون مارشيه » تماماً .

وزاد الفندق من سوء ظنى بباريس وأضاع كل ما كنت أمنى النفس به لأن صاحبته ووكيلها قابلانى باستهتار لصغر سنى وأعطيانى غرفة أرضها حجرية وأعطيانى شمعة ! . فدهشت جداً ألا يكون في باريس كهرباء ! .. لأن فنادق الإسكندرية عندنا كان فيها كهرباء ! ، ومع ذلك كنت في انتظار مدرسة الفنون الجميلة ، تهون عن نفسى ما لقيته . ولو كنت قد قصدت باريس لأتنزه لهربت من أول ليلة . لأن أساتذتنا بالقاهرة كانوا دائماً يحدثوننا عن باريس حتى فتنا بباريس .

أما مدرسة الفنون الجميلة العالية التي كنت أقصدها هناك فنظامها كنظام الأزهر هنا ، عبارة عن (Ateliers) ورش فنية ، يتولى كل ورشة منها أستاذ فكأنها أروقة ، وهؤلاء الأساتذة شيوخها . فيتصل التلميذ بأحد هذه الأقسام ويرتبط اسمه طول حياته باسم أستاذه رئيس قسمه . وكان أستاذي هو المسيو كوتان عضو المجمع العلمي ومن كبار المثالين ومن أعماله أحد أعمدة جسر إسكندر الثالث .

وكان معي ثلاثة خطابات توصية : أولها من ناظر المدرسة بالقاهرة إلى المسيو كوتان الذي كان عارفاً بحضوري ، والثاني من يوسف كمال إلى مصور تركي يعرفه اسمه « غالب بك » ، والثالث من سكرتير المدرسة إلى عثمان باشا غالب .

أما أصحاب الفندق فكانوا في الصباح غاية في اللطف وسألوني عن منامي ، كالعادات الفرنسية ، وسألتهم عن عنوان أستاذي وذهبت إليه فكان اللقاء حسناً جداً وكان يسكن « فيلا » وهو رجل طويل منيف في الرجال كان له أكبر تأثير في نفسي . وعرضت عليه صور أعمالي في المدرسة فأسدى إلى نصائح فهمت بعضها ولم أفهم البعض الآخر . ولما كنت قد وصلت في إجازة الصيف فقد نصحني بالذهاب إلى أكاديمي من أكاديميات الفنون الحرة أعمل فيها حتى تفتح المدرسة أبوابها ، وكتب إلى المدرسة بقبولي وهو شرط لدخولها لا بد منه . وذهبت إلى غالب بك المصور التركي فلم تكن لمقابلته نتيجة تستحق الذكر .

وبعد ذلك سرت في الطرقات فكأن الله قد أراد بي أن أبقى في دروب ضيقة وشوارع صغيرة ، لأن كل من عرفتهم كانوا حول مسكني الصغير .

وذهبت للغداء عند بائع نبيذ وكانت حانات النبيذ تقدم عندئذ الغذاء ، وهي مطاعم صغيرة بوهيمية أكثر زبائنها من العمال المبيضين ويكتبون عادة أصنافها على الباب بالطباشير ، والمناضد من الرخام والكراسي من القش بغير مسند . فأكلت صحنين من المكرونة ، وذلك لأنه لم تكن لي الشجاعة الكافية للذهاب إلى مطعم نظيف وجيه .

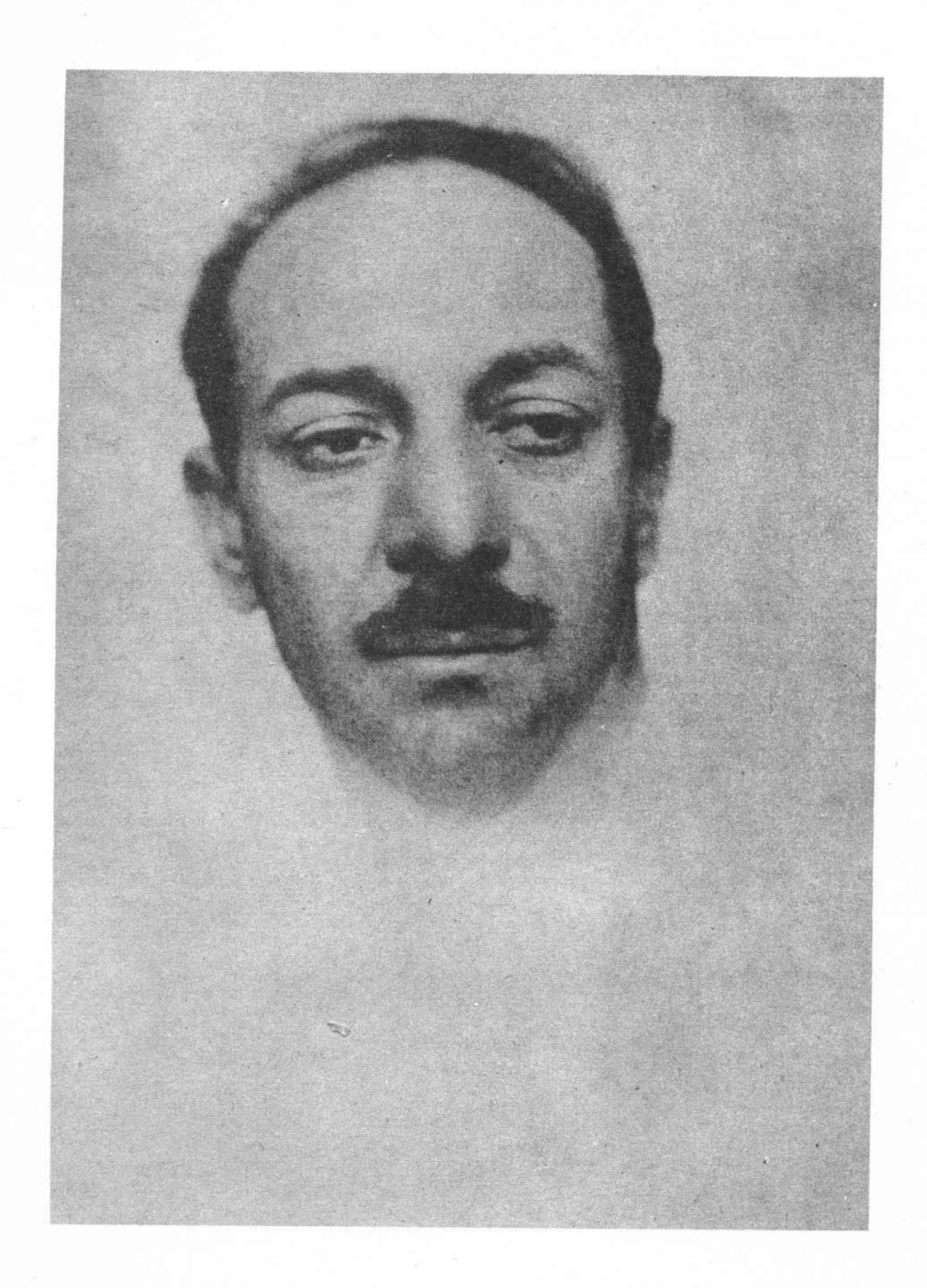
وبعد الظهر ابتدأ شعوري يتحسن عن باريس لأنني خرجت إذ شجعني أصحاب الفندق على المسير في الطرقات الجميلة ، وكان أول شارع بذهني « بولفار رسباي » فبهرت من جماله . وقصدت أكاديمي « كولاروسي » وهي من أقدم الأكاديميات ولم أكن متعوداً بعد على الحياة البوهيمية لأنني استأت من قدم البيت وعدم وجاهته وكنت لم أدرك بعد معنى الفن للفن .

وقضيت بقية النهار حول « البون مارشيه » وأعجبت بعظمة المتجر كما راعتني لوكاندة لوتسيا وكانت يومئذ حديثة البناء . وذهبت للنوم مبكراً لأخلص من يومي ! .

وفي اليوم التالى وجدت في قائمتى اسم « فرساى » فزعمت أنها جزء من باريس فسألت أصحاب الفندق عنها ، وكانوا مكتب استعلاماتى ، فوصفوا لى السفر إليها وأوصونى إذا ضللت الطريق أن أسأل دائماً رجال البوليس ، ورحت إلى محطة « مونبارناس » ومنها إلى فرساى . واطمأننت إلى الشرطة وجعلت أسألهم كلما احتجت إليهم . وكان لفرساى أعظم الأثر في نفسى ، وكان له أشد التأثير الذى لا مزيد بعده . واستغرقت زيارتها نهارى كله وبدأت آكل في مطاعم أنظف وأرقى ، فيها فوط وعلى مناضدها مفارش وما إلى ذلك .

وفي اليوم الثالث قصدت أكاديمى الفنون الحرة فوجدت فيها من كل الأمم وأعجبتنى فتاة « موديل » وكانت في نظرى إذ ذاك جميلة جداً . بل أعتقد أنها كانت كذلك فعلاً . فضربت لها موعداً إلى ما بعد الظهر لأخذها إلى مشغلى (Mon atelier) فلما جاءت صارحتها بأنه ليس لى ورشة ، وأننى حديث القدوم إلى باريس . وسألتها هل ترضى بالتنزه معى وإظهارى على محاسن باريس فقبلت عن طيبة خاطر . فركبنا مركبة خرجت بنا إلى الشانزلزيهواللوفر والتويلرى والأنفاليد وكل روائع باريس ، وهى إلى جانبى حسناء شائقة فتانة مؤاتية تفهمنى عن كل شيء بمعرفة ومقدرة وتروى لى جزءاً من التاريخ ، وكانت هى متحفظة وكنت ذا حياء شديد ، فرأيت على وجه البراءة أجمل نواحى باريس .

هذا هو لقائى بباريس .

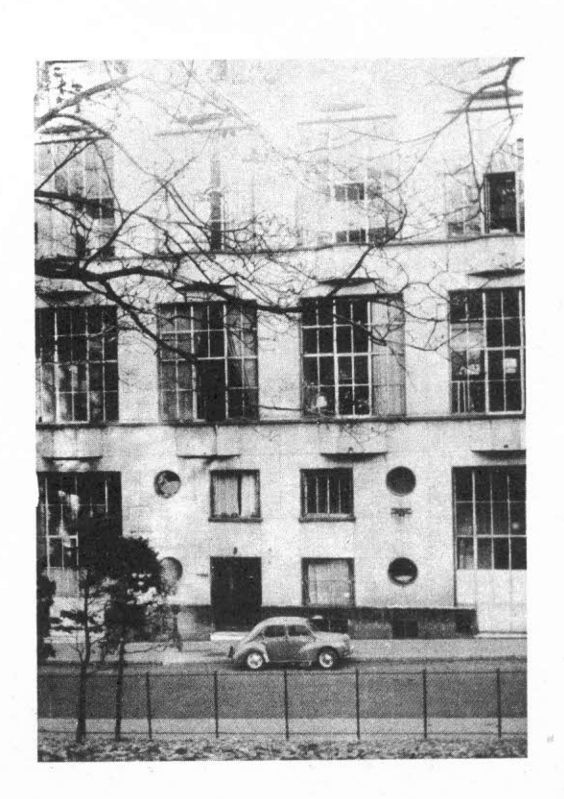


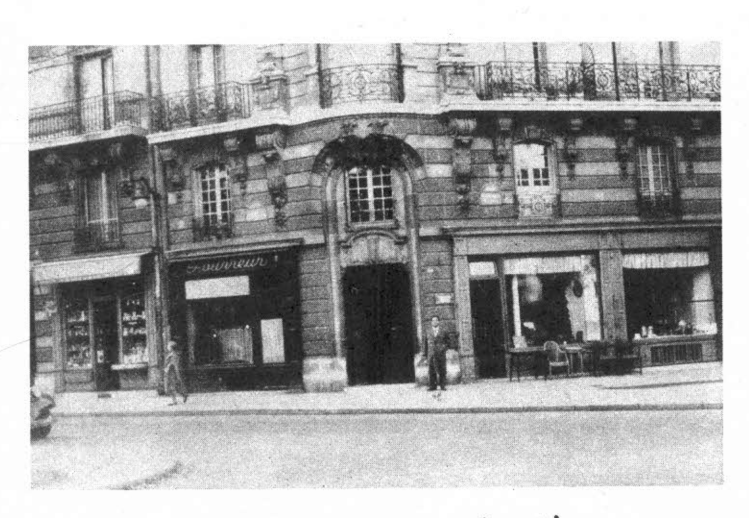
محمود مختار



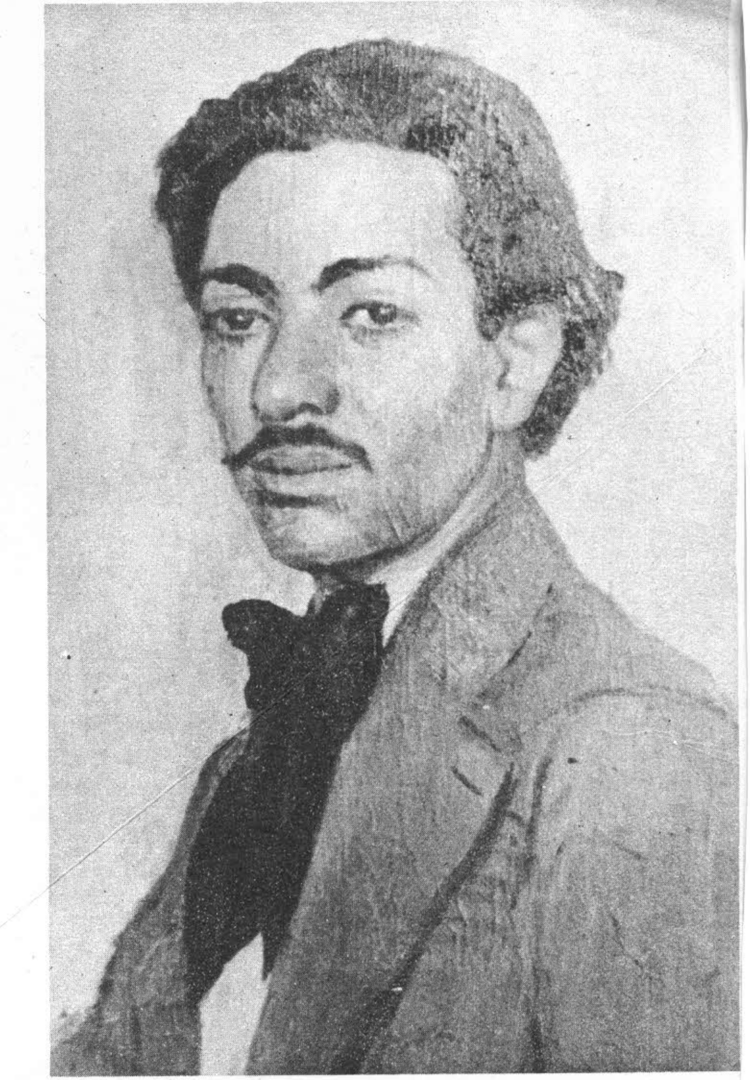
مقهى بونابرت

بيت مختار الأخير أمام بستان مونسوريس

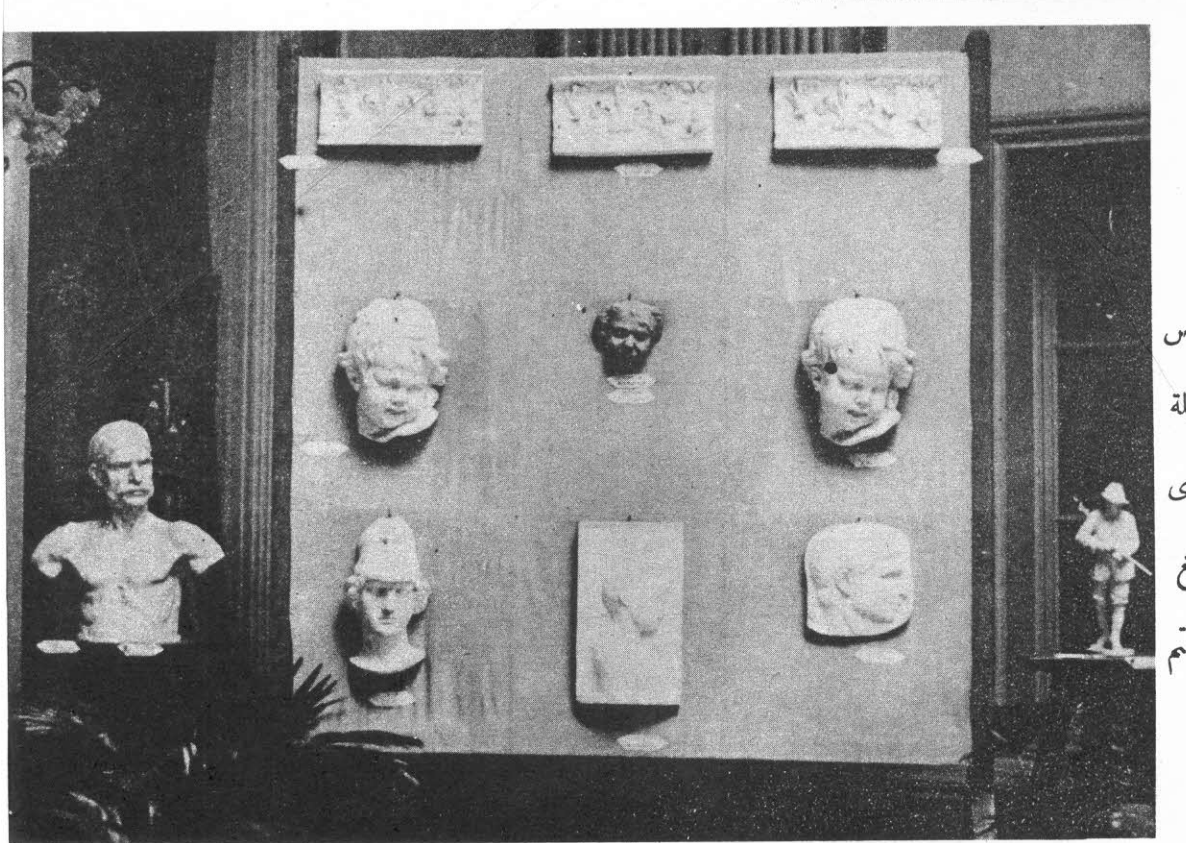




بيت مختار بطريق رسباى بجى، مونبارناس



صور مختار عمل زميله محمد حسن (١٩١٠م)



صورة من أول معرض
لطلبة الفنون الجميلة
سنة ١٩١١ أقيم بنادى
السيارات بشارع المدابغ
تصوير الأستاذ راشد رستم



مختار



مختار

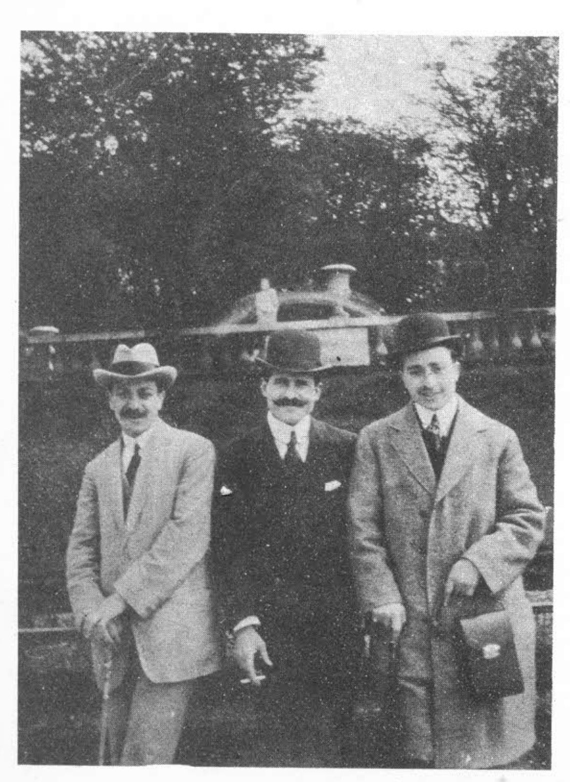
عمل زميله المصور يوسف كامل

١٩١٢



مختار طالب الفنون

فى باريس

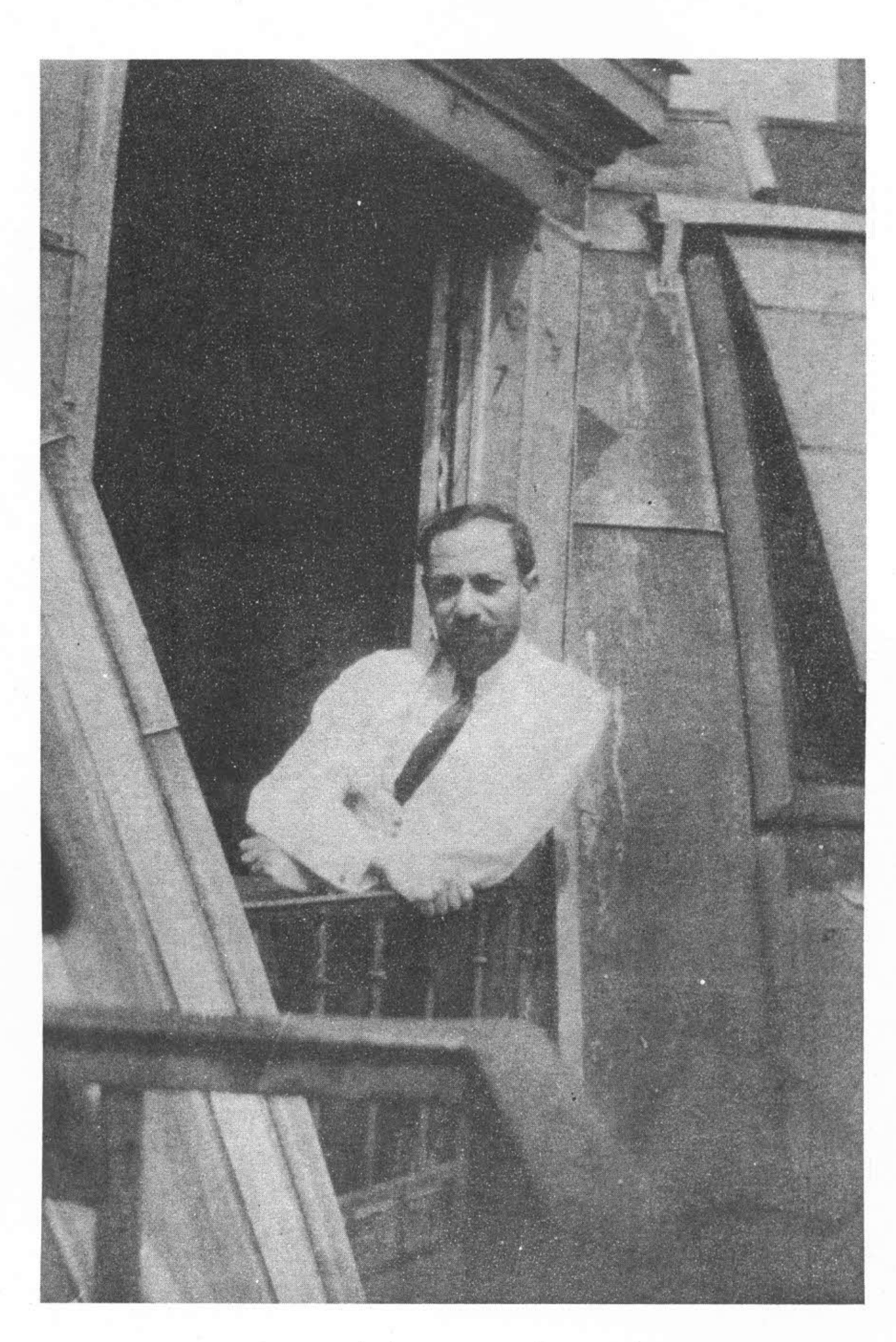


مختار فى باريس وإلى جانبه

الدكتور الديوانى مدير البعثة

المصرية فى باريس والأستاذ

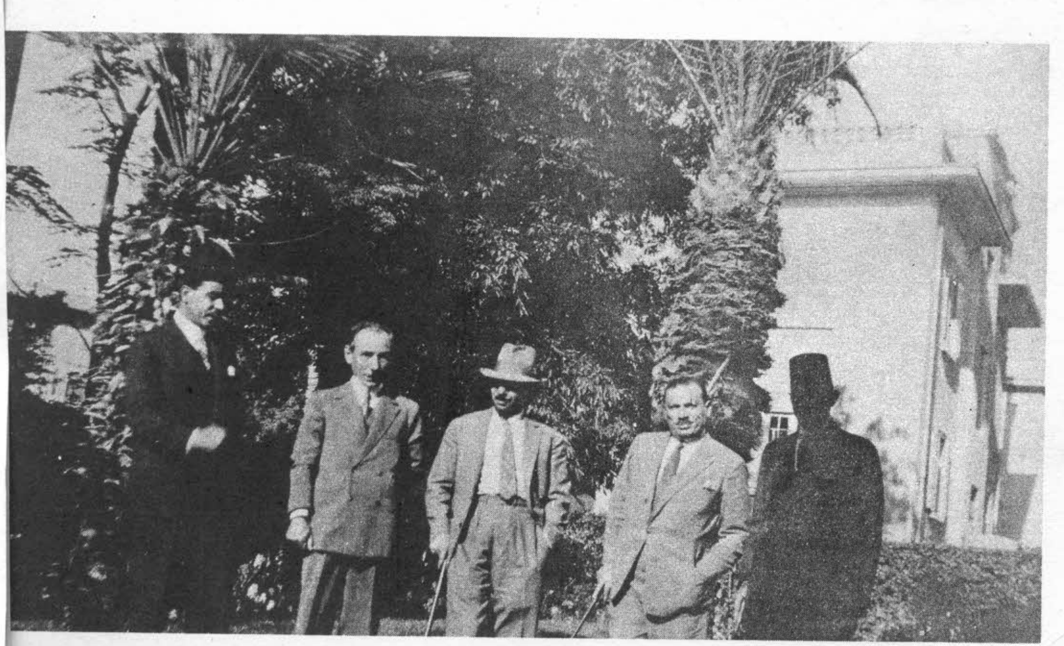
السادة .



مختار يطل من شرفة منزله فى باريس

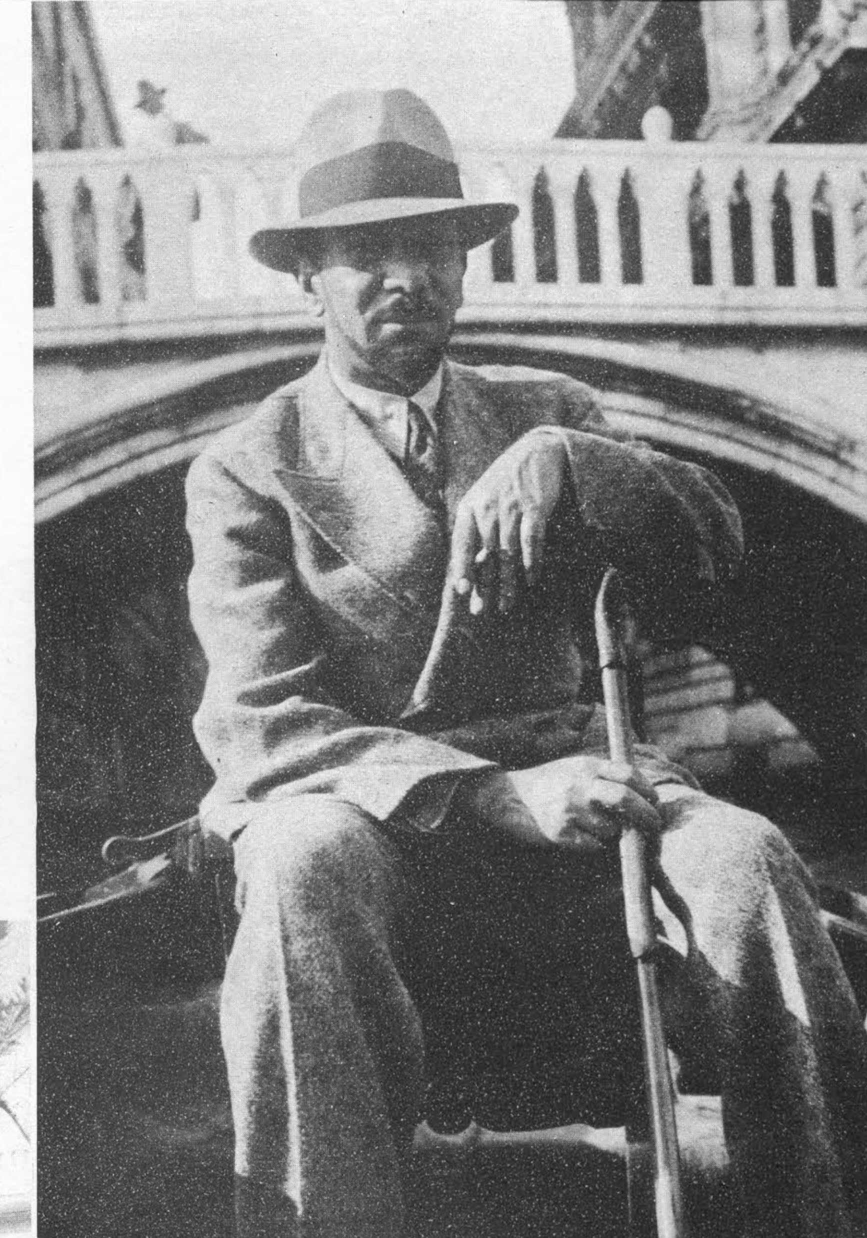


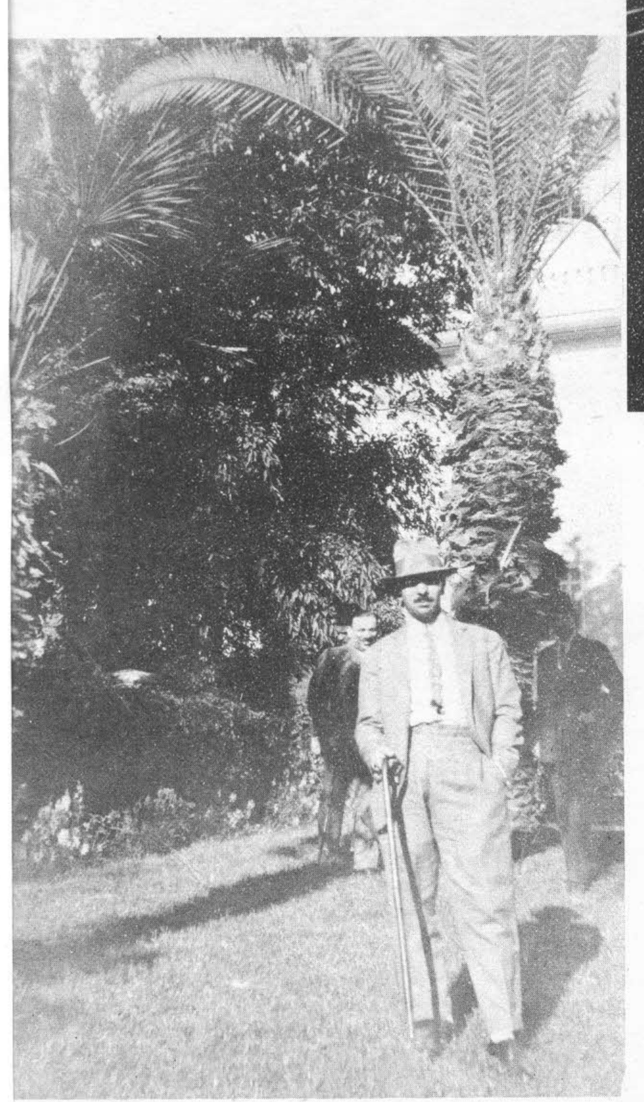
مختار ، وإلى جانبه صديقه
المرحوم محمود خيرت
المحامى والفنان محمد حسن



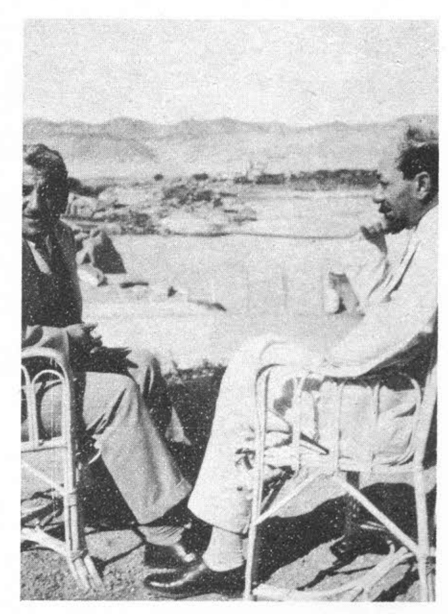
مختار ، وإلى يساره صديقه
المرحوم عبد الحميد فهيم
وإلى اليمين السيد عزيز
المصرى والأستاذ عبدالملك
حمزة

مختار فى ڤينيس

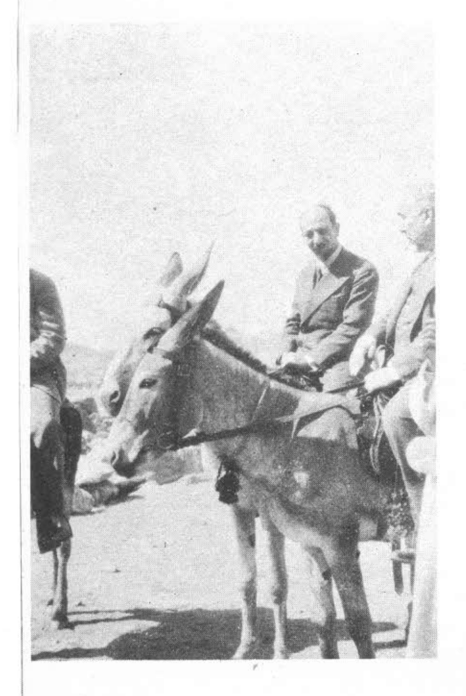




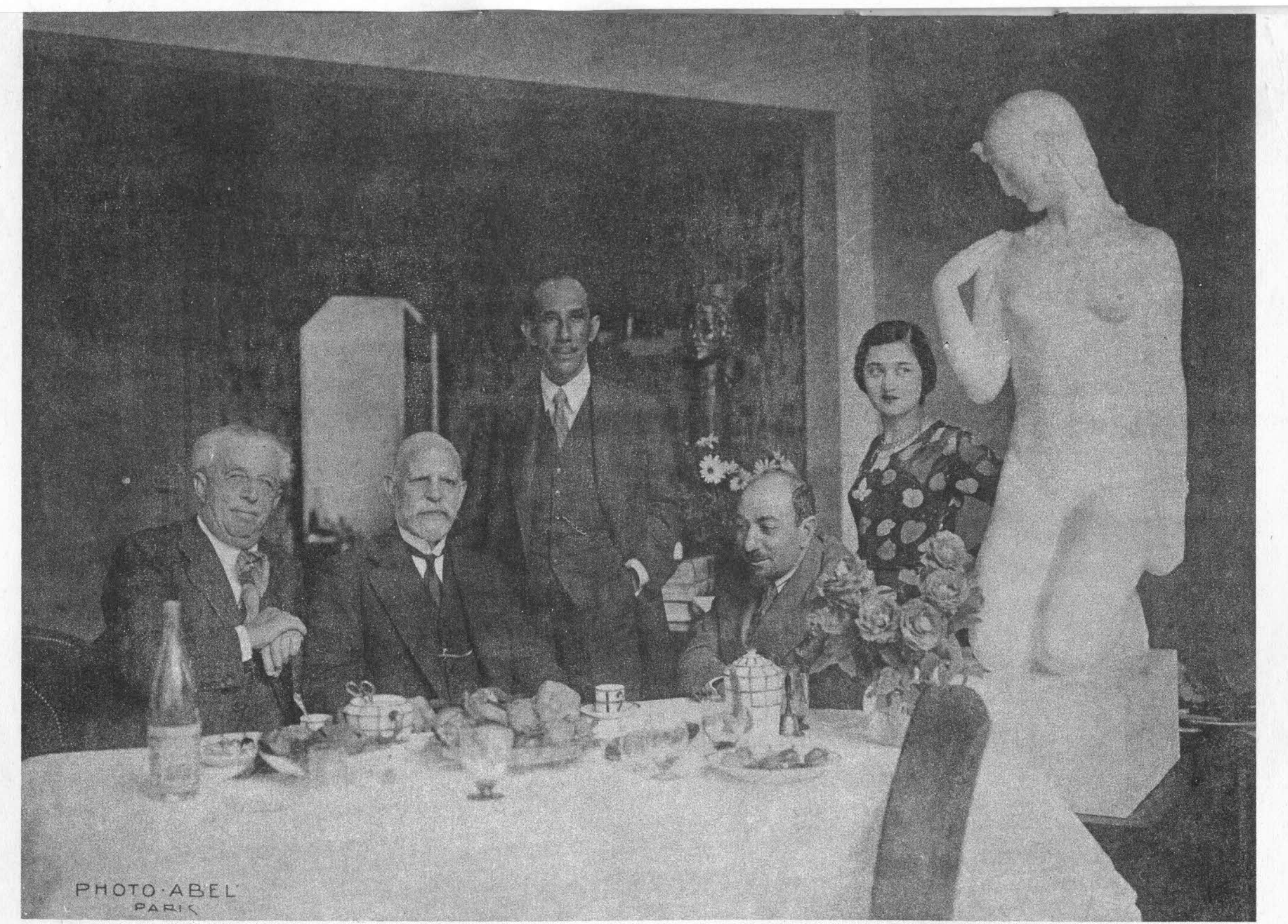
مختار مع بعض الأصدقاء فى مصر الجديدة





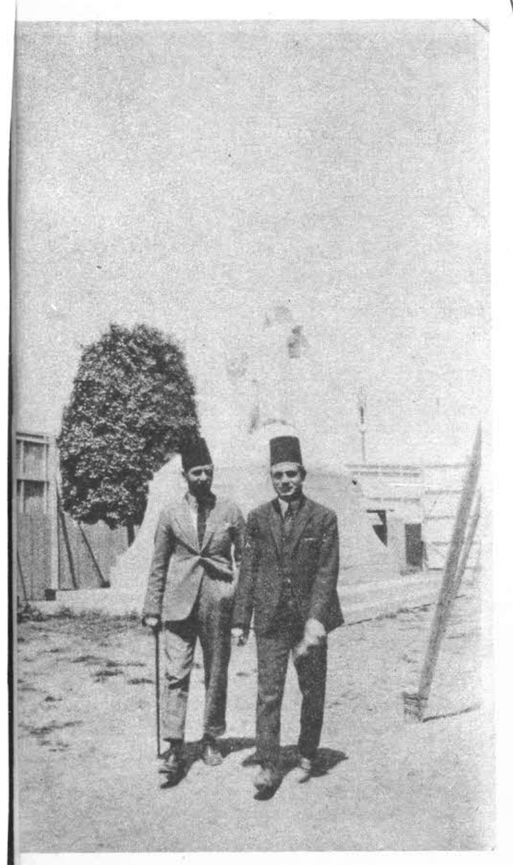


مختارفى صور مختلفة



مختار فى بيته بباريس مع مجموعة أصدقاء (السيدة مارسيل ، والدكتور
على ابراهيم ، والمهندس اسماعيل سرى ، والمهندس بول ڤيس)

مختار فى ساحة تمثال نهضة مصر وإلى جانبه : سعد زغلول
وويصا واصف وحسين رشدى وعبد الرحمن عزام



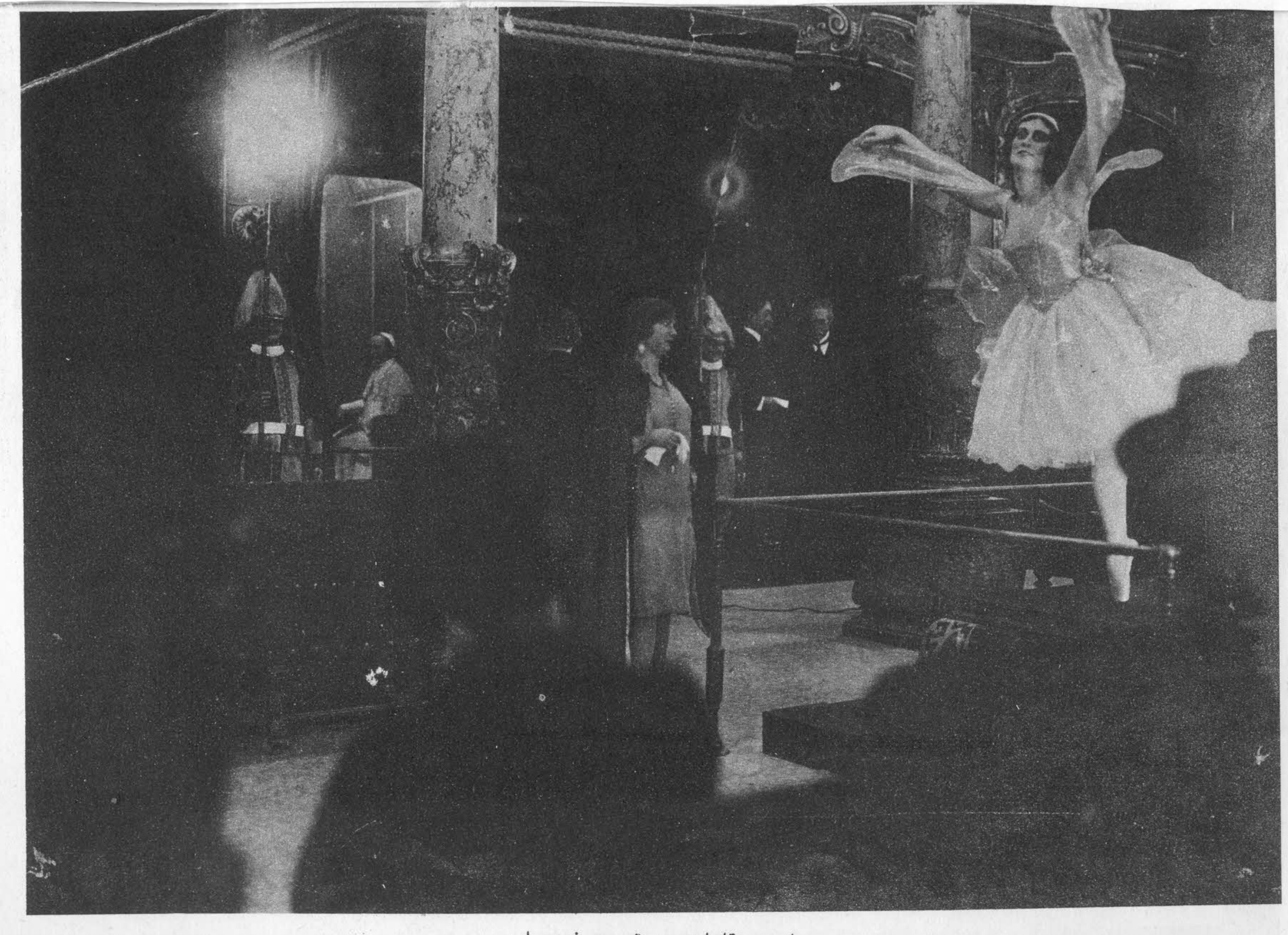
مختار أمام نموذج تمثال نهضة مصر



أم كلثوم

تمثال من الشمع لمختار

متحف جريفين بباريس



إحدى قاعات متحف جريفين بباريس

فى الوسط تمثال بافلوفا لمختار وتمثال أم كلثوم

MUSÉE GRÉVIN

Société Anonyme
au Capital de Un Million de Francs

SIÈGE SOCIAL
10, Boulevard Montmartre 10

Administration

Paris le 1er Février 1919



Je certifie que Monsieur Moukhtar, sculpteur chef des ateliers du Musée Grévin vient de notre part, avec l'assentiment du Ministre des Affaires Etrangères, ainsi que Monsieur le Secrétaire de la Conférence de la Paix, assister aux séances de la dite conférence, au même titre que les membres de la Presse, afin de pouvoir faire les portraits des différents hommes d'état.

L'ADMINISTRATEUR DÉLÉGUÉ

GRÉVIN

شهادة من متحف جريفين للتصريح لمختار بحضور
جلسات مؤتمر السلام لعمل تماثيل رؤساء الدول



تمثال حرم السيد داود راتب

رخام (١٩٢٢)



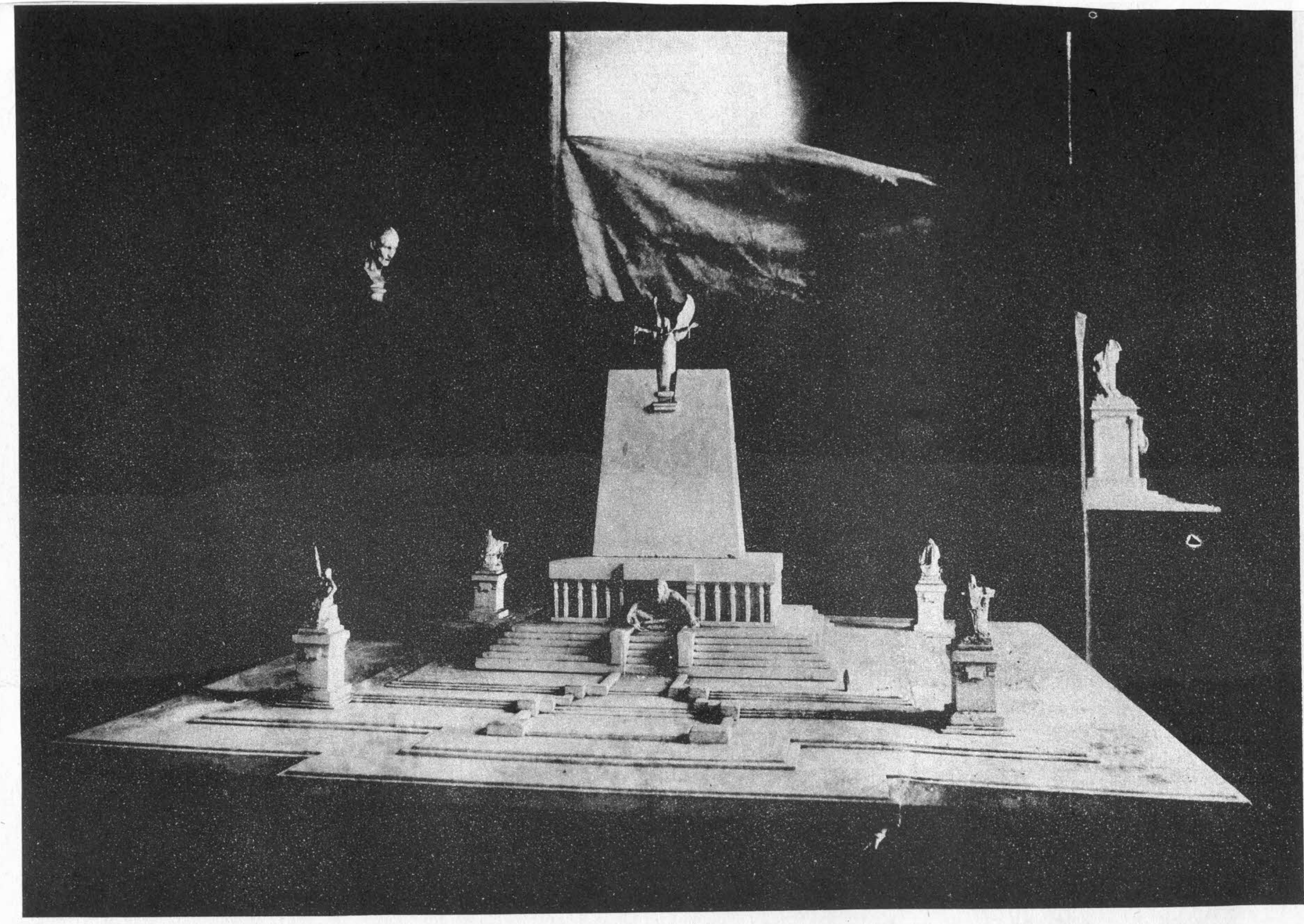
تمثال ڤياكوبر

جبس



تمثال أم كلثوم

جبس

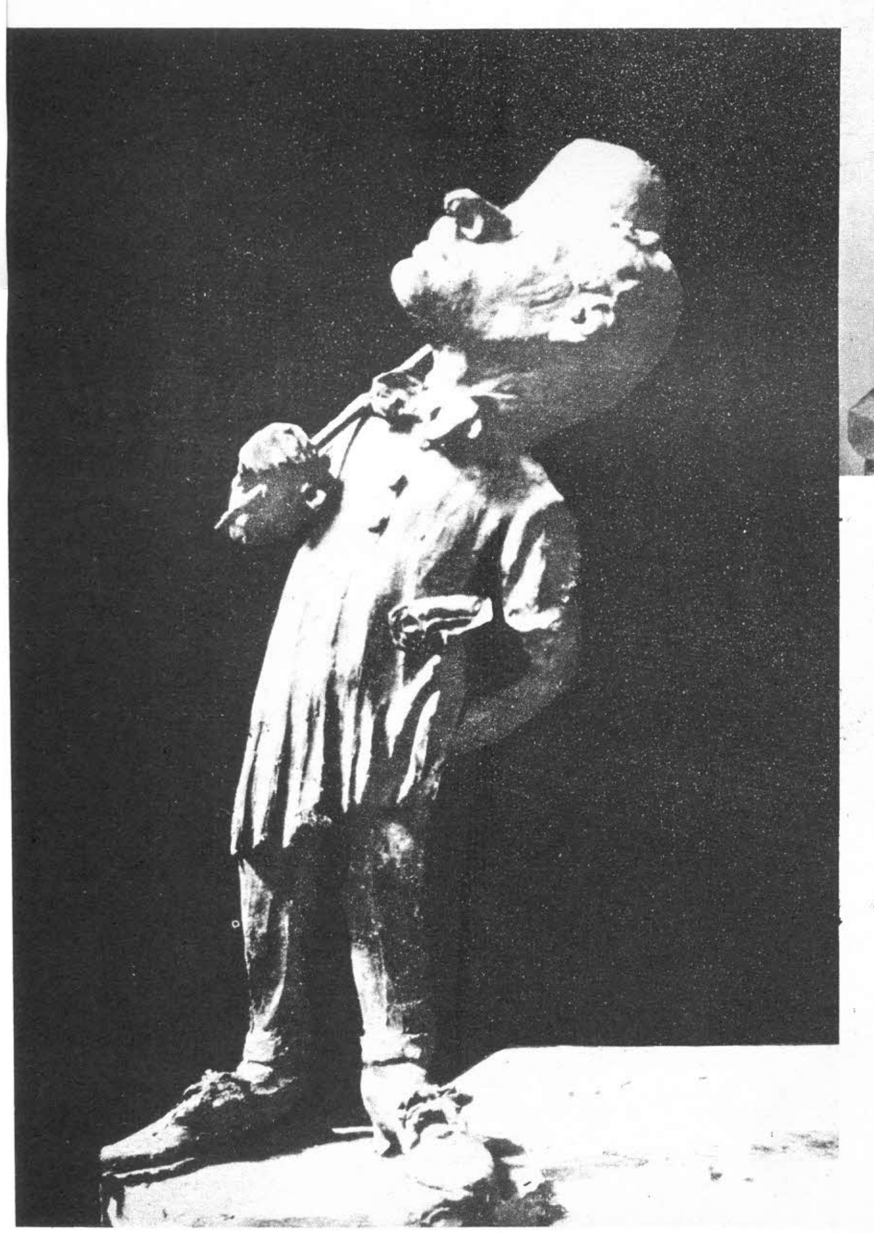


مشروع تمثال الاستقلال

١٩٢٤



تمثال حسين رجب



تمثال محمد شفيق



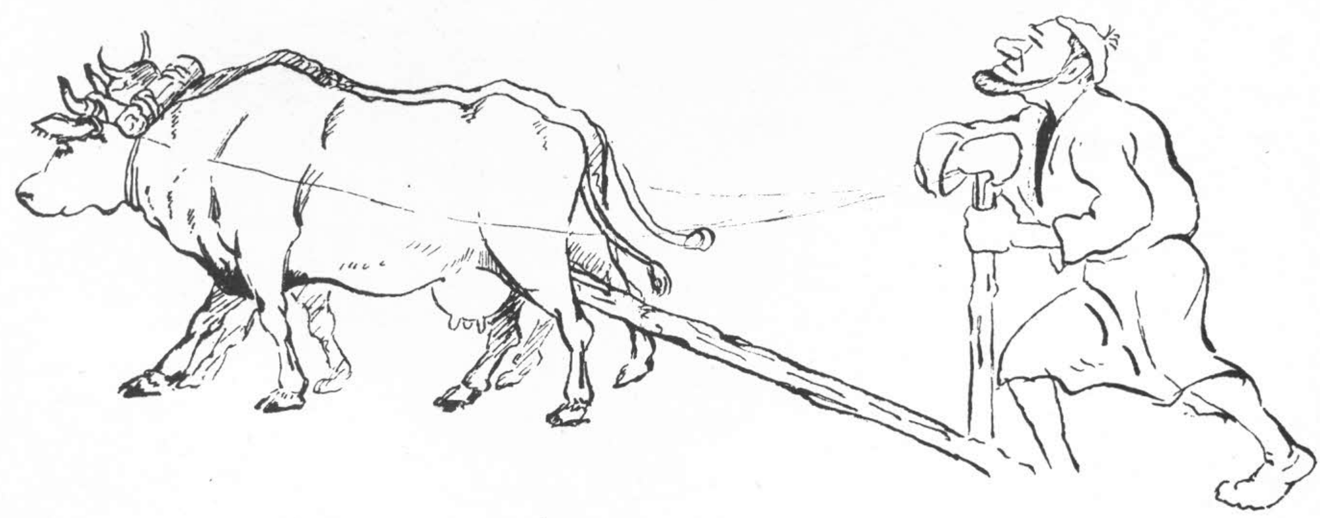
أسطورة الحقول لرودان



أسطورة الحقول لمختار



وجه (رسم)



رسم من العناوين المصورة التى كان يعدها لجريدة السياسة

Labour Part in Egypt

الاعضاء العمال

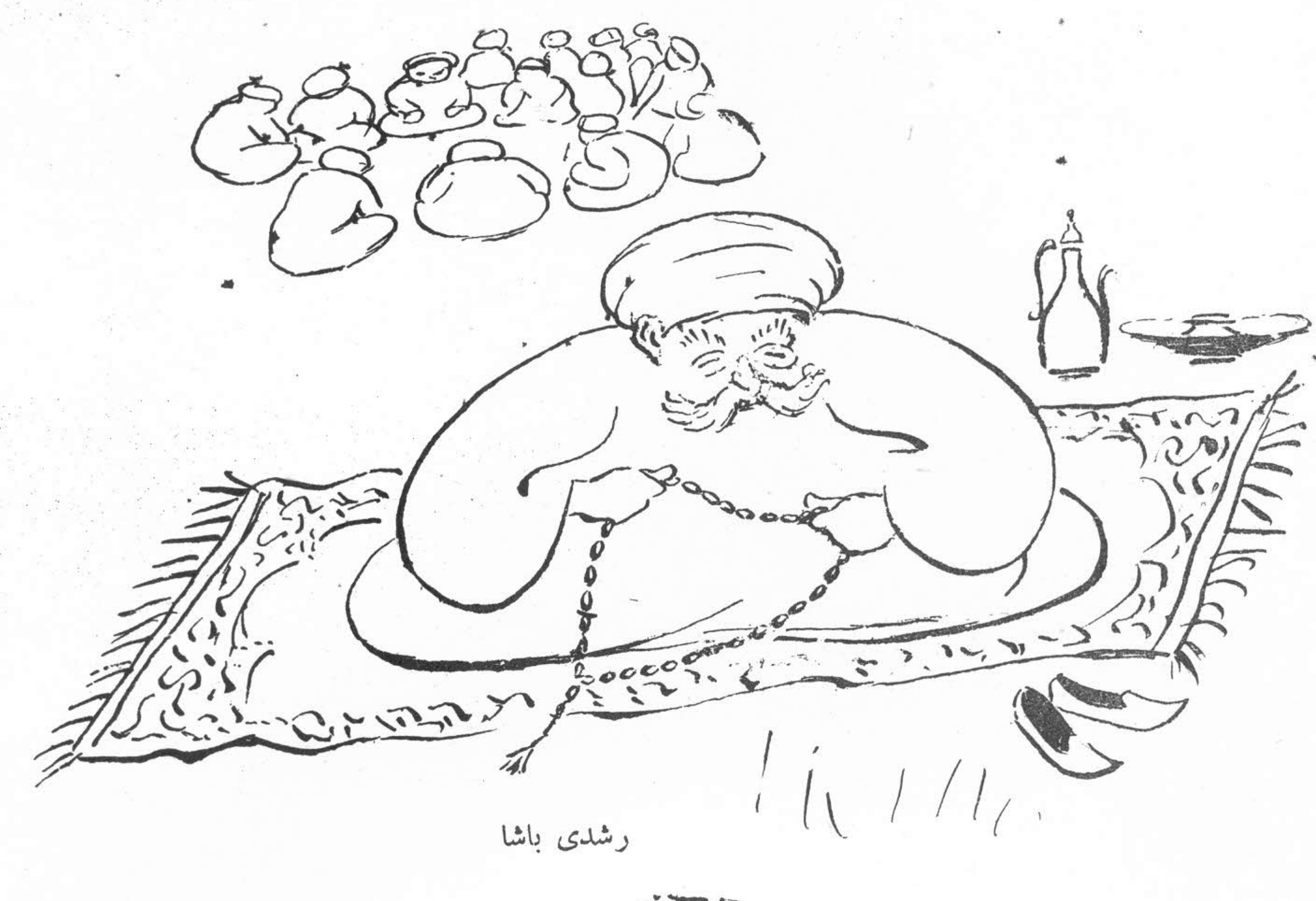


Puisque vous êtes venus restez
mais pas de blagues surtout

اما وقد وصلتم فيمكنكم البقاء
ولكنى احذركم من كل عمل سخيف

بمناسبة زيارة أعضاء حزب العمال الإنجليزى لمصر

رسم وتعليق بخط مختار



رشدی باشا

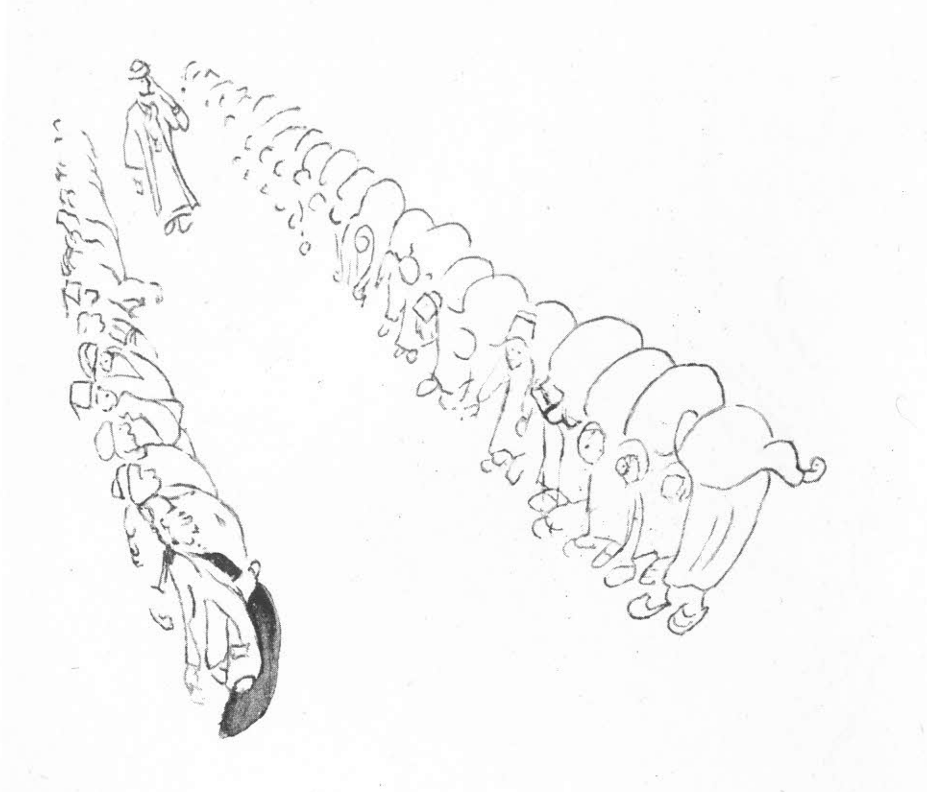


كاريكاتير

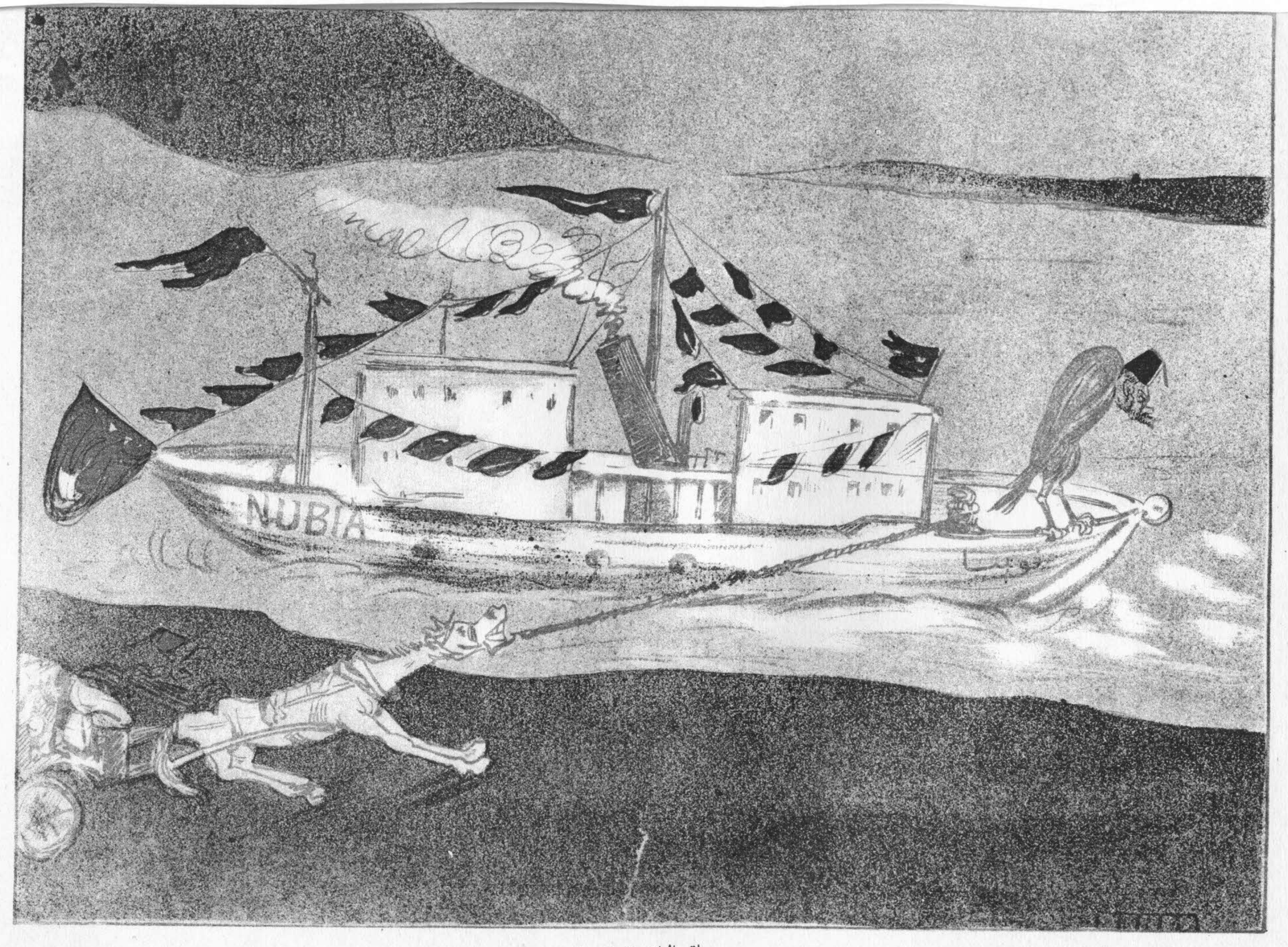


من رسومه الكاريكاتورية
سعد زغلول ومظلوم باشا
والدكتور محجوب ثابت





مجموعة رسوم كاريكاتورية



رحلة الباخرة نوبيا

الدكتور محجوب ثابت وحصانه مكسوين



أسطورة الحقول

رسم لمختار

نضال بين الروح والجمال

كنت أسكن بولفار رسباى بحى مونبارناس ، وأتناول من وقت لآخر طعام الغداء في شارع « دنفير روشره » عند عائلة متوسطة الحال ، مكونة من سيدة كبيرة لها بنت في العشرين وأخ وابنة أخ في الثانية والعشرين . وكانت بنتها جميلة المحيا حقاً . أما بنت أخيها فليست من الجمال على شيء ، ولكنها كانت مع ذلك تنتصر في كل مجال بما حباها الله به من ذكاء وخفة روح ، فقد كانت ممتلئة حيوية وفطنة .

وجعلت ألاحظهما وأدرسهما كفنان . وكثيراً ما وجدت جمال النفس ينتصر على جمال الجسم ، وهذا مما يثبت بداهة ما يجب على الفنان عند ما يريد تصوير إنسان ؛ أن يتغلغل في قرارة نفس الشخص الذى عليه تصويره أو تمثيله . فمن القواعد المعروفة والتى كانت تدرس لنا أن الشبه وحده لا يكفى للدلالة بل هى الروح والخلق يجب نزعهما وإخراجهما على وجه الشخص .

أردت أن أستفيد من تلك النظرية ، وأرى ما يمكن أن يعطيه الفن بين هذين المتناقضين ، وما يخرجه منهما ، أعنى من الجمال الجسدى والجمال الروحى .

فلما شرعت في عمل تمثال لكل منهما جاء عاملان فحالا دون الوصول إلى النتيجة التى كنت أنشدها . وربما كانت الحيرة فيما وقع . . وأنا الآن ، وقد فاتت نزعة الشباب ، أدرك ذلك لأننى كنت متحمساً فعلاً للنتيجة ، ولكن ترى هل كان تكوينى يومئذ يمكننى فعلاً من الوصول إليها وهى من المشكلات العويصة في الفن ؟ .

أما العامل الأول فهو أننى كنت قد بدأت أميل إلى التى كانت غير جميلة ؛ فجعلنى هذا الميل أراها أجمل مما هى ، وكان العامل الثانى إعلان الحرب الكبرى إذ نزحت العائلة عن باريس إلى مسقط رأسها في الأقاليم .

طالب الفنون الجميلة

يحضر الأستاذ مرتين في الأسبوع فقط إلى مدرسة الفنون الجميلة ، وللتلميذ أن يحضر متى شاء وأن ينصرف متى شاء . وكان بالمدرسة ثلاث ورش « أتلييه » للحفر ومثلها للتصوير ومثلها للهندسة المعمارية . وعلى رأس كل منها أستاذ .

ولما كان الإقبال على الهندسة شديداً ، فإن له ملاحق خارج المدرسة . وأغلب الأساتذة من مجمع الفنون وأصلهم تلاميذ قدماء لتلك الورش نفسها التى أصبحوا أساتذتها ، ومن الدروس التى تدرس فلسفة الفنون الجميلة وعلم الجمال والتاريخ القديم ونظامه سنة للتاريخ المصرى وسنة للرومانى وسنة لليونانى غير التاريخ الحديث المقرر لكل السنين . وعلم التشريح وعلم الهندسة والحساب وغيرها .

والمدرسة تعيش بتقاليدها أكثر مما تعيش على لوائحها ، فالتلميذ قبل أن يدخلها لا بد له من خطاب توصية من الأستاذ بقبوله . وفي خلال السنة يجرى امتحان صعب للالتحاق بالمدرسة نهائياً وقد يظل سنوات حتى يقبل ولا بد له من معرفة الفن والاستعداد له قبل الدخول . وكان الطلبة قبل الحرب يبقون بالمدرسة حتى سن الثلاثين ولا تعطى للمصورين والحفارين شهادات ، وكانت الدبلومات تعطى للمهندسين دون سواهم ، ولهذا دلالته القوية لأنه ما من فنان في العالم يعتمد على شهادة .

ومن تقاليد المدرسة التى لا تستطيع إدارتها معها حوَلا أن الطلبة الجدد يعملون بطريقة الجندية ، أى أن طالب السنة الأولى يظل فيها خادم طالب السنة الثانية . وهناك « الكابورال » رئيس الجدد كالشاويش يوزع الأعمال . أما القديم فهو « الألفة » وأمين صندوق الورشة وممثلها في الحفلات . والجدد يخدمون القدماء في الداخل والخارج حتى أنهم ينقلون عفشهم إذا انتقلوا من بيت إلى بيت ، فهم كالعريف في الكتاب إذا أراد دخاناً أرسل التلميذ يشتريه له ، ونحو ذلك .

وتحدث في هذا الصدد حوادث غريبة بوهيمية حقاً ، ومن ذلك أن أحد القدماء صعد إلى مسكنه بالطابق الثالث يدخن غليونه ، وأمر التلميذ الجديد بأن يفسح الطريق لبصاقه ، فوقف الجديد في وسط الشارع وبيده عصا طويلة يصد بها الناس عن المرور في دائرة بصاق القديم . . والناس ينظرون ويعجبون ويزدحمون ويضحكون ، لأنهم يعرفون شذوذ طلبة الفنون .

ولا مندوحة للجدد أبداً من الطاعة مهما كبرت سنهم وطالت لحاهم ، ولا بد للجديد من أن يدفع للقدماء تكاليف دعوة يشربون فيها نبيذاً ويأكلون محاراً (Huitres) وخبزاً وسرديناً بحسب المبلغ الذى يتبرع به الجديد وبحسب مقدرته . والشهر الأول عادة كله دعوات ومآدب وكل جديد يدفع بدوره تبعاً لذكائه أو غفلته وخفته أو ثقـــله .

ولما وصلت نبهني أستاذى إلى هذه الدعابات التى تقسو أحياناً حتى يموت منها بعض الطلبة لإسرافهم في المزاح (إذ وضعوا مرة تلميذاً جديداً في المجارى حتى اختنق) ووضعوا آخر في برميل وتركوه يصرخ فيه على رصيف السين حتى ساقه الشرطة إلى القسم . أما إذا غضب الجديد فالويل له ، وقد يؤدى الأمر إلى خروجه من المدرسة نهائياً .

ولقد كان نصيبي كجديد أن يحكم على بالتجرد من جميع ثيابى وأبقى عارياً تماماً ولم تكن تنفع مقاومة أو شفاعة . فرضخت من فورى كما رضخ زملاء لى من قبل فشدوا وثاقي إلى كرسى وأنا عار كما ولدتنى أمى ووضعوا على رأسى تاجاً من الورق على شكل فرعونى وكتبوا عليه « رمسيس الثانى » . وحملونى على نقالة رفعوها على أكتافهم وخرج موكب الطلبة في جموع غفيرة يتقدمنا من يفسح لنا . وسرنا كذلك من المدرسة إلى عرض الطريق حتى كنيسة « سان جرمان دى بريه » في آخر شارع بونابرت . وكان المطر يتساقط رذاذاً فوصلنا إلى قهوة بونابرت والناس من حولنا ينظرون ويبتسمون وهم جميعاً يعرفون عادات مدرسة الفنون الجميلة وتقاليدها .

وهناك وضعونى كما أنا على خوان في المقهى وطلبوا طعاماً وشراباً وجعلوا يرموننى بالفضلات وقشر المحار وكأنهم يقدمون إلى — على طريقتهم — الزلفى والقرابين .

وتولى اثنان منهم إطعامى لأننى كما سلف القول كنت مقيداً وكان بيننا طالبات أيضاً مشتركات في هذا الاحتفال . .

هذا ، وغير هذا مما يشابهه ومما اشتركت فيه ، قد خلق في الحال انطلاقاً من قيود المحافظة وحباً في الحرية وتكسير أغلال الكلفة ، فهو يعد من الانقلابات التى طرأت على نفسى وكان لها أثر فيها طول حياتى .

مرقص الفنون الأربعة

إنها ليلة واحدة في العام ، وفي العام كله ليلة فريدة ، ليلة الفنون الأربعة (التصوير والنحت والهندسة المعمارية والزخرفة) يقصد إليها الناس من كل فج ، وإن كان الدخول إليها عسيراً جداً يكاد يستحيل على من لم يكن من أهل الفنون الجميلة ، ويحظرون فيها أخذ الصور الفوتوغرافية أو السينمائية . ويقوم طلبة المدرسة بتنسيقها وتنظيمها وإعدادها قبل موعدها ببضعة أشهر .

إنها ليلة يتجلى فيها الفن (Bal de Quatz arts) فكل « أتلييه » له جزء في المرقص مسمى باسم أستاذه ورئيسه . وتنسيقه يكون بناء على اختيار عصر من العصور القديمة التى مرت على مصر أو روما أو بلاد الإغريق أو العرب أو الهند أوإيران .. الخ . تدرس فيه كل تفاصيله ، ويأخذ كل أتلييه جانباً من المرقص ينظم على حسب العصر المفروض في تلك السنة .

وهناك ركن خاص أيضاً بالطلبة القدماء الذين تخرجوا وأصبحوا من مشاهير الفنانين والمثالين ، ومنهم أعضاء في المجمع العلمى وأساتذة بمدرسة الفنون الجميلة ، وتكون عندئذ الصالة كلها إما مصرية وإما رومانية وإما إغريقية . . الخ . ولهذه التنسيقات جوائز . وكذلك مركبات الموكب والأعلام وما يتصل بها كلها تمثل ذلك العصر أيضاً ، ولها جوائزها كما للملابس جوائزها أيضاً وهى كلها من ذلك العصر بحيث لا يشذ شيء عنه قط ويجب أن يصنعها كل أتلييه وكل فنان شخصياً .

وفي داخل المرقص لا يجوز مطلقاً لأى فرد حتى ولا عازف الموسيقى أو الجرسون أو الخادم أن يبقى في ملابس مدنية عادية بل يجب أن يكون الانسجام شاملاً . والدخول للجميع بامتحان .

وتبدأ المواكب في شوارع باريس ومطاعمها ومقاهيها من الساعة الخامسة بعد الظهر فتنتشر البهجة والسرور في مدينة النور .

ويبدأ الدخول من الساعة الثامنة مساء إلى ما بعد منتصف الليل ، والدخول بازدحام هائل ، ثم يقفل الباب فلا دخول ولاخروج مطلقاً ، وترتيب الدخول بالمناداة على

كل أتليه للجمهرة فى الشوارع وعلى الأبواب . وعلى المدخل اثنان يمثلان كل أتليه فإذا حصل أى شك في أى فرد يمتحنونه ويسألونه عن بعض تفاصيل يستحيل على الغريب معرفتها . وعند عدم الرد على الامتحان تساء معاملته ويطرد شر طردة وإذا كانت معه سيدات يحجزن من دونه .

والواقع أن الغرباء من غير الفنانين هم الذين يدفعون أكبر قسط في نفقات تلك الحفلة لأن التلميذ كان لا يدفع أكثر من سبعة فرنكات في حين أن الغريب قد يدفع ثمناً في التذكرة يبلغ أحياناً ٢٠٠٠ فرنك أى من جنيهين إلى ثمانين جنيهاً للتذكرة مع عدم الضمان . وكانت الطريقة الوحيدة التى تنجح غالباً في دخول الغريب هى أنه يشترى هذه التذاكر من أحد أتليهات المدرسة . وعلى « الألفة » أو من توسط بإحضاره من الطلبة أن يلقنه كل ما ينتظر أن يسأل عنه . وعليه أيضاً ألا يتخلف قط عن الدخول وهو واقف لدى الباب في وقت دخول الأتليه لإنقاذ الغرباء من الوقوع في المأزق .

ومن البدهى أن يكون الألفة قد احتاط فأفهم الأجنبى أن يكون طول الوقت في المرقص كالفنانين تماماً ، ويندمج فيهم ويستعمل (Tu) لكل الناس لا (Vous) امرأة كانت من يخاطبها أو رجلاً . وفي حالة خروج الأجنبى عن هذه التقاليد يطرد للحال وتحجز نساؤه ، ومحظور تماماً الغضب أو الشجار لأى سبب من الأسباب . والويل لمن يغضب بحال من الأحوال .

أما المنظر العام حوالى منتصف الليل مع تلك الجموع الحاشدة وذلك التنسيق والملابس والأزياء والأنوار فيحير العقول ويجل عن الوصف ، وأهم من هذا كله ساعة السحور ، وهى بين الأولى والثانية صباحاً إذ تتكون حلقات يكون الأكل فيها دون تقييد ولا حرج . .

وأما خلاصة المنظر فهو رجوع الإنسان إلى الطبيعة دون تقيد بأى قيد كان .

وفي الصباح يفتح الباب ويخرج الجميع في موكب عظيم إلى المدرسة ، وبعد الرقص فيها والغناء يحيى الناظر الحاضرين وتؤخذ الصور ثم ينفض الموكب إلى الحدائق أو البيوت ، حتى أنهم يغلقون يومها حديقة اللكسمبورج ، لأن فيها مجلس الشيوخ .

*

أما أول سنة اشتركت فيها في تلك الحفلة فكانت تمثل قدماء الفرنسيين « Gaulois الغولوا » فشملت مناظر غاية في التطرف .

وبعد تلك الليلة بقيت خمسة عشر يوماً كأنني في حلم وغباء ، لأن تلك الحرية المطلقة كان لها في نفسي أثر أبعد من كل ما كان من قبل ، وخرجت أتساءل لماذا لا تبقى الناس هكذا ، لماذا تلك القيود والتقاليد التي وضعها الناس لشقائهم ؟ ولم لا يكون العالم كله على هذا النسق الذي رأيته في حفلة الفنون الأربعة ؟

وكأن الناس في عيني وكل ما حولي بعد تلك الليلة تافه ، خامل ، بارد ، كاذب ، مراء ، يكاد يكون ميتاً .

جوانب مجهولة

إلى جانب أعماله الجهيرة وأثره كمثال ورائد للفن في بلاده فإن له أعمالاً أخر مجهولة في مجالات الفنون ، أولها أعماله بمتحف جريفين للتماثيل الشمعية بباريس الذى تولى إدارته الفنية بعد أستاذه لابلانى وظل يعمل به طوال سنتى ١٩١٨ ، ١٩١٩ .

في هذا المتحف العتيد الذى يقع في حى مونمارتر والذى يعتبر من أقدم وأهم متاحف الشمع في العالم إلى جانب متحف مدام توسو بلندن أقام مختار مجموعة كبيرة من التماثيل الشمعية .

وقد صادف اشتغاله بهذا المتحف فترة من الأحداث التاريخية الكبرى ، فترة جاءت في ختام الحرب العظمى وامتدت إلى أعقابها ، وكانت باريس في هذه الفترة مركز الأحداث ، فيها عقد مؤتمر السلام وإليها قدمت وفود الدول الناشئة تطالب بالاستقلال وحق تقرير المصير .

وقد أتاح له عمله بالمتحف أن يشهد جلسات مؤتمر السلام ويتابعها وأن يسجل وجوه وملامح أقطاب المؤتمر ، فضلاً عن تماثيله الأخرى لقادة الجيوش ولمشاهد الحرب .

من آثاره بهذا المتحف تماثيل : كليمنصو ، وبوانكاريه ، ولويد جورج ، وويلسون .

ومن قادة الجيش : جوفر ، فوش ، فرنش ، كتشنر ، برشنج .

ومن مشاهد الحرب : « حلم غليوم » ، « تدمير كاتدرائية ريمس » ، « عودة جنود الخنادق إلى باريس بعد النصر » .

كما أعد مشهداً من وحى الماريونيت للكاتب الفرنسى تريستان برنار .

وأقام مختار بعد هذا تمثال « أنا بافلوفا » أعظم راقصة باليه في مطلع هذا القرن .

وعند ما طلب إليه أن يقيم تمثالاً لأحسن فنانة مصرية اختار أم كلثوم ، وعمل لها تمثالاً من الشمع في وضع طبيعى يكاد ينطق بالحياة ، وكان ذلك في العشرينات بعد أن ترك العمل بمتحف جريفين .

وجانب آخر من جوانبه الفنية المجهولة هو جانب الفن الكاريكاتورى ، كانت السخرية من مواهب مختار ، انعكست في فنه منذ أولى مراحله ، وظهرت في تماثيله الكاريكاتورية التى أبدعها في عهد المدرسة وأودع فيها تعبيره الشخصي وانطلاقه من الأساليب المدرسية ، من هذه الأعمال تمثال ابن البلد وتماثيله لبعض زملائه « حسين رجب » و « محمد شفيق » .

وكان إلى جانب ذلك يمارس الرسم الكاريكاتورى غير أنه لم يكن مكثراً في هذا المجال .

وقد تمثل أكبر إنتاج مختار من الرسم الكاريكاتورى في الفترة من سنة ١٩٢٢ — ١٩٢٥ وكان مجال هذا الإنتاج مجلة الكشكول ، أريد للكشكول أن تكون مجلة كاريكاتورية ، وظهرت في أعقاب الخلاف بين سعد وعدلى كما ظهرت مجلة أبو نضارة مقترنة بأحداث السياسة المصرية في عهد إسماعيل ، وأريد للكشكول أن تكون على مستوى أعلى من مستوى « أبو نضارة » و « حمارة منيتى » وغيرهما من المجلات الكاريكاتورية التى ظهرت في فترات مختلفة واختفت .

ولقد كان سانتس هو رسام الكشكول الدائم وله في مصر ماض يرجع إلى أوائل القرن العشرين حين أنشئت مدرسة الفنون الجميلة ، غير أن الكشكول كانت تنشر أيضاً رسوماً لفنانين آخرين منها رسوم مختار التى اتسمت بقوة التعبير وسعة التخيل وجمعت مع حرية الرسم قوة الخطوط وبساطتها ، وكانت هذه الرسوم تذيل بتوقيع رمزى ، يجمع أولى حروف اسمه (مم) .

وكانت شخصية محجوب ثابت أكثر الشخصيات التى تناولها مختار وقد أوحى محجوب للشعراء والكتاب والفنانين صوراً فكاهية متعددة ، أوحى لشوقي قصائد فكاهية تناولته وتناولت حصانه « مكسويني » وبراغيث عيادته وسيارته القديمة ، وأوحى لحافظ أيضاً كما كان شخصية مختار المفضلة ، وكان محجوب يثور عندما يطالعه مختار برسومه أو عندما يشاهدها في مجلة الكشكول ، ولكنه كان لا يلبث أن ينسى ثورته ويشارك في الضحك والسخرية .

وتناول مختار شخصية سعد في كثير من رسومه وفي مناسبات عدة ، صوره خطيباً في جموع من الناس في صورة أسماها « الزغلوليات » وصوره عند استقباله مع بعثة « سوان » التى جاءت من إنجلترا في سنة ١٩٢١ لزيارة مصر واستطلاع حالها ، وصوره على الباخرة « نوبيا » فى رحلته النيلية الشهيرة إلى أسوان .

ولقد انقطعت الأسباب بين سعد ومختار فترة بعد هذه الرسوم إلى أن التقيا ذات يوم في « فندق مينا هاوس » فدعاه الزعيم إليه وظل يحادثه ويستطلع أنباء تمثاله « نهضة

مصر » وزاره في ساحة التمثال بعد هذه المقابلة مع جماعة من الساسة والأدباء والصحفيين .

ولقد كانت هذه الزيارة من أيام الوداع في حياة سعد فلم يمض بعدها سوى قليل حتى فارق إلى جوار ربه قبل أن يزاح الستار عن « نهضة مصر » ، وانقضت بذهاب سعد هذه التفاصيل والخلافات العابرة ولم يبق إلا الرمز الذى تخلف منه والذى استوحاه مختار في تماثيله .

ولم يقتصر مختار على الصور السياسية الهزلية ، وإنما كان يتناول المجتمع بلذعات ساخرة ، ويهاجم الرياء والنفاق الاجتماعى .

ولقد ابتكر لجريدة السياسة شخصية جحا وابنه وكان يجرى على لسانهما كثيراً من اللذعات كما ضمن صوره جوانب من النقد الاجتماعى .

ومن طرائف ما حدث أن « مختار » اختلف مع مجلة الكشكول في الرأى والاتجاه فجردت حملة لمهاجمته من خلال رسوم ساخرة كانت تنشرها عنه ،وإلى جانب رسوم الكشكول فقد كان وجهه بصفة عامة مجالاً طرقه كثير من الرسامين الكاريكاتوريين سواء بمصر أو في الخارج .

وقد امتد نشاط مختار في الرسم إلى جريدة السياسة أراد لهذه الجريدة أن تحمل في إخراجها طابع الفن فأعد لصفحاتها المختلفة رسوماً ترمز إليها ، كانت مقدمة لامتداد الفن إلى الصحافة ، وكانت الأحاديث الصحفية تزين برسومه ، وكم عنى بقدوم الشخصيات الفنية فأفرد لها مجالاً في الصحيفة ، كذلك فعل عندما قدمت مدام سيمون الممثلة الفرنسية الكبيرة إلى مصر ، وكذلك عندما زارت أنا بافلوفا بلاده ، ورسم للحديث الصحفى الذى أعده معها صديقه الأستاذ على بليغ مجموعة من الرسوم تصور معجزة فن الباليه .

ولقد كان مختار يرى في هذه الناحية جانباً من رسالته كفنان ورائد للحياة الفنية ، وفتح بها آفاقاً في مجالات متعددة امتدت خطاها بعده ووطدت للفن مكانة في الصحافة .

القضية .. وختام أيام

الثورة المضادة

كانت القضية مظهراً من مظاهر النكسة التى أصابت عصره وعطلت طاقات الإبداع والانطلاق ، كانت أكبر من أن تكون نزاعاً بين فرد وحكومة ، كانت مظهر تجمع قوى الرجعية ضد إرادة الشعب ممثلة في هذا الفنان الذى أخذ يعد لإقامة تمثال يخلد ملحمة الكفاح الشعبى في رمز زعيم تلك الحقبة سعد زغلول ، من أجل هذا كانت « قضية المثال مختار » – كما سمتها صحف العصر – حلقة في خط المقاومة الذى أقامه الحكم الرجعى المطلق بعد سنة ١٩٣٠ في مواجهة المفكرين ؛ حين كانت الحرية مغلولة والرأى مقيداً . وجيل المفكرين والفنانين يعود ليلتقط الأسلحة التى ألقاها ليرد بها العدوان عن حرياته الأساسية وعن القيم التى ظفر بها في السنوات التى تلت ثورة ١٩١٩ .

في موجة هذا الصراع يدخل العقاد « عالم السدود » متهماً بالعيب في ذات الملك ، ويقصى طه حسين عن كلية الآداب ، ويستقيل لطفى السيد من الجامعة ، ويفصل حافظ إبراهيم من دار الكتب .

كانت هذه نكسة لتيار النهضة الذى مضى مدفوعاً بقوى الشعب .

وكان مختار كرمز من رموز هذه النهضة أحد من واجهتهم حركة المقاومة .

وكانت قضيته تمثل صورة من التحول الخطير الذى أصاب مصر بعد سنة ١٩٣٠ وسلبها كثيراً من المكاسب الشعبية .

ففى سنة ١٩٢٧ عقب وفاة سعد زغلول استدعى مختار من باريس حيث كان يعد لبعض أعماله الفنية ، استقدمته الحكومة لتكلفه بإقامة تمثالين للزعيم سعد زغلول ؛ وتحمس مختار لهذه الدعوة ، اعتبر المهمة عملاً قومياً يتيح له تسجيل حياة الشعب وكفاحه ومثله من خلال تمثال الزعيم ، وكانت الرموز التى عايشته تحاول أن تنطلق ، الرموز التى تعبر عن حياة الشعب ومقوماته والقيم التى ظفر بها من جهاده .

وكان مختار يأمل أن ينهى التمثالين في عام ، فهو كما كان يقول « إن في وجدان كل مصرى ولو لم يكن فناناً تمثالاً لسعد زغلول . . »(١) .

---

(١) من حديث لمختار فى جريدة البورص ٢٦ من سبتمبر سنة ١٩٢٧ .

ولكن بوادر النكسة كانت قد ظهرت وتحول التيار وعدلت الحكومة عن إتمام الاتفاق . ثم تحسن الموقف فى أوائل سنة ١٩٣٠ ، وفي ليلة افتتاح معرضه الخاص الكبير بباريس تلقى برقية من الحكومة تدعوه إلى مصر ، فانتزع نفسه من كل هذا التمجيد الذى أحاطه به نقاد الفن وصحافة العالم ، ومن الجماهير التى توافدت على معرضه تشهد آثار المثال المصرى الأول بعد الفراعنة وميلاد مدرسة النحت المصرى المعاصر .

وعاد مختار إلى مصر ، وفي عجلة تعاقدت معه الحكومة ، وعاودته صور الرموز التى عايشها فترة وقبل العمل بثقة وشجاعة وإيمان لم يفكر في شيء أكثر من التفكير في تحقيق مشروع قومى كبير لبلاده وأريد هذه المرة ألا يكون للتدخل الحكومى أثره المعوق في إتمام المشروع فتقرر أن يعهد للمثال بالتنفيذ الكامل وأن تكون الحكومة معه طرفاً في التعاقد تلتزم بما تقضى به أحكام العقد دون تدخل في عمل المثال .

وبدأ مختار يعمل بحماسة ، كان العمل يتطلب مهندسين وعمالاً فنيين ومحاجر للجرانيت ، كان لا بد من عشرات النماذج والدراسات التفصيلية وبدأ العمل ، دراسات للأشخاص ، بحث عن الأصالة في التعبير ، دراسات للارتباط بين التمثال والموقع ، عقود مع المقاولين ومع بيوت السبك في باريس ومع معاونين للعمليات التنفيذية .

وكان أهم ما يعنى مختار هو أن يؤكد استقلاله ورأيه كفنان وأن ينص في العقد على عدم إجراء أى تعديل فيما يتم الاتفاق عليه إلا إذا كان ذلك ممكناً من الوجهة الفنية وتم التعاقد دون تحفظات مالية من جانبه فما كان يعنيه إلا جانب الفن لا جانب المال .

وأراد مختار أن يكون عمله صرحاً كبيراً يرتفع به إلى ٢٠ متراً كمنار يعبر عن شموخ هذا الشعب وكبريائه وتقرر أن يقام تمثال القاهرة في ميدان الإسماعيلية وأن يقام تمثال الإسكندرية في ميدان سعد زغلول .

وتغير التيار الحكومى وظهر غضب القصر من أمر التمثالين ، كيف يقام تمثال لسعد بالعاصمة ويخلو منها تمثال للخديوى إسماعيل ؟

كيف يعلو تمثال الإسكندرية على تمثال محمد على ؟

وبدأت العراقيل .. تقرر نقل تمثال القاهرة إلى أرض الجزيرة وقبيل عيد الجلوس الملكى رفعت الأسوار عن ساحة التمثال بميدان القاهرة كما رفعت الأسوار حول تمثال الإسكندرية لضرورة تزيين المدينة في عيد الجلوس .

وعند ما سئل رئيس الحكومة عن الأسباب قال :

« لقد كان من رأيي تأجيل المشروع حتى يتاح دراسة رسوم التمثال من جديد وإدخال التعديلات اللازمة خاصة ما يتعلق منها بالارتفاع ، إن ارتفاع كلا التمثالين وفقاً للتصميمات يصل إلى ٢٠ متراً وهو ارتفاع لا نظير له في العالم إلا في تمثال نابليون بباريس ، وبسمارك بهامبورج ونلسون بلندن ، وينبغي أن نلاحظ أن تمثال سعد سيكون قريباً من تمثال محمد على الذى لا يتجاوز ارتفاعه سبعة أو ثمانية أمتار وليس من اللياقة ولا من الجمال أن يتجاوز ارتفاع تمثال سعد تمثال رب الأسرة العلوية » .

وأفصح هذا كله عن وجه الصراع ، ولكن مختار مأخوذاً بحماسة العمل وبرغبته في تسجيل ملحمة بلاده أعد النماذج الكاملة لمشروعه ، وبرغم تشتته في هذه الفترة بين القاهرة وباريس فإنه كان يركز طاقته كلها في عمله ، وكان معاونوه يعملون في كل مكان ، صديقه المهندس جان نيكولاييدس زميل دراسته في باريس يشرف على الأعمال الهندسية بمصر ومعاونه لويس موريه يشرف على إعداد منحت كبير في باريس للمشروع ، وهو يعمل في مشروعه بين مصر وباريس .

وساء الموقف بعد أن حاولت الحكومة إقناعه بتعطيل العمل من جانبه مقابل تعويضه عن كل ما تحمل فرفض لأن ما يعنيه هو إنجاز هذا العمل الفنى والقومى لبـــلاده .

واضطر إلى مقاضاة الحكومة ، وتوالت القضايا من الجانبين ، وواجه الفنان أحرج مواقف حياته فهو مثقل بالالتزامات مشتت بين مصر وفرنسا ، نأى عنه الاستقرار وانتابه القلق ، وكان موقفاً مثيراً للألم عبر عنه محاميه الأستاذ عبد الرحمن الرافعى في مذكرته للمحكمة حين قال :

« هذه قضية فذة ، لم يسبق للمحاكم أن نظرت مثلها في ظروفها وملابساتها ، سواء في مصر أو في غير مصر ، لأن هذه أول مرة فيما نعلم تقف حكومة ما موقف الخصومة والإساءة والتحدى تجاه فنان يعد بحق نابغة الفنانين في بلاده . ولا نعرف حتى الآن حكومة وقفت من نوابغ فنانيها مثل الموقف الذى وقفته الحكومة من المثال مختار . فهى بعد أن تعاقدت معه في أوائل سنة ١٩٣٠ على إقامة تمثالين للمغفور له سعد زغلول باشا ، وبعد أن مضى في عمله باذلاً في سبيل إنجازه كل جهوده وقواه . أخذت الحكومة تلقى العقبات أمامه في منتصف الطريق وتعرقل عمله بمختلف الوسائل ، وتطاول وتراوغ ، دون أن تكاشفه بحقيقة نياتها حتى اضطرته إلى رفع هذه الدعوى في أواخر أكتوبر سنة ١٩٣٠ يطالبها فيها بتنفيذ تعهداتها المالية التى ارتبطت بها في العقد ، فأخذت القضية أدواراً طويلة أمام القضاء ، وحكم فيها بتعيين خبير على أساس

وحين يبقى وحيداً يفكر فيما أبدعه من فن ويخط في ذهنه معالم تحول كبير كانت تنميه لحظات التأمل الطويل .

وكان يقول لأصدقائه في هذه الأيام إن ما فعله ليس شيئاً بالقياس إلى ما سيجيء ، إنه الآن ينظر بعين لا تعرف المجاملة ولا الرحمة إلى أعماله على بعد زمني كما كانت يفعل تسيان عندما يترك ألواحه زمناً ، يسندها إلى الحائط مختفية عن أنظاره ثم يعود إليها ينقدها بنظرة خصم لا تعرف المهادنة ، كذلك كان يقول وكان يرى أن أيام مرضه الطويل هى هذا الحائط الذى هيأه لاستقبال مرحلة جديدة ، كان في هذه الأيام يتحدث عن مشروعاته الجديدة ، عن تمثاله للإسكندر الأكبر الذى سيقيمه بمدخل الإسكندرية ، كان يستهويه الرمز الباطن وراء فكرة التمثال ، وطريقة التعبير عن شخصية هذا الفرعون المقدونى رمز الحضارة الهلينسية الذى ادعى الإيمان بديانة المصريين وذهب إلى سيوة ليقدم القرابين لآلهة مصر ، وكان يفكر في تمثاله لعرابى وفي معانى الثورة التى يود أن يعبر عنها من خلاله .

وفي هذه الأيام تستهويه كليوباترا ، هذه الشخصية الزاخرة التى احتلت خيال الكتاب منذ شكسبير حتى برنارد شو ، هذه الملكة المشوقة بالمتعة التى تمتزج فيها القداسة بشهوة الحياة ، هذه الشخصية التى أوحت إلى سيد درويش وشوقي وغيرهما من فنانى بلاده ، وأوحت إليه تمثالاً في عهد الدراسة الباكر في شبابه ، إنه يعكف في هذه الأيام على تأمل تاريخها ومأساتها وأسطورتها ليصوغها في عالم النحت .

كذلك كان يتحدث عن رحلة جديدة بفنه عبر العالم ، إنه يود أن ينتقل به إلى محيط آخر بعد نجاح معرضه في باريس ، ويفكر في برلين ، ويضع لمعرضه الخطوط والتصميمات ، بكل هذا كان يتحدث وكأنه يحس في أعماق نفسه خطر الموت فيظل يؤكد بآخر قوة فيه ما كان ينتويه .

ولكن المرض يحيله إلى هزال ، ويضرب على قسماته معالم الموت المقترب ، ويهجر فرنسا بعد جراحات ومحاولات لإنقاذ حياته ليقيم في مصر ، في مسكن صغير من بناء يطل على الفضاء المديد من صحراء هليوبوليس ، لم يكن فيه من الأثاث غير مقعدين على الطراز الفرعونى ، وسرير ضخم يشبه الأسرة المصرية القديمة ، وفي حجرة أخرى مكتبة اشتملت على خليط من الكتب ، الفن الإغريقي إلى جانب الفن الهندى والفرعونى ، ورسائل ميشيل أنجلو إلى جانب كتب رودان ، ومؤلفات موباسان وبلزاك تشغل جانباً كبيراً من مجموعاته ، وإلى جانبها يطل دانتى وفولتير وأناتول فرانس ، وكتب الأغانى ومؤلفات الأدباء المحدثين ، وقريباً منه يضع القرآن وتفسيراً له يستهويه مناقشة معانيه وتأمل قصصه وعبره .

وفي هذا المكان الصغير يتردد عليه بعض الأصدقاء ، ويحاول أمامهم أن يخفي معالم ألمه ويستعيد مناقشاته وأحاديثه المرحة في مجالس السياسة وبار اللواء ، وفي مقاهي باريس .

ويستولى عليه في هذه الأيام حلم العودة إلى الريف ، لقد سكن القرية في طفولته وعاشها في أحلامه ونحت روحها في تماثيله ، ولكنه يود اليوم أن يعود إليها يأوى بيتاً من بيوتها ويحيا حياته في مهل بعد أن أنهكه الصراع ، ولكن الموت يعجل فيعصف — في فجاءة فاجعة — بهذه الحياة ، بكل ما فيها من حلم وأمل وتطلع ، يخترمه الموت في شبابه وقبل أن يتم الثالثة والأربعين .

وكثيراً ما يعاودنى هذا التساؤل ، ماذا كان مقدراً له أن يفعل لو امتد به العمر إلى السن التى بلغها عمالقة فن النحت ؟ ماذا كان يخلف لو مات في عمر ميشيل أنجلو وردان ومايول ؟

ولكن قد يكون من روعة الرمز هذا الختام العاجل ؛ ليظل الفنان الذى جدد الفن في بلاده ورد إليه شبابه روحاً دائماً للربيع .

القسم الثاني

وثائق ومقالات

(تواريخ وأحداث معاصرة)

١٨٨٩	ميلاد العقاد
	ميلاد طه حسين
١٨٩٠	ميلاد المازنى
١٨٩١	ميلاد مختار (١٠ من مايو١٨٩١)
	ميلاد المصور يوسف كامل
١٨٩٢	ميلاد سيد درويش
	ميلاد المصور محمد حسن
١٨٩٣	ميلاد المصور راغب عياد
١٩٠٢	قدوم مختار إلى القاهرة
١٩٠٨	افتتاح مدرسة الفنون الجميلة بحى درب الجماميز في ١٣ من مايو والتحاق مختار بها .
	افتتاح الجامعة المصرية القديمة بميدان الأزهار
١٩١١	سفر مختار إلى باريس
١٩١٣	عرض تمثال « عايدة » في صالون الفنون بباريس .... وكان أول عمل مصرى يطرق المعارض الأجنبية
١٩١٩	الثورة
١٩٢٠	عرض مختار تمثاله « نهضة مصر » في باريس
	سافر الوفد برياسة سعد زغلول للدعوة للقضية المصرية في لندن وباريس
١٩٢٣	إعلان الدستور
	العمل في تمثال نهضة مصر بعد موافقة الحكومة على إقامته
١٩٢٤	افتتاح أول برلمان
	إدراج اعتماد في ميزانية الدولة لإقامة تمثال « نهضة مصر »
	تشكيل لجنة الفنون الجميلة بوزارة المعارف بقرار وزارى
	اكتشافات توت عنخ أمون

١٩٢٦	عرض مختار في باريس تمثاليه « لقية في وادى الملوك » من وحى اكتشافات توت عنخ أمون وكاتمة الأسرار . واقترحت لجنة تحكيم الصالون على الحكومة الفرنسية منحه وسام جوقة الشرف « اللوجيون دونير » تقديراً لعبقريته
١٩٢٧	تشكيل وزارة الائتلاف
	إدراج الاعتمادات اللازمة لاستكمال إقامة نهضة مصر بعد أن تعطل العمل في التمثال أكثر من سنتين
	إنشاء اللجنة الاستشارية للفنون الجميلة بمرسوم ملكى
	إنشاء متحف الفن الحديث
	وفاة سعد زغلول
١٩٢٨	إنشاء مدرسة الفنون الجميلة العليا
	إنشاء الجامعة المصرية الرسمية
	إزاحة الستار عن تمثال نهضة مصر
١٩٣٠	أقام مختار معرضه الشامل الأول في باريس ولقى نجاحاً عالمياً
	استدعى لإقامة تمثالى سعد زغلول
١٩٣٠ ـ ١٩٣٢	إلغاء دستور سنة ١٩٢٣
	تعطيل الحياة النيابية
	منع إقامة تمثال سعد زغلول
	مقاضاة مختار للحكومة
	استقالة لطفى السيد من منصب مدير الجامعة
	إقصاء طه حسين من منصب عميد كلية الآداب
	استقالة السنهورى من كلية الحقوق
	الحكم على العقاد بالحبس بتهمة العيب في الذات الملكية
	فصل حافظ إبراهيم من دار الكتب
	وفاة حافظ إبراهيم
	وفاة أحمد شوقي
	مرض مختار
١٩٣٤	موت مختار (٢٧ من مارس ١٩٣٤)

نهضة مصر
قصة التمثال الأول

تمثال نهضة مصر هو أول تمثال أقيم في العصر الحديث ، هو بدء عودة الحياة إلى الأزميل الذى هوى من يد آخر فنان فرعونى ، وقد جاء تعبيراً عن فكرة قومية ، ومعنى هز مشاعر الجموع وبه بدأ الاحساس بالفن كضرورة قومية : وكان لظهور التمثال ، وإقامته من أحجار الجرانيت دلالات رمزية ردت إلى الناس الثقة وجعلته نشيداً من أناشيد الأمل في عصر النهضة .

وراء هذا التمثال قصص كفاح طويل سجلت الصراع بين إرادة الشعب وسطوة السلطان ، بين الدعوة إلى الحرية وبين القيود ، بين بيروقراطية الحكام وحرية الفنان .

من فوق قمته اختتم هذا الكفاح بانتصار إرادة الشعب ، واحترام كرامة الفنان ، وانهزام قوى الرجعية أمام روح التقدم .

من أجل هذا تمثل قصة التمثال شطراً هاماً من تاريخ مصر منذ بدأت إقامته حتى ارتفع على قاعدته .

ولقد سيطر تمثال نهضة مصر على حقبة من الحياة المصرية ، كان الشعب يعتبر هذا التمثال تمثاله ، وكان المفكرون يدركون دلالة إقامته وما يحمله من معنى انتصار فكرة الحرية وإرادة الشعب .

ومن هذه الاعتبارات استمد التمثال قيمته التاريخية فضلاً عن قيمته الفنية ، واستعراض قصة هذا الأثر الفنى الأول في حياة مصر الحديثة يكشف عن جلاله التاريخى ، ودوره الذى أداه في المجتمع .

ظهرت بواكير الفكرة في باريس بعد انتهاء الحرب العظمى حين كانت مصر تعيش مقيدة قد ضربت عليها الحماية ، وكان في نفس مختار ثورة تتأجج من أجل بلاده ، يرنو إليها من بعيد ويفكر في الخلاص ، وصب ثورته في تمثال على غرار الأناشيد البطولية الثائرة التى نحتها « رود » صاحب تماثيل « قوس النصر » ، تمثال يصور الأمة الغاضبة وقد استلت سيفها لتحارب المستعمرين .

ولكنه عاد بعد هذا التمثال يفكر في أمر آخر ، هناك وراء مطلب الحرية دافع قوى هو اليقظة ، فى خلال السنوات التى سبقت الحرب لمح معالم اليقظة تسرى في بلاده ، وعاش في باريس في حقبة التى فيها صناع مستقبل مصر ، وتمثل في هذا الجو صورة البعث وعودة الروح إلى هذا البلد ، وكان كل شيء في مصر يدعوها إلى البحث عن « الرمز » ، كان هذا عصر النهضة بخياله ووثباته وحوافزه ، وكان المصريون يطلقون على جماعاتهم ومعاهدهم ومنشئاتهم أسماء « أبو الهول » و « رمسيس » و « البعث » ، كان خيال الجموع محلقاً في آفاق الماضى ، ومن وحى هذا الجو انبعثت فكرة « تمثال نهضة مصر » .

أولى صلات مصر بالتمثال جاءت من جريدة الأخبار التى كان يصدرها المرحوم أمين الرافعى ، ومن خلال مقالة من أربعة أجزاء نشرتها للأستاذ مجد الدين حفنى ناصف الذى كان يدرس بباريس ، هذه المقالة الرباعية التى نشرت تحت عنوان كبير « النهضة الفنية في مصر » تناولت في المقال الأول « أهمية معرض الفنانين الفرنسيين » الذى عرض فيه نموذج تمثال نهضة مصر ، وأفرد المقال الثانى للحديث عن « محمود مختار المصرى » ، وجاء الثالث عن « تمثال نهضة مصر في باريس » ، وأما الرابع فكان حديثاً عن « الأمة وطريق الوصول » .

من خلال هذه المقالات جاء التعريف الأول بالتمثال ، وتناول الحديث الإشارة إلى معرض الفنانين الفرنسيين ، وأبرز أهمية هذا المعرض ، وكيف يتوافد آلاف الفنانين في كل عام لعرض أعمالهم به فلا يقبل منهم إلا القليل . ويعتبر مجرد قبول العمل الفنى بهذا المعرض شرفاً كبيراً للفنان .

وتحدث عن جهود مختار في باريس ؛ تمثاله « عايدة » الذى عرضه سنة ١٩١٣ فنال عليه التقدير ، وأعماله بمتحف جريفين ، وتضحيته بمنصبه في المتحف ليتفرغ لعمل نموذج تمثاله نهضة مصر ، وكان مجد الدين ناصف معاصراً لمختار في مراحل إبداعه للفكرة فصور عناء هذا الإبداع في عبارات أنقلها لأنها توحى بالجو النفسى الذى كان يكتنف المثال فى أثناء مصاحبته لفكرة هذا التمثال وتنفيذه .

قال مجد الدين حفنى ناصف :

« تغلغلت الفكرة في صدر مصورنا فوضعها على الورق ثم صورها صغيرة ثم كبرها حتى استقر قرارفكره على أن يكون حجمها هكذا وكلما أراد أن يخط خطاً انبعث في مخيلته أثر من آثار جلال النهضة يحاول مصورنا أن يترجم عما في فكره من الخيال فيظل يحذف ويضيف ويضغط ويضخم ، يرى أن هذه الهيئة من الطين لا تنطق بما في نفسه فيهدمها ثم يعيدها فإذا ابتعد عنها وقدأنهك العمل قواه العقلية والجسمية ووجد أنه ينقصها شىء من الرونق والحياة حمل ذراعه رأسه ثم استند إلى منضدة ينظر إلى ما صور وهوباهت ؛ هكذا يبقى بقية النهار ، فإذا استفاق جر أرجاه إلى مخدعه فلا هو مستيقظ نشط ولا هو نائم مستريح . هنا تتضارب في نفسه مضارب شتى من الخيال فيبكر لتصويرها إلى ما قبل الغروب وهو مأخوذ بالأمل . يروقه ماصنع فيركب عربة وتراه بشوشاً خفيف الروح عليه مخايل الثقة بالنفس ولكنك لا تلبث في اليوم التالى أن تراه مكتئباً وهكذا وهكذا حتى تم له ما أراد ، وإن ما يقع للشاعر في قصيدته أو الموسيقار في أغنية وضعها هو الذى وقع لمصورنا عامين ، لله درك يا مختار كم ألححت على في مرافقتك إلىسماع الموسيقى على غير اتفاق ، وكم خالفت موعداً مع تمسكك بكلمتك ولكنك الآن قد فرغت فأصبحت مثل باقي الناس » .

وانطوى المقال الأخير على إشارات إلى أهمية العناية بالفن وضرورة إنشاء المتاحف وإلى ضرورة اقتناء تمثال مختار بمعرفة البلديات ووضعه في ميدان عظيم من كل بلد .

وكان الوفد المصرى برياسة سعد زغلول قد سافر إلى باريس للدعوة للقضية المصرية فتعرف أعضاء الوفد على مختار من طريق الجمعية المصرية التى كان قوامها الطلبة المصريون بباريس ، ووقفوا على جهوده وشهدوا تمثاله قبل أن يعرضه كما شهدوا أعماله في متحف جريفين ولمسوا تقدير الأوساط الفنية الفرنسية له فأدركوا أن هذا الشاب المجهول هو من دواعى فخرهم وأنه بجهوده الصامتة يؤدى للقضية المصرية أجل الخدمات ومن واجبهم أن يمهدوا له الطريق ليأخذ مكانه اللائق في بلاده .

فلما نشر مجد الدين حفنى ناصف مقالاته ، أعقبه الدكتور حافظ عفيفى وكان ضمن أعضاء الوفد الذين وقفوا على جهود مختار بباريس :

فكتب يقترح على المرحوم أمين الرافعى أن تقوم جريدة الأخبار بالدعوة لاكتتاب عام لإقامة تمثال مختار في أحد ميادين العاصمة .

ورحب المرحوم أمين الرافعي بالفكرة ونشر في اليوم التالى نداءالاكتتاب تحت عنوان « نهضة مصر — دعوة إلى الأمة المصرية » .

وأثار البعض المخاوف من أن تعترض الحكومة على إقامة التمثال ، فردالمرحوم حافظ عفيفى بأن التمثال رمز يمثل الفلاحة وأبا الهول ولا يعقل أن ترفض حكومة إقامة مثل هذا التمثال .

وساند الفكرة من أعضاء الوفد المصرى المرحومان ويصا واصف وواصف غالى فنشر الأول مقالاً مسهباً تحت عنوان « محمود مختار — والنهضة الفنية في مصر » ونشر الثانى مقالاً تحت عنوان « واجبنا نحو مختار » وقد حرصنا على نشر هذه المقالات في ختام هذا الفصل باعتبارها من الوثائق التاريخية الهامة المتعلقة بإقامة التمثال ، ولأنها تمثل إشارات البدء نحو العناية بالفنون وإدراك مفاهيمها وأهميتها في نهضة البلاد .

وبدأت حركة الاكتتاب ، وكانت الأنباء قد حملت خبر قبول التمثال في المعرض وتمييز لجنة التحكيم له ضمن ٦٠ تمثالاً من ألفين قدمت للمعرض .. ومنح مختار شهادة شرف من المعرض لأن الجوائز الأخر حجزت للفنانين الفرنسيين العائدين من الحرب . وأهتز المصريون للمقالات التى كانت تنقلها لهم صحفهم عن « الفيجارو » و « الالستراسيون » و « الطان » و « المجلة الحديثة للفنون » .

وكم أفعمت القلوب بالأمل وهى تطالع هذه السطور من « الفيجارو » .

« يستحق هذا التمثال المعروض الآن في معرض الفنيين الفرنسيين عناية خاصة ، فالظاهر أن له مغزى أسمى ومعنى أعلى له من القيمة ما للرمز والدعوة معاً ويصح أن نعتبر هذا التمثال أول شعاع تنبثق منه نهضة الفن المصرى وحياته حياة جديدة » .

وهذه الكلمات من المجلة الحديثة للفنون تملأ المصريين زهواً حين تنقلها إليهم صحفهم :

« قدم رجل مصرى من أهل الفن « محمود مختار » تمثالاً بهذا الاسم « نهضة مصر » إلى معرض الفنانين الفرنسيين ، ويدل هذا التمثال الجميل الذى يأخذ جماله ووقاره بالعقول على ما لصانعه من مقدرة فنية عظيمة كما يدل على سمو فكره وجمال تخيله ، ولايجوز الاكتفاء باعتبار هذا التمثال مظهراً بديعاً من مظاهرالفن وإنما هو في الحقيقة الرمز المتوقع لأمانى أمة تريد أن تسترد فى العالم ذلك المكان الرفيع الذى يؤهلها له تاريخها المجيد وموقعها الجغرافي وما اشتهر من قديم الزمن عن خصب أرضها

التى تضرب بها الأمثال وما اتصف به أبناؤها العاملون من فضائل أصبحت عندهم في حكم التقاليد ، وتدل الدلائل على أن الشعور القوى الذى أشعله في كل القلوب ذلك الانقلاب العظيم الذى حدث في العالم القديم قد أيقظ مصر من رقادها الطويل وهذا هو الذى حاول مختار أن يجعلنا نفهمه » .

وعلى هذه الأنغام نشط الاكتتاب ، وارتفعت الحماسة ، وفي كل يوم كانت الأنباء تحمل مفاجأة ، هذه طوائف ما كان مقدراً أن يصل إليها نبأ التمثال لو سارت الأمور في طريقها العادى ، ولكنها تتحمس للفكرة وتهتز وتدرك بقلوبها أشياء عميقة بعيدة ، جموع من صغار العمال والباعة الجائلين ، تلاميذ صغار يبعثون برسائل تفيض بالحماسة ومعها قروش هى كل مدخرهم ، سيدات يهدين حليهن من أجل إقامة التمثال ، ومع هذه الرسائل كلمات وقصائد من الشعر صيغت من حماسة الناس ، وكلها دعوة للتمثال ، وتوارى مع هذه الحماسة صوت معارضة دينية تردد خافتاً ثم ما لبث أن اختفى ، وظهر بين رجال الأزهر أنفسهم دعاة للتمثال ، وكان منهم من يجمع له التبرعات عقب الصلاة ، وتلك معجزة البداية عند مختار فهو قد ربط بعمله الأول مشاعر الناس بالأثر الفنى فانزاحت السدود أمام تيار الوطنية الجارف .

ووصل هذا التيار إلى جموع الفلاحين فأخذت التبرعات تصل من جوف الكفور إلى جريدة الأخبار ، وهكذا ارتفع التمثال إلى قداسة الفكرة الوطنية وتحقق بذلك الاتصال بين الفن والحركة القومية .

من خلال حركة التبرعات تبرز أمثلة نادرة تسجلها رسائل المكتتبين وتعتبر دليلاً على يقظة الروح المصرى في تلك الفترة من عصر النهضة ، من ذلك رسالة من «الشحات إبراهيم الكيلانى» الفاعل بهندسة السكة الحديد بالزقازيق انطوت على ستمائة مليم قيمة تبرعه ومعها الكلمات الآتية :

« إننى رجل فقير جداً أشتغل بهندسة السكة الحديد الأميرية بوظيفة فاعل ويوميتى ٧٠ مليماً ومتزوج بيتيمة الأب وأم زوجتى تبيع ترمساً ولى شغف بقراءة الصحف عن عهد النهضة المصرية الأخيرة ، بينما كنت جالساً أقرأ جريدتكم الغراء بكيت بكاء شديداً فسألتنى زوجتى عن سبب بكائى فأخبرتها عن التبرع لتمثال نهضة مصر ، ولم يكن معى نقود أتبرع بها خلاف ٢٠٠ مليم فقالت زوجتى إنها تتبرع بمائة مليم أيضاً وقالت أمها مثلها وكذلك فعل أخوها وعمره ١٥ سنة ، أما أختها البالغة من العمر ١٣ سنة فقالت إنها لا تمتلك إلا ٥٠ مليما فتبرعت بها ، ولى طفل عمره سنة ونصف كانت أمه وفرت له ٥٠ مليما فأحضرتهم فأصبح المجموع ٦٠٠ مليم

فأرجوكم أن تتقبلوا منا هذا المبلغ القليل لتوصيله إلى أمين صندوق تمثال نهضة مصر وتتوسطوا في قبوله ونكون لكم من الشاكرين ، هذا وإنى أدعو جميع الفعلة زملائى في الزقازيق وخلافها وأدعو أيضاً جميع العمال للتبرع لتمثال نهضة مصر لنتسابق مع أسيادنا الأغنياء زادهم الله من فضله » .

وأرسلت سيدة مصرية — وكانت المرأة حديثة الاتصال بالحياة العامة بعد الثورة — هذه الرسالة :

« سيدى الفاضل مدير الأخبار ؛ إن المرأة المصرية التى كانت لها يد تذكر في تشجيع النهضة الوطنية في مصر لا تستطيع أن تحجم عن البذل في سبيل إقامة تذكار يخلد ذكرى هذه النهضة ، ولا شك في أن السيدة برهنت في الحركة الأخيرة على مبلغ شعورها بالواجب وإدراكها لمعنى التعاون ؛ لا شك في أنها ستقوم بتأدية ماهو مفروض عليها لتنفيذ هذا المشروع الجليل الذى سيكون شاهداً على أن المصرى والمصرية متكافئان في تقدير الواجب وتشجيع العاملين ، وإنى أرسل إليكم مع هذا خمسة وعشرين جنيهاً آملة أن يكون ذلك فاتحة اكتتاب كبير تقوم به سيداتنا العاملات حتى تبرهن المرأة المصرية مرة أخرى على أنها لاتتردد في الاشتراك في كل ما يعود على مصر بالنفع والخير . « حرم حسن الشريف » .

ورسالة من تلميذ صغير بمدرسة خليل أغا الابتدائية :

« إن والدى كان يطلعنى على ماكتب بجريدتكم بشأن نابغة مصر وهو سيدى (محمود مختار) لأعلم أن النبوغ أكثر مايكون من الطبقات التى أنا منها فأبذل جهدى لأكون عظيماً ، وإن المدح الذى كنت أسمعه من والدى لهذا النابغة جعلنى أحبه حباً لا مزيد عليه ، واليوم علمت دعوتكم إلى الأمة المصرية ، لتكتتب بمبلغ يدفع ثمناً لتمثال نهضة مصر الذى أجاد إتقانه (سيدى مختار) ويكون ذلك مكافأة لذلك النابغة وبرهاناً على شعور الأمة الحى .

« وبما أنى أرجو أن أكون رجلاً حياً فقد أردت أن أفتتح حياتى بالاشتراك في هذا الاكتتاب المقدس بنصف ما أملك وهو خمسة وعشرون قرشاً وأقسم بوطنية (مختار) وإنه لقسم كما تعلمون عظيم أنى لو كنت أملك مئات الجنيهات لا كتتبت بنصفها ولكن ما باليد حيلة . « مصطفى كمال التميمى » .

ومن القائمة ٥٥ من قوائم التبرعات :

« نحن المتبرعين بهذا (١ جنيه و ٦٥٠ مليم) فقراء كفر معوض بندر الزقازيق نتقدم إلى أغنياء الزقازيق طالبين منهم مشاركتنا في الاكتتاب لتمثال نهضة مصر ، حتى نكون قد تساوينا بغيرنا من البلدان الأخرى ولهم الشكر مقدماً » .

*

وفي جو هذه الحماسة عاد مختار إلى مصر فرحبت بمقدمه ؛ وتشكلت لجنة إقامة التمثال برياسة المرحوم حسين رشدى ومن السادة ويصا واصف ، واصف غالى ، الدكتور حافظ عفيفى ، محمد محمود خليل ، عبد الخالق مدكور ، فؤاد سلطان ، عبد القوى أحمد ، أمين الرافعى ، وتردد الرأى بين صب التمثال في البرونز أو نحته في الحجر غير أن اللجنة رجحت فكرة مختار فى نحت التمثال من حجر الجرانيت ، من الحجر الذى أقام منه المصريون القدماء آثارهم حتى يكتمل الرمز لمعنى البعث والنهضة .

وعلى أثر هذا القرار بدأ مختار في اختيار حجارة التمثال من جبال الجرانيت التى ظلت ساكنة تتوالى عليها السنوات الوئيدة الصامتة ، لم يتحرك منها حجر منذ غربت حضارة مصر القديمة حتى عاد إليها مختار ومعه جموع العمال المصريين أحفاد هؤلاء القدامى يرددون نغماتهم ويرسلون في الجو أغانيهم .

واجتمع من الاكتتاب القومى مبلغ ستة آلاف وخمسمائة جنيه ، وطلبت اللجنة من الحكومة الترخيص بإقامة التمثال في ميدان المحطة في مدخل العاصمة ، فقرر مجلس الوزراء في ٢٥ يونيو ١٩٢١ الموافقة على ذلك ، وأن يكون إنشاء القاعدة وإقامة التمثال تحت إشراف وزارة الأشغال .

وقد أشاد رئيس مجلس الوزراء المغفور له عدلى يكن بقيمة التمثال في مذكرته التى وافق عليها المجلس وفيما يلى نصها :

« رأى محمود مختار الحفار المصرى أن يصور للناس آونة تاريخية من حياة الأمة المصرية فرمز لها بمجموعة فنية كانت تمثالاً لنهضة مصر. وقد عرض هذا التمثال في العام الماضى في معرض رجال الفنون في باريس فمنحته لجنة المحكمين شهادة شرف ، إذ كانت الأنواط قد خصصت لرجال الفن الفرنسيين العائدين من الحرب .

« وقد قوبل هذا العمل في مصر بأكبر مظاهر الحماسة وفتح اكتتاب وطنى لتمكين واضع التمثال من صنعه . ولما بلغ الاكتتاب حد الكفاية تألفت لجنة للبحث في صنع التمثال وتصميمات إقامته بأحد الميادين العامة بالقاهرة .

« وقد قدمت اللجنة المشار إليها إلى الحكومة طلباً تلتمس فيه الترخيص بإقامة تمثال نهضة مصر في ميدان باب الحديد وليس في هذا الطلب إذا أجيب تحميل للخزانة العامة بشىء من النفقات فإن اللجنة قد تكفلت بجميع مصاريف صنع التمثال المذكور ونصبه .

هذا وقد استشيرت وزارة الأشغال العمومية في أمر التصميم الذى أعده صاحب المشروع لإقامة قاعدة التمثال ، فأقرته من الوجهة الفنية .

« وتمثال نهضة مصر من الأعمال التى تتجلى فيها قوة الخيال والتصوير وهو كبير القيمة من الوجهة الفنية ويزيد في قيمته ويجعله حقيقاً بعناية خاصة أنه من صنع مصرى ، فلهذه الأسباب أشير على مجلس الوزراء بمنح الرخصة المطلوبة . وسيوكل إلى وزارة الأشغال العمومية الإشراف على أعمال بناء القاعدة ونصب التمثال » .

الإسكندرية { ١٩ شوال سنة ١٣٣٩ / ٢٥ يونيو سنة ١٩٢١ }

رئيس مجلس الوزراء
عدلى يكن

وبهذا القرار حصل التمثال على اعتراف الحكومة الرسمى ، ولكنه انتقل في الوقت نفسه إلى مرحلة جديدة ، مرحلة التدخل الحكومى وماصحبها من مشكلات وعقبات .

أولى هذه العقبات جاءت بعد نفاد الاعتماد الذى خصصته الحكومة في سنة ١٩٢٢ لقطع أحجار الجرانيت من أسوان ونقلها وقدره ٣٠٠٠ ج ، ولكن المرحوم ويصا واصف استطاع بعد عرض الأمر على البرلمان أن يحصل على اعتماد مبلغ ١٢٠٠٠ ج لمواجهة نفقات إقامة التمثال وكان ذلك في يوليو سنة ١٩٢٤ ، وأخذ التمثال طابع المشروع العام مدت له الخطوط الحديدية وخصصت عربات خاصة لنقل أحجار الجرانيت من مقالعها واستقدم له العمال ، غير أن مؤامرات تعطيل إقامة التمثال لم تلبث أن لعبت دورها إذ تدخل بعض المسئولين في وزارة الأشغال واستطاعوا أن يقفوا العمل في التمثال مرة بحجة النظر في تعديل موقع إقامته ومرة أخرى بحجة النظر في قيمته الفنية ، واقترح المهندس صالح عنان وكيل وزارة الأشغال حينئذ إقامة التمثال في ميدان « قره ميدان » أو عند حديقة الحيوان القديمة ، كما رأى « تشكيل لجنة من ذوى الذوق للنظر في صلاحية التمثال . . . » .

وهكذا وقفت الحكومة في سبيل إرادة الشعب ، ولكن التمثال كان قد تحول إلى شعارات اتخذها المصريون عنواناً وأخذت الصحافة تنادى بإتمام هذا العمل العظيم وتنشر صور التمثال في أولى صفحاتها .

وتحول التيار الحكومى ، وتغيرت الوزارة وكان الإمعان في المقاومة ظاهراً ، فانتهز المسئولون فرصة سفره إلى باريس ، فى أثناء تعطيل العمل لبعض الشئون المتعلقة بالتمثال وليعرض تمثاليه « اللقية » و « كاتمة الأسرار » في صالون الفنانين الفرنسيين سنة ١٩٢٦ ، انتهزوا هذه الفرصة وتلمسوا في لوائحهم ما يجيز حرمانه من مكافأته الشهرية لتغيبه عن عمله . ومن أليم المفارقات أن قرار الحرمان قد صدر في الوقت الذى قررت فيه لجنة تحكيم صالون الفنانين الفرنسيين أنها إزاء استحالة مادية لتقدير عمل مختار واقترح رئيس اللجنة منحه وسام « جوقة الشرف » اعترافاً بفنه ونبوغه . وكانت المكاتبات تمضى في وزارة الخارجية الفرنسية من أجل تكريمه بينما تمضى مكاتباته وزارة الأشغال بمصر متعجلة لإصدار قرار حرمانه من مكافأته .

وجاء في الوقت نفسه تقدير آخر من « أول بجيورسون » وهو من أبرز الشخصيات الفنية في استوكهلم وكان من العاملين على المواءمة بين الفن الإسكندنافي والفن المصرى ،

تلقى منه رسالة يدعوه فيها لمعاونته في مهمته ويرحب مقدماً بكل ما يفرضه من شروط , ويقول في رسالته :

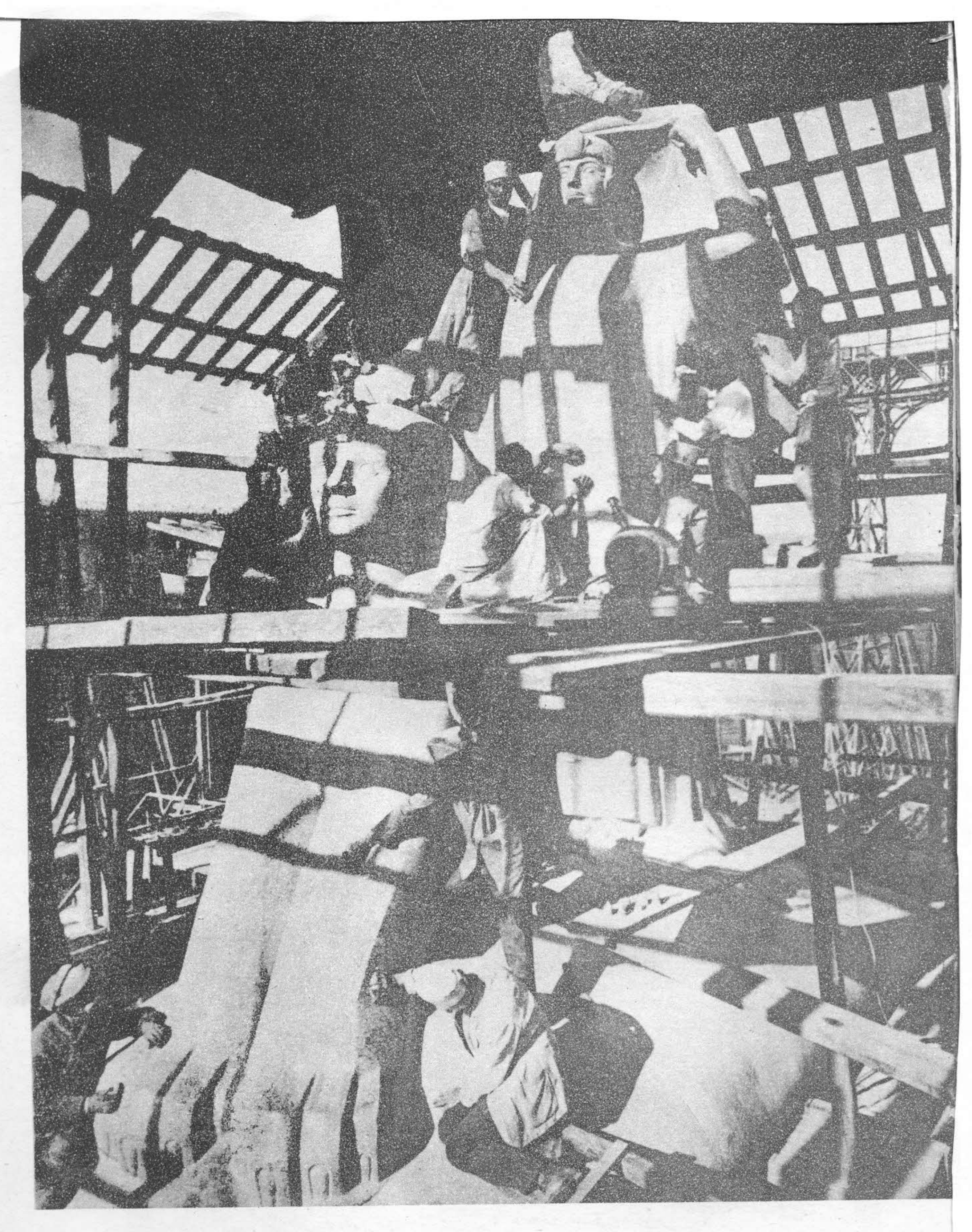
« إن معروضاتك في معرض الفنانين الفرنسيين دلت عليك بطريقة حاسمة ، أنا لا أهنئك فإن هذه الكلمات لا تعنى بالنسبة إليك شيئاً وإنما دعنى أقول لك إنى لم ألق خلال سياحاتى المتعددة في العالم أثراً هزنى كتمثالك « كاتمة الأسرار » ولكن ذلك كله لم يعن شيئاً لرجال وزارة الأشغال وفي هذه المرة لم يجد إلى الصمت سبيلاً ، فهو كما يقول « في تأملاته » كالدب الذى يحتفظ بسكينته ولا يغضب أحداً ولكنه مثله أيضاً يزأر عندما يستثار » .

من أجل هذا كتب إلى وزير الأشغال في ١٤ من أغسطس سنة ١٩٢٦ يحدد موقفه قائلاً :

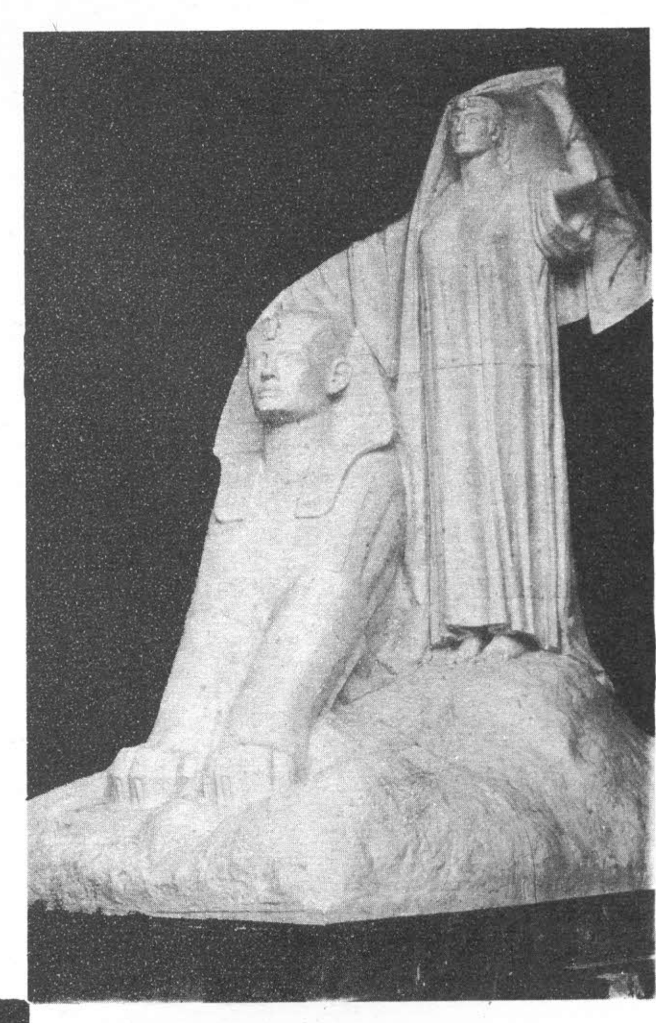
« إنى لست موظفاً لتسرى علىّ القوانين واللوائح المالية ، وإنما أنا واحد من رجال الفن استخدمتنى حركة النهضة المصرية فأردت أن أصنع لها تذكاراً تاريخياً يدون على مرور الأحقاب ما جاش في صدور المصريين جميعاً على أثر الحرب ، إنى بقبول العمل في تمثال نهضة مصر أشعر بأننى قدمت لبلادى خدمة كبرى كان الأولى بمن استقطعوا مكافأتى الضئيلة فى أثناء غيابى أن يقدروها ، خصوصاً وأن العمل الذى أقوم به هو الفريد في نوعه ولم يسبق أن وقع مثله في تاريخ الفن الحديث . ولو أننى جاريتهم في تعنتهم ورفضت أن آخذ على عاتقى إتمام التمثال لكنت محقاً في ذلك ولأعطانى هذا التصرف من جانب وزارة الأشغال فرصة التحلل من كل الاعتبارات الأدبية التى تدركونها معاليكم حق الإدراك وللتمسك باعتبارات مادية تتناسب مع مالى من الحقوق فعلاً ولا يجوز مطلقاً أن يستنتج من هذا القبول من ناحيتى أنى أردت أن أقطع كل صلة لى بالفن ، وأظهر هذه الصلات عرض ما ينتجه رجال الفن على الجمهور وليس هناك مكان للعرض أليق من معرض باريس ولا أكبر شهرة في العالم منه ، ومن واجبى أن أعنى بمستقبلى كواحد من رجال الفن » .

*

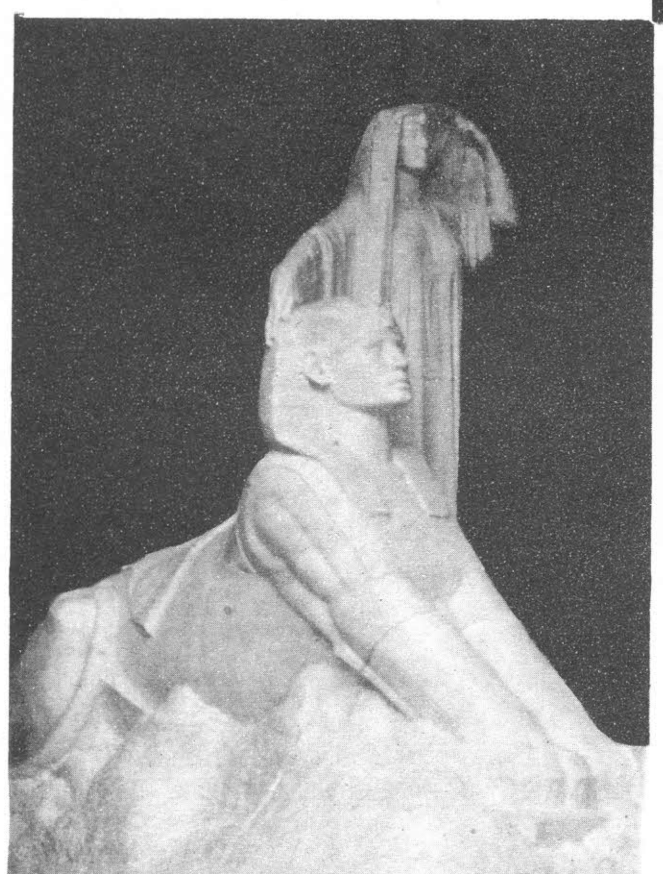
على الرغم من هذه العقبات ظل يعمل ، وكانت الصحف تنقل أنباء النزاع بينه وبين وزارة الأشغال ، وزاره في هذه الأثناء صحفى وسأله عن رأيه في لجنة فحص التمثال التى رأت الوزارة تشكيلها ، فأجابه مبتسماً وهو ينحت رأس تمثال أبى الهول :

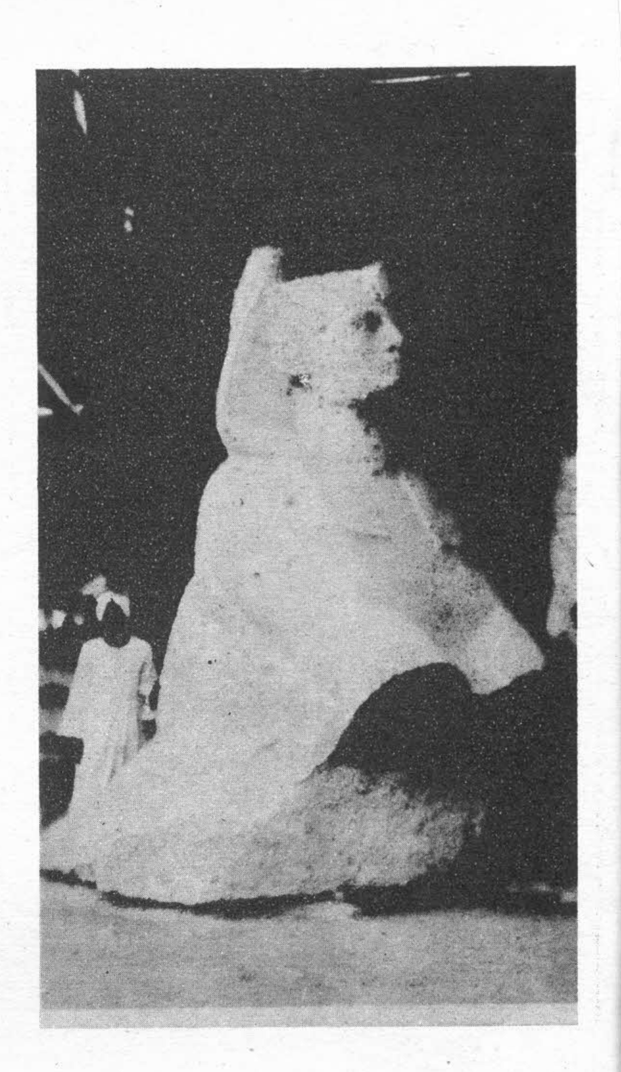


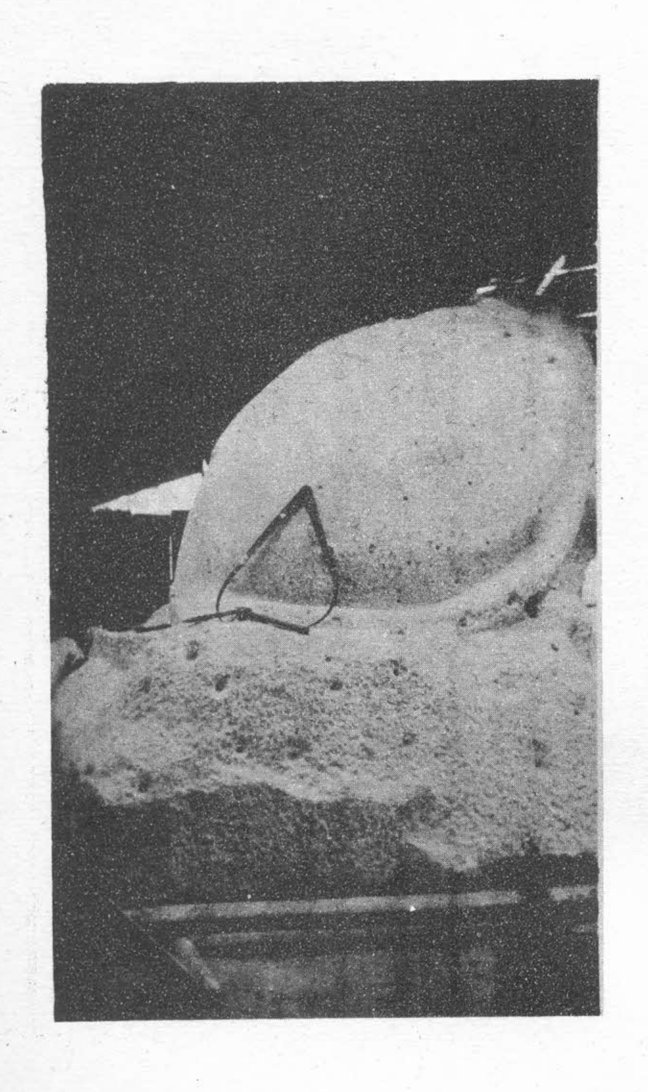
نهضة مصر



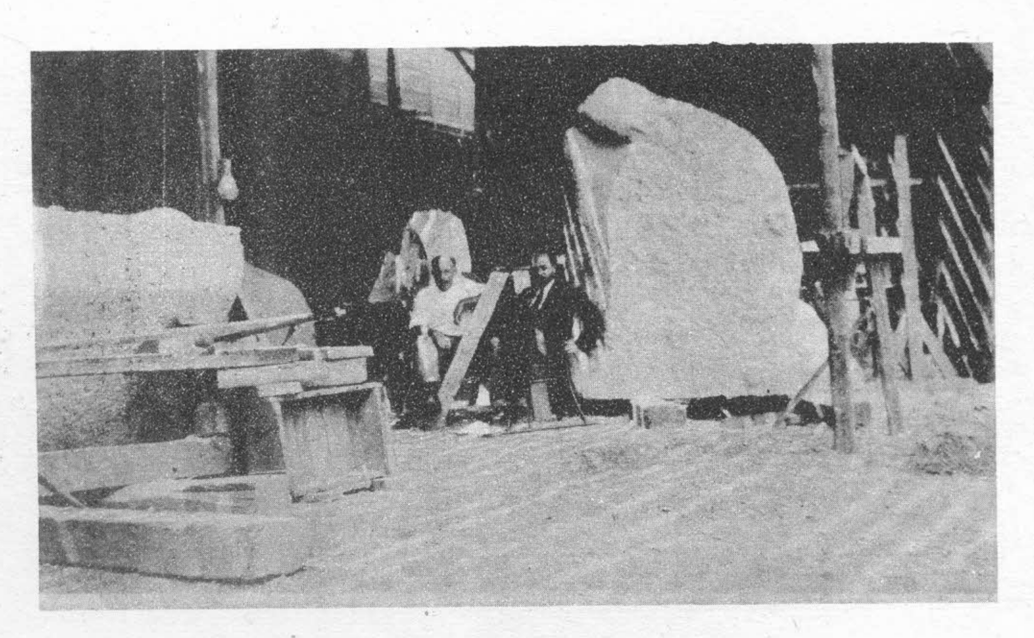
نموذج تمثال نهضة مصر في باريس

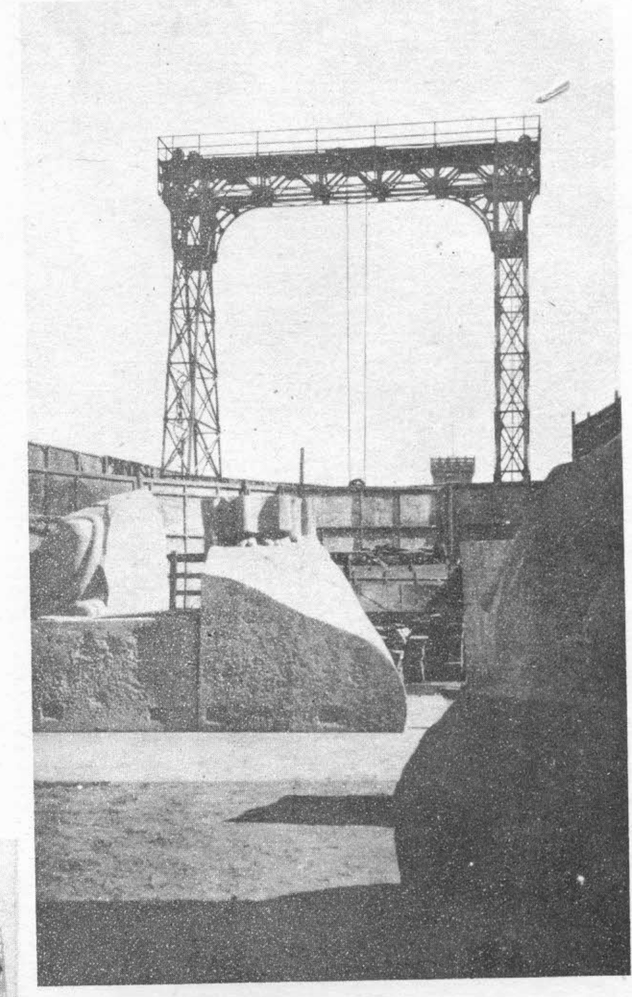


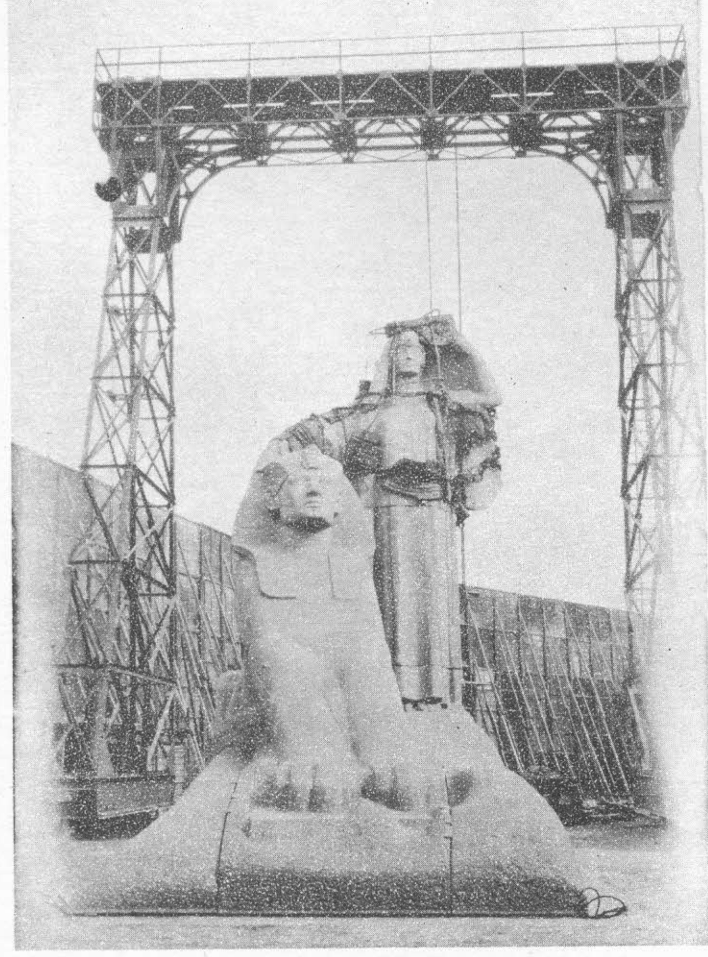




من مراحل العمل بالتمثال أغسطس ١٩٢٣

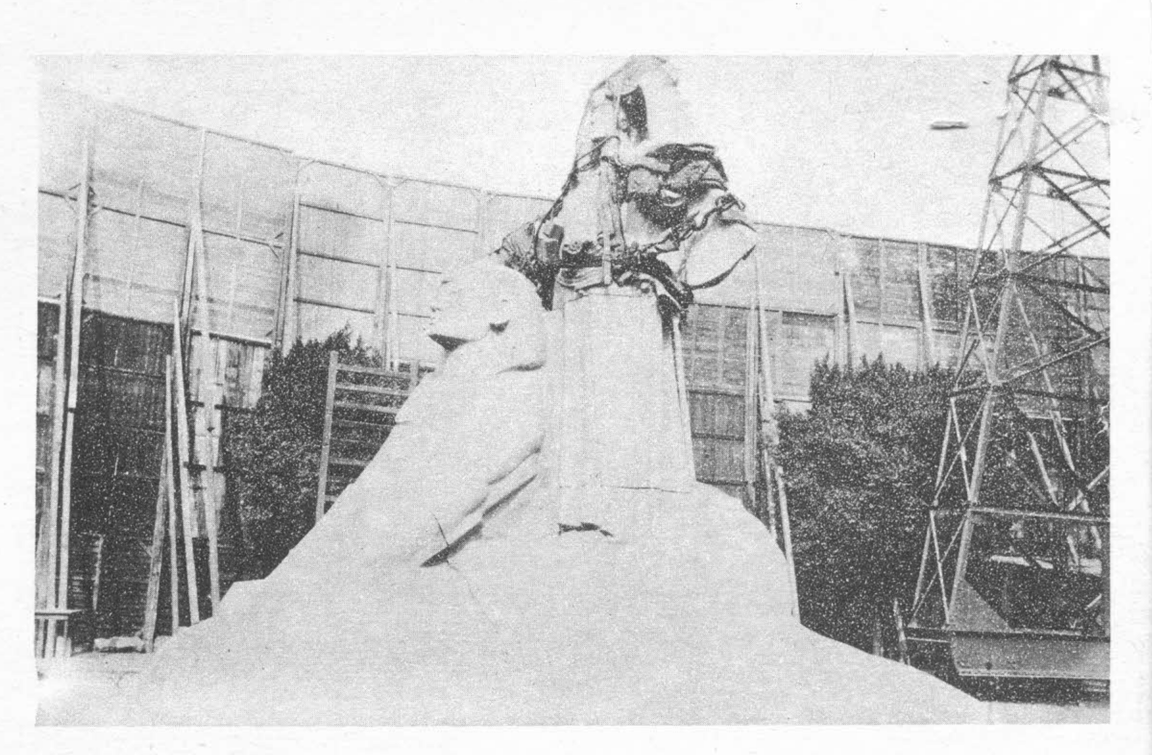


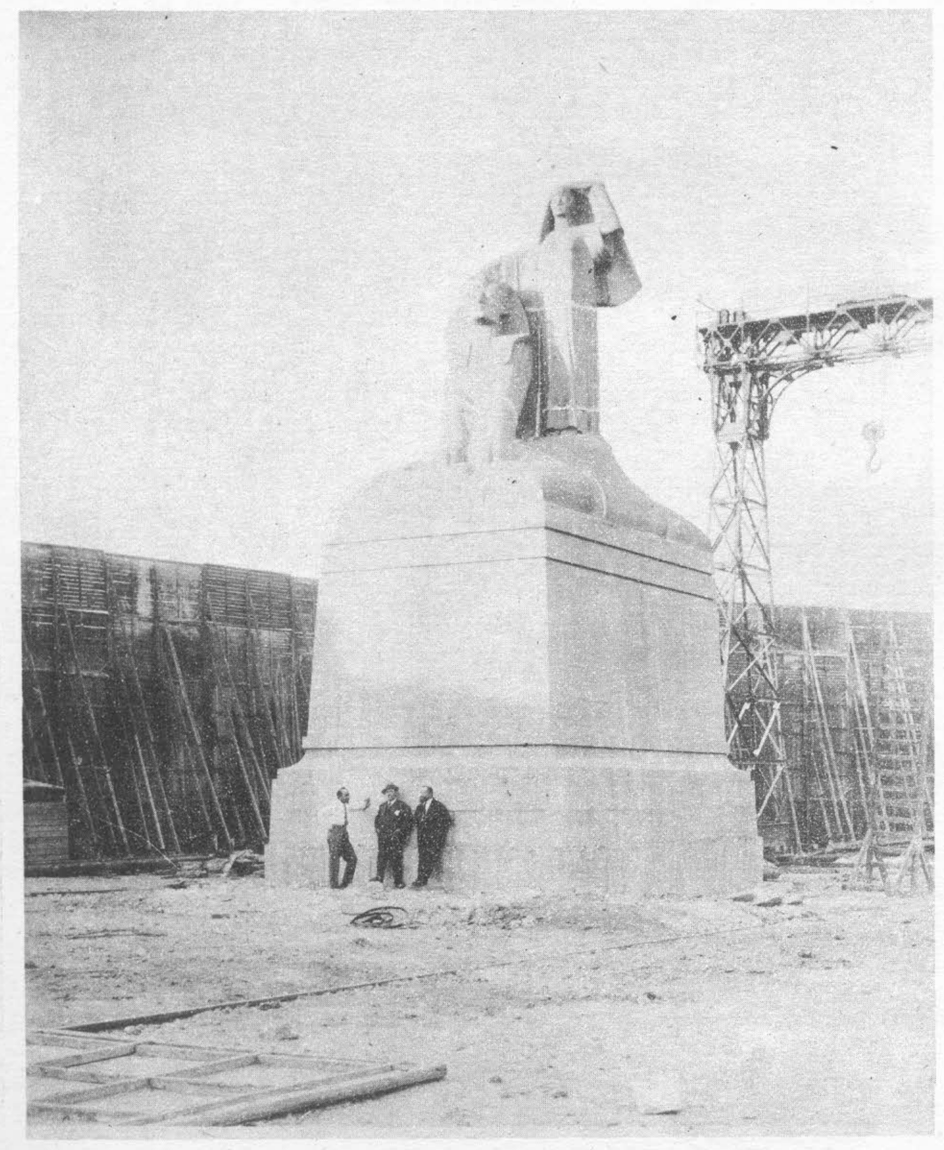




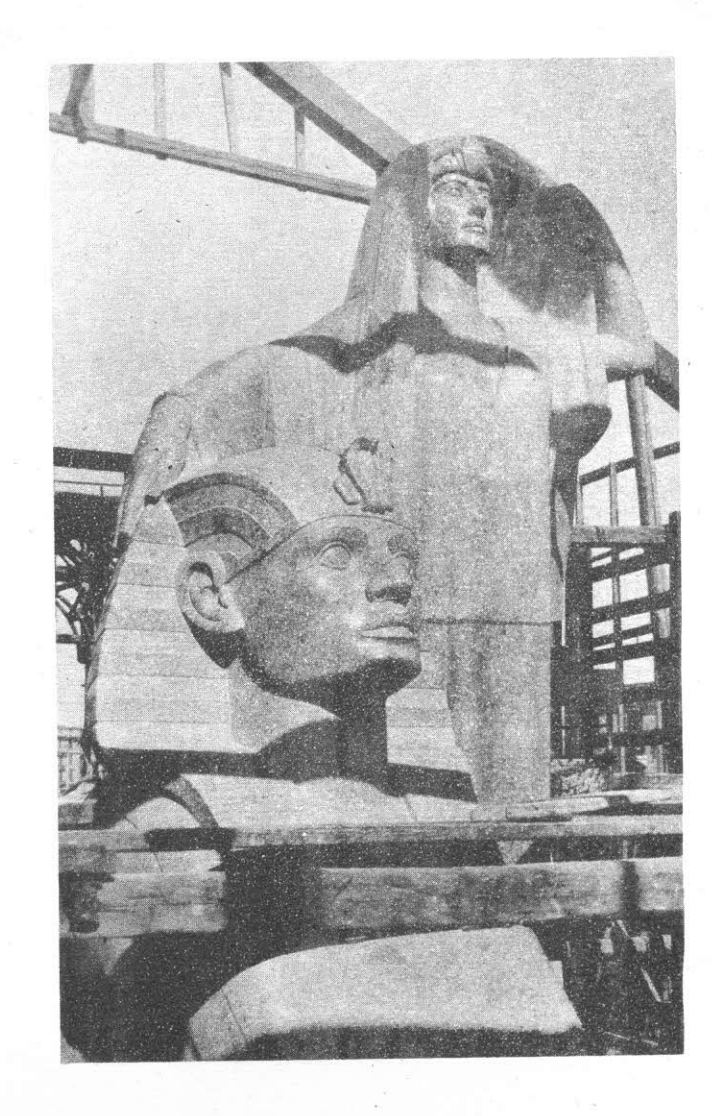
نهضة مصر

فى أثناء التركيب

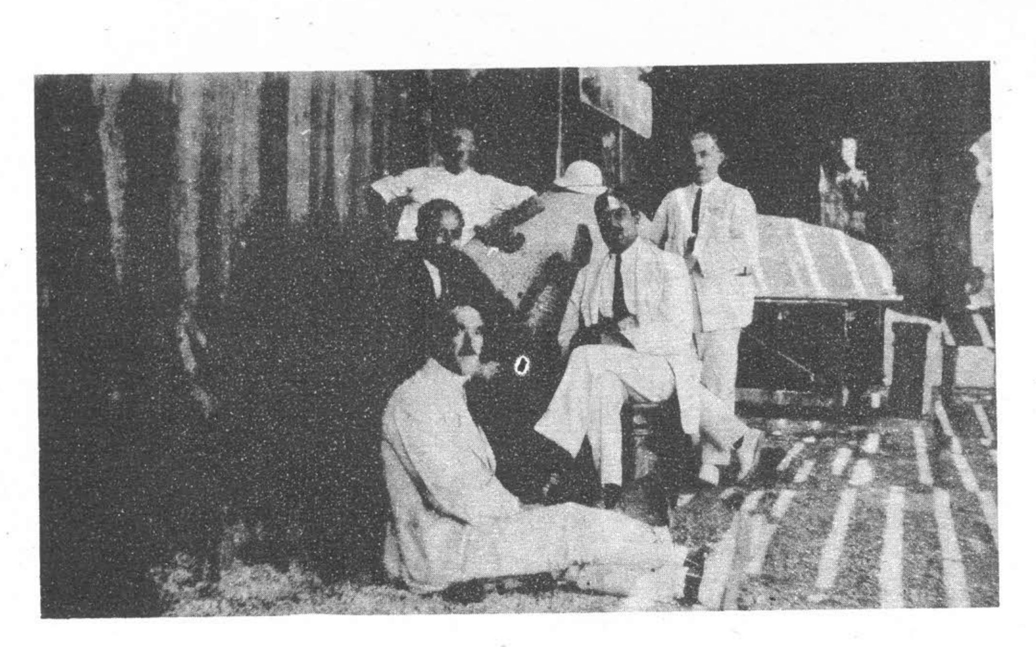




نهضة مصر
فى أثناء العمل



نهضة مصر
في المراحل النهائية



ورشة العمل
بتمثال نهضة مصر
ميدان المحطة



سعد زغلول ورشدى وويصا واصف
أمام التمثال قبل رفعه على قاعدته

منبه النابغة



الأول - هل أيقظك المنبه لترى تمثال النهضة ؟؟

الثاني - قد صدع رأسي. ولا أرى من النهضة إلا الضجة والانقسام

رسم من مجلة الكشكول

٢٠ نوفمبر ١٩٢٢

CHANTIER DU MONUMENT
Le Reveil de l'Egypte
PLACE BAB EL HADDID

دار
تمثال نهضة مصر

TÉL. 4435

Le Caire, le 192

حضرة صاحب الدولة رئيس مجلس الوزراء

اتشرف بان ارفع الى دولتكم حسابا تفصيليا من حضرة صاحب العزة فؤاد سلطان بك امين صندوق «تمثال نهضة مصر» مستخرجا من دفاتر لجنة التمثال كطلب وزارة المالية عن مبلغ الالفين وخمسماية جنيه التى طلبتها بوجه التقريب لاتمام "التمثال". وكنت قدمت الى دولتكم بتاريخ ١٧ اغسطس ١٩٢٢ بيانا مثل هذا راجيا اعتماد صرف هذا المبلغ ليتسنى لى اتمام هذا العمل الوطنى ~~راجيا اعتماد صرف~~ بالسرعة التى تحتمها وجود النقدية محددا مبلغ الالفين وخمسماية جنيه باقل ما يمكن تقديره لانجاز هذا العمل الجسيم

ولقد مر للآن زهاء الثلاثة اشهر دون البت فى صرف هذا المبلغ مما ترتب عليه زيادة فى النفقات وتعطيل فى ~~العمل~~ الاعمال وما كان يتطلبه العمل من شراء الادوات الضرورية وغيرها

فترون دولتكم من البيان المذكور مقدار المبالغ الجسيمة التى ~~يتكلفها~~ يتكلفها عمل التمثال خصوصا وقد عاينتم ~~[illegible]~~ دولتكم شخصيا وكذلك حضرة صاحب المعالى وزير الاشغال وحضرتا صاحبا السعاده وكيل الخارجيه ووكيل الاشغال وغيرهم الاعمال الشاقة التى تمت الى اليوم والتى مارسنا منذ نصب معيته اعانتنا من مزاولتها

ولا يخفى على دولتكم ان كل تأخير فى صرف هذا المبلغ يكلف من الزمن والمال اكثر مما قدر له لاتمام هذا التمثال اذ يترتب على التأخير زيادة المصاريف

فلذلك ارجو من دولتكم اعتماد صرف المبلغ راجيا ان تتفضلوا بقبول فائق احترامى وابلاغى المخلص

[signature]

مقدم الى مجلس الوزراء

كشف

بيان المنصرف شهريا لحساب لجنة تمثال نهضة مصر بوجه التقريب

جنيه	
١٧٠	اجر عمال فى شهر
١٢٠	مرتبات شهريه
١٢٠	بيان ثمن ادوات ومواد خام تستهلك فى العمل ومشتريات وتنقلات خاصه بالعمل واشياء اخرى
٤١٠	

فقط اربعماية جنيه مصرى وعشرة على وجه التقريب

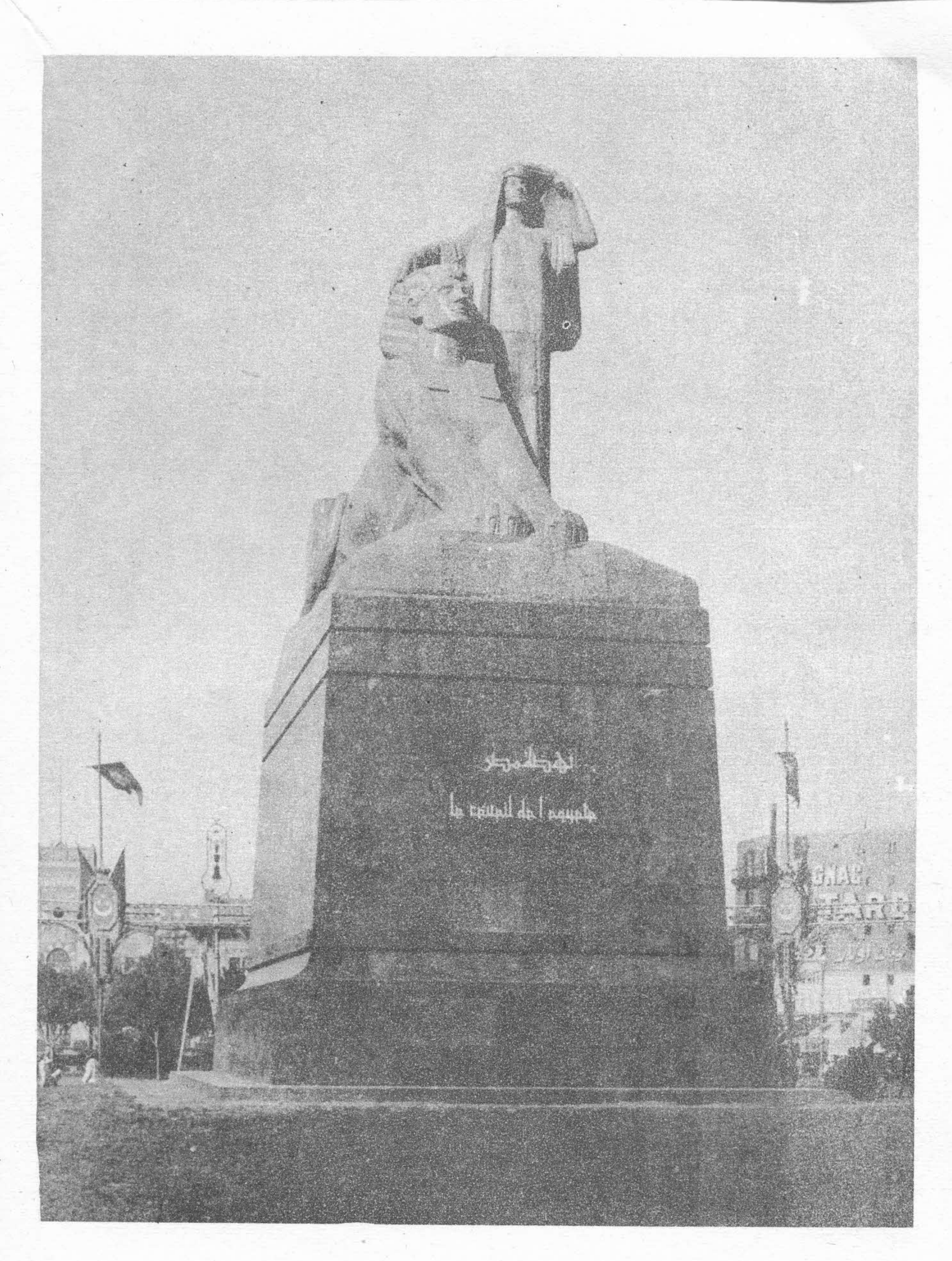
امين الصندوق
٢٠ نوفمبر ١٩٢٢

مذكره

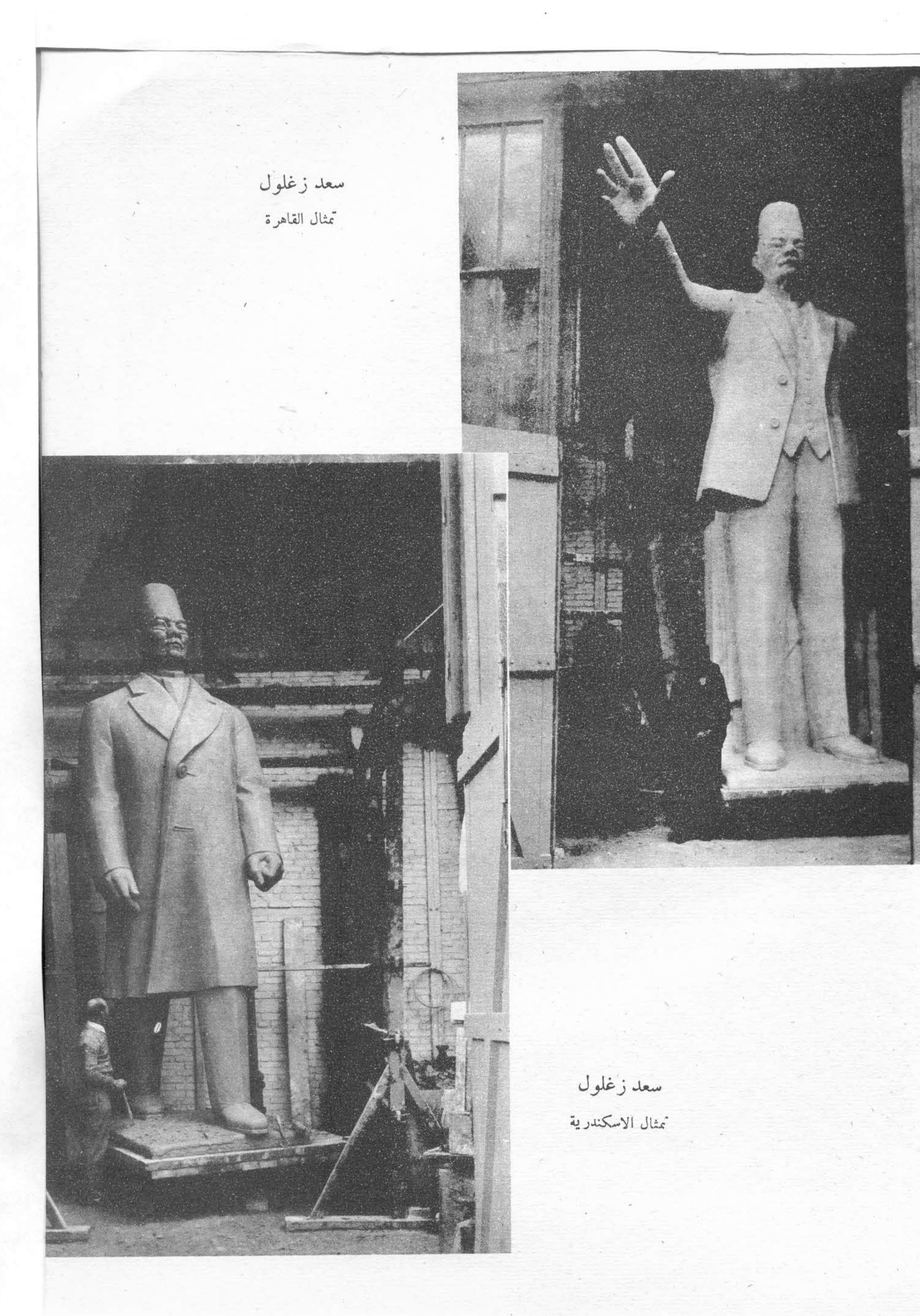
قد عاين العمل حضرات صاحب الدولة رئيس مجلس الوزراء وصاحب المعالى وزير الاشغال وصاحبا السعاده وكيل وزارة الخارجيه ووكيل وزارة الاشغال

٢٠ نوفمبر ١٩٢٢

نماذج من مكاتبات بخط مختار بشأن التمثال

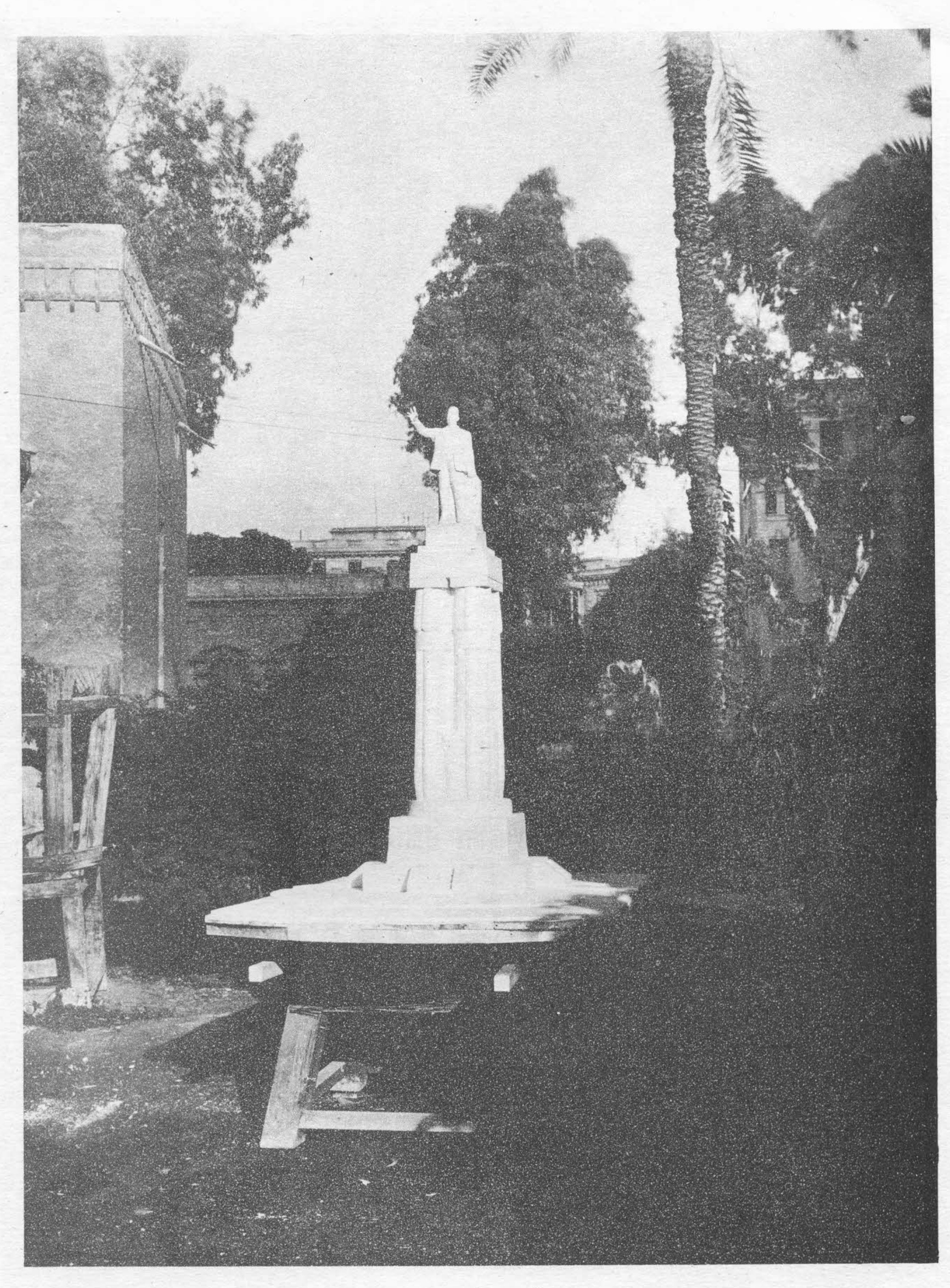


التمثال يوم إزاحة الستار



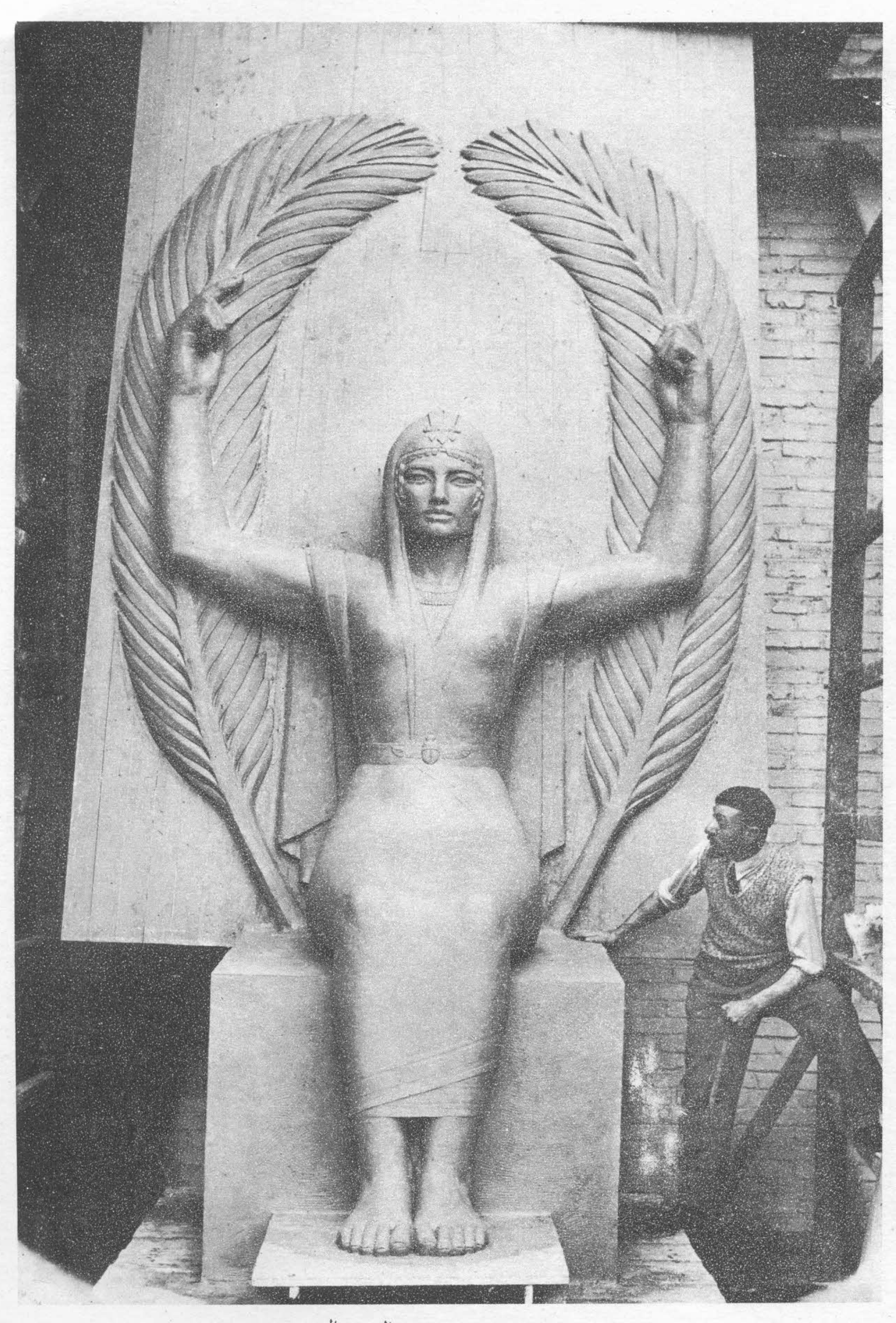
سعد زغلول
تمثال القاهرة

سعد زغلول
تمثال الاسكندرية



نموذج تمثال القاهرة

حديقة بيت مختار بشارع الأنتكخانة



مختار ينحت رمز الوجه البحرى

تمثال الإسكندرية



مختار ينحت رمز الوجه القبلى

تمثال الإسكندرية



تمثال الإسكندرية

زيارة أم المصريين لمنحت مختار



رأس تمثال سعد !!

اقتراح يتقدم به صاحب الدولة رئيس الوزراء الى المثال مختار

اسماعيل صدقي باشا

بلاش مقاوحه ياشيخ فى الفن ومغالطه
فين سعد ؟فين وشه ؟ فين المجد والسلطه ؟
الجسم ، جسمه صحيح ... قابلينه بالبلطه
لكن بقى الوش فى التمثال ، ودماغه
بالهايفه ، فيهم ميتين او تلتميت غلطه ! !

***

بلاش تغير ! مافيش للتعب داعى
آدى دماغ تانيه من صنعي !وابداعى
شوف فيها فنى وشوف فى الفن طول باعى
ركبها واخلص علي التمثال وانا اقطع —
ان حد قال بم للتمثال دهو — دراعى !

***

هاود وطاوعنى احسن لك وابقي لك !
مالك مبوز كده ؟ ماحضرتك ؟ مالك !
هاود وطاوعنى ، استنقح لتمثالك
احسن ميدان فى البلد — دا سعد كان روحى —
واجعل جبال الذهب ربحك وراسمالك !

نموذج مماكان ينشر فى الصحف
بمناسبة وقف العمل بالتمثال

« حبذا لو ألفت لجان لفحص كل شيء حتى كفايات بعض الموظفين للمناصب العالية الفنية التي يشغلونها » .

وكان يرمى بهذا بعض ذوى النفوذ ممن كانوا يشغلون وظائف خطيرة في الدولة ويقفون ضد تيارات التقدم والإصلاح .

ولم يكتف بهذا فإن صوته يجب أن يبلغ كل السلطات ، فيتقدم إلى البرلمان بمذكرة يكشف فيها عما وراء العقبات التي وضعت في سبيل التمثال ، وعن سر تعطيله عاماً ونصف عام ، وقرر البرلمان تشكيل لجنة تحقيق برلمانية ، ووقف ويصا واصف يدافع مرة أخرى تحت قبة المجلس عن هذا العمل القومي الذى أرادوا أن ينالوا من جلاله .

وكان المرحوم عدلى يكن على رأس وزارة الائتلاف فاهتم للأمر ، وكان سعد رئيساً لمجلس النواب وحسين رشدى رئيساً لمجلس الشيوخ وفي الوزارة والبرلمان أسماء بارزة في حركة النهضة ، وبدأت ساحة التمثال تستقبلهم يفدون لمشاهدة تمثال النهضة ومؤازرة مثالها .

ويكتب مختار لعدلى يكن منوهاً بالأثر السيئ الذى يحدثه تدخل الحكومة في الحركة الفنية :

« ولقد كنت ياصاحب الدولة أرى دائماً أن إشراف الإدارة الحكومية في الظروف الراهنة على شئون الفن ليس فقط عديم الفائدة ، وإنما هو ضار ، أليس مضحكاً ومؤثراً في الوقت نفسه وصاية وزارة الأشغال على الفنون الجميلة ! ! » .

وهكذا رد على هذه المكائد بأسلوبه الواضح معتمداً على سلطة الرأى الحر ممثلة في البرلمان والصحافة والمفكرين وبعض الرسميين الذين يشعر بتقديرهم له واهتمامهم بالفنون .

وانقشعت الغيوم التي أحاطت بجوه عندما وافق البرلمان على تخصيص ثمانية آلاف جنيه لإتمام العمل ، وتعاقدت وزارة الأشغال مع مختار في أغسطس ١٩٢٧ على إتمام التمثال خلال ثلاثة عشر شهراً .

واستطاع مختار أن يتم تمثاله في ستة أشهر وظل يرتقب إزاحة الستار عنه شهوراً إلى أن تغلب تيار الحماسة العام ، وتم ذلك في احتفال رسمى أقيم في ٢٠ من مايو ١٩٢٨ وألقى فيه رئيس مجلس الوزراء كلمة الحكومة كما ألقيت فيه قصيدة شوقي التي أعدها عن التمثال ، ألقاها الشاعر على الجارم .

وكان لالتقاء الحماسة الشعبية والاحتفال الرسمى هزة فرح ، كما كانت إزاحة الستار مثار أحاديث ثقافية تجددت عن التمثال كان من أروع نماذجها ما نشرته جريدة السياسة ومجلة السياسة الأسبوعية عقب الاحتفال .

وعلى الرغم مما كان يمنح للناس من رتب وأوسمة فإن مختار لم يمنح أى تقدير رسمى ، وكان هو قد تنازل عن حق التعويض مقابل الفكرة في خطاب لوزير الأشغال نصه ما يلى(*) :

حضرة صاحب المعالى — وزير الأشغال العمومية

إحالة على المحادثات التى دارت بينى وبين معاليكم في شأن العقد الذى تحرر بينى وبين الوزارة بتاريخ اليوم خاصاً بإنجاز (تمثال نهضة مصر) .

أتشرف بإخبار معاليكم أن إصرارى على الاحتفاظ بما لى من حق التعويض مقابل ابتكارى للتمثال وتأليفه كما نص على ذلك في المادة السابعة من العقد المذكور لم يكن مبناه إلا رغبتى في تعويضى عن الجهود التى استغرقت عدداً من السنين أعدها زهرة حياتى .

على أنه إزاء العطف الذى أظهرته نحوى الأمة والبرلمان والحكومة وما طوقتمونى به من المعروف بالمساعدة على إنجاز التمثال الذى أعده مفخرة حياتى .

أقرر لمعاليكم من الآن بأنى أترك أمر التعويض المذكور لمحض تقدير الحكومة بعد إنجاز التمثال وتسليمه دون أن يكون لى الحق في الالتجاء إلى أية سلطة أخرى قضائية أو غيرها في شأن ذلك عدا البرلمان .

ولكن على كل حال وإلى أن تبت الحكومة في أمر التعويض المذكور لايجوز لها أن تغير في التمثال أو تعدله أو تنقله من محله أو تبيع صوراً شمسية له إلا بإذن سابق منى ؛ فأرجو أن تعتبروا كتابى هذا بمثابة نص مكمل لأحكام العقد .

وتفضلوا يا صاحب المعالى بقبول عظيم احترامى » .

في ٢٢ يوليو ١٩٢٧

(*) « مسودة هذه الرسالة محفوظة بمتحف مختار بقاعة التذكارات » .

وعقب إزاحة الستار عن التمثال ترددت في البرلمان رغبة في مكافأته ، فأجاب رئيس مجلس الوزراء :

« إن المجد والفخار اللذين أحرزهما مختار بإقامة تمثاله في أكبر ميادين العاصمة يفوق كل مكافأة مادية » .

وحسب مختار أن تمثاله أصبح رمزاً قومياً وأنه مصدر وحى للشعراء والأدباء .

ولقد أنتج مختار بعد تمثال « نهضة مصر » أعمالاً تنبض برقة الشعر وتحمل سمات الاستقرار والرسوخ ، غير أن تمثال النهضة سيظل له دائماً روعة الرمز وجلال التاريخ .

التمثال والأدب

كان تمثال نهضة مصر كحدث هام في الحياة المصرية مصدر وحى للأدب ترجمت فكرته في صور أدبية ظهرت في شعر هذا العصر وكتاباته ، وما اقتصر إيحاء التمثال على عصر إنجازه وإنما ظلت صورته توحى للأدباء والشعراء ، وتولد صوراً وأفكاراً، كان مطران أسبق شعراء عصره في التعبير عن التمثال فأعد في سنة ١٩٢٠ فور ظهور فكرته قصيدته التى ألقاها في حفل تكريم مختار الذى أقيم بمدينة الإسكندرية في ٤ من سبتمبر ١٩٢٠ وحضره حسن عبد الرازق « باشا » محافظ الإسكندرية ، وشيخ العروبة أحمد زكى « باشا » وكان حينئذ سكرتيراً عاماً لمجلس الوزراء .

وكان من خطباء هذا الحفل « أمين بك واصف » الذى تحدث عن مزايا الفنون الجميلة ورحب بنهضة مصر ، وأحمد زكى « باشا » الذى تحدث عن الفنون الجميلة في أوائل عهد الإسلام وحدد تحريم صنع التماثيل والصور للقضاء على كل أثر للوثنية .

أما مطران فقد ألقى كما ذكرت جريدة الأهرام « قصيدة لامية من البحر الكامل مكسورة الروى رشيقة المعنى والمبنى من طراز قصائده الحسان » .

وقد عاد وألقى هذه القصيدة في تأبين مختار سنة ١٩٣٤ بجماعة الأيسايبيست .

ولا أعرف في شعر حافظ إبراهيم قصيدة أو إشارة لتمثال نهضة مصر برغم صداقته الحميمة لمختار ومجالاتهما المشتركة .

كذلك خلا شعر إسماعيل صبرى من الكتابة عن التمثال وإن كان اسمه قد جاء في مقدمة المكتتبين لإقامته ، وقد يكون مرجع ذلك أن صبرى مات في سنة ١٩٢٣ قبل إتمام إقامة التمثال .

أما شوقي فقد جاء شعره عن التمثال بمناسبة رفع الستار عنه في سنة ١٩٢٨ في قصيدته التى تضمنها الجزء الثانى من ديوانه .

كذلك أعد أحمد زكى أبو شادى قصيدة عن التمثال نشرت بعد رفع الستار .

كما سبقها بقصيدة عنوانها « ثالوث النهضة » بمناسبة زيارة الزعيم سعد زغلول لساحة التمثال قبل إنجازه . وكان أحمد زكى أبو شادى من أكثر الشعراء تحمساً لمختار وإدراكاً لثقافة الفنون التشكيلية ، ومن قصائده الرائعة أيضاً تلك القصيدة التى أعدها بمناسبة عرض مختار لتمثالى « كاتمة الأسرار » و« اللقية » أثناء عمله في تمثال نهضة مصر والتى تنم عن حسه الفنى وترابط روحه مع آثار مختار .

*

وكان هذا عصر الشعر والنظم ، كانت الأحداث الكبرى تهز الناس فيعبرون عنها نظماً ولو لم يكونوا من الشعراء .

وتمثال نهضة مصر من الأحداث القومية التى هزت الناس ودعاهم انفعالهم بفكرته إلى أن يصوغوا أحاسيسهم في كلمات منظومة .

نشرت الأهرام في ٢٢ أغسطس ١٩٢٠ بعد الإشارة إلى وصف حفل تكريم مختار الذى أقيم بنادى القاهرة وخطب فيه أحمد حشمت « باشا » والدكتور منصور فهمى ومحمد حسن ومحمود خيرت أن الشيخ مهدى علام الأستاذ بمدرسة المعلمين العليا ألقى قصيدة عصماء جاء بها :

يا بنى مصر هـلموا أسرعوا ... واقتنوا التمثال ذخراً غير فان
كل ما ترجوه مصر منـــكم ... أن تمدوا يدكم دون توان

*

وأن الشيخ محمد بيومى على المدرس بمدرسة بلقاس الأميرية ألقى قصيدة افتتحها بقوله :

مختـــار أعمار العـــباد قصـــار ... وبمثـــل فعلك تخـلد الأعمار
أسراة مصر ألم تجئكم دعوة ... ملأت صحائفها بها (الأخبار)
لا تنسئوا فرص الفخار وبادروا ... إن السمـــاح عطيـــة وبدار

*

ونشرت الأخبار في مايو ١٩٢٠ تحت عنوان « الأمة وتمثال مختار » أبياتاً من قصيدة ذكرت أنها جاءتها من أحد الفضلاء يقول فيها :

بلغوا العالم أنا أمة	خلعت ثوب الهوى واللعب
حدثوا التاريخ عن أبنائها	كيف راضوا اليوم صعب المركب
وانظروا (مصر) وقد صورها	نابغ الشرق لأهل المغرب
هل يرون اليوم إلا غادة	جمعت بين الحجا والأدب
كلل الطهر محياها وقد	وقفت وقفة مقدام أبى
وأبو الهول إلى جانبها	رافع الهامة شاكى المخلب
نهضت للمجد « مصر » في حمى	كل ليث من بنيها أغلب
أى سراة النيل هذا يومكم	توجوا بالفخر هام الحقب
صرخ النيل بكم فاستمعوا	وأجيبوا بالرضا صوت الأب
وارفعوا تمثال مصر بيننا	ترفعوها فوق هام الشهب

*

هذه النماذج إلى جانب قصائد كبار الشعراء تكشف عن الأثر الذى تركه التمثال فدفع الناس في موجة من الحماسة إلى التعبير عن مشاعرهم بالنظم ولو لم يكونوا شعراء .

على أن فكرة التمثال أوحت إلى الأدباء بصور نثرية ، من أروعها « مناجاة التمثال » لمصطفى صادق الرافعى و « تخليد الرجاء » لمىّ .

التمثال والرأى الفنى

على أن تمثال نهضة مصر أثار أيضاً جدلاً حول فكرته ، نقدها البعض ، وتعرض آخرون لتكوينه ، بينهم من تحمس للفكرة في مجموعها ورأى فيها إعجازاً في التعبير عن معنى النهضة ، ومنهم من تحمس لأبى الهول ومافي نهوضه من دلالة عميقة ، وأشادوا بقوة أدائه وصلابة تكوينه في حين آثر آخرون الفلاحة ، وكان من أبرز من نقد التمثال من الأدباء العقاد والمازنى ، وتطور نقد المازنى إلى سجال بينه وبين مختار يعتبر من وثائق العصر الهامة التى اشتد فيها الخلاف حول عمل فنى ، وقد نشرت السياسة الأسبوعية مقال المازنى ورد مختار ، وانطوت إجابة مختار على تصحيح لفكرة التمثال الشائعة في الأذهان التى ترددت في الصور الأدبية ، فالتفسير الشائع للفكرة هو أن الفلاحة التى تمثل مصر الحاضرة تستنهض أبا الهول بينما ذكر مختار أنها تستند إليه ، تستند إلى ماضيها الذى بدأ يستيقظ في أعماقها فتسرى فيها العزة والحضارة .

على أنه وإن كان نقد التمثال قد دار غالباً حول مدلوله فإنه لقى من الناحية الفنية تقديراً من نقاد عالميين ، من هؤلاء الناقد الفنى الكبير أندرى سالمون الذى قوّم كثيراً من آثار النحت العالمى المعاصر بموازين لا تعرف المجاملة والذى عاش ثورة الفن في مونمارتر ومونبارناس وشارك في ميلاد مذاهب الفن المعاصر ، ومن مؤلفاته الأخيرة حياة « موديليانى » ؛ فما كاد مختار يعرض تمثاله بباريس حتى استهواه تناسق المجموعة وبناؤها وبراعة نحتها فكتب يقول :

« لا أعرف نحاتاً معاصراً توافر لديه مثل مختار هذا الاهتمام بالبناء والإحساس بالكتلة ، إن فنه ليعتبر فن بعث لتقاليد عميقة وعريقة في عالم النحت » .

وعند ما كتب جورج جراب أمين متحف رودان مقدمة كتالوج معرض مختار الذى أقامه بباريس سنة ١٩٣٠ أشاد بتمثال نهضة مصر ، فقال في المقدمة موجهاً الخطاب إلى مختار :

« إن هذا التمثال يعد في نظرى من أقوى قطع النحت المعاصر وإن أبا الهول الذى

أقمته فخوراً ليذكرنى — وهذا ثناء — بأبى هول أمنمحعت الثالث بمتحف القاهرة ، وهو يشق لك طريقاً أوسع مما قطعته وأكثر جدارة بموهبتك الفذة » .

وكثير من النقاد الذين عرضوا لفن مختار بمناسبة معرضه الذى أقامه بباريس سنة ١٩٣٠ قد نوهوا بتمثال نهضة مصر وقيمته الفنية ، ومن هؤلاء الناقد الفنى الكبير لويس فوكسيل .

وما زال تمثال نهضة مصر يهز خيال الشعراء والكتاب والمصورين ، وفي رمزه قدرة الاستمرار والتجدد في التعبير عن المشاعر والمثل والأفكار .

مقالات

١	– نهضة مصر	للدكتور حافظ عفيفى
٢	– نهضة مصر (دعوة إلى الأمة الكريمة) ...	للأستاذ أمين الرافعى
٣	– محمود مختار والنهضة الفنية في مصر ...	للأستاذ ويصا واصف
٤	– نهضة مصر.. واجبنا نحو مختار	للأستاذ واصف بطرس غالى
٥	– نهضة مصر (دعوة إلى الأمة بمناسبة حضور النابغة مختار إلى مصر)	للدكتور حافظ عفيفى
٦	– الأمة ونهضة مصر	للأستاذ أمين الرافعى
٧	– تمثال نهضة مصر ما يجب أن يعلمه كل مصرى بمناسبة إنجازه . حديث مع مختار	
٨	– تمثال لنهضة مصر قد رفع الستار عنه(١)	
٩	– نجوى التمثال	للأستاذ مصطفى صادق الرافعى
١٠	– تخليد الرجاء	لمىّ
١١	– أبوالهول وتمثال مختار	للأستاذ إبراهيم عبدالقادر المازنى
١٢	– أبوالهول وتمثال مختار	رد المثال مختار على الأستاذ المازنى

(١) نشرت بدون توقيع ومعروف أنها للدكتور محمد حسين هيكل .

قصـائد

١ – قصيدة مطران

٢ – قصيدة شوقي

قصائد الشاعر أحمد زكى أبو شادى :

٣ – المثال مختار والنهضة الفنية

٤ – ثالوث النهضة

٥ – تمثال النهضة

٦ – قصيدة تمثال نهضة ، للشاعر محمد عبد الغنى حسن

وفيما يلى نصوص هذه المقالات والقصائد

(١) الأخبار ٢٩ من أبريل ١٩٢٠

حضرة الفاضل مدير جريدة الأخبار

كتبتم أخيراً عن التمثال البديع « نهضة مصر » الذى سيعرضه مواطننا النابغة مختار في صالون باريس بعد أيام قلائل والذى نتمنى له نجاحاً باهراً يكون المكافأة الطيبة للجهود العقلية والجسمية الشاقة التى صرفها هذا النابغة في السنة الماضية لتخليد نهضة مصر .

رأيت مع الكثيرين من أصدقائى مشروع هذا التمثال في صيف العام الماضى في باريس فأعجبنا بخيال المصور وامتلأت قلوبنا فرحاً لما رأينا أن مصر أنجبت مثل مختار .

من الوسائل التى اتبعتها دولة اليونان لنشر دعوتها السياسية في فرنسا في العام الماضى لإثبات أنها دولة حية وجديرة بعطف رجال السياسة أنها عمدت إلى إقامة معرض صور زيتية عرض فيه مصوروها صوراً لم يكن أغلبها غاية في الإتقان، وقد افتتح المعرض المسيو فنزيلوس ودعى إلى حضور حفلة الافتتاح كبار الساسة في دول الحلفاء .

وإنى لا أشك في أن الخدمة التى أداها مختار لبلاده بمجرد نجاحه في عرض هذا التمثال في معرض باريس لا تقل عن الخدمة التى حصلت عليها اليونان من معرضها، فقد أقام دليلاً حياً على أن الفنون الجميلة التى يعتبرونها ميزان الرقي المعنوى لم تمت في مصر كما كانوا يزعمون .

فهو لذلك يستحق ثناء وشكر الشعب المصرى أجمع .

ولكن ألا يجب علينا بعد ذلك أن نعمل ما تعمله الشعوب الحية فنفتح اكتتاباً أهلياً لنشترى تمثال مختار ليوضع في أحد ميادين العاصمة ، فنكون بذلك احتفظنا بأثر خالد يشهد بنبوغ أبنائنا من جهة ، ونقدم بذلك مكافأة مالية لهذا النابغة تنشيطاً له وتشجيعاً لأمثاله .

لذلك أقترح أن تقوم جريدتكم بهذه الخدمة الوطنية فتعضد هذا المشروع وتفتح اكتتاباً عاماً لهذه الغاية .

واقبلوا وافر احترامانى

دكتور حافظ عفيفى

(٢) الأخبار ٣٠ من أبريل ١٩٢٠

للوطنية المصرية ميزات خاصة بها فهي تنبعث من القلوب بغير حاجة إلى من يحركها وتنمو نموها الطبيعي حتى ولو لم تجد مشجعاً من قول أوعمل ، فالمصرى يقوم بواجبه الوطني ، لاعتقاده أنه مطالب بتأديته ، وأنه مدين لمصر أن يحيا ويعمل من أجلها ، وكثيراً ما يؤدى هذا الواجب دون أن يكون عليه رقيب غير ضميره .

تلك هى الوطنية الصحيحة الجديرة بالإعجاب والتمجيد .

تلك هى الوطنية العامة التى عرف بها « محمود مختار » فدفعته إلى أن يعمل ليلاً ونهاراً لوضع تمثال « نهضة مصر » مضحياً بوقته ومكسبه وصحته لا لشىء سوى أن يخدم وطنه العزيز خدمتين عظيمتين :

الأولى : إقناع العالم بأن مصر لا تزال تعنى « بالفنون الجميلة » فإنها ساعية في استعادة مجدها القديم من هذه الوجهة .

الثانية : الإعلان عن القضية المصرية بطريقة تلفت الأنظار أكثر من غيرها .

فعل مختار ذلك دون أن يطالبه أحد به ، وإنما شعوره الشريف وحبه لوطنه أمليا عليه أن يستخدم مواهبه في نفع هذا الوطن ، وقد خطا الخطوة الأولى في النجاح بقوته في قبول التمثال بمعرض الفنون بباريس ، وقد شرح هذه النقطة شرحاً وافياً حضرة مجد الدين أفندى ناصف في الكلمات القيمة التى بعث بها للأخبار في الأسبوع الماضى .

لقد قام مختار بواجبه دون أن ينبهه أحد إليه فأصبح فرضاً مقدساً على الأمة أن تقدر هذه الوطنية حق قدرها وتقوم بواجبها نحوه ونحو نفسها ، وقد دعاها إلى هذا الواجب صديقنا الدكتور حافظ عفيفى بكلمته المنشورة أمس والتى طلب فيها من الأخبار أن تقوم بفتح اكتتاب أهلى لمشترى تمثال مختار حتى يوضع بعد ذلك في أحد ميادين العاصمة .

« والأخبار » تتشرف بالقيام بهذه الخدمة الوطنية وتناشد الأمة المصرية الكريمة أن تكون سخية اليد على هذا المشروع الجليل كعادتها في المشروعات النافعة ، حتى تعوض على نابغتنا ما أضاعه من وقت ومال من جهة ، وتثبت للعالم من جهة أخرى أننا نقدر جهود أبنائنا ونحتفظ بأعمالهم ونضن بها على غيرنا .

إن الأمم الأخرى لاتتردد في تشجيع أبنائها ، حتى إذا لم ينجحوا في مهمتهم وذلك لأن سياسة التشجيع تخلق النابغين وتولد العاملين . ونذكر على سبيل المثال مافعلته الأمة الإنجليزية مع الطيار هوكر الذى حاول اجتياز الأتلانتيك في أواخر شهر مايو من العام الماضى فلم يوفق وسقط وطيارته في الماء ثم نجا بعد ذلك والتقطته سفينة وجاءت به إلى المياه الإنجليزية ، فاحتفل به احتفالاً لم يشهده القواد الظافرون وأقيمت له المظاهرات العظيمة ، وأرسل ملك إنجلترا تلغراف تهنئة إليه وإلى زوجته وبحثوا عن طيارته المحطمة فوجدوها واحتفلوا بها ، وكانت جريدة الديلى ميل خصصت جائزة مقدارها عشرة آلاف جنيه لمن ينجح في اجتياز الأتلانتيك طائراً ، فقررت أن تعطيه نصف هذه الجائزة أى خمسة آلاف جنيه لمجرد إقدامه على هذا العمل وبالرغم من فشله فيه .

هذا بعض ما قامت به الأمة الإنجليزية لأحد أبنائها الذى عثر به المجد ولم يؤد مهمته . فعلت معه ذلك لتنشطه وتشجع غيره ولتقول لجميع أبنائها إنها لا تضن بالتمجيد والتكريم على كل مقدام منهم سواء أنجح أم باء بالفشل ، فالإقدام وحده يستحق المكافأة .

وقد نجحت هذه السياسة في إنجلترا وأخذ الطيارون يتناوبون في اجتياز الأتلانتيك وأصاب النجاح كثيراً منهم .

ولا شك أن الخدمة التى قام بها مختار لمصر أكبر بكثير من خدمة هوكر لإنجلترا . فهذا أول عهدنا في النهضة الحديثة بعرض جهد مصرى في أكبر معرض فنى في العالم على أنه ليست هذه أول مرة نمجد فيها إقدام أبنائنا ، فبالأمس استشهد اثنا عشر شاباً من شبابنا الناهضين في سبيل العلم فاشتركت الأمة بأسرها في تمجيدهم وتولى الوفد نقل جثثهم إلى مصر وأقيمت لهم الاحتفالات التاريخية بتشييع جنازتهم في الإسكندرية ومصر والأقاليم ، فكانت أدلة ناطقة بأن الأمة المصرية تنافس غيرها في تكريم رجال الإقدام من أبنائها لمجرد إقدامهم هذا .

فأمة هذا استعدادها وهذا مبلغ تقديرها لأبنائها لا تضن بشىء على مختار وتمثاله الذى يمثل نهضتها .

ولذلك فإننا موقنون بنجاح هذا الاكتتاب في أقرب وقت بإذن الله ولا شك أن في مثل هذا النجاح خدمة جديدة لقضيتنا .

فإلى الأمة الكريمة نوجه دعوتنا ولنا كبير الأمل في أن تصادف موضع القبول من القلوب :

أمين الرافعى

(٣) الأخبار ٢ من مايو ١٩٢٠

محمود مختار والنهضة الفنية فى مصر

لما ذهب الوفد لباريس دعاه أعضاء الجمعية المصرية إلى حفلة شاى فقدموا لنا من ضمن الطلبة المصريين محمود أفندى مختار وقالوا لنا : إنه رئيس حفارى معهد « جريفين » فاندهشت لأنى لم أسمع اسم مختار قبل هذا اليوم مع أنه خليفة هذا الحفار (جريفين) الطائر الصيت في العالم .

فجريفين هذا هو أول من فكر في تأسيس معهد تعرض فيه تماثيل كبار الرجال مصنوعة من الشمع وموضوعة بملابسها في غرف تضيئها المصابيح حتى إذا كان التمثال متقن الصنع يتهيأ لناظره أنه رجل حى . وقد قلد الحفارون جريفين في كثير من البلاد فأسسوا متاحف كمتحفه ، فقلت في نفسى : كيف أن مختار المصرى يخلف جريفين وكلنا يجهل اسم مختار ؟ فقصدت إلى متحف جريفين لأرى ماصنعته يد مختار وأقارنه بباقي التماثيل المعروضة بالمتحف فذهبت دون أن أخطره فوقع نظرى على تمثال ويلسن وهو تمثال بديع الصنع فسألت الحارس : من صنع هذا التمثال؟ فأجابنى : مختار ، فسألته هل تعرف جنسية مختار؟ فتبسم لأنه فهم غرضى من السؤال وقال : إنه مصرى ثم وقع نظرى على منظر من أجمل مارأيت وهذا المنظر يمثل « كليمنسو » واقفاً يتوكأ على عصاه المشهورة باسمه وأمامه « فوش وبيتان » والثلاثة يتحادثون فلما أعجبنى هذا المنظر تمنيت أن يكون مختار هو الصانع له ، فسألت الحارس فقال : هذا أيضاً من صنع مختار ، ثم رأيت أشياء أخرى أبدع من هذه مثل منظر الهجوم بالدبابات وكلها من صنع مواطننا مختار ، فقصدته في معمله بالمتحف وأظهرت له إعجابى وأكدت له ولم أكن مبالغاً في قولى : إن أحسن ما رأيته في المتحف من صنع يديه .

فأجابنى وعلامات القنوط تلوح على وجهه : ولكن ما الفائدة ومواطنونا لايهتمون بالفنون الجميلة ونحن معشر الحفارين لا نستطيع أن نعيش ونعمل إلا في وسط يعشق الفنون والجمال ، فشجعته وقلت له : إنى على يقين أن الأمة التى تنهض وتريد نصيبها في

الحياة إنما تنهض في كل مظاهر تلك الحياة سياسية واقتصادية وعلمية وفنية ، فأجابني : إذا كان أمر الفنون الجميلة يهمك فإني فكرت في حفر تمثال أسميه نهضة مصر أو مصر الناهضة ، وقد انتهيت من الابتكار فصنعت تمثالى من الجبس فأدعوك لرؤيته بمعملى الخاص ، فذهبت معه لرؤية تمثاله فلما وقع بصرى عليه خفق قلبي فرحاً بهذا المنظر البديع وقلت في نفسى : هذا الحفار المصرى الفلاح الذى ترك بلدته بمركز المحلة الكبرى ودخل مدرسة الفنون الجميلة بمصر مدفوعاً بغريزته الطبيعية إنما قلبه وشعوره قلب وشعور مصر، فهو كجميع عظماء الحفارين يشارك الجمهور في شعوره دائماً ويعبر عن هذا الشعور بقوة ما تبتكره عبقريته ، فكل من يرى صنعه يزيد تمسكاً بهذا الشعور ، وهذا حال الشاعر والموسيقى والمصور .

امرأة مصرية فلاحة واقفة رافعة الرأس وعلامات الأنفة والأمل بادية على وجهها وتحت قدميها تمثال أبى الهول ، هذه الفلاحة واقفة يدها اليمنى على رأسه تدعوه للنهوض من رقاده وهو قد سمع هذا النداء فرفع رأسه نحوها وأخرج صدره من الرمل وأذناه تصغى لنداء من تستنهضه . هذا هو تمثال مختار ولست في حاجة لتحليل هذا الابتكار الفنى الجميل .

كل أمة راقية تفخر بعلمائها وأساتذتها وشعرائها ، والأمم التى تقطن حول البحر الأبيض المتوسط بسبب هواها وجوها تعشق الفنون الجميلة والجمال ، وأول من ابتدع هذا الفن الجميل أمتنا المصرية .

سل تلميذاً فرنسياً من تلامذة المدارس الابتدائية عن اسم رود مثلاً وهو الحفار الفرنسى الشهير يقل لك : إنه هو الذى حفر تمثال نابليون يكلله النصر ، وهو التمثال البديع المحتوى على إحدى قواعد باب النصر بباريس ، ومتى ذكر اسم أنتوين مرسيه يقول لك مفتخراً بعمل أمته : إن الأمة الفرنسية عند موته شيعت جنازته كأنه ملك من ملوكها .

هل رأيت علامات الفخر على وجه أى طليانى متى ذكر أمامه اسم روفائيل وميكيل أنج .

سماء مصر وجوها ينتجان الفنيين العبقريين ، فواجب الأمة الناهضة مثل أمتنا أن تبحث عنهم وتشجعهم لأنهم يشعرون شعورها ولكنهم يمتازون عن باقي الأمة بشدة هذا الشعور العميق في نفوسهم يتصورونه ويجسمونه في الخارج فيزيد دائماً إحياء هذا الشعور . ليس ذلك فقط بل أهم منه أن عملاً مثل عمل مختار فيه نشر للدعوة المصرية أكثر مما يمكن أن ينشر بطريق الخطابة في الأندية وفي الكتابة إلى الجرائد .

متى رأى الجمهور في أوروبا أعمالاً مثل أعمال مختار حكم بنهوضنا .

الأعمال التى يقوم بها الحفارون مثل مختار طبعاً لا تفيد شيئاً بعد نهوها ولذلك ففى ميزانيات الحكومة والبلديات مبالغ مخصصة لشراء مثل هذه التماثيل فهى تشتريها منهم لمصلحة الجمهور وما نطلبه الآن من الأمة أن تقوم مقام الحكومة والبلديات .

وبهذه المناسبة أستميح القارئ في سرد واقعة حصلت بباريس إبان الحرب على ما أتذكر أو بعدها بمدة قصيرة : كان الكيماوى الشهير رونو يدرس بمدرسة الفنون الجميلة فأخذ الجائزة التى جعلت له الحق في إتمام دراسته بالمدرسة المسماة بمدرسة رومه ، وهو مجمع يعيش فيه كبار رجال الفن الفرنسيين الذين امتازوا بعبقريتهم في الفنون الجميلة يذهبون إلى بلاد إيطاليا لإتمام درس فنونهم .

فرينو هذا رسم صورة مشهورة الآن واسمها « سلومة » وأراد بيعها فلم يجد لها مشترياً فباعها في أسبانيا بألف فرنك ثم تطوع في الجيش الفرنسى سنة ١٨٧٠ وقتل في الحرب .

بيعت الصورة مراراً وأخيراً وقعت في يد رجل شغوف بالأشياء الجميلة فأراد بيع المجموعات التى جمعها ومن ضمنها صورة « سلومة » وفي مثل هذه الأحوال يتهافت الناس من جميع بلاد العالم لشراء هذه الأشياء الجميلة بأثمان لا تخطر لإنسان على بال فقد يرتفع ثمن الصورة إلى مليون فرنك أى أربعين ألف جنيه فخاف الفرنسيون أن أجنبياً يشتريها فقام الرأى العام قومة واحدة وطلب من متحف اللوفر شراءها فأجاب المتحف إن ثمن الصورة على الأقل اثنا عشر ألف جنيه ، وميزانيته لاتسمح له بدفع هذا المبلغ ، فلما علم الجمهور بذلك حصل اكتتاب عام ففى أربع وعشرين ساعة جمع المال اللازم لشراء الصورة ، وبهذه الطريقة لم تخرج الصورة من حدود فرنسا وكان من ضمن المتبرعين رجل دفع خمسين ألف فرنك .

نحن لا نطلب تضحية كبرى من أحد وإنما نطلب من الجمهور أن يفهم فائدة مثل هذه الأعمال فيساعدها بقدر ما يمليه عليه كرمه وما تمليه عليه وطنيته فنشترى هذا التمثال البديع صنع أحد مواطنينا العبقريين وتتصرف فيه الأمة حسب مصلحتها الأدبية .

وإنى واثق تمام الثقة من إجابة الجمهور لهذا النداء ، وإلا قيل عنا إننا رجال أقوال ولسنا رجال أعمال .

ويصا واصف

(٤) الأخبار ٣ من مايو ١٩٢٠

واجبنا نحو مختار

تقاس النبالة في كل شعب بما له من نصيب في تكوين ما لدى الإنسانية طراً من كنوز مدخرة ، ولا يكون الشعب أهلاً للشكر ومحلاً للاحترام وموضعاً للمحبة من الشعوب الأخرى إلا بعلم علمائه ورقي فنييه ، لا بفضل رجال السياسة فيه أو الذين ينقطعون من أبنائه لصنع الأسلحة الفتاكة والذخائر المهلكة .

يدين الجنس البشرى بدين لا وفاء له هو لما يستوجبه من الاعتراف بالجميل لكل من بفنه يخفف المتاعب أو يزيد الحياة بهاء وجمالاً أو ينتقم لنا من المصاعب والمشاق أو يعمل على إعلاء الشعور والسمو به ؛ وكل من يزيد في نمو الثروة البشرية العامة بفكر يذيعه أو باكتشاف يشيعه أو بدواء يعلنه أو بحلم يشكله أو بتصوير يقومه ، يجب على بلاده الاحتفاء به وإعلاء مكانته كما أعلى هو شأنها بين البلاد الأخرى .

فإذا وفقت مصر لأن تخرج كثيراً من العلماء أمثال عثمان غالب وكثيراً من المفكرين أمثال قاسم أمين وكثيراً من الشعراء أمثال أحمد شوقي وكثيراً من الفنيين أمثال محمود مختار الذى أثبت على الرغم من حداثة سنه أن بلادنا لاتزال الفنون الجميلة حية فيها لم تتغير ؛ فلا شك أن بعض ما كان لآبائنا من مجد قديم سيسطع مرة ثانية على وجوه أبنائهم .

هذا الذى يحدو بي لأن أهلل وأطرب لاقتراح صديقي حافظ عفيفي الذى أوافق عليه كل الموافقة ولأن أدعو المصريين عموماً للقيام بتنفيذه بطريقة تليق بمصر كما تليق بهذا العمل الذى يعد رمزاً لنهضتنا القومية ولحياتها الجديدة .

واصف بطرس غالى

(٥) الأخبار ٢٦ من يولية سنة ١٩٢٠

دعوة إلى الأمة بمناسبة حضور النابغة مختار إلى مصر

صديقى أمين «بك» :

ورد لى تلغراف من باريس من « صديقنا مختار » يفيد أنه أبحر من مرسيليا يوم ٢٢ يولية قاصداً مصر ليعرض على لجنة تمثال « نهضة مصر » آراءه الخاصة بصنع التمثال وقاعدته وكل مايتعلق به ، وإنى أعتقد أن المعجبين بمختار من أبناء هذه الأمة وهم كثيرون يفكرون الآن في طريقة لتحية مختار عند قدومه تكريماً لنبوغه وتشجيعاً للنابغين أمثاله ، وإنى أرى أن أحسن تحية يسر لها مختار هى الإسراع في الاكتتاب لتمثاله لتغطية المبلغ المطلوب الآن في وقت قريب :

هذه هى أحسن تحية وهى في الوقت نفسه مظاهرة حرة صامتة تتناسب مع ظروف الأحوال ، وهى أكبر أثراً وأعظم فائدة من تلك المظاهرات التى ينتهى أثرها بانتهاء أصوات الصياح فيها ، وإنى أطلب منك ياصديقى أمين لهذه المناسبة أن تؤيدنى بقلمك البليغ لإقناع مواطنينا الذين لم يكتتبوا للآن بضرورة الإسراع في الاكتتاب .

أرجو من هؤلاء الذين حبسوا أموالهم للآن عن تمثال نهضة مصر أن يفهموا جيداً أن مجرد تباطؤ الأمة في الاكتتاب يسىء إلى سمعتنا أعظم إساءة في الداخل وفي الخارج ويصغرنا أمام أنفسنا وأمام الأجانب الذين أعجبوا بتمثال مختار أيما إعجاب وما أقوال أمهات الجرائد الأوروبية التى نشرتها الأخبار ببعيدة عن الذاكرة ، فكيف بنا إذا لم ننجح في جمع الأموال الكافية ؟ أقل ما يقال عنا بعد ذلك : إن مختار رجل خيالى مثل بتمثاله خيالاً لا حقيقة وإن أبا الهول لايزال غائصاً في الرمال ولم يتحرك بعد ، سيقال ذلك ويكون المسئول هم أولئك الذين رفضوا أن يكتتبوا للتمثال أو اكتتبوا له بالقروش والمليمات وهم من أصحاب المرتبات الضخمة والثروات الطائلة .

وإنى أدعو بنوع خاص حضرات الموظفين في الوزارات في مصر والإسكندرية والأقاليم أن يؤلفوا اللجان لجمع التبرعات لهذا الغرض ، فإنه لوحظ في كل مكان تقصيرهم في هذا الموضوع وفي استطاعتهم والحمد لله أن يتبرعوا بأموال كثيرة ومرتباتهم تسمح لهم بذلك والعمل الذى ندعو إليه ليس من الأعمال السياسية المحظورة عليهم . ندعوهم أن يقدموا جهداً في هذا السبيل فإنهم للآن لم يتحركوا الحركة المرجوة منهم ، وفيهم رجال يعدون من نخبة الأمة فضلاً وعلماً وتقديراً للأعمال النافعة والسلام .

حافظ عفيفى

(٦) الأخبار ٢٨ من يولية ١٩٢٠

الأمة ونهضة مصر

عاد إلى الوطن نابغتنا مختار . عاد إليه بعد أن أدى واجبه نحوه ورفع شأنه بين الأمم وأحيا عهده المجيد في الفنون الجميلة . عاد إليه وهو فرح بما وفق إليه من تضحية فخور بما أوتى من نجاح في هذا السبيل العظيم وأى فخار أكبر من فخار الاشتراك في خدمة الوطن :

لقد أدى مختار واجبه، وبقى على الأمة أن تؤدى واجبها ، بقى على أغنيائها أن يبادروا بالاكتتاب بما لا يزال ناقصاً من المبلغ الذى قدر للتمثال .

لقد كان فيما كتبه صديقنا الدكتور حافظ بك ما يكفى لإيقاظ الهمم فأنا أخشى — كما قال حقاً — أن يقال عنا : إن مختار رجل خيالى مثل بتمثاله خيالاً لاحقيقة ، وإن أبا الهول لايزال غائصاً في الرمال ولم يتحرك .

لقد شاهدنا من عواطف فقرائنا ما لو كان عشر معشاره عند أغنيائنا لغطى الاكتتاب مرات عديدة ، وآخر شيء من هذا القبيل أنى تسلمت في صباح اليوم من الإسكندرية كتاباً من طفلة صغيرة فقيرة لا تتجاوز يومية والدها سبعة قروش يفيض غيرة ووطنية شرحت فيه حزن والدها الذى لم يتمالك من البكاء عند تلاوة كلمة الدكتور لأنه لايستطيع أن يقوم بواجبه الوطنى ، ومع ذلك فقد آلى على نفسه أن يسعى لتوفير مايمكنه توفيره حتى لايحرم الاشتراك مع مواطنيه في الاكتتاب ، وقد أرسلت الطفلة مع الخطاب عشرين قرشاً اقترضتها من والدة صديقة لها على أن تردها عندما يحصل عليها والدها وقد ختمت خطابها بقولها : « حضوا الأطفال على الاكتتاب ولو بالقروش فإنها تكون ملايين » .

فهذه النفوس العالية يجب أن تكون خير مثال لأغنيائنا الذين نسأل لهم من الله التوفيق والهداية .

أمين الرافعى

(٧) حديث مع مختار (البلاغ ١٨من يناير ١٩٢٧)

تمثال نهضة مصر

ما يجب أن يعلمه كل مصرى بمناسبة إنجازه

أوشك الأستاذ محمود مختار أن ينجزعمله . وعما قريب سيتم كل شيء ، وتفكر الحكومة في إعداد العدة لرفع تمثال نهضة مصر على قاعدته والاحتفال به . وقد رأينا بهذه المناسبة أن نوفد أحد محررى « البلاغ » إلى الأستاذ محمود مختار ليأخذ منه جميع المعلومات التى يحسن أن يعرفها القراء كى يكونوا على علم بتاريخ التمثال وبالظروف التى التى أحاطت بصنعه وكيفية العمل فيه وغير ذلك من الأمور .

وإلى القراء ما حمله إلينا مندوبنا بعد زيارته للأستاذ محمود مختار في المكان الذى يشتغل فيه بميدان باب الحديد .

*

قصدت إلى الأستاذ مختار في ذلك المكان الفسيح الذى وضعته الحكومة تحت تصرفه والذى أحيط بالحواجز الخشبيةوأعد للعمل ، فوجدته منهمكاً بين العمال يروح ويجيء ، يشرف على عمل هذا ويبدى ملحوظاته على عمل ذاك وكانت قطع الأحجار مبعثرة هنا وهناك . أما التمثال نفسه فقد ركبت أجزاؤه ولم يبق على الأستاذ مختار إلا أن يعيد النظر فيها ويقوم ببعض الأعمال التتميمية الفنية .

وبلغ طول التمثال الآن — أى قبل أن يوضع على قاعدته — سبعة أمتار ، وعرضه أقل من ثمانية أمتار . أما متى رفع على قاعدته فسيبلغ طوله ١٤متراً . وفيه مائة متر مكعب من حجر الجرانيت .

قلت للأستاذ مختار : عد بنا إلى الوراء يا أستاذ واسرد على بالاختصار تاريخ التمثال .

فقال :

كان ذلك فى سنة ١٩٢٠ . وكنت حينذاك بباريس حيث اشتركت في المعرض العام . وليس الاشتراك فيه أمراً سهلاً لأن اللجنة صارمة جداً في أحكامها ،

ويكفى أن أقول لك : إن الذين يتقدمون إليه لا يقل عددهم عن خمسة آلاف أو ستة آلاف ، واللجنة تختار منهم ستين أو سبعين حفاراً تمنحهم الجوائز . ومجرد الاشتراك في ذلك العرض يعد فخراً كبيراً للفنانين مثلنا . وقد لفت التمثال لما عرضته هناك أنظار اللجنة ، وكان لى شرف أن أنتخب من بين الفائزين ، ولايسعنى إلا أن أشكر الأمة المصرية التى قابلت هذا الخبر بالابتهاج ، ومنذ ذلك الحين تكونت فكرة إقامة التمثال في مصر ، تخليداً للنهضة القومية المباركة ، وتشجيعاً للفنانين المصريين . وقد تناول رجال حكومتنا هذه الفكرة وعملوا في تحقيقها ، وها أنت الآن ترى العمل سائراً بهمة ونشاط نحو النهاية المرغوبة .

— ومتى ينتهى العمل ؟

— هذا مالا يسعنى أن أؤكده لك . فإن عملنا يتوقف على ظروف عديدة . ولكن لن يمضى وقت طويل حتى يكون تمثال النهضة منصوباً على قاعدته ، أمام محطة القاهرة ، وقد تم العمل أو كاد فى إقامة القاعدة .

— وإلى من يعود الفضل في تحقيق هذه الأمنية ؟

— لا أستطيع أن أجيبك على هذا السؤال وأن أحدد فضل هذا أو ذاك من أبناء وطنى ، فإن الأمة كلها اشتركت مع الحكومة في تحقيق هذه الأمنية . ولم يبق هناك فنان يدعى مختار أراد الناس أن يساعدوه ، بل تحولت المسألة إلى فكرة وطنية ، وإلى مساعدة الفن المصرى . فتمثال نهضة مصر ليس ملكاً لأحد ولم يقم بصنعه فرد واحد ، بل هو ملك لمصر ومصر كلها صنعته وسترفعه على قاعدته .

— ولماذا وقع اختياركم على حجر الجرانيت الذى يصعب نحته والذى يقال إنه من أصلب ما يوجد من الحجارة ؟

— وقع اختيارنا عليه لأن قدماء المصريين كانوا يصنعون تماثيلهم منه ، فأردنا أن نربط الماضى بالحاضر ، وكأننا الآن نعود إلى ألفى سنة إلى الوراء ، ونقطع الجرانيت من المكان الذى كان أجدادنا يقطعونه منه لصنع تماثيلهم . وسيكون تمثال نهضة مصر أكبر تمثال في حجمه من التماثيل المصنوعة حديثاً من هذا الحجر في العالم كله .

وهنا أفاض الأستاذ مختار في وصف الصعاب التى اعترضت الأعمال في بدئها ، عندما أخذ العمال يقطعون الحجارة وينقلونها من مكانها إلى القاهرة ، وقد جىء بهذه الحجارة قطعاً كبيرة من أسوان وكانت الوسائل غير متوفرة في ذلك الوقت ثم بدأ العمل وتضاعفت الصعاب لأن هذا النوع من الجرانيت من أصلب الحجارة كما قلت .

وهنا نهض الأستاذ مختار وتناول « الأزميل » أو « الأجنة » التى اشتغل بها واقترب

من التمثال وضرب ضربتين متواليتين فتطاير الشرر من الحجر وانكسرت « الأجنة » ثم التفت إلى وقال :

– هذا ما يجرى لنا منذ ابتداء العمل ، يوجد عندنا هنا حداد لا عمل له إلا صنع « الأجنات » هذه التى تنكسر بعد ضربتين أو ثلاث . ويمكنك من ذلك أن تعلم مبلغ الصلابة في هذا الحجر الذى لا يقوى الحديد على النيل منه .

ثم انتقلنا بعد ذلك إلى المكان الذى يشتغل فيه العمال من مصريين وأجانب تحت إشراف الأستاذ مختار فرأيت العمل قائماً على قدم وساق ، والنظام سائداً ، والهمة مبذولة للوصول إلى انجاز العمل بأسرع ما يمكن .

ولما عدنا أمام التمثال وجلسنا نشاهد جمال الفن القديم مقروناً بدقة الفن الحديث ، قلت للأستاذ مختار :

– لنتكلم عن التمثال من الوجهة الفنية فقط . فهل أدخلت على النموذج الذى عرضته بباريس تعديلاً ما ؟

– كلا ؛ فإن هذا التمثال الكبير ليس إلا صورة طبق الأصل للتمثال الصغير الذى عرضته بباريس ونلت الجائزة عليه . على أن هناك بعض تعديلات فنية طفيفة أدخلتها عليه وهى لا تغير شيئاً في أصله . والفنان منا يجد دائماً تعديلات صغيرة كهذه يدخلها على عمله ما دام العمل قائماً وما دام التمثال لم ينصب بعد على قاعدته .

– ولكنى أرى الحجر الذى صنع منه التمثال غير أملس فما هو شكله النهائى بعد أن يتم العمل ؟

وهنا نهض الأستاذ مختار ثانية وتناول قطعة من الجرانيت الأملس ودفعها إلى قائلاً :

– بعد أن يتم العمل سيصبح التمثال بهذا الشكل ، أى أنه يحاكى تماماً التماثيل القديمة المصرية المائلة إلى الاحمرار ، وسيكون عملنا شاقاً بلا شك وسيتطلب منا جهوداً عظيمة . ثم أن الإقدام على صنع التمثال كما تراه الآن يعد في ذاته جرأة عظيمة من الأمة المصرية نفسها ومنى أنا . ولكنى شرعت أنسى الصعوبات التى اعترضت لى أمام التمثال الذى أراه الآن قائماً وقد أوشك أن ينتهى . وسأكون سعيداً بأن أضيف إلى ثروة مصر الفنية التاريخية تمثالاً جديداً يعد برهاناً على أن بيننا الآن فنانين يستطيعون مجاراة الغربيين في هذا الميدان إذا وجدوا مشجعاً على ذلك ومساعدة من جانب الحكومة والشعب . فإن ثروة البلاد الفنية لا تقدر بثمن وهى ثروة تفاخر مصر بها أمام الأمم الأخرى . إن الأوروبيين يعلقون على ثروتهم الفنية أهمية عظمى ، ولم ننس بعد أن الولايات المتحدة عرضت أخيراً على إيطاليا أن تتنازل لها عن دينها

البالغ عدة مليارات مقابل الحصول على تماثيل من صنع « ميكل أنجلو » العظيم . ولكن إيطاليا رفضت معتبرة أن ثروتها الفنية التى خلفها لها « ميكل أنجلو » لا تقدر بالمليارات ولا تقع تحت حصر الأرقام . وعندنا في مصر أماكن عديدة لم نحرص عليها جد الحرص كقصر أنس الوجود الذى يغمره النيل دون أن نسعى إلى إنقاذه ، مع أنه يوجد فيه مايحق لنا أن نفاخر به ، وقد جاء الوقت الآن لكى تهتم مصر بإحياء الفن فيها واستعادة مكانتها بين الأمم الأخرى في هذا الميدان . ويسرنا أن نرى الآن بوادر النهضة الفنية بجانب النهضة القومية ، فالحكومة تشجع الفنون على مختلف أنواعها ، والأمة نفسها لاتدع فرصة تمر إلا وتظهر إعجابها بالفنانين الذين يمتازون في ميدان العمل . إن هذا الفن المصرى قد مات منذ ألفى سنة ، ولكنه الآن أخذ يبعث من قبره ، ولدينا الوسائل اللازمة والاستعداد الكافي لإحيائه ورفع شأنه .

– وهل تظن أنه يوجد في مصر كثير من الفنانين الذين يستطيعون القيام بخدمات جليلة نحو بلادنا ؟

– نعم ؛ فإن المصرى مطبوع على حب الجمال والفن ، ولكن الظروف لم تساعده قبل الآن على الظهور . وإنى لواثق بأنه توجد بين أولئك الصبية الذين يهيمون على وجوههم في الشوارع والأزقة أدمغة ممتازة في استطاعتها أن تخدم مصر وتحيى الفن فيها . فلو أننا وجهنا اهتمامنا إليهم وأدخلناهم المدارس والمعاهد الفنية ، لجعلنا منهم حفارين ورسامين لا تقل مقدرتهم عن مقدرة الحفارين والرسامين في الغرب .

ثم إن الفن المصرى القديم ينبوع لا ينضب ولا يزال الغربيون أنفسهم يستمدون منه الوحى ويأخذون عنه ويقلدونه .

– وهل الفن المصرى القديم محبوب في الخارج ؟

– نعم ؛ هو محبوب أعظم الحب ، والغربيون معجبون به ، فإذا نحن عملنا لإحيائه مقروناً بالفن الحديث ، فإننا نخدم بلادنا خدمة عظيمة ونعيد إليها مكانتها في عالم الفنون الجميلة . ولسنا بعاجزين عن ذلك وأمامك تمثال نهضة مصر برهاناً ساطعاً على مقدرتنا .

فقلت للأستاذ مختار : حقاً ؛ لقد صدقت فإن الناظر إلى هذا العمل الجدير بالإعجاب لا يسعه إلا أن يثنى عليك وعلى مساعيك ، وأن يصفق فرحاً لتحقيق أمنية الكل في رؤية تمثال النهضة قائماً على قاعدته في باب القاهرة ، ولا شك في أنك نسيت المصاعب والمتاعب .

فقاطعنى قائلاً :

– نعم نسيتها ولم أعد أفكر فيها . وحسبى الآن أننى برهنت على أن المصرى إن توافرت لديه أسباب العمل ، يستطيع أن يجارى الغربى في ميدان الفن ؛

(٨) السياسة الأسبوعية ٢٦ من مايو ١٩٢٨

تمثال نهضة مصر قد رفع الستار عنه

في منتصف الساعة السادسة من بعد ظهر يوم الأحد الماضي ، ٢٠ مايو ١٩٢٨ ، احتشد في ميدان محطة مصر ألوف وألوف ، ألوف ، دعتهم وزارة الأشغال المصرية ، وأضعاف هذه الألوف جاءوا من أنحاء مصر ليشهدوا جميعاً ، رفع الستار عن تمثال نهضة مصر .

وجاء منتصف الساعة السادسة ، وأمر برفع الستار ، وقام الجند بإنزاله في شيء من الهوادة والبطء جعل التمثال يظهر للناظرين رويداً رويداً فلم تكد تبدو رأس المصرية التي توقظ أبا الهول من مجثمه إذا رعشة سرت إلى النفوس وإلى الأجسام جميعاً ، وإذا ألوف الأيدى تتحرك بالتصفيق ، وإذا الهتاف يشق عنان السماء بحياة نهضة مصر ، وإذا كل مصرى ممن احتشدوا في الميدان لا يملك نفسه أن يتولاها هذا الشعور القوى العجيب . الذى يجمع في حياة الإنسان القصيرة بين الماضى إلى آلاف سنين ذاهبة في غياباته ، والمستقبل إلى ألوف سنين ما تزال مطوية في غيبه . وكان كذلك شأن الحضور جميعاً كلما بدا من التمثال جانب حتى إذا بدا جميعاً ، وبدا أبوالهول ناهضاً نهضة عزة وقوة وإباء ، هنالك لم يكن الناس الناس ، وإنما كانوا أرواحاً تجتمع كلها في روح واحد هو روح مصر الأزلية الخالدة ، ولم تكن هذه الألوف من القلوب إلا قلباً واحداً هو قلب مصر النابض فخراً بمجد الماضى وإيماناً بعظمة المستقبل .

أفتحسب أن الجموع ولت حين ظهر أبو الهول أنهضته فتاة مصر ؟ كلا بل ظلوا جميعاً وظل غيرهم من الناس يفد إليهم ، وأمسوا إلى جانب التمثال العظيم يلمحون في أبى الهول قوة الماضى وفي الفتاة التى تمثل مصر رجاء المستقبل ، حتى آن لليل أن ينقضى الهزيع الأكبر منه ، وحتى غلبت ظلماته حدة أبصارهم بعدما انطفأت أضواء الكهرباء .

في منتصف الساعة السادسة من بعد ظهر يوم الأحد الماضى برز أبو الهول الناهض مطلاً بعينيه الحجريتين على عاصمة مصر فاهتزت له ألوف قلوب المصريين . أليس هذا التمثال من الجرانيت هو أول تمثال صنع من الجرانيت منذ عهد الفراعنة ؟ ألم يجئ الرومان إلى مصر فأعجزهم صنع الجرانيت الذى لم يكن يعجز أهل مصر ؟ أو لم يجيء بعد الرومان غيرهم فإذا محاجر أسوان لا تمسها يد حتى تمسها يد الفنان المصرى « مختار » وحتى يعود المصريون إلى صنع تمثال نهضتهم من هذا الجرانيت الذى كانت تصنع منه التماثيل أيام عظمة مصر ومجدها؟ وأبو الهول ! أليس هو علم مصر منذ الأجيال الغابرة وسيظل علمها إلى أن تصبح أجيال الحياة كلها غابرة ؟ أبو الهول ! أليس هو الاسم الرهيب الذى لا يذكر إلا ذكرت معه مصر القديمة مهبط وحى العلم والحكمة أول الأزل ؟ فهذا هو أطل من جديد على ميدان عاصمة مصر الأكبر بعد أن كان معتكفاً في الصحراء ، ويكاد يكون منبوذاً بالعراء ، ثم هذا هو قد أطل على مصر ناهضاً مع نهضتها مشاركاً إياها آمالها ورجاءها ومصر التى دعته إلى هذه النهضة فنهض وكان أبداً نائماً . أليس هذا كله كافياً ليبعث إلى النفوس هزة فوز وانتصار حين يرفع عن هذا التمثال الستار .

وكم لنهضة أبى الهول هذه من معنى . لقد كان أبو الهول أبداً رمز الحكمة المطمئنة وكان مجثمه في الصحراء تبدو على وجهه سيما السكينة مضرب المثل في سر السكون الهائل، فهو إذن لن ينهض إلا ليمثل معنى من أعظم المعانى . ذلك هو معنى إباء الحكمة أن تخضع لعبث عابث أو تلين لسخرية القدر . ومصر منذ تولى عنها آباء الهول ، ومنذ اعتزلوها مقيمين بالصحارى ما تزال مسرح نضال الحق والباطل ، والعبودية والحرية ، والاستكانة والعزة وكان هذا النضال يستمر ، وكانت الغلبة في المبدأ تبدو للباطل على الحق ، وللعبودية على الحرية ، ثم إذا النضال والحرية ينتصران آخر الأمر ، وإذا مصر تعود إلى مثل مجدها أيام الفراعنة وإذا بها تنال من مجد الرومان ، عصارة مجد الرومان ، وتنال من مجد المسلمين انتصارها على الصليبيين انتصاراً باهراً اجتمع فيه إلى الغلب الكرم وإلى الانتصار العدل ، ثم إذا بها تستقبل في هذا العصر الذى تعيش فيه مدنية الغرب تصفيها تصفية يقبلها الروح الشرقي وترد في الوقت نفسه مادية الغرب وتدعوه لكى يكون للشرق صديقاً لا سيداً .

هذا الجهاد الدائم وهذا النضال المستمر لم يكن بد من أن يرمز إليهما في مصر برمز وأن يقام لهما تمثال ، وأى رمز لكل مافي حياة مصر خير من أبى الهول . ذلك مارآه المثال مختار منذ كان يفكر في هذا التمثال قبل أن تضع الحرب الكبرى أوزارها وقبل أن تقوم مصربنهضتها الأخيرة ، فهذا التاريخ الذىأشرنا إليه ، وهذا النزاع الذى يوشك أن

يتكرر غير مرة في حياة مصر ، هو الذى أوحى لمختار بفكرة هذا التمثال الذى شهدته مصر وشهدها يوم الأحد الماضى فهو سند لنهضات كثيرة شهدتها مصر خلال تاريخها . وهو أقوى ما يتصوره العقل وما يمكن أن يبدعه الخيال رمزاً لنهضات مصر . وكيف يتصور العقل أو يبدع الخيال أقوى من قوة السبع ومن حكمة الإنسان ناهضتين معاً لنصرة الحق على الباطل والعدل على الظلم والحرية على الاستعباد !

هذا ونود أن نسجل هنا كلمة نشرت في صدر « السياسة » اليومية صبيحة رفع الستار عن التمثال نجعلها خاتمة هذا المقال قالت :

« عصرنا الحاضر وحده هو عصر نهضة مصر . وليس التمثال الذى يزاح ستاره اليوم ليمثل معنى هذا الزمن الذى نعيش فيه وحده ، بل هو يمثل هذا النضال الذى كان يقع في مصر لأن مصر مركز العالم ، والذى كان كلما وقع فيها انتهى إلى غلب الحق للباطل ، والهدى للضلال ، والنور للظلمة ، وآن عند هذه النهاية لآباء الهول أن تطمئن إلى مجثمها ، تسرح بها تارة في الصحارى ، وتلقى بها طوراً على نضرة الوادى ، وهى ترى في النضرة والصحراء كلها مجالى الحكمة وآثار الحياة المختلفة ، وهى ترى في النضرة والصحراء كلها نور الحق غلب ظلمات الباطل فعاد بالعالم من ثوراته الحمقاء دفعته إليها شياطين الضلال إلى سكينة الخلد أقرته فيها آلهة الهدى .

ذلك كان تاريخ مصر منذ أقدم عصورها ، وذلك سيكون تاريخها إلى أبعد آمادها : نضال بين إلهى الخير والشر : أوزوريس وست يبدأ الشرفيه بالتغلب على الخير من طريق الخديعة وتنتهى روح الخير بالتغلب على الشر ممثلة هذا الروح في ايزيس وهورس . ونضال بين موسى وفرعون يبدأ بمزار موسى وقومه إلى الطور المقدس وينتهى بغلبة الخير ممثلاً في الدين الجديد . ونضال بين الوثنية والروحية ، يبدأ بغلب وثنية البطالسة لينتهى بغلب المسيحية وأن تصبح دين مصر . ونضال بين الإسلام وما سبقه من عقائد يبدأ بالإسلام ديناً لأقلية أهل مصر لينتهى بأن يكون دين الدولة ، وفي كل مرة يشتد النضال ويقوى ، وفي كل مرة يبدأ الغلب بغير ماينتهى إليه من انتصار الحق والنور ، وفي كل بداية ينهض أبو الهول هذه النهضة التى مثلها مختار في تمثاله ليعود بعد ذلك إلى طمأنينة من لا يزالون يعمرون هذا الوادى المبارك من آباء الهول الرابضين ربضة القوى الحكيم . ولم يكن نضال النور والظلمة ، والهدى والضلال ، مقصوراً في مصر على نضال الآلهة ونضال الأديان بل كان يتناول الحكمة الإنسانية في مختلف مظاهرها . فالمدارس الفلسفية كانت تلتقى في مصر وتتصادم وتنتهى إلى مثل ما كان ينتهى إليه نضال الأديان . ولن ينسى أحد المذاهب الفلسفية المختلفة التى كانت مصر مسرحاً لها أيام مدرسة الإسكندرية حين التقت الفلسفة

الأفلاطونية الحديثة بالمذاهب النصرانية . ولن ينسى أحد في بدء الإسلام حين جمع دين محمد بين فلسفة الروح ونظام الشرع ما كان في مصر من مذاهب في الشرع ومذاهب في التفكير ! ثم لن ينسى أحد هذه النهضة الحاضرة التي بدأت منذ اصطدمت في مصر الحياة الغربية وعلمها وفلسفتها ، بالحياة الشرقية وعلمها وفلسفتها ، إبان مجيء الحملة الفرنسية إلى مصر . لن ينسى أحد هذه النهضة الأخيرة التي تضطرب بها مصر منذ أكثر من قرن كامل تطور فيه التفكير الشرقي ليلتقي بالتفكير الغربي تطوراً عظيماً يرجع أكبر فضله لمصر . وهذا هو الاصطدام اليوم يشتد بفضل ازدياد الحياة الفكرية قوة في مصر ، وهو لا ريب سينتهي هذه المرة كما انتهى في كل المرات التي حدث فيها اصطدام في الماضي إلى أن يرتفع من خلاله نور الحق والهدى يضيء المشرقين والمغربين معاً .

(٩) المقتطف يوليو ١٩٢٨

نجوى التمثال

أيها المفترش الصخرة يشد ذراعيه أقوى الشد كأنما يريد أن يقتلع الصخرة فيهما ، متناهضاً بصدره ليدل على أنه وإن ربض فإن الوثبة في يديه ، متمطياً بصلبه ليشير من جسمه الهادئ إلى معانيه المفترسة ، مقعياً على ذنبه ومتحفزاً بسائره كأنه قوة اندفاع تهم أن تنفلت من جاذبية الأرض .

وأنت أيتها الهيفاء تمثل الإنسانية المتمدنة في نحافتها وهى كهذه الإنسانية ضاربة بذراعى أسد في غلظ مدفعين ، حكيمة في النظر كأنما تمد في سرائر الأمم نظرة المتأمل ، ولكن يدها كيد الحكمة السياسية على تركيب عقلى تحته المخالب ؛ ساكنة كأنها تمثال السلام ، على أنها في جوار الأسد كالسلام بين الشعوب تلمح فيه إنسان العالم ووحش العالم .

يا أبا الهول . .

أنت جواب عن ذلك اللغز القديم الذى هو كلام لايتكلم وسكوت لايسكت ، والذى أشار برأس الإنسان على جسم الليث أنه قوة عمياء كالضرورة ولكنها مبصرة كالاختيار ، والذى أخرج من فنى الغريزة والعقل فناً ثالثاً لا يزال في الأرض ينتظر المرأة التى تلد إنساناً عظامه من الحجر .

وأنت يا مصر . .

أواقفة ثمة للشرح والتفسير تقولين للمصرى إن أجدادك يسألونك من آلاف السنين بهذا الرمز : ألا معجزة من القوة تمط عضلات الحجر ؟ ألا بسطة من العلم تجعلك أيها المصرى وكأنك رأس لجسم الطبيعة ؟ ألا فن جديد ترفع به أبا الهول في الجو فتزيده على قوة الوحش وذكاء الإنسان — خفة الطير ؟

أم تقولين للمصرى إن أجدادك يوصونك بهذا الرمز أن تكون كالظهر الأسدى لا يركب مطاه ، وكالرأس الإنسانى لا تقيد حريته ، وكالربضة الجبلية لا تسهل

إزاحتها ، وكالإبهام المركب من غمضين متناقضين لا يتيسر به عبث العابث ، وكالصراحة المجتمعة من عنصر واحد لا يغلط في حقيقتها أحد ؟

أم تقولين يا مصر : إن تفسير أبي الهول الأول أن النهضة المصرية إنما تكون يوم تخرج البلاد من يصنع أبا الهول الثانى ؟

*

تمثال النهضة أم صفحة من الحجر قد صور الشعب فكره عليها ودوّن فيها إحساسه بتاريخه ووصف بها إدراكه حياة المعانى السامية ؟

أم هو كتابة فصل من التاريخ بقلم الحياة وعلى طريقة من بلاغتها ، خشيت عليه الفناء فدونته في أسلوب من أساليب البقاء الحجرى الصلد ؟

أم ذاك يوم من أيام الأمة أحاله الفن من زمن إلى مادة ومن معنى إلى حس ، ومن خبر إلى منظر ، وكانوا يتكلمون عنه فجعله الفن يتكلم عن نفسه .

أم هو تعبير عن تلك المعانى التى خلفتها نفوس هذا الجيل تخاطب به النفوس الآتية لتنم عليها وتضيف فيه إلى المعنى سر المعنى وتضع الكلمة الإنسانية على لسان الطبيعة تتكلم بالتمثال كما تتكلم بالجمل ؟

أم تركيب سياسى إذا فسرته اللغة كان معناه أن الثابت إذا احتاج إلى من يدل عليه ، فلن يخفيه من لا يراه ؟

*

بل أراك لاهول فيك يا أبا الهول الجديد : أفذاك من رقة داخلتك ورحمة جاءتك من مس يد المرأة ، أم الهول اليوم قد أصبح في العقل والعاطفة ومد العين النسائية إلى بعيد ؟

أم لا يتم في هذه المدنية رأس رجل وجسم سبع إلا بأنامل امرأة ؟

ألامن يعلمنى أهذه المرأة منك هى تهذيب للإنسان والوحش أم تكملة عليهما ؟

ألا من يأتينى بالحكمة فيك من وضع للرجل القوى رأساً ولا جسم ، والأسد المفترس جسماً ولا رأس ، ثم لا يكمل إلا المرأة وحدها ؟

إنما كنت يا أبا الهول لغز الصمت فلما أضيفت المرأة إليك أصبحت لغز النطق .. فيا للهول .

مصطفى صادق الرافعى

تخليد الرجاء

في نهضة مصر ، يعجب الناظر لأول وهلة بجلال وقفة المرأة التى تستنهض الحيوان الرابض إلى التحفز والنهوض ، فإذا أعاد النظر وأعمل الفكرة أدرك أن المثال لم يشأ أن يعالج المعنى الجوهرى الذى أقام له القدماء « أبو الهول » عند عتبة الصحراء ، فتعمد إهمال الإلماع إلى سر الدهور الذى أطبق عليه شفتيه وسكت سكوتاً أبدياً واكتفى من الرمز بما يوافق نهضة قومية ، فخلد الرجاء الجديد في قلب الحجر .

مىّ

(١١) السياسة الأسبوعية ٩ من يونيو ١٩٢٨ [(١)]

أَبو الهول وتمثال مختار

رأيت تمثال « مختار » كما لم يره غيرى . ولست أعنى أنى دخلت في جوفه أو صعدت إليه وركبت أبا هوله أونظرت إليه بأربع عيون ، ولكنما أعنى أنى لم أكد أقف أمامه وأهم بأن أرفع إليه عيني حتى أحسست طفيلياً إلى جانبي يتأبط ذراعى كأنما كنت أعرفه قبل أن يولد ويقول لى إن صانعه « مختار محمد مختار » — فصرفت نظرى عن التمثال وانصرفت إلى هذا الذى اختار أن يكون صديقى دفعة واحدة وآثرنى على غيرى من الواقفين بصحبته وراقنى الموقف جداً وقلت له وأنا أفحصه بعينى وأبحث في وجهه عبثاً عن مخايل « النشالين » :

— سبحان الله . أصحيح ما تقول ؟

قال :

— وهل أنا أكذب عليك ؟ سل من شئت من الواقفين .

قلت وقد زاد اغتباطى بالموقف :

— أستغفر الله ، فما أعرفك كذبت قبل اليوم .

وخطر لى أن أستخلص من هذا الموقف كل ما فيه من متعة ، فقلت :

— معذرة ، ولكن صاحبه عبد الغفار ، هل ....

فقال بلهجة من يريد أن يدركنى لينقذنى :

— لا لا لا . مختار — مختار . محمد مختار .

— معذرة مرة أخرى — مختار — وهل هو صاحبه ؟ .

قال :

— نعم .

---

(١) نشر هذا المقال بعد ذلك فى كتاب المازني « صندوق الدنيا » .

فقلت :

— ومن أين اشتراه ؟

قال :

— اشتراه ؟ إنه هو الذى نحته .

قلت :

— وهل كان هنا جبل نحته منه ؟

فضحك ملء شدقيه ثم قال :

— جبل ؟ أى جبل ؟ ألست من أهل القاهرة ؟

قلت :

— كلا إنى من الريف . وهذا أول يوم لى في القاهرة .

فزال عجبه ولم يسرنى أن أراه يضحك منى أنا الذى يريد أن يضحك منه ، غير أنه لم يسعنى أن أتراجع بعد أن ذهبت معه إلى هذا المدى ورددت الحديث إلى مختار فسألته :

— وهل مختار هذا من قدماء المصريين ؟ أقول هل — معذرة إذا كنت غلطت في اسمه مرة أخرى — ولكن هل هو — أعنى صاحب التمثال — من قدماء المصرين ؟

فافتر فمه عن ابتسامة عطف على كتلة الجهل المجسد الذى كان يتأبطه واستل ذراعه فحمدت الله ووقف أمامى يتأملنى وقد شك في أمرى على ما أظن وتوقعت أنا أن أنفجر بالضحك المكتوم فيحدث بيننا مالا تحمد — أو مالا أحمد أنا على الأقل — عقباه .

فأشرت إلى اسم التمثال المكتوب بالخط الكوفي على القاعدة وسألته :

— ما هذا ؟

— قال : ألا تستطيع أن تقرأ ؟

قلت :

— أقرأ ؟ وهل هذه كتابة ؟

قال :

— نعم ، وماذا كنت تظنها ؟ إنها اسم التمثال — نهضة مصر .

قلت وتجهمت له :

— اسمع ياصاحبى . لا يليق بك أن تغشنى .

فراح يقسم لى بالله أن الأمر كما يقول وينطق الاسم وهو يشير إلى الحروف بأصبعه . فقلت :

— وهل هذا خط عبد الغفار .... لا لا .... مختار . أليس كذلك ؟ إن خطه قبيح جداً . أن أبلد تلميذ في بلدتنا يكتب خيراً من هذا الخط ألف مرة .

وأحسبنى حيرته وأدرت له رأسه بهذه الملاحظة فقد تلعثم وسرنى جداً أن أشهد ارتباكه . وأقسمت لأمطرنه وابلاً من هذه المدهشات فلم أمهله ريثما يفكر في جواب بل رميته بسؤال آخر عن المصرية الواقفة إلى جانب أبى الهول .

— وهل تعرف هذه السيدة ؟

فرفع رأسه بسرعة وقال بلهفة :

— نعم ، لا إنها من التمثال .

فقلت :

— شيء جميل والله . وهل هذه أول مرة تقف فيها هذه السيدة هنا ؟

فحملق في وجهى ولم يفهم وضاعت النكتة ، واحتجت إلى سؤال آخر فقلت :

— وهل ستظل هذه السيدة واقفة هنا ؟

ففتح الله عليه بهذا :

— يا أخى هذه ليست سيدة . إنها حجر . تمثال . ألاتفهم ؟

فقلت : فهمت . فهمت . ولكن أتظل هكذا ؟ ألا تتعب ؟

فقال — ودق كفاً بكف : كيف تتعب ؟ ألم أقل لك إنها حجر . .

قلت : آه صحيح . وأى حيوان هذا الذى بجانبها ؟ .

قال : حيوان ؟ هذا أبو الهول ينهض .

قلت : وهل كان راقداً قبل الآن ؟

فخيل إلى أنه سيدعنى ويجرى ، ولكنى كنت واهماً فقد ثبت وكان أشجع وأجلد مما ظننته وقال بصوت خفيض — وفي تؤدة :

اسمع ألم أقل لك إن اسم التمثال نهضة مصر ؟ أجبنى .

فأطعته وأجبته أن نعم :

فقال : فهذا أبوالهول ينهض : يعنى أن مصر تنهض . أفهمت الآن ؟

قلت : بودى أن أ كون فهمت حتى لا أتعبك . ولكن أين مصر هنا ؟ :

قال : أبو الهول يا أخى .

قلت : وما هذه السيدة واقفة بجانبه ؟ ،

قال : مصر :

قلت : هل هما مصران ؟

قال : سبحان الله العظيم . لا يا أخى :

قلت : لا تؤاخذنى . ولكنك أفهمتنى أن أبا الهول هو مصر وأن السيدة هى مصر وقد تعلمت أن واحداً وواحداً اثنان :

قال : لا لا ، إن هذا ليس حساباً ، إن هذه مصر تنهض أبا الهول :

قلت : أليس معنى ذلك أن مصر تنهض مصراً ؟

قال : لقد بدأت تفهم . هذا هو المعنى .

قلت : ولكنى — ولامؤاخذة — لم أفهم .

قال — وهو مغيظ : كيف لم تفهم ؟

وبدا لى أن حديثنا من الجد أكثر من المقدار الذى يحتمله هو فعدت إلى التباله وسألته :

— ولكنى لاأرى الهرم هنا فهل نقله مختار؟

قال : نقله كيف ؟ أين أنت من الهرم ؟

قلت : هكذا قرأت في الكتب أن الهرم إلى جانبه أبو الهول فأين ذهب الهرم ؟

ويظهر أن نقل الهرم كان أكثر مما يطيق . فلوح بيده فيوجهى وتمتم شيئاً لم أفهمه لأنى شغلت بنظارتى التى هوت إلى الأرض وتكسرت عدستها وأولانى ظهره ومضى .

*

بعد هذا الحديث الذى استطبته والذى شغلنى عن التمثال ، وعن الوقوف به أتدبره كما ينبغى ، مضيت إلى أهرام الفراعنة ، فلما صرت عند أبى الهول وددت لو أن صاحبنا معى . إذن لسألته من صنع هذا ؟ أهو مختار أيضاً ؟

وتخيلته وهو يهز كتفيه أمامى — تحت أنفى — ويقول : لا يا أخى ، الفراعنة .

فأعود أسأله :

– وهل هم أحياء ؟

فيستعيذ بالله من هذا الجهل المطبق ويقول :

– أحياء كيف ؟ لقد ماتوا منذ آلاف من السنين .

فأبدى له العجب من أن يكونوا أمواتاً كل هذه الآلاف من السنين.

وأسأله :

– وبأى شيء ماتوا ؟

فيقول : لاأدرى . لايدرى أحد .

فأكر عليه بقولى :

– أتظن أنهم ماتوا بالطاعون ؟

فيقول : لاأدرى . ربما . من يدرى ؟

فألح عليه وأقول :

– أترجح أنهم ماتوا بالكوليرا ؟

فيقول بلهجة السأمان : ربما ، ربما ، قلت لك لاأدرى . فلا أدعه ولا أرحمه وأقول :

– أو لعلهم ماتوا حسرة ؟

فيقول – وقد انتفخت مساحره من فرط الضجر :

– ربما قلت لك ألف مرة لا أدرى . ماتوا والسلام .

فأزداد عليه شدة وأسأله :

– وآباء الفراعنة لايزالون أحياء ؟

فينقذنى بلفظة (مستحيل) ويعض حروفها بأسنانه ، فلايرد عنى هذا ، وأسأله عن أبى الهول وأين القاعدة وأين أبو الهول ؟

فيعود إلى كفيه يدق إحداهما بالأخرى وبعد أن يقضى مأربه ويرفه عن نفسه يبينهما لى فأقول :

– ما أوقره ، وأشد سكونه – وهل هو : . . هل هو ميت ؟ .

فيهيج برهة ثم يبين لى أنه حجر ، ولا يستطيع معى صبراً فيلوح بذراعه ويمضى عنى :

*

كلا ، تمثال مختار – « محمود » مختار – على براعته لاشىء حين يقيسه المرء إلى أبي الهول الفرعونى ، فإن على هذا الوجه من الكآبة والجد والتشوف والصبر والجلال والنبل ، ما ليس له شبه فى وجه الإنسان – وهو حجر ولكنه فيما يبدو للعين يفكر ، ينظر إلى الدنيا حوله ، ولكن نظرته تتخطاها إلى الفراغ الذى يلفها فى طياته ، وتتطلع إليه فيخيل إليك أنه يرد عينه إلى الماضى متجاوزاً محيط الزمن وأمواج أجياله وقرونه أومتراجعاً بها ومطبقاً بعضها على بعض حتى تعود وقد امتزجت وآضت مداً واحداً عند أفق القدم – نعم يفكر أبو الهول هذا ، في الحروب التى دارت أرجاؤها في الأزمنة الغابرة ، وفى الدول التى شهد قيامها وسقوطها ، وفى الأجيال التى رأى مولدها وراقب نهضتها ولاحظ فناءها ، وفي المسرات والأحزان والحياة والموت والرفعة والذلة التى دارت بها أربعة آلاف من السنين البطاء .

ودع ما أرادوا أن يرمزوا له به ، إن كانوا قد قصدوا إلى شىء من ذلك ، فما أراه أنا إلا تجسيداً لتلك الملكة الإنسانية التى يسمونها « الذاكرة » في صورة بارزة محسوسة ، وما من أحد عرف أى شعور تحركه فى النفس ذكرى الأيام السوالف ، وماذا ترسم على الوجه ، إلا وهو يستطيع أن يقرأ ذلك كله فى هاتين العينين اللتين يديرهما أبو الهول فيما عرفه وشهده قبل أن يولد التاريخ .

وهو لا يقيس بالزمن السنين ، فإنها هنيهات ، ولا بالأجيال ، فإنها لحظات ، وإنما يقيسه بالدول التى قامت ثم تقوضت تحت عينه التى لا تتعب ولاتشبع من النظر ، ذلك أن فيه معنى من معانى الخلود فقد رأى منف وطيبة وشاهد مجدهما وعاش ليبصر الخراب يعفى عليهما ويوكل بهما البوم والوطاويط ، ورأى أبناء إسرائيل يقومون ثم يسحقون ، والأغارقة ينهضون ثم يموتون ، وروميّة تشاد ويرتمى ظلها على الأرض ثم تفنى ، والعرب يستفيضون في الدنيا أسرع من العاصفة ثم يذهبون في سبيل من غبر .

وكما أخذت عينه عظام مئات من الدولات ، كذلك ستأخذ قبور مئات أخرى قبل أن يفتر لحظها وتطبق الجفون .

والمرء ينظر إلى أبى الهول الساهد ويفكر في آلاف السنين التى قضاها هنا على حافة الصحراء فلا يستغرب ولايخالجه شىء من الشعور بالتنافي بين هذه الدهور الطويلة وبين مقامه هذا ، وذلك أن ربضته تشيع في النفس معنى الاستقرار التام . وقد أحسن القدماء بإيثار الربوض له فإنه جلسة مريحة تقترن فى الذهن بمعنى الاستمرار ، وليس كذلك « النهوض » كما هو مصور فى تمثال مختار ، والمرء خليق حين يعود إليه مرة بعد أخرى أن يحس أن لهذا الوضع ما بعده . . إما أن يثب إلى الأرض وإما أن

يعود إلى الجثوم والراحة والسهوم مرة أخرى ، أما البقاء هكذا يوماً بعد يوم وشهراً فى إثر شهر ، وعاماً في عقب عام ، فليس من السهل على العقل أن يأنس إليه ويقتنع به ، وقد تكون هذه مزية للتمثال وعسى أن يكون المقصود بها أنها نبوءة وأمل أونحو ذلك . ولست أعيب أو أنقد ، فما أعنى أكثر من أنى حين أنظر إلى التمثال لاأحس أنى قد رأيت كل شيء ، وقد أتوهم أنه سيثب عن القاعدة إلى الأرض .

وهذا الذى عليه أبو الهول الجديد إقعاء لا نهوض ، فإن الحيوان من البعير إلى الهرة ، حين يريد أن ينهض ، يقوم على رجليه الخلفيتين أولاً ثم على الأماميتين ، أماالقيام على رجليه الأماميتين فحسب ، فهذا هوالإقعاء ، وهو جلسة للحيوان يتخذها أحياناً ، وأكثر ما يراه الإنسان في الكلاب ، حين تقعد ناشرة آذانها راصدة عيونها . وأحسب أن مختاراً إنما آثر هذا الوضع لأن منظر أبى الهول يكون غريباً ثقيلاً إذا أنهضته على رجليه الخلفيتين ، كما ينبغى أن يفعل إذاكان يقصد إلى النهوض ، أولعل عذر مختار أن أبا الهول هذا خليط من الإنس والحيوان فله أن ينهض كيف يشاء حتى على رأسه .

وهذه الفتاة المنصوبة إلى جانب أبى الهول لاأفهم معناها ولا أدرى لمَ يقيمها المثال هناك ويضنيها بهذه الوقفة المتعبة ، ولو كنت أنا « مختاراً » لاستغنيت عنها جملة ولاجتزأت بأبى الهول وحده . لأنه إذاكان المراد الرمز إلى أن مصر تنهض فإن أبا الهول بمفرده حسب من شاء أن يرمز إلى ذلك . ولن يركب الجهل أحداً فيتوهم أن المراد به رومية أوقرطاجنة، ففى نهوضه وحده ما يكفى رمزاً لنهوض البلاد التى اقترن اسمه بتاريخها . زد على ذلك أن قيام الفتاة إلى جانبه تخليط . وذلك أنها على ما فهمت رمز لمصر الحديثة . وعلى هذا يكون أبو الهول عنواناً على مصر القديمة ، وكأن المعنى — على هذا — أن مصر الحديثة توقظ مصر القديمة أو أن مصر القديمة تنهض إلى جانب الحديثة وفى كنفها ، وكلا المعنيين مستحيل يرفضه العقل ولايسيغ معناه ، واضح من ذلك أن هناك — أوهنا على الأصح — مصر واحدة تاريخها سلسلة متصلة الحلقات ، وأنها كانت نائمة أو متفترة أو ما شئت غير ذلك ثم هى الآن تستيقظ أو تنفض عنها غبار القرون وتهم بالنهوض ، وهو معنى لايحتاج إلى هذه الفتاة التى تفسده ولاتؤيده .

ولست أستريح إلى وقفة الفتاة فإنها كالعصا ، ويمناها التى على رأس أبى الهول غريبة فى وضعها ، فإنه لايسندها فى الحقيقة إذا تأملتها إلا أصابعها ، أما سائر ذراعها فكالمعلق فى الهواء وإن كانت الشملة — أو لا أدرى ماذا هى — تحجب هذا التعليق عن عين الناظر ، وهى لا تفعل بيمناها هذه أكثر من هذا الاستناد بأطراف الأصابع دون باطن الراح . ولا أدرى لماذا جعلها كذلك ولم يدعها تريح ذراعها ؟ ثم مامعنى

هذا الوضع وما الذى قصد به إليه أتراه أراد الإيقاظ ؟ فهذه ليست حركة إيقاظ وليس فى وجه الفتاة أدنى التفات إلى الذى بجانبها إن صح أنها تريد أن توقظه . أم ترى المراد أن مصر الجديدة تحسر عن وجهها وتبرز للعالم معتمدة على مصر القديمة ، فإن كان هذا هو المقصود وأحر به أن يكون ، فإن رمز النهوض واليقظة هو الفتاة لا أبو الهول ولا داعى إذن لإقامة أبى الهول على رجليه مادام أن الناهضة سواه وأنه ليس إلا اتكأة ووسيلة للرمز إلى الاتصال بالماضى ، وحينئذ يكون المعنى أتم وأقوم بأن يظل أبو الهول هذا رابضاً على العهد به والفتاة حاسرة إلى جانبه .

والخلاصة أن التمثال كان حقيقاً أن يكون أوفى بالغرض فيما أرى لو أن أبا الهول ظل رابضاً إلى جانب الفتاة المعتمدة عليه إشارة إلى اتكاء مصر الحديثة على ماضيها واعتزازها به واستيحائها إياه ، أو لو أن التمثال خلا من الفتاة . والأولى عندى أفضل اجتناباً للإقعاء ، وتفادياً من الوقوع في هذا الغلط . أما التمثال في شكله الحالى فلا أكتم القراء أنى أحس كأنى أحمله وقاعدته على ظهرى . ولا يسوء مختاراً قولى هذا فإنه يعلم أنى من أجهل الناس بالفنون ، وأن ليس لى من الوسائل المعينة على حسن التقدير سوى رأس واحد وعينين اثنتين ليس إلا .

إبراهيم عبد القادر المازنى

(١٢) السياسة الأسبوعية ١٦ من يونية ١٩٢٨

« أبو الهول وتمثال مختار »

رد المثال مختار على الأستاذ المازنى

قرأت بكثير من العناية مقال الأستاذ المازنى الذى نشرته السياسة الأسبوعية تحت هذا العنوان بعددها الأخير ، وإن هذا المقال يضطرنى إلى الخروج من صمتى الذى لزمته بحرص منذ زمن طويل ، وإنى إذا خرجت من صمتى فإنما أخرج إعجاباً بصديقنا المازنى وإشفاقاً على محدثه فى مقاله ، وليس بين مقالات هذا الصحفى النابه مالا يقف النظر ، ذلك أنه يطبعها كلها بطابع عبقريته المتين فيقرؤها الناس ويناقشونها ويعلقون عليها ، وكذلك كان مقاله الذى خص التمثال به وهو ما أشكره عليه — والذى قد يفتح الباب لحملة أرى من الواجب على أن أدلى فيها بالعناصر اللازمة لمناقشة الأمر مناقشة منتجة .

وإن لهجة التهكم والمداعبة التى طبع بها الأستاذ حديثه عن التمثال مع صاحبه لتبعدنا بلا ريب عن ميدان الجدل النظرى الذاهب إلى ما وراء المادة فى مثل أحاديث أفلاطون ، لكنها تنم تحت ستار المداعبة والتهكم عن فكرة خطيرة وخطرة فى آن واحد وقد كان ڤولتير فى قصصه يبتسم ويضحك ويجادل ويدلل وهو يلهو ويلعب ، ولكن لهو ذلك المفكر الدقيق الثائر كان يحمل في طياته معولاً للانتقام والهدم .

وأنا إنما أرجو أن يسمح لى وقف هذا المعول الجديد الذى يهدد ، ثم إن الأمر عندى أمر عطف وحنان . فإنى أشفق على ما قد تركته أسئلة الأستاذ المازنى وإجاباته فى نفس محدثه — سواء أكان هذا المحدث شخصاً موجوداً حقاً أم وهماً متخيلاً — تلك الأسئلة المنطوية على التعريض وتلك الإجابات المخيبة للآمال . وقد استولى ذلك الشخص المحدث على ما في قلبى من عواطف الخير فأريد أن أبدد الشكوك التى تملكت روحه منذ ذلك الحديث الذائع مع الأستاذ المازنى . والعجيب أنى سأستطيع أن أنيره بنفسه وهو نفسه الذى يقدم لى وسائل الإنارة . ذلك أن تفكيراته لم تتعد الحد العادى المألوف من الاعتبارات ، بل إن الأستاذ المازنى لم يرض إلا أن يكون محدثه من متوسطى الناس ، من رحالات الشوارع ، ولو أن فى سذاجته أحياناً دلالات على المنطق المحبوك .

رمى الأستاذ المازنى محدثه بسؤال عن المصرية الواقفة إلى جانب أبى الهول قائلاً : وهل تعرف هذه السيدة ؟ فأجاب المحدث « إنها من التمثال » وكان لهذا الجواب أن يهزنى يا عزيزى المازنى . ولو كنت فى مكانك لكنت اكتفيت به ولكنت أطرقت أفكر ! إنها من التمثال ! لكن صحفينا النابه بدل أن يساير منطق محدثه ترك الموضوع كله وذهب « يحاور » أو يحادث نفسه .

كان صديقنا المازنى يفضل أن يمحو المرأة محواً وألا يحتفظ إلا بأبى الهول ، لكن أية فكرة إذن كان يعبر عنها التمثال وقد بتر هذا البتر ؟ وأى اسم كان يطلق عليه ؟ نهضة أبى الهول « نهضة مصر » ؟ لكن فليكن ؟ ولنأخذ باقتراح الأستاذ قليلاً ، وإذن فأية مصر هى التى تمثل نهضتنا ؟ مصر أى العصور ؟ لاشك أن هذه الأسئلة لايمكن أن تكون الإجابة عنها إلا إجابة شك يحلق وعقل يحار .

*

ثم إن الأستاذ المازنى يطلب أمراً آخر ، هو هذا الذى سأحدثك عنه ، فأنصت له جيداً :

أبو الهول — رمز المدنية الفرعونية والعظمة الفرعونية ينهض . والأمة المصرية واقفة إلى جانبه فخورة بماضيها المجيد يلألئها عزها الأزلى ، تنزع عن نفسها الستر وتظهر لشعوب الغرب التى ظلت محجوبة عنهم قروناً عديدة .

تلك هى نهضة مصر . وإن كل شىء فى التمثال ، كل إشارة ، كل وقفة ، كل وضع ، وإن حركة الذراعين ، وطيات الرداء ، إن ذلك كله ليساير تلك الفكرة السائدة الشاملة ويدلل عليها ، فكرة « نهضة مصر » .

كل هذا يؤلف كلاً لايتجزأ ، عناصره كلها أجزاء من المجموع لا انفصال لها عنه. حاولوا أن تقطعوا التمثال نصفين إذن تبترونهما الاثنين : المرأة وأبا الهول ، ولا يمكن لأحدهما أن يكتفى بنفسه ليمثل كلاً متجانساً حسياً أو معنوياً . والواجب أن يكون التمثال كلاً فى الحس وفى المعنى — وإنما التمثال — فى عالم النحت وفنه — يجب أن يكون كتلة ويجب أن يكون وحدة — أليس « ميكل انج » هو القائل :

« كى تكون تحفة نحتية جديرة بهذا الاسم يجب أن يقذف بها من شاهق وتظل عناصرها المكونة لها متماسكة لا ينفصل أحدها عن الآخر ، يجب أن تبقى بعد انحدارها كاملة خالصة أو أن تتحول رماداً يذرى هباء » .

ويلوح لنا أن الأستاذ المازنى يأخذ بهذه الاعتبارات . ولكنه يعرض بإلحاح لنقطة أخرى هى أنه يريد أن تسند المرأة ذراعها إلى رأس أبى الهول ، لكن لماذا هذا الوضع .

إنهااستند إذ ت متكئة فإنها هي تظهر مظهر التعب . ثم إنها – خضوعاً منها لقوانين الأعضاء ووظائفها – يجب أن تثني ساقها . وهي إن اضطرت لهذا فقدت من نبلها ومن همتها وظهرت بمظهر الليونة والتردد . وهي فوق هذا تكون قد أفسدت نظام التكوين وتناسق المجموع ، إذ أن ذراعها ، وقد اتكأت بكل ثقله ، تحول دون انطلاق أبي الهول في حركاته وانسيابها فكأنها تمنعه على العكس ، من النهوض .

*

لكن أستاذنا المازني لايزال غير مقتنع بعد ، وهو يزعم أن المرأة يتولاها النصب إذا هي كانت واقفة ؟ وإنه بهذا ليقضي بجرة قلم على وضع الوقوف كله في حين أن الإنسان ليس أبهى روعة منه حين يقال عنه : « إنه قد وقف ، إنه ناهض ، إنه يبث الهيبة في النفوس » .

أفليس من دلائل سحر الإنسان على الحيوان نهوضه ووقوفه فإذا أنت أردت أن يدل التمثال الذي تقيمه في واقع الأمر على سمو العقل وسلطانه فعليك أن تقيمه . جامداً غير متحرك . وإن تمثال أبولون ومينرفا وبوليمي في اللوفر وتمثال نلبيومين في نابلي وكليو في ميونخ ، واوترب في مجموعة تورلونيا لتظهر للناس كلها ناهضة واقفة ، وكذلك تماثيل تيتوس وأوغسط وتراجان وأكثر تماثيل روما وفلورانس التي تحتل بلديات إيتاليا تظهر ناهضة واقفة أيضاً لا متحركة ولا سائرة . ثم إن صديقنا المازني وهو يدعو إلى وحدة الصورة وإلى عزلة التمثال إنما ينكر الوضع الأسمى في النحت وهو وضع الجماعة الذي تتمثل فيه عبقرية النحات الكاملة ، وماالتمثال إلا أثر الفن الحسي وخلاصته وما الجماعة إلا أتم مظاهر هذا الفن بل إنها نهاية ما يصل إليه ابتكار الفني ، وإن المثال لا يستطيع أن يحس عاطفة تذهب به إلى أبعد من هذا الحد ، وإننا إذا لا حظنا المثال في تكوينه العقلي فإن موضوع عمله يجب أن يكون التمثال نفسه . لكنه إذا سايرناه بعد ذلك في الحياة وسألناه عن العمل الخطير الذي يجب أن توجه إليه جهود ذكائه وإرادته ويده ؛ فإن الجماعة هي التي نطالبه بإخراجها لنا ، إذ بالجماعة يعرب الفني بالحس عن فكرة سامية يجسمها برموز مختلفة أو في أشخاص متعددة يمثلونها جميعاً ويوسعون نطاقها ويودعونها العظمة والتجلي في حدود قوانين النحت طبعاً .

انظر إلى تمثال « رود » الذي يخلد « النشيد الوطني » (لا مارسيليز) في قوس النصر بميدان « ليتوال » تجد المرأة فيه يجب أن تكفي وحدها لإبراز الفكرة المقصودة إذا نحن نزلنا عند نظرية الأستاذ المازني . لكن « رود » أحس حاجة التدليل بإضافة أشخاص آخرين إلى شخص المرأة وكان من هذه الإضافة أن نفحت التمثال بروح

أقوى إذ جسمت هزات النصر عندما نادت الأمة السائرة فى سبيل حريتها نداءها المملوء حزناً وأملاً .

وكذلك الحال في التمثال الذى يحكى حكاية « لا ووكون » إذ أضاف المثال إلى « لاووكون » أن يفترس الثعبان أبناءه ، ليزيد من حدود الألم . وكذلك قل عن رقص « كاربو » الذى كان يكفى للدلالة عليه راقصة واحدة ففضل الفنى أن تكون مجموعة راقصات ستظل بقوة تمثيلها من التحف الجبارة شديدة الطرافة عظيمة الإبداع في نوعها .

وهكذا يمكنك أن تضاعف الأمثلة كما تشاء وهى كلها تدل على أن التحفة الفنية رمز خارجى متسق ومتكأ جلى لآراء يكون الغرض منها أن توقظ فى أعماقنا فكرة الفن المستمرة التى تتصل حقيقتها الداخلية بعالم الآراء وحده . وهذا هو الذى يفسر اختلاف الأثر الذى يتركه عند الأفراد مشهد أبى هول الجيزة . والأستاذ المازنى ينظر إليه كأديب فيضعه في جو من أجواء رجال الأدب . وأنا أنظر إليه كنحات فهو عندى قد انتهى من أن يكون عمل إنسان ، إذ عمل الفنى فى تمثال الجيزة قد حل محله عمل الدهر المتوالى وإنما الدهر هو الذى يتم عمل النحات ، وهو قد فقد معناه الأصلى الأول وليست قيمته إلا بما في كتلته ولونه وهيكله حتى وتبره من قوة .

*

ثم تعال ياعزيزى المازنى ، لعلك لم تنس أن الفنيين الذين أقاموا أبا الهول كانوا قد وضعوا بين ساقيه تمثالاً واقفاً لإلهة أولكاهن ، وأن مر الأيام قد هدم هذا التمثال.

ولقد كان تهدم هذا التمثال من حسن حظ أبى الهول حقاً إذ كان من الممكن أن يطلب المازنى وهو بطل « التوحيد » الفنى هدم واحد من الاثنين . ومن يدرينا لو لم يكن هو أبو الهول الذى كان يضحى به وهو الآن موضع إعجاب أديبنا الشديد .

لكنى أقول أكثر من هذا أيضاً لما يخالج فكرى كله . إن منظر أبى الهول بعد أن أزيحت من حوله الرمال لا يتذوقه مزاجى بل يتعارض فيما أرى مع الأصول الفنية وإنى لأفضله والرمال تسدل عليه غطاءها فتلبسه رداء يحجب عنا ما يجرح به الأنظار من فقد التناسق .

*

بقى الاعتراض الأخير للأستاذ المازنى . وقد تساءل لماذا لم ينهض « أبو هول مختار » رافعاً ساقيه من الخلف ؛ وإنها لملاحظة جديرة بالاعتبار ولاسيما أن كان لها صدى رددته جوانب مختلفة كانت بينها جوانب البرلمان نفسها .

وإنى لأحسب ناقدى النابه متفضلاً باعتبار أن لأبى الهول – وهو مخلوق وهمى جمع بين الإنسان والحيوان – أن ينهض كما يريد من الخلف أو من الأمام أو على رأسه .... والواقع إن الفن لا يصبح فناً حقاً إلا إذا هو عرف كيف ينجو من الحقيقة ليصل إلى الخيال والهوى ، والواقع إنى كنت أستطيع بعد استئذان المازنى أن أجعل « أبا الهول » ينهض على رأسه أو على ذيله وكانت المناقشة تقف بينى وبينه، على أنى أريد أن أبرز وجهة نظرى كى أحول دون وقوع الناس فى الخطأ الذى وقع فيه الأستاذ المازنى . وهو يزعم أن الحيوان من الجمل إلى القط ينهض رافعاً ساقيه من الخلف ثم يرفع ساقيه من الأمام . وما أخطأ هذا التصور وإنى لأدعوك إلى زيارة حديقة الحيوان إذا لم يكن عندك قط أو كلب . ولنمر معا أمام الأقفاص ولنشاهد . وقد يبدو لأول وهلة – أن ذوات الركب من الحيوان تخضع للقاعدة التى يقررها الأستاذ ، ولو أن الخيل تنهض برفع ساقيها من الأمام وتعيننى على هذا التقرير تلك اللوحة المعروفة المعلقة فى قصر « فونتينبلو » ممثلة نابليون فوق جواده الناهض الذى شد ساقيه من الأمام شداً يدل على النبل والكبرياء .

ثم هل شاهدت حصاناً يسقط على الأرض ؟ إنه ينهض دائماً رافعاً ساقيه من الأمام وكذلك أيضاً تنهض الكلاب .

لكنا قد وصلنا إلى الحيوانات المفترسة ، إلى الأسد والنمر وغيرهما ، وأمرهما لا يحتمل مناقشة . إنها تنهض رافعة ساقيها من الأمام ككل الحيوانات غير ذوات الركب . ولعل الجمل بين ذوات الركب كلها هو الوحيد الذى ينقض القاعدة وإنى أتنازل لك عنه .

بقيت حيوانات أخرى من فصيلة القطط وأشباهها وهى تنهض بعض الأحيان رافعة ساقيها من الخلف ، لكنا نعرف أن هذا الوضع عندها إنما يدل على قصد الوثوب رغبة في الدفاع أو الهجوم .

*

أما « أبو هولى » فعلى العكس من هذا لا يريد إلا أن يمثل قوة ساكنة حكيمة وإرادة هادئة رهيبة .

ثم هل لى أن أضيف إلى كل ما تقدم أن الذى يعنى الفن إنما هو ما يثير فى النفس إحساساً لا تحد طبيعته ولا تدخل فى تقديره أية نظرية علمية ؟

*

والآن أختم كلمتى وقد أسعدنى الحظ إذ هيئت لى فرصة أعرض فيها وجهة نظر الفنى ، وإذ هيأت لى هذه الفرصة شخصية كبيرة كشخصية المازنى الذى يسر إلينا فى تواضع جذاب جهله بشئون الفن ، وهو ما لا يصدقه أحد .

وإنى لأسائل نفسى : ألم يوجد لأبى الهول في العهد الفرعونى «مازنيّه» كما وجد لنهضة مصر الآن ؟ ومن يدرينا فقد يوجد بعد أربعة آلاف سنة ، إذا ظل تمثال باب الحديد قائماً — من ينظر اليه كما ينظر المازنى الآن إلى أبى هول الجيزة — فإلى هذا المازنى المفروض أتقدم خلال الأجيال المقبلة بالرسالة الاتية :

إن أبا الهول رمز الماضى الفرعونى المجيد — ورمز المستقبل القريب ينهض في حين أن مصر ترفع عنها الستر الكثيف الذى كان يحجبها عن أمم الأرض خلال آلاف من السنين . وأصابعها التى وضعتها بخفة فوق أبى الهول إنما تدل على تتابع الحلقات وارتباط الحاضر بالماضى وهذه الأمة المصرية بحضارتها المجيدة المبعوثة .

مختار

قصيدة خليل مطران

أبلغ بما أفرغت في تمثـال … من مأرب غال ومعنى عـال

فن بذلت له الحياة مثابراً … في حومة الآلام والآمـال

وإذا تمنيت الحياة كبيرة … بلّغتها بكبيرة الأعمال

ذاك النبوغ : ولا تنال سعادة … ترضيه إلا من أعز منال

خذ بالعظيم من الأمور ولا يكن … لك في الهموم سوى هموم رجال

واجعل خيالك سامياً فلطالما … سمت الحقيقة بامتطاء خيال

أبعد مناك على الدوام فكلما … دان النجاح علت منى الأبطال

أخلى الخلائق من لذاذات النهى … من عاش في الدنيا بقلب خال

ليس الذى أوتيت يا مختار من … عفو العطايا : ذاك سهد ليال

في كل فن ليس إدراك المدى … للأدعياء وليس للجهال

كلا وليست في نواحى راحة … قبل التمام مظنة لكمال

إنى لأستجلى الفلاح فينجلى … لى عن مثابرة وغر فعال

مصر تحيي فيك ناشر مجدها … مجد الصناعة في الزمان الخالى

وهى التى ما زال أغلى إرثها … من خالد الألوان والأشكال

لبثت دهوراً لا يجدد شعبها … رسماً ولا يعنى برسم بالى

حتى انبرى الإفرنج يبتعثون ما … دفنته من ذخر مدى أجيال

وبرزت تثأر للبلاد موفقاً … فرددت فيها الحال غير الحال

اليوم إن سأل المنافر عصرنا … عما أجد ففيه رد سؤال

اليوم في مصر العزيزة إن يقل … ما فنها شيء سوى الأطلال

اليوم موضع زهوها وفخارها … بجميل ما صنعته كفك حال

صورت نهضتها فجاءت آية … تدعو إلى الإكبار والإجلال

يا حبذا مصر الفتاة وقد بدت … غيداء ذات حصافة وجمال

في جانب الرئبال قد ألقت يداً	أدماء ناعمة على الرئبــال
بتلطف ورشاقة بتعفـــف	وطـلاقة بتصون ودلال
فإذا أبو الهول الذى أخنت به	خبء العثار أقيل خير مقال
تمثال نهضة مصر أشرق جامعاً	أسنى منى الأوطان في تمثال
ناهيك بالرمز العظيم وقد حوى	معنى الرقي وروح الاستقلال

قصيدة شوقى(*)

جعلتُ حُلاهـــــا وتمثالها   عيون القوافي وأمثــــالها
وأرسلتها في سماء الخيـــــال   تجرّ على النجم أذيالهـــا
وإني لغرّيدُ هذى البطـــاح   تَغذّى جنـــاها وسَلْسالها
ترى مصرَ كعبـــةَ أشعـــاره   وكل معلّقـــــة قالهـــا
وتلمح بين بيوت القصــــيد   حِجَال(١) العروس وأحجالها(٢)
أدار النسيب إلى حبهـــــا   وولى المدائح إجـــلالها
أرَنّ بغـــابِرهـــا العَبْقرى   وغنى بمثـــل البـكى حالهَـــا
ويَروِى الوقائع في شــعره   يروض على اليأس أطفـــالها
وما لمحوا بَعْدُ مـــاءَ اليسوف   فما ضرَّ لو لَمحوا آلهـــا

*

ويوم ظليل الضُحا من بَشَنْسَ   أفاء على مصر آمالهـــــا
روى ظلّهُ عن شباب الزمـــان   رفيف الحواشى وأخضـــالها(٣)
مشت مصر فيه تعيد العصور   ويغمر ذكر الصّبـــا بالها
وتعرض في المِهرجان العظيم   ضحاهـــا الخوالى وآصـــالها

*

وأقبل (رمسيس) جَمّ الجلال   سَنِىّ المواكب مختالهـــــا
وما دان إلا بشورى الأمور   ولا اختال كبراً ولا استالها

(*) ديوان شوقى ؛ الجزء الثاني .
(١) الحجال : جمع حجلة وهى بيت العروس .
(٢) الأحجال : الخلاخيل .
(٣) اخضل الشيء : ابتل .

فحيا بأبلج مثـل الصبـاح وجوه البـلاد وأرسالهـا
وأومى إلى ظلمات القرون فشق عن الفن أسدالهـا

*

فمن يُبلغُ (الكرنك) الأقصرى وينبئ (طيبة) أطـلالهـا
ويُسمِع ثمّ بوادى المـلوك ملـوك الديار وأقيالهـا
وكل مخـلدة في الدمى هنالك لم نُحصِ أحوالها
عليها من الوحى ديباجةٌ ألحّ الزمـانُ فما ازدالهـا
تكاد وإن هى لم تتّصـل بروح تُحرّك أوصـالهـا
وما الفن إلا الصريح الجميـل إذا خالط النفس أوحى لهـا
وما هو إلا جمـال العقول إذا هى أولتـه أجمالهـا

*

لقـد بعث الله عهـد الفنون وأخرجت الأرض مثالهـا
تعـالوا نرى كيف سوى الصفاة فتـاة تلملم سربالهـا
دنت من أبى الهول مَشْىَ الرءوم إلى مقعـد هاج بلبالهـا
وقد جاب في سكرات الكرى عروض الليالى وأطوالهـا
وألقى على الرمل أرواقه[1] وأرسى عـلى الأرض أثقالها
يخال لإطراقـة في الرمـال سطيح [2] العصور ورمالهـا
فقالت: تحرك فهم الجمـاد كأن الجمـاد وعى قالهـا
فهل سكبت في تجـاليـده شعـاع الحيـاة وسيالهـا
أتذكر إذ غضبت كاللباة[3] ولمت من الغيـل أشبالهـا
وألقت بهم في غمار الخطوب فخاضوا الخطوب وأهوالهـا
وثاروا فجن جنون الريـاح وزلْزِلت الأرض زلزالهـا
وبات تلمّسهم شيخـهم حديث الشعوب وأشغـالهـا
ومن ذا رأى غبـة كافحـت فردت من الأسر رئبالهـا
وأهيب ما كان بأس الشعوب إذا سلّح الحـق أعزالهـا

---

(١) يقال ألقى أرواقه بالمكان: نزل به وضرب خيمته.
(٢) سطيح: اسم لكاهن من كهان العرب، والسطيح أيضا: البطيء القيام لضعف أو زمانة.
(٣) اللباة: اللبؤة.

المثال مختار والنهضة الفنية

للشاعر أحمد زكى أبو شادى

فدى لفنك ألحان وأوزان ... فإن فنك بالإلهام يزدان
يا ناحت السر فى تمثال (كاتمة ... للسر)(١) نحتك للتاريخ برهان
وسمتها بالأحاجى وسم كاهنة ... وللتماثيل أسرار وكهان
يرى الرقيب بمرآهـا روايتها ... عن الفخار الذى مافيه بهتان
تبوح آناً وآناً لا تبوح به ... والعقل بينهما حيران لهفان
وتلتقى حولها أنباء ماكتمت ... تلك القرون وما أخفته أزمان
كأن (بلهوب)(٢) مشغول يحدثها ... والصمت بينهما فهم وتبيان
وأرض (طيبة) قد حنت لنظرتها ... كما تناجت مقاصير وتيجان
يروى الشباب بما توحيه صورتها ... إن الشباب بذكرى المجد ريان
وأبلغ الحس فى تقدير مفخرة ... حس يردده للدهر شبان
وكنت بالأمس مثالاً (لنهضتنا)(٣) ... واليوم أنت بذكرى المجد فتان
فما عنيت (بأسرار) تمثلها ... إلا وأنت (بلقيا)(٤) الكنز فنان
خلقتها صورة للحسن معجزة ... شعارها الحى إبداع وإتقان
كأنها غادة الفردوس ضاحكة ... وجسمها الحر وضاء وعريان
يذاق بالعين حلو من رشاقتها ... و (النيل) يُلْمَح فيها وهو جذلان

---

(١) يمثل هذا التمثال كاهنة مصر جالسة فوق أحد نجود طيبة على مقربة من مدافن الفراعنة كأنها تحرس أسرارهم وأجسادهم ، وقد عرض بباريز فى ربيع سنة ١٩٢٦ م .

(٢) بلهوب : أبو الهول — وقد أبدع الأستاذ مختار هذا التمثال مناظراً لتمثال (أبى الهول) فى بعض الصفات :

(٣) يشير إلى تمثال (نهضة مصر) للمثال مختار أيضا .

(٤) هذا تمثال آخر للأستاذ مختار عرضه فى باريز فى ربيع سنة ١٩٢٦ وهو يمثل فتاة مصرية قروية (عريانة) وقد تهلك بشرا لعثورها على آثار مصرية قديمة .

كأنما هو قد أوحى ملامحها ... أو أنما هى للإبداع أفنان(1)
وفى يديها حلى الآثار قد بسمت ... لبشرها ، وشعاع الشمس نشوان
وعصّبت رأسها فى تيه فاخرةٍ ... فالرأس ممنكة والقد بستان
كلتاهما (2) صورة الإحسان فى زمن ... يقل فيه مع العرفان إحسان
فلا أقل لشعرى من تحيته ... فدون فضلك إكبار وشكران
وللنبوغ إذا نادى إجابته ... فبالنبوغ تنال المجد أوطان

*

ويا شباب بنى (مصر) ونضرتها ... أنتم لنهضتها روح وريحان
لا تغفلوا من حبوا إكليل عزتها ... بالفن ، فاعتزت الدنيا وقد هانوا
لكم جمال تذرّى ذروة حكمت ... على العقول ، وذكرٌ عنه فينان(3)
مضت شعوب وما أبقت سوى أثر ... بينا مفاخركم نور وأذهان
الصخر يلمع مزهواً بسيرته ... وتارة هو نزّاعٌ وهيمان
تنوعت واستعزت فى تنوعها ... كذلك تعتز بالجيران جيران(4)
فلا (الجوامع) ماعافت (هياكلها)(5) ... ولا جفت وحدة التبجيل أديان
كأنما فى سبيل الفن ما بقيت ... وفى سبيل العلى ما شاد من بانوا
من كل أروع مشبوب الذكاء(6) بنى ... للخلد بنيان) مجدٍ فيه غنيان
كأنما من رحيق الخلد نشوته ... لما بنى ، وله الإعجاز بنيان
كأنما نحته خلقٌ ، فلا حجر ... ذاك المثال ، ولا الأوثان أوثان
وإنما هى من (فرعون) طائفة ... كالمرسلين لها وعظ وإيمان
صماء ، لكن لها فى صمتها لغة ... جرداء لكن عليها الخصب (7) ضحيان

---

(1) أفنان : بمعنى فنون .
حرصت على نشر القصائد بتعليقاتها كما جاء بديوان الشاعر الكبير « ديوان الشفق الباكى » طبعه ١٩٢٦ وقد هدانى إليها الأستاذ الشاعر حسن كامل الصيرفى .
(2) يعنى صورتى التمثالين تمثال الكاهن وتمثال القروية .
(3) تذرى الذروة : علاها . والفينان لغة — الطويل الحسن الشعر ، والمقصود هنا الجميل البعيد الأثر .
(4) تنوعت : إشارة إلى المفاخر القديمة . وهيمان : ظمآن — إشارة لحنانه إلى مبدعه .
(5) إشارة إلى مختلف الحضارات القديمة الباقية معالمها من مصرية قديمة ومسيحية وإسلامية .
(6) مشبوب الذكاء : متوقد الذكاء . وبانو بمعنى نأوا .
(7) ضحيان : زاه .

وما انقضاء الزفيف (١) العمر هدّمها … وإنما هدها وجد وتحنان

وما يزال الشباب الغض يرمقها … ويستطاب عليها منه ريعان(٢)

ما (البرتنون) ولا (فينوس) (٣) إن قُمِرنا … بها لقدر ، ولا الأقمار أقران

زالت بدولاتها عجلى وما بقيت … إلا رسوم وأحلام (٤) وعنوان

وفى ديار بنى (الفسطاط) ما برحت … مظاهر الملك موفوراً لها الشان

وللجمال بها وحى لعزته … تضامن اليوم أحبار ورهبان

فما استخص أذانٌ عند دعوته … ولا تفرد ناقوس وصلبان

وإنما كلها للحب داعية … وللجمال الذى ناجاه وجدان(٥)

فأكملوا سيرة الماضين فى شغف … فكم ينضى الجمال (٦) الفخم سلوان

وأنصفوا نابغاً من جهده مُثُلٌ … للأمس ، وهو بدانى الفجر إيذان (٧)

فالشعب فى غفلة عن فنه كفتى … كزُّ اليدين (٨) غريب عنه إحسان

كلاهما فى ظلام لا يحس به … لكن عقباه إشقاء وحرمان

إن الفنون غذاء للنفوس ، وكم … تصح بعد نفوس الناس أبدان

والنابه الفحل فى شعب يضيعه … مثل اللواء بعيد عنه شجعان

هذا(٩) يضلل مخذولاً بعشوته(١٠) … وذاك (١١) أهون ما يرجوه خذلان

*

(١) الزفيف : السريع . إشارة إلى أن المفروض لها طول البقاء .

(٢) ريعان الشباب : أوله وأفضله .

(٣) البروتنون : من أجمل المعابد اليونانية القديمة . وفينوس : تمثال الزهرة الهة الجمال .

(٤) أحلام : أخيلة . يشير إلى آثار الدول الأخرى .

(٥) إشارة إلى أن الاذان وصوت الناقوس وإن كانا بمثابة الدعوة للعبادة الدينية الخاصة فقد تضامنا أيضا واشتركا فى تبجيلى وحى الجمال الكثير المظاهر فى ديار بنى (الفسطاط) فكأن كل عبادة دينية مقترنة كذلك بهذا التقدير العام المشترك للجمال المصرى العربى القديم .

(٦) ينضى : يجرد .

(٧) دانى الفجر : أى الفجر للقريب الآتى – اشارة إلى فجر نهضة جديدة .

وايذن بمعنى اعلام . وقوله : (وهو) إشارة إلى الجهد .

(٨) كز اليدين : بخيل . يقال : كز كزازة وكزوزة بمعنى انقبض ويبس .

(٩) هذا : إشارة إلى النابه .

(١٠) عشوته : حيرته .

(١١) أى اللواء فى جيش الجبناء .

قال الصديق وقد أسمعته أدبى ... أحسنت لكن كذاك الشعر أسوان(١)
فهل عطفت بتقدير لرتبته ... فالشعر واللحن والتصوير خلان
فقلت : والله قد أعذرت(٢) منتقداً ... فإنما نحن فى الحالين إخوان
وكلنا رافع فنًّا يهش له ... وكلها(٣) للجمال الصفو أفنان(٤)
وكلنا تابع للحسن يعبده ... وكلنا فى سبيل الحسن ولهان
فما يعز به فرد يعززنا ... وإن يعان رأيت الجمع قد عانوا
فدًى له كل شعرى ، وهو (٥)خير فدى ... إذا دعته لنصر الشعر أشجان
لولا التضامن لم يخلد لنا أدب ... ولا رجاء ، ولا كنا ولا كانوا

---

(١) أسون : واجد .

(٢) اعذوت : رفعت اللوم والذنب عنه .

(٣) إشارة إلى جميع الفنون التى يتحدث عنها . والصفو : بمعنى المحض .

(٤) جمع فنن : وهو الغصن المستقيم .

(٥) أى ذلك الفرد أو الفنى الآخر .

ثالوث النهضة

للشاعر أحمد زكى أبو شادى

نفضت عنك الكرى من غابر الزمن … ففُتِّ يا « بنت مصر » مسحة الدِّمن

بك الحياة تجلت بعد غفلتها … كما تجلت بصخر بالعلى قمِن

لمست رأس (أبى الهول) الصموت فما … لمسته وهو مرتد إلى الوسن

ما كان فى غفلة أو كان فى سِنة … لكنه كان فى يأس من الزمن

واليأس أقبح من موت النؤوم فكم … يستعبد اليأس ماقد عز من فطن

حتى نهضت فأيقظت البلاد كما … أيقظت مانام من حب ومن سنن

تعود « مصر » إلى ماضى مآثرها … والحسن فيها مجالى وجهك الحسن

فى العلم والدين والآداب أجمعها … ما شئت أنت له تسعى بلا وهن

والمرأة الحاكم الغلاب فى عِظم … فإن تهن فمصير الشعب للإحن

فما لغير سواها دان غابره … وإن بنا فى غد مجد لها يدن

أجمل بها فتنة غناء سامية … ترد عنه عوادى الدهر والفتن

ما يجتلى الشعب أنثاه وقدَّسها … إلا وقدس معنى عزة الوطن

لمن نكد إذا لم تبلغى شرفاً … فى العيش والمجد معصومين عن ثمن ؟

وما الحياة سوى حب ندين له … بالسعى والجهد والإسعاد والمنن

فإن مضى الحب فى تحقير مطلعه … فما غنىٌّ الورى فى البعد عنه غنى

قفى بقامتك الهيفاء باسمة … للشعب ، فاتنة بالروح والبدن

ما كان تمثالك المحبوب من حجر … بل كان من مهجات الريف والمدن

حامت حواليه حتى قد طبعن به … فما به غير ما يفتر من فتن

تغنى غنىّ عن سؤال أو مناشدة … وتفصح القول عن علاّمة لسن

نظمت لمناسبة زيارة سعد زغلول تمثال « نهضة مصر » وهو على وشك الإنجاز فى ٩ يناير سنة ١٩٢٧ م .
ديوان الشفق الباكى .

وذاك (بلهوب) بعد اليـــأس منتفض — يسائل الخصم عن جيش وعن سفن
أخوه فى جيزة (الأهرام) يحرسهـــا — ويحرس (النيل) فى تدبير مختزن
وهو المقيم على ميـدان عاصمـة — يبث بعـدك فيها أوجب السنن
ويحرس (الفن) والآمـــال حالية — من فيك كالفجر تمحو وحشة الدجن
فلاحة أنت فى سحر وفى دعـة — وفى جمال ، وفى حزم وفى شجن
فإن يزرك زعيم « النيل » فى شغف — فقلبـه لكما الموهوب من سكن
وإن تطلعت الألبـــاب فى قلـــق — إليك خلف ستار الحشب للعلـــن
فكى تضيف إلى كتب مقدسـة — هذا الكتاب بشعر فيـــه متزن
بناه (مختارنا) المثـــال من صـلد — من الصخور ، ولكن للحيـاة بنى
سما سمــواً ببنيان ومفخـــرة — فمن يهن وحيـه فى غفلـة يهـــن
وقد أزحت خمار الغبن ، واثقة — بالشعب عالمـة إن قلت كن يكن

تمثال النهضة

للشاعر أحمد زكى أبوشادى

ليرفع الستر عن تمثالك العالى ... يا نهضة مثلت آمال أجيال
قد طال منا ارتقاب البر فى شغف ... كيما نحيي معانى وحيه العالى
وكى نصيخ إلى سر يبوح به ... للمهتدين فنفشيه بجهَّال
من قال ذلك صخر لا حياة به ... وذلك الفن أحجار بتمثال
وأنها صنعة الإتقان فى حجر ... ومادة نحتت فى مظهر غالى
ما كان إلا رسول الأمس يوقظنا ... كما تيقظ (بلهوب) لآمال
و « الفكرة » الحرة الشماء ترشدنا ... إلى مناهج أحلام وأعمال
ورمز همتنا من بعد رقدتنا ... دهراً فلم نعط حتى قدر أطلال
ومُرْجِع (الفن) من ماضى جلالته ... فيبعث العَوْدُ فينا روح إجلال
هذا كتاب حوى إلهام عزتنا ... فمن يفته فمخلوق لإذلال
تأملوه بنى قومى فينعشكم ... الشعر فيه قرين النحت للتالى
هذى الغرانيق ليست فى مظاهرها ... لكن بأرواحها الخرساء للسالى
الراويات لمن هشوا لها ووفوا ... والناطقات بأحكام وأمثال
منها العواطف ينبوع يجود لنا ... عند الظماء بإنهال وإعلال(١)
كما ترقرق من صخر لعاشقه ... نبع الطبيعة يجزيه بسلسال
تسيل حتى قرار النفس راوية ... منا الشعور وتزجينا لإقبال
كأنما هى فى إيحائها نغم ... بل إنها نغم فى جم أشكال
تفيض منها لموسيقى الخلود منى ... ملء انعكاس لأضواء بآصال
فهذه نُخَبُ الألحان صامتة ... العين تخطفها نقلاً إلى البال

(نظمت قبيل رفع الستار عن تمثال نهضة مصر بالقاهرة فى ١٣ مايو سنة ١٩٢٨) « ديوان الشعلة » .

(١) الإنهال : السقى الأول ، والإعلال : السقى المتكرر ، والغرانيق : التماثيل .

وتسبق الأذن فى تصوير روعتها ... إلى النفوس فتغنيها بآجال
(الفن) فى مذهبى دين أوحده ... وقد تنزه عن عجز وأغلال
وكلها رسم موسيقى الحياة وما ... من فارق بينها فى عرف لأل
والنحت كالشعر والتصوير فى ألق ... فكلها وحدة فى حسنها الحالى
تعيش وحياً ، وليست مادة عرضت ... وكلها جوهر لا مظهر بالى
فليس للناقد الفنان عاشقها ... تفاضل بين أقدار وأفضال
جميعها نفحة الرحمن خالقنا ... وكلها سِرٌّ من روحه الغالى
و « مصر » مهد فنون منذ نشأتها ... مهد العباقرة الأحياء والنال(١)
قد علمت قبل آشورا وما نسيت ... يونان فى غير إدلال وإخجال
ونحن أولى — بنى قومى — بمعرفة ... لما تبوح به من سائح جالى
ونحن أحرى بتقديس نوجهه ... إلى تماثيل ذكرى النصر والآل
إذن فطوفوا حيال « الفن » والتمسوا ... جلالة وهدى من مجدنا الحالى
مجدان قد جمعا فى مشهد عجب ... ويغنيان غنى عن كل تسآل

*

« مختار » مصر التى مثلتها شكرت ... لك الوفاء لماضى الذكر والحال
وذاك تمثال « رمسيس » برقدته ... فى (البدرشين) قرير دون تعذال(٢)
أحييت فنا قديماً من مفاخرها ... وكنت رافع آيات وأثقال
وما يجازى نبوغاً أنت تعلنه ... شكر ، ولا توب نُقَّاد وعذّال
ولا مباهاة ميدان لعاصمة ... النور فيها بمرآه كمختال
ولا مواعظ إلهام يشوقنا ... ولا مدائح رواد وأبطال
ولا غلو بتقدير لما وهبت ... علاك فوق قياس الصيت والمال
ولا تحدى الليالى أن تبدله ... أو أن تروعه يوما بزلزال
لكن حظك أن تلقى مآثره ... حى النهوض بأجيال وأجيال

---

(١) السخاء الفنى .

(٢) التعذال : اللوم . وفى للبيت إشارة إلى الاقتراح القديم عن نصب تمثال رمسيس الكبير فى ميدان محطة القاهرة .

تمثال النهضة

للشاعر محمد عبد الغنى حسن

ارفع لنهضتنا بمصر منــــارا وأزح عن الفن الجميل ستــــارا
وأعد لنا عهــد الفنون أصيلة وانفض عن الفن العــريق غبارا
وإذا ذكرت الناهضــين بفنهم فاذكر طليعتهم لنــا « مختارا »

*

يا ناحت التمثـــال من صوانها ومرققاً فى صنعــه الأحجارا
عرِّج على مصر فإن بأرضهــا لروائع الفن الجميــل ديارا
الدهر ما وارى جلالة صنعهــا أرأيت آيات الجــلال توارى
للفن مشعلــة إذا نكستهــا زادتك نوراً فى الحيــاة ونارا

*

يا نازل الميــدان لا متهيبــاً وجلاً ، ولا متخلفاً خــوّارا
وعليك من سيما الوقــار جلالة جمعت لك التــاريخ والأسفارا
فى خطــوة يبــدو مضاؤك فوقها وتلف فيها العزم والإصــرارا
لتكون للهمم الصحاح مشجعــاً وتكون للهمم المراض مشــارا

*

يا صامتاً يزجى النصيحــة معلنــاً ويسر مايستوجب الأســرارا
فمن المواعــظ ما يكون سريرة ومن النصائح ما يكون جهــارا
أصبحت فى حــاليك أفصح ناطــق يزن الكلام منظمــاً ونثــاراً
كم صامت نطقت دلائل حــاله ومحدث لا يفصــح الأخبــارا

*

نظمت فى الاحتفال بإزاحة الستار عن تمثال نهضة مصر ، ونشرت فى صحيفة البلاغ ٩ مايو سنة ١٩٢٨ . وقد أرشدنا الشاعر الفاضل إليها فى ديوانه « ماض من العمر » .

لى فى ظلال النيــــل ظل وارف ... قضيت من عمـرى به أوطــــاراً
عشت الشبـــــاب به وبين رياضه ... صفو ، فلم أعرف به الأكدارا
يجرى فيجـرى الرزق فى آثاره ... ويخط فى جـــريانه أقـــدارا
تمثـال نهضتنــــا يحف يمينـــه ... ورهين رملتها يحفّ يســــارا
هذا يحث إلى الأمام عزائمــــاً ... ويقص هذا ماضيــــاً وفخـارا
ومن الحجـــارة ما يؤجج همــــة ... قـــدم الزنـــاد إذا أثرن أوارا

*

يا نازل الميـــدان شرق الحمى ... في الغرب ميـــدان أعز جـوارا
كانت « لخوفو » فيه أمنع دولة ... عصف الزمام بها ، وشط ، وجــارا
لم يبق فيه اليــوم إلا شاهــق ... هرم . . . أطل على القرون مرارا
هل فيه للأعجـــاز إلا أنه ... قبر لجبـــار حـــوى جبـــارا
قد سخـــر الآلاف فى بنيـــانه ... متهافتين على الصخور حيـــارى
تردد الأنات فى أفواههـــم ... نغماً على زرق الشفـــاه مشـــارا
الله من فـــرد يطـــوع أمــة ... لجمـــوعه . . . . ويسخر الأحرارا

*

يا رمز نهضتنــــا ومجلى بأسنـــا ... فى الحادثات وإن بـــدون كبارا
اوح الحيــــاة لمصر وهى كريمة ... وانفخ بأحـــرار الشباب شرارا
وصغ الشبــــاب على غـــرار ثائر ... يأبى القيـــود وإن يكنّ نضارا
متمرد العزمات ، جبار الخطا ... إن يدع للغمرات خفّ وطـــارا

رائد الحياة الفنية

كلماته ورسائله

كانت إيماءات العصر تدل على أن مصر تستقبل أياما نادرة من حياتها ، الأشياء التى كانت تبدو كالحلم أخذت في عشرينات هذا القرن تتحول إلى حقائق ، وفي هذا الجو أدرك دوره كرائد للفن وداعية فجاهد ليقيم للحركة الفنية دعائمها حتى نساير باقي حركات النهضة ، ولقد كان يؤمن بوجوب بعث حافز يخرج أولى الأمر من طور الإعراض والسكون ليقيموا للنهضة الفنية دعائمها فتوالت رسائله إلى المسئولين تبشر ببعث النهضة الفنية ، وتدعو لها .

وكانت مقالاته الأولى عن الفن بمثابة دعوة إلى امتداد آفاق الحياة المصرية إلى هذا العالم الذى لم تطرقه ، كما كانت مقالاته التى نشرت في مناسبات عدة دعوة إلى الارتفاع بالذوق العام ، وإلى أن يسود الفن كل مظاهر الحياة .

وفي سنة ١٩٢٤ شكلت لجنة الفنون الجملية بوزارة المعارف فكانت مجالاً للدعوة لأفكاره تم تطورت هذه اللجنة إلى اللجنة الاستشارية للفنون الجميلة التى أسهم فى إنشائها مع المرحوم على الشمسى وزير المعارف حينئذ وصدر بها مرسوم في سنة ١٩٢٧ وكل إليها دراسة « المشروعات والمسائل الخاصة بتعليم الفنون الجميلة وإنشاء المتاحف واقتناء الطرف الفنية وإقامة المعارض ونظام البعثات إلى الخارج » ، كما وكل لها دراسة « وسائل تشجيع رجال الفن من أبناء البلاد ومكافآتهم ونشر الطرف الفنية وتربية ملكات الفن وتهذيب الذوق في الجمهور وغير ذلك من أسباب ترقية الفنون الجميلة ».

من خلال أعمال تلك اللجنة تلوح معالم النهضة الفنية الناشئة والاتجاهات التى رسمتها لها تلك الهيئة التى ظلت تعمل من أجل إرساء دعائم نهضة شاملة ، ومن محاضر اجتماعاتها يتردد صدى صوت مختار مطالباً بتنظيم دراسة الفنون الجميلة . والعناية بتعليم الفن ونشر التذوق الفنى في جميع مراحل التعليم ، وإنشاء مراقبة عامة للفنون

الجميلة بوزارة المعارف العمومية ، ووضع الضوابط التى تحدد مفهوم الفنون من الناحية الرسمية وضرورة استقلالها عن إشراف إدارة التعليم الصناعى ، والمطالبة بضم مدرسة الفنون التطبيقية إلى قطاع الفنون الجميلة ، وكذلك تتردد مطالبه بشأن تشجيع الفنانين والعناية بالبعثات وتنظيمها ، ووجوب استفادة الدولة من الفنانين في أعمالها ومشروعاتها العامة .

كانت هذه الأفكار هى محور حماسته فى اجتماعات اللجنة التى كان يرأسها وزير المعارف (السيد على الشمسى) حينئذ وكان من أعضائها الأساتذة ويصا واصف ، محمد عرفان ، أحمد عمر ، محمد محمود خليل ، سميكة « باشا » ، ميرييل ، باستور ، لاكو ، لاشاك ، هرارى ، فييت ، رونترى .

وقد وضع مختار فى هذه اللجنة لائحة البعثات ، كما ندد بنظام تعليم الفنون بالمدارس العامة ، وبسوء إعداد واختيار مدرسى الرسم ، كما كان من مشاغله بحث وسائل تشجيع الفنانين حتى تزدهر الحياة الفنية .

وقد نجحت دعوته فى إنشاء جهاز خاص للفنون الجميلة بوزارة المعارف مستقل عن التعليم الصناعى ، كما وفق فى وضع الدعامات الأولى لتشجيع الفنانين ، وتنظيم البعوث الفنية ، وإدراج الاعتمادات اللازمة للنهوض بالفنون .

والكلمات التالية نماذج من مقالاته ورسائله في شأن الفن ، وقضاياه التى كانت تشغل العصر ، وفي المقالات نلمح وجهات نظر جمالية ، وفي التقارير والرسائل دراسات وتنظيمات أعد لها ، وجاهد من أجلها ، وقد تحقق منها البعض ، وما زال الكثير من الأسس الصالحة لإقامة نهضة شاملة .

كلمة فى الفن

صناعة الإنسان(١) بنت حاجته لأنه اضطر منذ بدء الخليقة أن يصنع ما يلزمه من أدوات وأسلحة وملابس ، وأن يبنى مايحتاجه من أكواخ تقيه من القيظ والبرد وتدفع عنه غائلة الوحوش الضارية وقد بقى الإنسان صانعاً بضرورته إلى أن نمت فيه ملكة الذوق فالتفت إلى الفن .

يختلف العمل الفنى اختلافاً كلياً عن كل ما ينتجه النشاط البشرى لسد حاجيات المعيشة التى لاتحتمل التريث والتأجيل ويمكن التعبير عن العمل الفنى في شكله العام وشكله البسيط بأنه كل عمل يحدث شعوراً بالجمال لا تشوبه شائبة ويدخل على النفس متعة ، أوعلى الأقل انفعالاً مع خلوه من منفعة معيشية . ويستند الفن على الإعجاب وما يرتبط به من مختلف الشعور قوياً كان أو راقياً — والفن شريك الزمن في القدم ويرجع أصله إلى سببين عظيمين :

أولاً : الرغبة في جلب الرضا وجعل تفاصيل الحياة جميلة جذابة .

ثانياً : الحاجة التى تشعر بها النفس من تكريم الموتى وهى فكرة تتصل بعبادة قوة تسمو عن إدراك البشر ، وأول خطوات الفن تلك النقوش والرسوم التى حلى بها الأقدمون ما يتداولون من حلى ومايشيدون منقبور ، واكتشف الباحثون من آثار العصور التى سبقت التاريخ المدون المعروف أحجاراً ثقبت (والله يعلم مقدار ماعانى ثاقبوها من تعب ومشقة) ليشكلوا منها عقوداً يزين بها النساء نحورهن ، كما وجدوا

---

(١) أفردت صحيفة الأخبار افتتاحية يوم ١٠ اغسطس ١٩٢٠ لهذا المقال الذى كان يعد دعوة إلي تقدير الفنون ومدخلا لتذوقها وتقويمها . وقد أعده مختارعقب عودته من باريس ورحبت الأخبار بدعوته لنشره وذلك من أجل التعريف بالفنون ونشر الوعي بها .. ويناقش هذا المقال — وهو فى مقدمة الدراسات الجامعة التى نشرت فى هذا العصر عن الفنون — الحاجة إلي الفن ونشأته والتعريف العام بفروع الفنون المختلفة ، وماهية الفن .. وقضية الفن والطبيعة ، والفن والأخلاق ، والفرق بين الجمال والحسن .. وتبين أهمية هذا المقال إذا مارددناه إلي عصره ، الزمن الذى نشر فيه ، وتمثلنا مدى الحاجة إلي مناقشة الأمور التى أثارها فى وقت كان الناس يتحسسون فيه الطريق لإدراك معنى الفن . وكانت الأشياء التى أصبحت الآن في حكم البدهيات من الأمور التى تستوقف الفكر وتثير الجدل كما كانت الحقائق التاريخية التى أوردها عن الفنون بعيدة عن الإدراك . وفي المقال نلمح مشقة البحث عن تعبيرات ومصطلحات فنية لم تكن قد دخلت بعد فى نطاق التداول .

صوراً حفرت بحجر مدبب على قطع من العظم فمثل أحسن تمثيل ما ألف آباؤنا الأقدمون نظره من الحيوانات كالفيلة والخيول وغير ذلك .

قلنا إن فائدة الفن ليست مباشرة لأن أفخر القصور لايخرج عن أنه كأقل المنازل يحمى من تقلبات الجوغير أن القصر يجمع بين المنفعة ومتعة الجمال ، أما التمثال والصورة فلا نشعر بفائدة ظاهرة له بل كل قيمته تنحصر في قيمة الفن وهى وحدها التى ينظر اليها .

والفن سواء أكان مضافاً إلى الفائدة كما فى القصر أم منعزلاً كما في التمثال والصورة إن هو إلا عمل من أعمال النشاط الإنسانى .

غير أن هذا النشاط يمتاز بما فيه من حرية وتجرد عن المنفعة وليس القصد منه إرضاء حاجة وقتية عاجلة ،وإنما يرمى إلى إيقاظ شعور وإحداث أثر قوى من الإعجاب وإدخال اللذة على النفس وارضاء ما طبعت عليه من حب التطلع وربما ذهب الإغراب برجل الفن إلى أن يعمل عملاً فنياً يحس من ينظر إليه بشىء من الخوف والذعر.

لما كان المقصود من الفن إيجاد شعور في نفس كل إنسان يستعرض أعماله فهو بذلك وبوجه خاص ظاهرة اجتماعية . من يصنع آلة فإنما يصنعها ليستعملها أما إذا بدا له تزيينها وتحليتها فما ذلك إلا ليرضى أمثاله أو ليحصل على إعجابهم .

لم تتجردجماعة مهما كانت درجتها من البساطة الأولى من فن ، كما أنها لم تجهله ونحن نرى بذوره فيالوشم الذى يزين به الرجل المتوحش جسمه ، كما نراه في الجهد العظيم الذى يبذله في تحلية فأسه أو سكينه .

يختلف ترتيب الفنون باختلاف وجهة النظر إليها :

أولاً : يمكن ترتيب الفنون بحسب مايتأثر بها من الحواس ، ففنون الرسم تؤثر في البصر ، والموسيقى والشعر في السمع .

ثانياً : تظهر بعض الفنون في الفضاء كالعمارة والتصوير والنحت ، وبعضها يظهر بمرور الزمن وبتعاقب الانفعالات كالشعر وما يتبعه من فن الإلقاء والموسيقى (وضع الأناشيد والأدوار وربطها) ومايتبعها من فن العزف الذى يطلق عليه كذلك اسم الموسيقى وهو بالنسبة للموسيقى كالإلقاء بالنسبة للشعر ، هناك فنون تظهر في الفضاء ومع الوقت كالرقص .

ثالثاً : إذا اعتبر الترتيب التاريخى فقد يجوز اعتبار فن العمارة أقدمها هو وفن الموسيقى ثم يجىء النحت الذى سبق التصوير في كل بلاد العالم إلا أن هناك إجماعاً على اعتبار الشعر كأنه أبو الفنون وسيدها .

ويقوم الفن على أساس واحد وهو محاولة تقليد الطبيعة فمنها يستمد رجل الفن كل أجزاء عمله ، وهى التى تسهل له الكلمات التى تتكون منها لغته ، ولوأنه من المحتم على كل رجل فنى أن يدرس الطبيعة بهيام وصبر :

ولا فائدة أبداً من فن أصله الطبيعة وغايته الطبيعة ، قال بيكون : « إنما الفن الرجل أضيف إلى الطبيعة » الرجل بأمانيه وقواه الأدبية وعلى ذلك فلا يجوز قصر الفن على الطبيعة وحدها وما الطبيعة إلا سبب من الأسباب : أما الفن فهو الغاية صقلتها شخصية رجل الفن ولِم يقول النقاد صورة من صنع فاندويك أو رامبرانديت بدل أن يقولوا مغزى الصورة ؟

وذلك لأن الموضوع معدوم أمام شخصية الصانع التى لا تعتدى عليها عوادى الزمان والطابع الشخصى الذى يطبع به الصانع صنعه يسمى أسلوباً : وهناك أسلوب ومدرسة واحدة وعصر واحد وشعب واحد ويطلقون اسم « عمل أسلوب » على الأعمال التى جمعت بين ارتقاء الفكرة وظهور الشخصية كتماثيل ميكيل انج أوفيدياس :

وعلى ذلك فهناك عاملان أصليان في كل الأعمال الفنية ، تصوير الحقيقة وتصوير الخيال ، ولقد حاولوا خصوصاً في أيامنا هذه ايجاد تعارض بين هذين العاملين إلا أن المنازعات التى قامت بهذا الصدد وإن أحدثت الكثير من الجلبة والضوضاء إلا أنها لم نصل إلى نتيجة فاصلة :

نحن لا نرغب كثيراً في تصوير الحقيقة تصويراً كلياً لأننا نقطع باستحالة الوصول إليه ، وعلى كل حال فإن العاملين مقضى عليهما بالاجتماع اليوم كمااجتمعا بالأمس في كل ماصنع أساتذة الفن ، لأن تصويرالحقيقة يصلح غالباً لستر ما في الصانع من نقص في الذوق أو التخيل أوإدراك كنه الطبيعة كما أن تصوير الخيال قد يكون غالباً المقصود منه ستر قلة المهارة وقلة الكفاءة تحت اسم شهى جذاب إذ أن غايته في السهولة تطبيق قواعد موضوعة بدلاً من تصوير أشكال شيقة .

وقد يتساءل الإنسان كثيراً ؛ أين يوجد تصوير الخيال ؟ أفى ذلك العمل الذى يحاول فيه صانعه الوصول إلى الكمال في تصوير الأشكال أو فى ذلك الذى لا يرمى صانعه إلا إلى تدوين ما في النفس من شهوات ، وإن دعاه ذلك إلى تضحية جمال الشكل ؟

يجب أن يلاحظ في كل عمل فنى عوامل ثلاثة أصلية هى التى يتجه إليها حكم الناقدين لذلك العمل : أولاً الفن — أى المادة والأساليب المتبعة — ثانيا التعبير والتركيب — ثالثا — التنفيذ أو الشكل — وبدونها لا يتم عمل رجل فن مهما كانت قدرته في التركيب والتعبير :

للفن تأثير كبير في الأرواح ، ولكن لايجوز الخلط بين الجمال والحسن ولا بين الفن والأخلاق لأن في ذلك إضراراً بالجميع . نعم ؛ إن لكل منها مبادئ خاصة به ولكن الفن كالعلم وكالفضيلة المطلقة يمتاز بتنزهه عن الأغراض فهو لايرمى بذاته إلى غرض أخلاقي ، وكل الذى يطالب به الفنى أن تسمو روحه فترفع معها أرواح الذين ينظرون إلى أعماله .

ولما كان تأثير الفن في الأفراد ليس بالأمر المتنازع فيه ، فقد كان له على الحالة الفكرية العامة للشعوب تأثير زاد في عظمته أن الفن يمتاز على سائر ما ينتجه الذكاء الإنسانى بسهولة إدراكه من العامة ، قال هيجل : « اعتبر الفن في جميع العصور كأقوى واسطة لانتشار المدنية وكأكبر داع إلى الديانة ، فالفن والدين أمهر المربين للشعوب ولايزال الفن إلى اليوم سبيلاً قويماً لتعليم العقول التى لاتصل إلى إدراك الحقيقة إلا من طريق الرمز والتصوير وما شاكلهما مما له وقع على الحواس ينعكس أثره على العقول ، وكذلك الفن فإنه يخضع للعوامل التى تكون الحالة الاجتماعية للوسط الذى يظهر بينه ؛ كالعوامل المادية والاقتصادية والنظام السياسى والأفكار الدينية الخ . وهو أكثر ظواهر مدنية الشعوب صراحة وانبعاثاً من النفس » .

غير أنه لوحظ أن الفن لايتبع دائماً أدوار المدنية العامة وهذا ما يحدو بالإنسان لأن يتساءل إذا كان الفن أهلاً للارتقاء . فإذا كان الجواب إيجابياً فقد تعين البحث عن الشكل الذى يتم به هذا الارتقاء :

ويزداد هذا السؤال وضوحاً إذا فصل الفن من العلم . قال باسكال : « مثل الجنس البشرى كمثل رجل يقضى وقته في العلم » .

ولكن أيوجد يا ترى من تبلغ به الجرأة أن يقول إن مثل الجنس البشرى كمثل رجل من رجال الفن انكب على العمل لاينقطع عنه ولاينصرف إلى غيره ؟

الفن عمل شخصى بحت ؛ أما العلم فلا . إن علم الغابرين ملك شائع بين الحاضرين وبين كل من يحاول الوقوف على النتائج التى استخرجها الراسخون في العلم . أما الفن فلاقيمة له إلا برجاله وعلى قدر أهله يكون الفن :

رب معترض يقول : ولكن لم يقم بعد دليل على أن الفن شاع بين الأمم المتوحشة ، هذا صحيح . إلا أن هذا القول يدل على أمر واحد هو أن لا حياة للفن إلا في وسط له ولو نصيب قليل من المدنية .

وأكثر ما يشوق في تاريخ الفن ذلك الاختلاف الذى يسهل الاهتداء إليه بين فنون البلاد المختلفة والعصور المتباينة ، وإن تاريخ الفن أمامنا نستعرضه بسهولة عظيمة ، فقد يكفى في استقرائه مجرد النظر إلى عمل من أعمال الفن ، وهو أشبه شيء بكتاب فتحت صحائفه لكل قارئ يستطيع كشف أسراره بنظرة واحدة .

لغة الفن لغة عامة تنطق بها كل الشعوب . أما العلوم والآداب فيفصل بينها مختلف اللغات . الأثر الفنى مهما طال عمره ومهما نأى موطنه يناجى الأرواح البسيطة مناجاته للأرواح التى هذبها العلم وصقلتها المدنية :

والإجماع على الإعجاب بالآثار الفنية يؤلف بين العقول التى فصلت بينها كل الفصل العقائد المختلفة والأجيال المتباينة .

الفن مصلح يومئ باحترام الماضى ، ويساعد بذلك على تقوية الشعور الوطنى ، وليس هذا بأقل الأسباب التى تدعونا جميعاً للاهتمام بتاريخه :

الفن والفنانون[1]

الفن أشبه بعالم سحرى ، يبهر كل من يقدم لارتياده ، وكلما تابع الطريق أشرق الأفق وامتد واتسع ، وفي كل خطوة نخطوها نحوه تلوح مسرات جديدة ، وتملؤنا بالحماسة .

وإنه لمن خطأ النظر أن نعتبر النشاط الفنى ضرباً من التسلية ، إنه على العكس ضرورى لنماء النفس الإنسانية ، وكم في تقدير الجمال وتذوقه من غذاء للروح .

ودور الفنان في الحضارة ليس مثالياً خالصاً ، إن دوره الاجتماعى عميق الأثر ، إذ أن الإبداع الفنى مصدر ثراء للمجتمع.

والفنان يفتح عيوننا على جمال الحياة ، ومن أنامله السحرية تخرج كنوز لاتقوّم بمـال .

---

(١) من كلمات بقلم مختار مترجمة عن الفرنسية .

التمثال (١)

وأقصد التمثال منفرداً لأبين في هذا المقال الأصول أو المبادئ التى يقوم عليها التمثال مجرداً عن الأهمية التى تمتاز بها مجموعة من التماثيل تعبر عن فكرة واحدة أو أفكار (groupe) ، أو ماللنقش البارز من اللطافة المصطنعة بمهارة (relief) أو ما للرأس (portrait) التى توقف النظر على نقطة واحدة من جسم الإنسان ، أو ما للمدالية وما يتخللها من الرقة والتظرف فبدون شك مجموعة التماثيل والنقش البارز والمدالية بما لها من السمات الخاصة ، ولكن القطعة الفنية الرئيسية بين كل هذا والأكثر جلالاً في بساطتها هى التمثال . الذى يتلخص فيه فن المثال فهو الفن الكامل .

ولايقف الفن عند حد ترجمة الطبيعة ترجمة مجردة كما تنظر إليها العين العادية بل يضعها في روح من الكمال والجمال وبأسلوب خاص فيعلو عليها .

ومهما يكن فالفن مثل الطبيعة يحتاجان إلى يد رئيسية تسيرهما ؛ فى عالم الطبيعة الرئيس والمسير هو الخالق ، وفى عالم الفن الإنسان هو الرئيس .

وبترجمته للطبيعة يعبر الفنان عن الحياة فمهما يكن من الفرق بين مخلوقات الطبيعة ومخلوقات الفن ، فهما يلتقيان عند غاية واحدة هى الحياة .

---

(١) من مخطوط بقلم مختار .

الجنيه المصرى الجديد(١)

صبيحة اليوم الذى اكتشفت فيه آثار الأقصر النفيسة التى تعد بحق من معجزات العصور الخوالى والتى تضيف إلى تاريخ مصر صحيفة جديدة من صحائف المجد الخالد ، تداولت الأيدى الجنيه المصرى الجديد على ما فى سكّته من فقر الفن ونقص الصناعة .

ولسنا نعرض لنقد هذا الجنيه الجديد إلامن حيث وضعه وما له من قيمة فنية . ولكن هل هو له قيمة فنية ؟ يخيل إلينا أن هذه القطعة من العملة أشبه الأشياء بما اعتدنا أن نراه في مخازن التجار من رخيص البضائع .

العملة رمز بل شعار اتخذته بلاد العالم طراً على تعاقب الزمن ، وبخاصة منذ اشتدت حاجتها للعملة بسبب ما طرأ على حركة التعامل فيها من نشاط . وعلى كل حال فالعملة أدخل الأشياء في شخصية كل بلد لأنها ميزة خاصة بكل مملكة فهى بهذا تحفة من تحف الفن ، وعلى هذا الاعتبار يجب أن تكون كجميع التحف الفنية مظهراً من مظاهر الجمال تدل على ذوق الآونة التى صنعت فيها وذوق الشعب الذى هى رمزه . العملة قطعة من قطع الفن التى تزين المتاحف العامة والمجموعات الخاصة .

وأول ما تمتاز به القطعة الفنية الجميلة (مدالية) أو قطعة العملة الجميلة هو ذلك الأثر العظيم الذى تتركه في نفس من يحدق فيها . فهو إذا نظر إليها أخذت مشاعره وحركتها بما فيها من تنوع فنى لاحد له ، وأول ما يلاحظ أن رسمها أو نواحيها تثير ذكرى مختلف الأشكال ومتنوع الأفكار وتأخذ بمجامع القلب دون أن يكون هناك محل للإعراب عما يقوم في النفس من إعجاب وإكبار بألفاظ كثيرة أو قليلة .

يجب أن تكون العملة قطعــة فنية تتجلى فيها آثار الفن ومميزاته ، فهى صورة مجسمة للمثل الأعلى ؛ بل هى رمز بما يقصد من المعنى الأول لهذه الكلمة ، فإذا كانت الأحجار النفيسة حلية الأمراء فيجب أن تكون العملة حلية الشعب ، مثل العملة مثل الصحيفة التى تطبع منها نسخ عديدة فهى صورة مصغرة لرجل شهير أو حكاية قصيرة لعهد مجيد أو صحيفة من صحائف التاريخ وضعت في متناول الفقراء .

---

(١) من مخطوط بقلم مختار .

وكيف يتمالك الإنسان نفسه من الدهش بل والتغيظ حين يرى هذه القطعة الذهبية التى تداولتها الأيدى في مصر للمرة الأولى حين أرادت المملكة المصرية أن تسك لها عملة — كيف لايدهش ولا يتغيظ حين ينظر إلى هذا الجنيه الجديد وقد تجرد من كل قيمة فنية :

إن سك قطعة من العملة على الطريقة التى تنحت بها التماثيل كما اتبع سقطة من سقطات الفن لا تغتفر :

يخضع بروز الصورة إلى مبدأ ثابت لا يتحول كما أن قيمة الرسم في نواحيه : أما وضوحه ورواؤه وقوة التركيب والوضع فهذه أمور لا تتم إلا باللمسة الأخيرة تقوم بها يد قوية ولكنها اكتسبت بطول المزاولة مرونة هى غاية الفن :

أما الوضع فخاضع لمبادئ ثابتة لاجدال فيها ، وأما الأسلوب فيتبع الزمان والمكان وهو مستمد من عبقرية الشعوب ولا شيء في العالم أكثر تنوعاً وتحولاً من العبقرية .

هل هناك ما يدعو للتكلم عن الناحية الأخرى للجنيه ؟ إن هى إلا مجموعة من التجرد من الفن وسخافة في الأسلوب ونقص في الذوق . ملئت هذه الناحية بلا نظام ولا ترتيب وبدون تأنق بل ولا عناية ، ولنسارع بالقول بأن قطعة العملة الجديدة كالقطعة الأثرية (المدالية) هى الرمز الدائم المتجدد لقوة عصر وجيل ونشاطهما :

وجملة القول ان الجنيه الجديد قطعة من القطع العادية صاغته يد عادية لبلد عادى فى حين أن كل شيء فى مصر يبعدها عن أن تكون بلداً عادياً سواء اعتبرنا تاريخها القديم أو كيانها الحالى :

ولو كان لنا رجاء نرفعه وأمنية نعرب عن تحقيقها في القريب العاجل المستطاع فهو أن تكف الحكومة عن سك الجنيهات الجديدة بل يجب عليها أن تبادر فتسحبها من التداول صوناً لكرامة وشرف البلاد :

رسالة إلى هيكل

صديقى هيكل :

طالما احتفظ كلانا بطبيعته ، فلن يلقى الجد مجالاً في أحاديثنا فمامن مرة دار بيننا حديث إلا وكان مصحوباً بسخرية ، ولكن روح الدعابة والسخرية التى تميز صداقتنا لها معان خفية يستعصى إدراكها على النفوس السطحية الدارجة .

ولقد آليت على نفسى أن أكتب إليك ما كنت أود أن أقوله بصوت مرتفع ، قد تضحك منى أيها الماكر ولكن سنرى إذا كنت ستستغرق في الضحك طويلاً .

يحكى أن لويس الرابع عشر كان لا يسيغ لافونتين وكان يضحك من حكاياته ، ولكن الأخير ما كان ليشكو من السخرية به ، وكان موليير يقول عن لافونتين « إنهم يضحكون من هذا الرجل الطيب ، ولكنه قد يعيش أطول منا » وما أنا لافونتين كما أنك أنت أيضاً لست « لويس الرابع عشر » .

إنك لا تكتفى بأن تكون عظيماً ، ولكنك تريد أن تكون نافعاً لقضية الرأى بين صفوة القوم الذين تحتل في صفوفهم مكانة سامية .

إن الرجال ذوى الأفكار العالية لايسمحون أن يأتى الغد بالهزيمة والفشل ، ولكنهم يريدون أن يحمل كل يوم في ثناياه معالم التقدم ، وأنت من هؤلاء ، أنت كالجندى تحارب ضد الهزيمة ولكن سيفك هو القلم .

لقد سمعنا قرع الطبول يعلن عن إصلاح شامل في التعليم العام .

وبقى الفن وحده منسياً ! .

ومن أجل هذا أردت أن أحدثك ، وأن أتجه إليك وإلى الصفوة التى تنتمى إليها وذلك للدفاع عن هذه القضية الاجتماعية بنفس الحماسة الذهنية وروح النفع العام اللذين يعتبران شعارك .

يجب أن يتساند الكل في إحياء النهضة الثقافية للشعب ولا تخفى عليك أهمية الفن في حياة البشر .

ولكن البعض منا يعتبر الفن ترفاً ، وآخرون لا يحتفظون له إلاّ بتقدير يسير ، وإن كان أغلبية أولئك وهؤلاء يجهلون أثره المفيد في قيادة الشعوب .

إن الدين والتاريخ وكل خصائص الشعب تتجلى في أبسط مظاهر فنه .

الفن قوة قومية ، وكل القوميات تتطلب من فنها أن يعبر بوضوح عن مميزاتها وخصائصها وترى فيه النواة الضرورية لتوسعها الاقتصادى ، وما من شك في أن تدهور الفن ببلادنا في هذا العصر إنما يرجع إلى محاولات ناقصة ومبتورة .

وإن لم يكن الذكاء ينقصنا فلا بد أن المنطق يعوزنا .

وإن لم تنقصنا الإرادة ألا تكون العلة هى انتفاء الصراحة وسمو الرغبات ؟

ألا ترى أن شعبنا لم يألف بعد شئون الروح والفكر ؟ في أى مظهر تبدو المسرات الشعبية؟ وإلى أى ثقافة تتعطش الطبقة الوسطى؟ إنها أشياء لايمكن تحديدها ، لقد تدهور الفكر ، أدب قليل ومسرح متواضع ، ولا شك أن انعدام الفن وعدم ظهور مدرسة روحية هما أساس مجافاة الشعب لكل ما يتصل بشئون الفكر .

ولكن مهما تدهور الإنسان فإن فيه بقية لا يغمرها الوحل .

وقد يكون انتشار دراسة الفنون الجميلة بين جيلنا وقاء له من هذا الانحدار الفكرى ، ومن الضرورى اتخاذ إجراءات عملية حاسمة لنشر الفنون وحمايتها وتشجيع الفنانين الوطنيين وإلا فلن يرث عنهم أسلافهم غير شعلة خافتة .

وسّعوا إذن دراسة الفن في المعاهد وانشروا الذوق والأفكار السامية على الجمهور .

ولاينبغى أن ننسى أن دولاً جديدة في الشرق أخذت تتفتح للفن ، ولهذا فإنه من الصالح العام أن تبقى مصر على رأس الحركة الفنية .

---

(١) من رسالة مخطوطة إلى المرحوم الدكتور محمد حسين هيكل .

تقرير بشأن مقتنيات الدولة الفنية

إلى حضرة صاحب المعالى وزير المعارف

أتشرف بأن أوجز فيما يلى آرائى فيما يتعلق باقتناء الدولة للأعمال الفنية من المعارض التى تقام فى مصر :

إن المحافظة على مكانة الدولة يقتضينا أن نقصر مقتنياتها على الأعمال الفنية الجديرة بالعرض فى المتاحف القومية ، وذلك حتى نحفظ لعبارة « اقتناء الدولة » دلالتها وقيمتها ؛ غير أن الأمر يقتضى من ناحية أخرى تشجيع الفنانين الذين يبذلون جهوداً صادقة وإن لم تصل أعمالهم إلى مستوى اقتناء الدولة ، ومن هنا تظهر ضرورة وضع نظام لتشجيع الفنانين ، وهو نظام له نظائره فى الدول الأخرى . وقوام هذا النظام مكافآت خاصة تمنح من الدولة بمستويات مختلفة تقديراً لجهود الفنانين وحفزاً لهم :

وقد يكون من المناسب أن يوكل اختيار الأعمال التى تمنح هذه المكافآت إلى لجنة تحكيم رسمية يتكون أغلبها من الفنانين حتى يتاح لها استظهار القيم الفنية فى الأعمال التى تستحق المكافأة :

وإنه ليسعدنى إذا ما لقى الاقتراح موافقتكم أن أتقدم بمشروع لوضع هذا النظام موضع التنفيذ :

محمود مختار

إلى السيد رئيس لجنة الفنون الجميلة

أرجو أن تتفضلوا بإدراج المسألة الآتية في جدول أعمال الجلسة القادمة للجنة الفنون الجميلة :

الحاجة إلى تعديل تسمية « وزارة المعارف العمومية » إلى « وزارة المعارف والفنون الجميلة » .

وإذا كان هذا الاقتراح يلقى مبرراته منذ زمن طويل في بلاد مثل بلادنا تعد أغنى بلاد العالم في الفنون القديمة كما تعتبر مهداً لها ، فإن الحاجة إليه اليوم تتأكد وتساندها شواهد عملية ، وحجج منطقية ، ففى الوقت الذى ننشئ فيه إدارة للفنون الجميلة ، وتخصص ميزانية للفنون ألا يكون من الضرورى أيضاً أن نطرح هذا الموضوع للبحث ، وما من شك في أن مناقشته ستثير وجهات نظر لها اعتبارها وأهميتها وستنتهى بنا إلى نتائج محددة تخلصنا من الخلط الذى يكتنف مفهوم الفنون الجميلة في مصر :

١٩٢٨/١/١٣

عضو اللجنة

محمود مختـــار

وثائق إنشاء مدرسة الفنون الجميلة العليا

عني مختار بسياسة تعليم الفنون في مصر بعد عودته من باريس ، ومنذ سنة ١٩٢٤ توالت تقاريره للمسئولين في هذا الشأن ، وظهر الاتجاه إلى إنشاء مدرسة عليا للفنون الجميلة في الجهات الرسمية دون أن يكون مسبوقاً بالدراسات اللازمة .

كان النظر إلى إنشاء تلك المدرسة لايعدو إقامة معهد عال لتدريس الفنون يقصر الالتحاق فيه على حملة البكالوريا ، فقاوم مختار هذه الفكرة إذ كان يرى في هذه المدرسة مركز إشعاع ثقافي وفني في الشرق ، كان يود أن تهيأ لها أسباب النجاح ، وأن تعد على نهج مدارس الفن ، ومن هنا كان يطالب بالإعداد لها وتهيئة العناصر الصالحة للالتحاق بها ، كان يود أن يكفل لهذه المدرسة سلامة البدء ليتحقق لها استمرار النجاح :

وهذه المقتطفات من تقاريره إلى السيد وزير المعارف وإلى السيد رئيس اللجنة المالية بمجلس النواب هى جانب من الوثائق الهامة التى تضمنت وجهة نظره في إنشاء المدرسة وفي تعليم الفنون عامة :

تقرير بشأن إنشاء مدرسة عليا للفنون الجميلة

« إن بلاداً مثل بلادنا يجب أن يكون لها مدرسة عليا للفنون الجميلة والحاجة إلى هذه المدرسة أمر لامراء فيه غير أن إنشاءها لن يكون مجدياً إلا إذا قصر الالتحاق فيها على العناصر التى تعد إعداداً صالحاً لدراسة الفنون :

وإعداد هذه العناصر يتطلب التعجيل بإنشاء مدرسة للفنون الزخرفية يوضع لها برامج محددة تشمل كل أنواع الفنون التشكيلية ليتهيأ لفنانى المستقبل أن ينموا أذواقهم ويكتشفوا ميولهم الفنية بعد دراسة واسعة للفنون وهذا أمر بالغ الأهمية :

وبهذا يتاح للطالب قبل التحاقه بمدرسة الفنون الجميلة العليا فرصة اختيار الفرع الذى يناسب ميوله ، وبعد دراسة ثلاث أو أربع سنوات تنظم مسابقة للالتحاق بمدرسة الفنون الجميلة العليا ويلحق الناجحون في المسابقة بهذه المدرسة ، أما الطلبة الذين يبدون استعداداً وميلاً نحو الفنون الزخرفية فيستكملون دراستهم بالمدرسة الزخرفية ، ويوفد المتفوقون منهم في بعثات إلى الخارج شأنهم شأن طلبة الفنون الجميلة العليا :

« إن مدارس الفنون تكاد تكون منعدمة في القاهرة ، ويكفى أن نلقى نظرة على برامجها الحالية لنتبين أنها أنشئت على عجل دون أن تسبقها خطة مدروسة واتسمت بالطابع الوقتى ، وهذا هو سر نضوب الروح في تلك المدارس وضعف أثرها ، بل إننى أضيف فضلاً عما تقدم أن هذه المدارس تعوق نماء الفن في مصر :

ومن هنا يبدو أن القرار الذى اتخذته وزارة المعارف العمومية بإنشاء مدرسة عليا للفنون الجميلة جاء على عجل سابقاً لأوانه دون برنامج أو خطة موضوعة ، وإنشاء المدرسة في مثل هذه الظروف سيعرضها لهزة كتلك التى أصابت المدارس السابقة :

وعندما استعلمت من وزارة المعارف علمت أنها لم تضع لتلك المدرسة برنامجاً ، ولست أدرى إذن على أى أساس طلب تدبير الاعتماد المالى اللازم لها ؟

كذلك فإن إنشاء مدرسة الفنون الزخرفية لا يجوز أن يقتصر على القاهرة ، بل يجب أن تنشأ فروع لتلك المدرسة في العواصم الكبرى حتى يتاح للطلبة الذين لا تسعفهم مواردهم على القدوم إلى القاهرة أن يدرسوا الفن في تلك الفروع ، مع إتاحة الفرصة للفائزين منهم للقدوم في بعثة بلدية إلى القاهرة :

وفي الختام فإنى أرى :

(١) التعجيل بإنشاء مدرسة للفنون الزخرفية مستندة إلى برامج محددة .

(٢) إنشاء فروع للفنون الزخرفية في المدارس الرئيسية بالعواصم .

(٣) التوسع في تدريس مادة الرسم في كل المدارس الابتدائية والثانوية .

(٤) النظر من الآن في إنشاء مدرسة للفنون الجميلة العليا تبدأ عملها خلال ٣ أو ٤ سنوات :

(٥) ضرورة فصل إدارة الفنون الجميلة عن إدارة التعليم الفنى والصناعى والقضاء على الخلط القائم بينهما :

من تقرير مؤرخ ١٩٢٧/١١/٢٧

وبمناسبة الاتجاه إلى قصر الالتحاق بمدرسة الفنون الجميلة العليا على حملة البكالوريا هاجم في تقرير سابق قدمه إلى وزير المعارف بتاريخ ١٩٢٦/٦/١٦ هذه الفكرة لأنها تعوق سبيل المواهب الحقيقية وكتب يقول :

« لقد علمت أن النية تتجه إلى قصر الالتحاق بمدرسة الفنون الجميلة العليا على حملة البكالوريا وهذا خطأ كبير من جانب وزارة المعارف ، فمعنى ذلك أن مدرسة الفنون الجميلة العليا ستكون مدرسة ابتدائية للفنون مع دراسات أولية .

واتجاه وزارة المعارف هذا يقتضى أن تزود المدارس الثانوية بدراسات شاملة للفنون وهو أمر متعذر تماماً ، وعلى هذا فسيحال بين الطلبة الموجودين وبين الالتحاق بمدرسة الفنون الجميلة ما لم يكونوا حاصلين على البكالوريا ، ولقد كنت أتوقع أن يكون لهذه المدرسة – وهذا هو المنطق – مسابقة للقبول تتيح لكل طالب ينجح فيها دخول المدرسة .

وختاماً فإننى إذ كنت لا أعلم برنامج وزارة المعارف في هذا الصدد إلا أنى أود أن أوجه أنظاركم إلى نقطتين :

(١) إنه من الضرورى ونحن بصدد إنشاء مدرسة للفنون الجميلة العليا يستغرق إنشاؤها وقتاً طويلا أن نعجل خلال فترة الإعداد لتلك المدرسة بإنشاء مدرسة للفنون الزخرفية على أن نتفادى قيود الالتحاق التى تحول دون المواهب الناشئة ودون الاتجاه إلى هذه الدراسة كالشهادات والدبلومات وغيره على أن تكون مسابقة الدخول هى البديل وهو ما يتبع في هذا النوع من المدارس بكل بلاد العالم .

(٢) وأود أن أوجه النظر إلى أن الفنون في مصر ما زالت منعزلة عن التطور الفكرى والاقتصادى للبلاد ، وأنه من الصالح القومى الإسراع بتحقيق هذا المشروع حتى تحتفظ مصر بمكانتها بين الدول المتحضرة .

وبمناسبة تكليفه بإعداد برامج مدرسة الفنون الجميلة ومدرسة الفنون الزخرفية أعد تقريراً لوزير المعارف في مارس ١٩٢٧ ، وهو إذ يرد دواعى العناية بتعليم الفنون إلى اعتبارات قوميةواجتماعية مخاطباً المشاعر بأسلوب حماسى ، إلا أنه عند ما يتحدث عن خطة التنفيذ يعالجها بنهج واقعى ويرسم لها الخطوط التى تتفق وإمكان التنفيذ مؤمناً بأن مقتضيات التعجيل تدعو إلى التدرج في التنفيذ وتخطيط المشروع على مراحل متتابعة بدلاً من الاندفاع نحو نموذج كبير يؤدى الإخفاق في تنفيذه إلى هزات تصيب الفكرة في الصميم :

وفيما يلى ما جاء بهذا التقرير :

« إن المدرسة العليا للفنون الجميلة ، ومدرسة الفنون الزخرفية التى ستكون للدراسة التحضيرية يمكن أن يقاما في مكان واحد مع بقاء كل منهما مستقلة عن الأخرى ، وبهذا يمكن أن يكون للمدرستين مدير واحد ، وأن يستعان أيضاً ببعض الأساتذة في التدريس بالمدرستين وخاصة أساتذة المواد العملية والدراسات العامة .

كذلك يمكن أن تخدم قاعات العرض والمتاحف والمكتبات أغراض المدرستين ، ومن الممكن بدء الدراسة التحضيرية في أكتوبر ١٩٢٧

إن هذه الدراسة التحضيرية هى التى ستزود المدرستين بالعناصر الصالحة ، وهذه العناصر موجودة بين طلبة مدارس الفن القائمة حالياً ، ويمكن توزيع هؤلاء الطلبة على فصول الدراسة التحضيرية الأربعة تبعاً لقدرتهم :

ولهذا فمن الضرورى إقامة بناء موقت من الخشب يكون مقراً لهذه الدراسة إلى أن تتم إقامة المدرسة ، ومن الممكن أن تبدأ المدرستان في أكتوبر ١٩٢٨ .

ضرورة العمل

« ليس من شك أن تدهور الفن في بلادنا إنما يرجع إلى النقص الذى يشوب نظامنا التعليمى :

ومن هنا تظهر الضرورة إلى اتخاذ إجراءات عاجلة لوضع نظام لتدريس الفنون ، وإن اهمال هذا الفرع من التعليم لمسئولية كبرى ، إذ يجب أن تساند كل القوى في في النهضة الثقافية للشعب ولا يمكن تجاهل أهمية الفن في حياة الإنسان وأثره في الإبقاء على كيانه وسلامته :

إن نقص المدارس الفكرية والروحية كان سبباً في ابتعاد الشعب عن كل ماله صلة بالفكر والروح .

وإذا ما واجهنا الموقف بمزيد من الحزم ، ونشرنا تعليم الفنون فإنها ستكون وقاء لأجيالنا من الفقر الذهني ، ومن انحدار الذوق .

إن كل القوميات تتطلب أن يكون فنها تعبيراً صادقاً عن شخصيتها وترى فيه نواة توسعها الاقتصادى .

ولا ننسى في هذا الصدد أن كثيراً من بلاد الشرق أخذت تتفتح للفن ، ومن الصالح القومى أن تبقى مصر على رأس الحركة الفنية لتحتفظ بمكانتها في المجموعة الثقافية للبلاد المتمدينة » .

ولقد تحقق بجهود مختار إنشاء مدرسة الفنون الجميلة وبقى يشرف على تنظيمها وعلى تدريس فن النحت لطلبتها مدة تسعة أشهر دون أن يرتبط بوظيفة أو قيد .

ولقد عبر المرحوم على الشمسى الذى كان وزيراً للمعارف في هذا الوقت عن دور مختار في تلك المدرسة فقال :

« ينبغى أن نؤكد شيئاً هو أن إنشاء مدرسة الفنون الجميلة يرجع إلى مختار ، هو الذى أنشأها ، وهو الذى وضع برامجها التى لم أكد أدخل عليها أى تعديل .

لقد كان ينقل إلينا شعلة نفسه المقدسة ، وما كنا نستطيع إلا أن نعينه من كل قلوبنا »(١) .

---

(١) مجله أنور : تحية لمختار عدد إبريل – ١٩٣٤ .

لقاء النقد مع فن مختار

كانت المعارض هى سبيل الاتصال بفن مختار بعد تمثاله « نهضة مصر » فعرض بصالون الربيع الذى نظمته الجمعية المصرية للفنون الجميلة بعض أعماله ، وكذلك استقبلته معارض جمعية ، محبى الفنون الجميلة في بدء إنشائها ، ثم ما لبث أن تحول عنها إلى جماعة الخيال . وفي معارضها تعاقبت أعماله ، واتصلت الأسباب بينها وبين الوسط الفنى ، ورجال الفكر والأدب ، وتحمس هؤلاء جميعاً للروح المصرى الذى يتجلى في هذه الأعمال ورحبوا باتجاه مختار إلى استلهام جوهر التراث وروح العصر وصور البيئة المصرية .

غير أن مختار كان حريصاً على أن يؤكد في نفس الوقت اتجاهه الفني ويثبت أقدامه بين الاتجاهات العالمية المعاصرة ، فولى نظره صوب معارض باريس وتعاقب فيها عرض أعماله حتى أصبح اسمه مألوفاً لرجال الفن ورواد معارضه .

كان تمثالاه « اللقية » و « كاتمة الأسرار » وصلاً لعرض إنتاجه بمعرض الفنانين الفرنسيين « الصالون السنوى للفنون » بعد أن عرض في بواكير حياته الفنية « تمثال عايدة » سنة ١٩١٣ وعرض نموذج « تمثال نهضة مصر » سنة ١٩٢٠ .

ولقى التمثالان كل تقدير ، حتى أن لجنة تحكيم صالون الفنانين الفرنسيين أشارت إلى أنها وجدت نفسها إزاء استحالة مادية في أن توفي التمثالين حقهما من التقدير فأوصت بمنحة وسام جوقة الشرف .

وشهد التمثالين « أول بجيورسون » وكان من الشخصيات الفنية المعنية في عشرينات هذا القرن بالعمل على المواءمة بين الفن الإسكندنافي والفن المصرى ، فتحمس لاتجاه مختار وكتب يدعوه إلى معاونته في مهمته وأشار إلى أن معروضات مختار في هذا المعرض دلت عليه بطريقة حاسمة وأنه « لم يلق خلال سياحاته المتعددة في العالم أثراً هزه كتمثال « كاتمة الأسرار » وأنه لا يرى في هذا الاتجاه الرائع فناناً بل ظاهرة روحية فذة » .

وبعد ذلك كانت أعمال مختار في صالون الفنانين الفرنسيين من المعالم الظاهرة التي يتجه إليها النقاد وينوهون بها وبما فيها من قيم أصيلة ، ودلالة على جدية البحث في عصر سادت فيه موجات من الهزل الفني ، إلى ذلك كان يشير النقاد ويذكرون اسمه إلى جانب أسماء لاندوفسكي ، وانجلبرت ، وجان بوشيه ، ومارسيل جيمون ، وإدوار ساندوز من كبار المثالين الذين عاصروه وعرضت أعمالهم معه .

من ذلك ما كتبه الناقد الفنى لنشرة الفن القديم والحديث ، بمناسبة صالون الفنانين الفرنسيين سنة ١٩٣٠ :

«في زمن الخداع واهتزاز عناصر التقدير الفنى مازالت القيم الجادة تحيا ، وهاهى ذى نلمسها في أعمال مختار المصرى الذى يذكرنا بالماضى وأعمال مارسيل جيمون وإدوار ساندوز .... »

وفي سنة ١٩٣٠ ، وبعد سنوات من البحث الدائب ، اتضح لمختار الطريق ، وخلص من مشاغل تمثال نهضة مصر ومهام الكفاح من أجل الحركة الفنية وفرغ لإنتاجه الفنى بعيداً عن قيود الالتزام الرسمى والتكليف ، وتفتحت طاقات الإبداع في نفسه ، ومن ثمار هذه الفترة الوجيزة كان أربعون تمثالاً عرضها في معرض خاص بباريس سنة ١٩٣٠ ، وأختار له « قاعة برنهيم » القاعة الفنية العتيدة التى عرضت أعمال رينوار وديجا وفان جوخ وجوجان وأكبر رجال الفن ، كان حريصاً على أن يسجل من هذه القاعة العتيدة ميلاد مدرسة مصرية حديثة في فن النحت .

ولقى هذا المعرض حماسة من الصحافة الفنية ، اعتبرته إيذاناً بميلاد الفن المصرى المعاصر ، وعودة الحياة إلى التقاليد القديمة .

وتزاحمت باريس في شارع الفوبورسانت أونوريه لتشهد معرض مختار خلال الأيام العشرة التى فتح خلالها أبوابه .

ولم تنفرد صحافة فرنسا وحدها بهذه الحماسة ، وإنما تحدثت عن مختار ومعرضه صحافة العالم في أمريكا وانجلترا وبلجيكا وإيطاليا وعقدت عنه الفصول ونشرت الدراسات .

وكانت صفحات النقد الفرنسية والبلجيكية والأمريكية من أكثرها اهتماماً بفن مختار ومعرضه .

ولا نعرض في هذا الفصل الصدى الإخبارى لمعرض مختار ، وما كانت تحفل به الصحف في الخارج عن هذا الحديث وما نشرته حول اسمه من عبارات التقدير والتمجيد ، وإنما نكتفى بنماذج من الدراسات النقدية التى تبين صدى فن مختار وانعكاسه . وفي مقدمة هذه النماذج مقالات كبار النقاد العالميين في ذلك الوقت أمثال لويس فوكسيل وجورج جراب ورايمون اسكولييه وجاك باشيه وماكسيلميان جوتييه ممن لهم دور هام في حركة الفنون المعاصرة .

من مقدمة كتالوج معرض مختار بباريس

بقلم جورج جراب

« إن حياتك ياعزيزى مختار لتشبه في روعتها وجمالها قصة قديمة من قصص مصر وطنك العزيز أو إحدى قصص ألف ليلة تلك التى تستحوذ على مخيلتنا نحن الغربيين وإن ترديد هذه القصة على الزوار الذين سيتوافدون غداً على معرضك ليزيد من اقترابهم نحو شخصك وفنك .

« إننى أستعرض في فكرى روائع النحت المصرى التى يبدو أن الهاماً معجزاً جعلك وارثاً لها أفكر إزاء فنك في تماثيل الآلهة والبشر المنحوتة في الجرانيت والبازلت ، تلك التى رسمت طريقك خيراً من نماذج المدرسة التقليدية .

«ولست أدرى فيما إذا كنت قد لقيت في عهد شبابك المتحمس بفرنسا «رودان العظيم » ولكنك حدثتنى عن الساعات الطوال التى قضيتها إزاء روائعه ، وقد شهدت – في صحبته – أشكاله الخالدة التى خلفها لنا وتلقيت عنها تعاليم توائم تلك التى أملاها عليك جنسك ، ولقد قال هذا العبقرى الجبار : « إن الفن الخفاق بالحياة لا يعيد أعمال الماضى ولكنه يكملها » وتلك هى الرسالة العظيمة التى كرست نفسك لها .

إن فلاحاتك يا عزيزى مختار وفلاحيك وبنات الحقول في أرديتهن البسيطة التى تلف أجسامهن في خفر وحياء ، كل هؤلاء يجمعون بين المظهر الدينى وتلك السحنة الإنسانية الواقعية التى عرف أجدادك كيف يضفونها على تماثيلهم ، وفي تماثيل تلك الشخصيات العظيمة وتماثيل الأصدقاء التى نحتها نجد شيئاً من التماثيل الفرعونية المفعمة بالحياة تلك التى أقبلت حتى عصرنا منتصرة على الناس والزمن »

وإنى لأعلن إليك أسفى إذ لا يستطيع زوار معرضك أن يشاهدوا ويعجبوا بتمثالك الجرانيتى الرائع « نهضة مصر » الذى رفع عنه الستار منذ أكثر من عام في ميدان من أكبر ميادين العاصمة .

لقد كان يو مآجديراً — لكل الاعتبارات — بالذكر لأن هذا التمثال الذى أقمته على ضفاف النيل والصحراء يمثل النهضة المزدوجة للروح المصرية التى ظلت وفية لنفسها ، يمثل رغبتها المشروعة في التحرر والاستقلال وحبها لآثار الفن الرائعة .

وهذا التمثال يعد في نظرى من أقوى وأروع قطع النحت المعاصر . وإن (١) « أبا هولك » الذى يتطلع فخوراً ليذكرنى — وهذا ثناء — بأبى هول أمنمحات الثالث في متحف القاهرة ، ولا أظننى مخطئاً إذا قلت إنه يعتبر تكريساً لجهودك وما حققته من مجد ، وهو يفتح لك طريقاً أوسع مما سلكته حتى الآن جديراً بمواهبك الفذة » .

---

(١) جورج جراب كان مديراً لمتحف رودان وله عديد من المؤلفات والدراسات النقدية منها دراسة فى الشعر الإنجليزى فى القرن التاسع عشر و«فى حديقة سانت بيف » كما أصدر كتباً عن ديجا وكونستانتين جي ،وكلودمونيه وفلا سيكييز ، وجويا وفراجونار ووتيسيان وله ديوان شعر عنوانه « القلب بين الأشياء » وقد كان صديقاً حميماً لمختار وهو الذي قدم أعماله فى القاهرة سنة ١٩٣٨ إلي جانب اعمال رودان وبورديل ومايول وألقى محاضرة عن حياته وفنه .

إكسلسيور Excellesior ١٢ مارس ١٩٣٠ :

مختار مثال مصرى صميم

بقلم لويس فوكسيل(١)

لفت البعض ذات يوم نظر الرسام الكبير ديجاس إلى لوحة عرضها رسام يابانى تمثل مقاتلاً يابانياً من طائفة الساموراى ممسكاً بقوس وسهم في غابة فونتنبلو ، وكان ديجاس قاسى النقد شديد التهكم فعلق على تلك اللوحة البادية التناقض بقوله : « نعم إنه يصوب سهمه إلى الجائزة الثانية » وبهذه الكلمة ندد مصور الراقصات الشهير بأولئك الرسامين الأجانب الذين ينكرون ماضيهم القومى ويتخذون لأسلوبهم الفنى مظهراً أوربياً بحتاً تابعاً للآخرين .

غير أن هذا النقد الذى وجه إلى كثير من الفنانين الأجانب الدخلاء على مدرسة باريس لا يمكن أن يوجه إلى ذلك المثال المصرى القدير — مختار — الذى افتتح معرضه أخيراً في قاعة برنهيم — جين — « بشارع فوبورج — سانت أونوريه رقم ٨٣ » ، فإن هذا المثال الشاب يمثل بأسلوب نبيل في دائرة الفن البنائى العظيم الدلالة ، أولئك الفتيات الفلاحات في بلاده ذوات المشية المملوءة جلالاً واللائى يحملن أوانى اللبن فوق رءوسهن ويسرن بها في خطو منتظم . فهو على ذلك رجل العصر وفي الوقت نفسه سليل فنانى الدولة القديمة والدولة الوسطى ، ومختار ليس مثالاً خارجاً على جنسه بل هو على العكس مصرى صميم المصرية ينتسب إلى أقوى الأصول وينحدر عن قومية صحيحة ناصعة . ونحن إذا لمحنا القومية المصرية لمحات عاجلة فقد حددناها وبينا كنهها في الوقت نفسه .

إن الذى يميز الفن القديم في وادى النيل هو صفاؤه ورزانته ورقته ثم ما فيه من صدق ودقة وإدراك تام لأصول الرسم خلال نشاط بقى على الدهر أكثر من ثلاثة

---

(١) لويس فوكسيل أحد كبار نقاد الفن الطليعيين فى باريس ، عاصر الحركة الحديثة منذ نشأتها وإليه يرجع تسمية مذهب الضوارى « Les Fauves » حين شاهد بعض أعمال أصحاب هذا الاتجاه فى صالون سنة ١٩٠٥ فقال كلمته التاريخية المشهورة « دونا تللو بين الضوارى » إشارة إلى وجود تماثيل على الأسلوب الفلورنسى بين الألوان الصارخة لفنانى هذا الاتجاه ، وله عدة دراسات ومؤلفات هامة وكان من المعنيين بفن ماتيس .

آلاف سنة وتجد في الفن المصرى القديم منذ عهد ممفيس اتجاهين مختلفين يجتمعان فيه ، أولهما اتجاه شعبى واقعى يقرب تلك الأمة القديمة من نماذج الطبيعة المتغيرة ، كما يتضح في تماثيل ميدوم وفي تماثيل الكاتب القاعد القرفصاء في متحف اللوفر أو متحف القاهرة ، وكما يتضح أيضاً في لوحات النحت الغائر بالمعابد الجنائزية ، أما الاتجاه الثانى فهو ملاحظة قاعدة صارمة متوارثة تقضى بأن تمثل صورة الآلهة والملوك في أوضاع خاصة ثابتة وفي إطار لا يتغير من اللغة التشكيلية وهذا الذى دعا البعض إلى أن ينسبوا خطأً صفة الجمود إلى فن النحت المصرى القديم . ونستطيع القول بأننا نلتقى في تماثيل مختار امتداد الفن المصرى باتجاهيه الوضعى والدينى ، أو الشعبى والرسمى . ولا ننسى أن هذا الأستاذ المثال الشاب لم يحصر عمله في التماثيل الشخصية كشيخ البشارين بأسوان ، أو وجه عدلى يكن باشا البادى الأنفة ، أو حاملات الجرار وهن عائدات من النهر ولكنه كذلك صنع تمثالاً لإيزيس الغامضة وصنع أبا هول ضخم يسمى « نهضة مصر » منحوت في الجرانيت الأحمر وقد أقيم في سنة ١٩٢٧ باكتتاب أهلى وأزيح عنه الستار في ميدان من أهم ميادين القاهرة .

إن مختار هو فنان واقعى شغوف بالحقيقة وصدق التعبير والحياة المحيطة وهو كذلك من أتباع الأطرزة ، وقد قال عنه جورج جراب بحق إن تمثاله « نهضة مصر » يبعث إلى التفكير في أبى هول امنمحات الثالث ولن تجد في هذا المعرض الجميل أى أثر للفوضى أو أية دلالة على تقليد فنان آخر ولكنك تجد فيه رغبة باهرة في تجديد فن عظيم قضت عليه القرون المتوالية .

لويس فوكسيل

الفن الحى «L'Art Vivant» ١٥ أبريل ١٩٣٠ :

المثال مختار

بقلم ماكسيميليان جوتييه

من دواعى العجب أن يكون لدينا شمول النظر وعموميته الذى يعين على استخلاص معنى واضح وبسيط من خلال استعراضات الفنون العالمية التى تتجدد برامجها كل أسبوعين في صالات العرض بباريس . . ويرى البعض أننا نستقبل عصراً من التطور الفنى بالمعنى الدولى ، واتجاه إلى التوحيد رغم الحدود الإقليمية وهذا يتفق مع ما يدور في المجال السياسى .

ولكننا ننسى أن الخصائص الفردية لايتحقق نماؤها وازدهارها إلا في إطار القوميات وما علينا إلا أن نبتعد قليلا عن مونبارناس ليتأكد لنا أن العالم الفنى لا يمكن أن يوضع كله في إطار واحد هو إطار مدرسة باريس .

وإن قصة المثال مختار الذى عرضت أعماله من ١٠ إلى ٢١ مارس الماضى بقاعة برنهيم لتقدم مثلاً ظاهراً في هذا الشأن .

لقد عاد مختار بعد دراسته إلى أرض بلاده وهو إذ يرنو إلى تقاليد بلاده يطمح في أن يمضى بها ويكملها محاطة بهالة من إعجاب العالم ولكن أية تقاليد ؟ لقد كان عليه أن ينقيها من لمسات أجنبية عديدة حتى يكتشف وجه بلاده الصادق .

لقد آثر مختار أن يكون نحاتاً مصرياً أصيلاً .. وتلك هى مغامرته النبيلة ، وإن أعماله المعروضة عند برنهيم لتثبت أن الفنان يستطيع أن يحقق الأصالة والتناسق دون حاجة إلى اعتناق المذهب الإغريقى الرومانى . . ولكنه لم يقع أيضاً في خطأ التقليد الحرفي لأساتذته الفراعنة والتزام طريقتهم في التعبير .

ولقد استطاع مختار أن يضفى على أعماله شيئاً من المرونة ، وأن يدخل عليها النزعة الحديثة وبهذا خرج فنه من نطاق التقاليد إلى الحياة .

ويعتبر مختار شخصية عامة في بلاده فضلاً عن مكانته في الخارج ، ومنذ أكثر من عام أزيح الستار عن تمثاله الجرانيتي « نهضة مصر » فلفت أبو الهول في التمثال الناقد جورج جراب الذى رآه وقال إنه يذكر بأبى هول أمنمحات الثالث بمتحف القاهــرة .

وبفضل مختار ، وباندفاع تيار الأحداث ، استقبل النحت المصرى عصراً جديداً من البطولة وهبت عليه ريح من الشباب والقوة يستمدها من المشاعر العامة التى يبرزها ويتغنى بها .

لاديبيش ١٤ مارس ١٩٣٠ : «La Dêpeche»

مختار مثال مصرى

بقلم رايمون اسكوليبيه(١)

إن العودة إلى الفنون الفطرية لا ترجع على التحديد إلى هذه الأيام . . فمنذ أكثر من قرن في سنة ١٨٢٧ — دعاديلاكروا إلى دراسة فنون الكلدانيين والآشوريين والفن الزنجى حين كان يعد لوحته « ساردانابل » .

وما أن خطا القرن العشرون حتى أخذ النحت الفرنسى بعد رومانسية رودان يتطور نحو مثل أخرى ظهرت فيها النزعة القديمة الاستاتيكية وتجلى فيها الاستقرار والثبات .. ولقد ظهر جوزيف برنار ومايول مجددين لنماذج ميسينا وايجين وشعارهما شعر بودلير الشهير عن الجمال « إننى أكره الحركة التى تفسد جمال الخط » .

وبينما أثرت أقنعة ساحل العاج والكاميرون تأثيراً غريباً على أعمال بعض كبار مصورينا مثل شارل دوفرين ، فإن مثالينا أفلتوا من الوقوع تحت تأثير هذا الفن الوحشى الفاجع في تأثيره . . وعلى العكس فقد أثرت الصين القديمة في عصر « هان » ؛ وبصفة خاصة مصر في عصر الأسرات الأولى ؛ تأثيراً كبيراً في أعمال مثالينا منذ اتجهوا إلى النحت المباشر . ويكفى أن نقارن تماثيل الحيوان « لماتيوهرنانديز » و « بومبون » بأعمال « بارى » المفرطة في التزام الطبيعة لنرى إلى أى حد كان تأثرهما بفنون طيبة في تلك الخطوط المجردة الواعية ، وفي المسطحات ذات البريق التى تجمع بين الرقة والقـــوة .

وإلى جانب هذا فالصلات الثقافية بمصر ما زالت تتجدد منذ عهد بونابرت ولعل هذه الوشائج جميعاً هى التى دعتنا إلى أن نستقبل بحماس المنحوتات الرائعة التى عرضها مختار المصرى . .

---

١ — رايمون اسكوليبيه أحد كبار نقاد الفن الذين عاصروا نشأة الحركة الحديثة وكان لمؤلفاته ومقالاته أثر هام فى إلقاء الأضواء على الفن المعاصر وكان صديقاً لماتيس وأصدر عنه كتابين من أهم الكتب التى تناولت حياته وفنه .

وإن نظرة إلى الأربعين تمثالاً من الرخام والبرونز والحجر التى عرضها في قاعة برنهيم الصغير لتدل على أن العالم قد أضاف اليوم إلى فنانيه مثالاً عظيماً ولقد توصل مختار إلى أن يعيد روح الفن المصرى العريقة مع احتفاظه بأسلوب تعبيره الحديث .

لقد تزاحمت باريس خلال عشرة أيام لتشاهد سحر الفلاحة « على شاطىء النيل » وزوجة شيخ البلد هذا التمثال البرونزى بخطوطه البالغة الصفاء ، وأسلوب تشكيله بمافيه من رقة وهمس « وامرأة القاهرة » التى يحفظ المرمر لها سحر الآلهة وسرها وكذلك — « ابنة الشلال » التى يذكرنا وجهها المعبر بوجه تمثال « الكاتب القاعد القرفصاء » . وأخيراً أنوه بصفةخاصةبتمثاله «القيلولة» الذى جمع بين صدق الإحساس وسحر التعبير وحوى من مقومات الأسلوب الفنى ما يفوق كل ما رأيناه من أعمال النحت منذ وقت طويل ، وهكذا لم تكف مصر عن أن تثير إعجابنا ودهشتنا .

جريدة Le Petit Matin ١٨ ابريل ١٩٣٠ :

المثال المصري « مختار »

بقلم Henri Besnoit

في سنة ١٩٢٠ عرض المثال المصرى الأول « مختار » تمثال « نهضة مصر فى » « صالون الفنانين الفرنسيين » فكشف للرأى العام الباريسى نهضة فن النحت الفرعونى من جديد : وتحمس الناقد اندرى سالمون رغم أنه ضنين بالمدح متحفظ فى أحكامه ، تحمس لعمل مختار ودفعه ما لمسه فيه من يسر وتنوع فى الأداء وتناسق إلى أن يكتب أنه لا يعرف « نحاتاً معاصراً عنى أكثر من مختار بالعنصر البنائى ، وباحترام الكتلة لذاتها كمقوم فى فن النحت وفقاً لما تمليه تقاليد هذا الفن العريقة وليس هناك فن أجدر من فنه أن يكون فن انبعاث . . وفوق هذا فإن مختار دفعنا لأن نلمس أعماق ضمير بلاده حين عبر عن عاطفة كبرى . . . تمجيد الجنس » .

وكانت نهضة مصر مفتتح طريق لمختار ، ومناراً أعلن منه دعوته إلى تجديد هذا الفن المصرى العريق .

ولقد التقى بتناسق رائع في هذا التمثال كمال الفن الفرعونى والحضارة الإسلامية ممثلين فى أبى الهول القابع فى جلسته المقيدة ممثلاً تقاليد مصر ، والمرأة الواقفة فى اعتداد مستندة بيدها على رأس أبى الهول ، وباليد الأخرى ترفع الحجاب الذى يعزلها عن العالم . . . وهى تتطلع إلى المستقبل فى ثقة واعتداد ، وعلى ملامح وجهها جلال تضفيه ذكريات الماضى ، وفى نظرتها إرادة منبعثة من الشباب الخالد . أما أبو الهول فهو ينهض من مهاده الرملى ويتطلع إلى العالم بغير دهشة ودون أن يفقد هدوءه وجلاله .

ولقد تحمست مصر كلها لتمثال مختار ، ودعته إلى أن يقيمه باكتتاب قومى فى ميدان من قلب القاهرة .

ولقد ظل مختار خمس سنوات ينحت فى الجرانيت هذا الأثر القومى ، وقد استخدم مادة الجرانيت التى أقام منها الفراعنة آثارهم ، وكم كانت مصاعب هذا العمل هائلة ولكنه تغلب عليها . وهو يدعونا من خلال تمثاله إلى أن نفكر فى معجزات أجداده الذين اتخذوا الجرانيت مادة لآثارهم رغم مشقة الجهد ، وافتقارهم إلى كثير من الأدوات الحديثة ، وقد كانت عودة مختار من أجل تمثال نهضة مصر سبباً ربط بينه وبين بلاده ، وأوحى إليه بمجموعة رائعة من التماثيل انبثقت من إحساسه الشعرى وقدرته الفائقة على الملاحظة . وفى هذه التماثيل نلقى البساطة الرائعة والتناسق بين المسطحات ، وهذه القدرة الفائقة على التبسيط فى مزاج من الفن الفرعونى القديم ، والفن الحديث .

وإن تماثيله المعروضة ببرنهيم والمصنوعة من الجرانيت ، والبازلت ، والرخام والبرونز ، والحجر ؛ شواهد على علامات تطوره وحماس روحه .

إن « ايزيس » و « عروس النيل » و « على شاطىء النيل » علائم سجلت حدثاً فى تاريخ فن النحت وتماثيله لعدلى باشا ، وسعد زغلول ، وعلى إبراهيم عميد كلية الطب بالقاهرة ، وميجليه ، وبدوى لتظهر قوة ملاحظته وتنوع إنتاجه . . ولكن من خلال تماثيله الحجرية والبرونزية تلوح كما يقول لنا الناقد الفنى بجريدة الإرادة « عين مدربة لا تكتفى بحب الشكل وحاسة التنظيم والتنسيق . وتدل على أن الفنان لا يقف عند حد التعبير عن الجمال ، وإنما هو يبث فى تماثيله روح الحياة » .

ونستطيع أن نقول مع رايمون اسكوليبه إن العالم قد أضاف إلى كبار فنانيه نحاتاً عظيماً ومن حق مصر أن تفخر بأنه من أبنائها كما أنه من حق فرنسا أن تفخر بأنه من تلامذتها وبأنها رأته يشب لينهض بمصر العزيزة علينا نحن الفرنسيين ، هذه النهضة المباركة .

Henri Besnoit

الإرادة La Volonté ١٤ مارس ١٩٣٠

قصة فلاح صغير ونحات عظيم

بقلم مارسيل برتلوميه

سأقص عليكم اليوم قصة فلاح صغير عرفته في القاهرة باسم « الولد مختار » ، وقدرت أمس عبقريته وأستاذية فنه من خلال أعماله التى عرضها فى قاعة من أرفع قاعات العرض شهرة وسمعة فى باريس .

ولد مختار على ضفة إحدى الترع التى تمد حقول القاهرة بالماء وبالطمى من النهر المقدس ، وعاش هناك بين الفلاحين . وبينما كان زملاؤه يعملون فى الحقول كان يحب أن ينعزل تحت ظل شجرة على ضفة الترعة يصنع الدمى من الطين مصوراً سكان قريته ، أحياناً كانت هذه الدمى تمثل شيخ البلد ، أو العمدة ، أو فتاة فلاحة صغيرة .

وكان أبوه حزيناً في بداية الأمر ، ولكنه أحياناً كان يتملكه الزهو لموهبة ابنه الذى لم يكن قد تجاوز الثانية عشرة .

وذات يوم مر بالقرية أحد الباشوات ، ولمح مختاراً مشغولاً بتسليته المفضلة وتأمله طويلا وأطلعه الصبى على مجموعته ، وكان الباشا محباً للفنون فقابل والد الطفل وطلب منه أن يصحبه معه ليعلمه وبدأ يتعلم العربية والفرنسية ، وكان الصبى ذكياً ، ولم يمض شهور حتى دخل مدرسة الفنون الجميلة بالقاهرة التى أسسها هذا الباشا وعندما شهد

---

* ترددت هذه القصة فى مقالات بعض الكتاب الأجانب وهى قصة أسطورية لا تحمل شيئا من صدق التاريخ فحقيقة الأمر أن مختار ولد لأب كان عمدة قرية طنبارة بالمحلة الكبرى ثم رحلت أمه من هذه القرية إلى قرية من قرى المنصورة حيث أقامت عند إخوتها لخلاف مع زوجها وهجرت القرية إلى القاهرة للعلاج وأقامت عند بعض أقاربها وتركت مختار طفلا بقرية «نشا» حيث تفتحت أولى مواهبه على مشاهد الفلاحات وطمى الترعة حيث كان يجلس ويصنع التماثيل وذات يوم صحبه أحد شيوخ القرية المتصلين بأسرته « الشيخ محمد أبو غازى » . . صحبه إلى أمه فى القاهرة حيث عاش فترة بين أحيائها القديمة حتى فتحت مدرسة الفنون الجميلة أبوابها فالتحق بها .

أستاذه بعض أعماله الأولى قال إنه سيكون يوماً ما شخصاً هاماً فقد كانت تحمل علائم النبوغ الثلاثة ، الأصالة والملاحظة والبداهة .

ورحل مختار إلى مدرسة الفنون الجميلة وبدأ يتعلم الفن ... لقد كان لديه سهولة الأداء والإحساس بالأشكال وتذوق الجمال ودلت أعماله الأولى فى باريس على معالم قدرته ولكنها أعمال لم تتحرر من قواعد المدرسة وقوالبها . وكانت فيه طاقة لم تستخدم ، كان لم يجد طريقه بعد ، فحماسه جذبه إلى الكلاسيكية الإغريقية الجديدة التى تلقنها معاهد الفن ، ووعى كل أسرار التكنيك والقواعد التقليدية ولكنه لم يصبح هو نفسه بعد .

وعاد إلى مصر ....

وتحققت المعجزة ....

لقد بدأت التماثيل الفرعونية التى كان يعبرها دون اكتراث بجمالها تثير فى نفسه تطلعات جديدة ، لقد عاد إلى أصوله واكتشف منابع عبقريته الأصلية وارتباط الحلقات بين المستقبل الذى يتطلع إليه والماضى الذى اكتشفه . لقد أخذ يحلم أمام الكتل النحتية الضخمة التى أخرجها أسلافه ، وأخذ يقدر جمال الخط الفرعونى وروعة الكتلة التى تخفى هذه التفاصيل التى يسقطها التمثال الفرعونى من حسابه .

وكانت البلاد حينئذ تضطرب بحماس وإصرار مطالبة بالحرية ... كان حماسها فائراً وإيمانها عميقا وقام مختار مدفوعاً بالروح الجديدة التى بعثتها فيه دراسة تقاليد أجداده النحاتين ومسوقاً بدافع وطنيته بنحت تمثال ضخم يمثل نهضة مصر ، أبو الهول الذى أحاطه لغز الدهور يطل فخوراً وإلى جانبه رمز لمصر ترفع الحجاب وتتطلع إلى المستقبل .

لقد أراد مختار أن يكون لتمثاله ضخامة تمثال رمسيس الثانى ، وأن تكون مادته من الجرانيت الذى نحت منه الفراعنة تماثيلهم ، والذى يلوح وكأنه يعير الفجر فى كل يوم لونه الوردى .

وهكذا تفتح أمام الفنان أفق جديد ، لقد تحرر من قيود الكلاسيك ، وتشرب تقاليد بلاده الصحيحة .

ولقد لمس العلاقات التى تربط اتجاهات الفن الحديث وتقاليد أجداده الأقدمين .

واتجهت مقدرته اتجاهاً جديداً فى النظرة إلى الجمال ، إنه أخذ يبحث عنه فى الخطوط وفى تناغم المسطحات فى بساطتها الرائعة وفى هذا التبسيط البارع للخطوط

المحددة للتمثال ومع احترامه لفن أجداده فإنه ربط تقاليدهم بالاتجاهات الحديثة وعبر بين التقليدين القديم والحديث المذهب الإغريقى الكلاسيكى مع ما يحمله من سمات الرشاقة ، وهكذا وجد مختار طريقه .

وظل يعمل ، وها نحن نلقى باعجاب في قاعة برنهيم مجموعته الرائعة التى تمثل تطور عبقريته من خلال الشواهد العديدة التى تمثل ثمار فنه المختلفة.

إن « على شاطىء النيل » و « إيزيس » و «عروس النيل » تعتبر من قمم الفن ، و « كاتمة الأسرار » إنما هى بعث صادق عميق للروح المصرية .

أما تماثيله للأشخاص ومن بينها تمثال « سعد زغلول » فإنها تقيم الدليل على تعدد عبقريته التى تؤكد ذاتيتها في كل ضروب فن النحت .

Marcel Bertholemé

الفيجارو في ١٤ من مارس ١٩٣٠ :

ماذا يمكن أن يفعله المصريون من معاصرى رمسيس وتوت عنخ أمون الذين شادوا فن النحت العظيم لو عادوا اليوم إلينا ؟

أينتجون أيضاً نحتاً مصرياً أصيلاً ؟

لقد لمسنا الجواب فى أعمال صباغ التى عرضها فى العام الماضى حاملة معالم التعبير الحديث .

وها هو مختار يعرض تماثيله فى قاعة برنهيم متخذاً طريقاً وسطاً يسلكه بعبقرية وبكثير من الرقة ؛ إنه يتخلى عن الخطوط التقليدية ، ولكنه يذكرنا بمقدرة أجداده القدامى على التبسيط .

ولقد تابعنا باهتمام كبير طرائقه فى التعبير عن الرقة النبيلة لفلاحاته وخاصة في تمثاله الرائع حاملة الجرة ، وفى تماثيله الصغيرة التى نلمح فى خطوطها مرونة تماثيل « ناى » و « ونوى » بعد أن بعث فيها روحاً حديثاً ، وهو يقدم إلى جانب هذا تمثالين عاريين ينبضان بالحياة ، ومجموعة من تماثيل الأشخاص وإن لم يكن بها شئ مصرى محدد إلا أنها تكمل هذه المجموعة الهامة .

Arséne Alexandre

Le Crapouillot (أبريل ١٩٣٠)

كم هى تركة ثقيلة ، وامتياز له خطره على فنان حين يكون أسلافه هم هؤلاء العمالقة الذين أقاموا تلك التماثيل الفرعونية العظيمة . ولكن مختار يحمل هذا العبء بجدارة وما ذلك بالقليل .

وإن شهرته التى ذاعت في بلاده لشىء يستحقه عن جدارة .

Luc Benoist

جورنال بارى ميدى « Paris Midi » ١٨ مارس ١٩٣٠ :

إن المعرض الثانى يخص المثال مختار الذى يستمد من وطنه مصر موضوعات أعماله النبيلة ، حاملات الجرار ، والفلاحين ، ونماذج من المدينة ومن القرية . إن مصر القديمة التى حفظت عبر آلاف السنين منحوتاتها العظيمة لا تنكر أعمال هذا الفنان الذى يستحق بأسلوبه المكين نظر وإعجاب أشد النقاد .

جرو

صوت باريس Echo de Paris ١٠ من مايو ١٩٣٠

يجدد محمود مختار المصرى بمقدرة وتوفيق تقاليد أسلافه العظيمة فى فن النحت

وإن تمثاله « على شاطىء النيل » ليتميز بحرية منطلقة ومرونة فى أسلوب الأداء وهو يعد من أروع قطع النحت هذا العام .

لقد حقق مختار فى أعماله هذا الشىء النادر . . . الأسلوب الشخصى المميز .

Guy Moro

Le Soir Mars 1930

الفن والفنانون فى ظلال أبى الهول

لقينا عند برنهيم جين مصرياً يقدم نحتاً أصيلاً صادقاً ، إن اسمه برنينه المميز « مختار » يثير في النفس ذكرى رحلات وقراءات ويومئ إليها بصورة « أبى الهول » ومقابر الفراعنة .

ومع أحلام هذا الخيال تلوح أعمال مختار وموهبته التى تفتحت براعمها فى صالونات الفنون بباريس ثم أتت في هذا المعرض الخاص ثمارها .

لقد قدم هذا الفنان مجموعة ممتازة بالغة الروعة بعد أن أقام منذ عام تمثالاً ضخماً « نهضة مصر » في أحد ميادين القاهرة .

ومن هنا يبدو أننا أمام موهبة فذة .

وأهم ما يستوقف النظر فى هذا المعرض هو إشعاع النور الذى ينساب على مسطحات الرخام والحجر ، وأن نساءه المصريات ذوات الوجوه المحجبة يحفظن تحت أرديتهن إغراء الجسم الذى يبدو خلف الرداء .

ولاتجد فى أعمال مختار هذه القوة الحوشية العارمة المتفجرة فى أعمال ماستروفتش غير أن مختار أكثر منه مرونة وبراعة وهو يضفى على أردية تماثيله تناسقاً هندسياً يحققه عن إرادة وبإحساس دون أن يتأثر بالرتابة البيزنطية .

وإن تمثال « زوجة شيخ البلد » ليعد مثلاً موفقاً لفن مختار ، أما تمثال امرأة القاهرة فإنه وصل في الإصرار على تبسيطه إلى حد المغالاة .

أما تمثالاه « اللقية » و « الحزن » فقد استدعى مرآهما إلى نفسى اسم المثال اليوغسلافى العظيم ماستروفتش دون مقارنة فى أساليب الصياغة بينهما وأن مختار ليصل إلى ذروة تعبيره الفنى الصادق فى فلاحاته بأرديتهن ، وفيما حققه فى الرداء من عناصر تعبير وحركة ....

Fanny clar

Griffe ٣ أبريل ١٩٣٠

لقد قدم مختار من خلال أعماله التى عرضها في معرضه الذى أقامه ببرنهيم جين الدليل على النتائج الطيبة التى يمكن أن يحققها في مجال الفن التقاء وراثة تقاليد عريقة بإلهامات العصر وتأثراته . وإن تماثيله لتوحى بالفن المصرى في عصوره السابقة ، توحيها من خلال حركات حاملات الجرار والنساء الجالسات ، وهى تكشف عما يمكن أن تحمله الثقافة اللاتينية من رقة وحركة إلى تقاليد فن قديم ثبت على أوضاعه .

لقد ولد مختار في مصر من أسرة مصرية وأنجز أعماله في بلاده قبل أن يعرضها علينا . ولقد كان الفن المصرى رائعاً في تطوره الذى تستطيع أن تتابع خطواته عندما تستعرض مجموعة اللوفر . ففى البدء كان هذا الفن معنياً بالتفاصيل ولكنه أخذ يخلص منها مع الزمن . فالرجل المتربع قد تحول من التفاصيل التى كانت تبدو في قدميه وسيقانه وقامته إلى أن يكون تعبيراً مركزاً في الرأس التى تعلو تلك الكتلة الحجرية ، وهكذا كسب هذا الفن بقوته المعبرة ما فقده باسقاط التفاصيل .

أما فن مختار فيبدو أكثر خفة وانطلاقاً وفيه ما يوحى بهذا الإحساس بالهواء والانطلاق الذى يبدو عند نحات تمثال النصر في الأكروبول .

ولعل في هذه النماذج الرائعة من الفن التى يذكرنا بها فن هذا المثال النابغة مختار ما يقيم الدليل على قيمته الفنية العظيمة .

لقد كان من المتوقع أن ينساق مختار وراء اتجاهات الفن العالمى الذى كان يستمد إلهاماته من مونبارناس ولكنه ظل يتطلع إلى ثقافتنا ويتمثلها وعاد إلى بلاده مرهف الحس مزوداً بكثير من التعاليم ولكنه لم يتخل عن مزاجه الشخصى وميزات جنسه ، وظل وفياً لروح بلاده رغم حبه للثقافة الفرنسية .

ومن خلال أعمال مختار التى عرضها بقاعة برنهيم يلوح أن التذكارات التى انطبعت في مخيلة الفلاح الصغير لم تمح وأنها عادت في صور تلك النساء بأزيائهن التقليدية التى لم تتغير وفي ملامحهن وحركاتهن منذ مائة قرن .

فحاملة الجرة ظلت على مر العصور تخطر بخطوات كأنها النغم المردد على ضفاف النيل ، وهى تلوح في تماثيل مختار أكثر قرباً إلى تلك التماثيل التى كانت تحيط بقامتها المديدة الملساء قبور الفراعنة لتحفظ لهم صورة الحياة ، هى أكثر قرباً في همسها وبساطتها ورقتها وفي مرونة أجسامها تحت الخطوط المستقيمة لردائها ، وهى تذكر بها أكثر مما تذكر بالتماثيل الضخمة التى كانت تقام خارج المعابد الفرعونية :

وفضلاً عن تماثيل الفلاحات فقد عرض مختار مجموعة من التماثيل الشخصية النصفية تلوح فيها قوة الأداء والتعبير .

ولكى نحيط بامتدادات مقدرة مختار ينبغى أن نذكر تمثاله الرائع « نهضة مصر » الذى أقامه في القاهرة وصور فيه أبا هول وقد نهض من مهاده الرملى متحرراً من ثقل قرون طوال مرت عليه دون أمل أو رجاء .

Georges Guy

Art Digest يونيو ١٩٣٠

مرحى لمصر

بعد سبات استمر قرابة ألفين من السنين بدا على مصر معالم اليقظة لاستقبال حياة فنية جديدة ، فإحساسها الفنى القديم دبت فيه معالم النشاط ، ولقد كان النشاط الظاهر حتى الآن فى التصوير ، أما نحاتو الأحجار القدامى فلم يخلفهم وريث حتى ظهر هذا المثال المصرى الموهوب ابن الفلاح – محمود مختار – فأحيا فجأة ودون انتظار عبقرية نحاتى أبى الهول .

لقد أقام معرضاً لأعماله فى قاعة برنهيم تحت إشراف جورج جراب أمين متحف رودان ، ويشتمل المعرض إلى جانب بعض تماثيل الأشخاص على مجموعة من التماثيل الرخامية والبرونزية استوحاها من فلاحات بلاده اللائى احتفظن بجلالهن القديم .

لقد أبرز مختار توازن حركاتهن ورشاقتهن بأسلوب عميق الأثر .

أما تماثيله العارية فقد عالجها بأسلوب زخرفى واستوحاها من مصر القديمة ولقد اقتنت الحكومة الفرنسية واحداً منها هو تمثال « عروس النيل » لمتحف لوكسمبرج .

واشنطون أبريل ١٩٣١ : Art & Archeology

مختار والنهضة فى مصر

بقلم كورين فرازيير «Corinne Frazier»

عندما قضت كليوباترة نحبها حسب العالم أن مصر قد أخذت تموت : . ولكن الحقيقة أن مصر الخالدة لم تمت بل أخذتها غفلة النائم بينما كان الغزاة يقتتلون من أجلها .. وبالرغم من سباتها فإن روحها الفنية لم يطغ عليها سيل الفاتحين أياً كانوا . : فمنذ ربع قرن استيقظت تلك الروح بعد ألف عام من الظلام وأخذت تتطلع كأنها في حلم إلى الدنيا الجديدة ، ومالبثت أن نهضت فتناولت أدوات الفنان العتيد وأخذت تجد في العمل بينما العالم في غفلة عنها وكان لا يذكرها إلا بثقافتها وفنونها في العصور الخوالى وأبطالها الأقدمين .

ولكنا اليوم نشهد مشهداً رائعاً من حياة مذهب فنى حديث يشب في أعماق مصر الفراعنة وخلاصة روح عصرية تتدفق من ضفاف النيل ونهضة فنية شابة يسطع نورها أمامنا فجأة كما يزدهر النبات النادر الذى كانت تحول دون نمائه قوة سحرية خفية وإذا بعيوننا نحن الغربيين تخلبها روعة هذا الازدهار ، وإذا بنا نرى معارض الفنانين المصريين تقام في باريس وتقيم الدليل على أن فن مصر قد بعث إلى حياة تفيض ازدهاراً .

ولقد عبر أحد كتاب مصر عن ذلك حين قال :

« إن فن مصر القديم . . أعمدتها الجميلة ، ومنحوتاتها الرائعة ولوحاتها الجدارية تلك التى كانت تستحوذ على إعجاب السفراء الأجانب لم تعد تدعوهم اليوم إلى أن يهزوا رءوسهم أسفاً على فن مصر الضائع فهو يفيض اليوم حياة ، وها هى ذى مصر تنفض التراب الذى كان يغمرها وتتحرك وتفتح أعينها وتستيقظ لحياة جديدة » .

إن أعمال قادة المدرسة المصرية الحديثة لجديرة بالالتفات ويعتبر مختار زعيم تلك المدرسة وقد نال في باريس نجاحاً باهراً منذ عرض لأول مرة في صالون باريس .

وكان مختار حتى هذا الحين لم يلق أسلوبه الشخصى ، كان فنه ما زال فى مرحلة التكوين ، من أجل هذا كان من الممكن لهذا النجاح أن يضلله وأن يكون خطراً عليه كما قال أحد النقاد ، إذ كان من شأنه أن يغريه بالوقوف عند هذا الحد والاكتفاء بجوائز معارض باريس ، ولكن قال لنا الخبيرون والنقاد إن ما فى نبوغه من تراث موروث وما أودعه فيه النيل منذ طفولته من الأسرار الخفية أكثر من أن يقف به عند هذا الحد ، وهكذا رفض أن يظل نتاجاً تقليدياً مما تخرجه معاهد الفن ولم يقنع بالنجاح الصغير ولا بالبقاء تلميذاً لأساتذته . . فعلى الرغم من أنه من تلاميذ المثال الذائع الصيت لابلانى الذى كان أميناً لأحد متاحف باريس التى تولاها مختار من بعده ، فإنه مع ذلك لم ينس حلمه في أن يعبر عن حياة شعبه بطريقته الخاصة ، ولقد نمى مختار أسلوبه المصرى الفذ .

وحديثاً اقتنت الحكومة تمثال مختار « اللقية » واقتنت الحكومة الفرنسية أيضاً تمثاله « عروس النيل » الذى نلمح فيه تأثير الفن المصرى — الإغريقى .

وإن مغامرة مختار النبيلة هى فى تحوله من المدرسة التقليدية إلى أسلوبه الشخصى ، ولقد قال نقادة كبير عندما عرض مختار فى الربيع الماضى بقاعة برنهيم « لقد أثبت مختار أن الفنان يستطيع أن يحقق الأصالة والتناسق فى عمله دون الحاجة إلى الالتجاء للمذهب الإغريقى الرومانى » والواقع أن مختار قد وفق فى أن يخلق لنفسه فناً فريداً فى نوعه خليقاً بعبقريته فلم يسر على وتيرة تقليد أجداده الأقدمين ، إذ أن فنه عصرى محتوٍ على كل عناصر الجدة والنشوء ، وهو فى الوقت نفسه شديد الشبه بالفن المصرى .

وهذا التوفيق بين عصرين تباعد بينهما آلاف السنين يعتبر أجل مظهر لمهارة مختار ونبوغه الفنى .

مختار مثال مصرى

لقد وجد الفن المصرى الحديث في مختار ممثلاً له ، وإن مجموعته الرائعة التى عرضها عند برنهيم الصغير قد أطلعتنا على مظاهر عبقريته المتعددة ، وهو ينحت الجرانيت والبازلت والرخام وينفذ أعماله في البرونز ويبدو في معالجته الحرفية لمطالب كل خامة منها فناناً فذاً متمكناً .

وإن مختار الذى له فخر الانتماء إلى مصر التى حفظت عديداً من أسرار الفن هو الابن الوفي لهذه الحضارة الدينية والواقعية التى حفظها جنسه وعبر عنها في رؤاه المشرقة في عالم النحت .

وهو ككل فنان ممتاز له أسلوبه الراسخ الذى يتنوع بتنوع الخامات ، ويحقق المواءمة معها . وفيه تلتقى المعرفة بالحلم ، والملاحظة مع الخيال ، والقوة مع الرقة ، الحركة مع الهدوء ، وتقاليد بلاده الموروثة مع صور الحياة المعاصرة :

ولقد جمع مختار واقعية فنانى جنسه وأسلوبهم التقليدى معاً ، وتحد تماثيله خطوط محكمة تتزاوج مع الشكل وتبرز الملامح الأساسية لكل تمثال ، وسطوحه التى يتخللها النور . وهو يصل بأسلوبه إلى حد البساطة والإيجاز ولكنه يحتفظ لتماثيله بالجلال ، وتلوح فلاحاته في طريقهن « إلى النهر » وفي عودتهن نابضات بالحياة والشباب والحركة تحت الأردية التى تلف أجسامهن ، ونحسها وكأنها تعيش وتتحرك وتنبض فيها الأنفاس .

ويبدو وقع خطاها على الأرض ، وقد أضفى عليها الفنان إحساس الإيحاء بالمسير بحركة سحرية تجمع التناسق والرقة والجلال معاً .

فهذه العروس الشابة متجهة « نحو الحبيب » وفي جسدها نضارة الحياة التى خطها أزميل مختاروفي ردائها البساطة الرائعة ، وفي حركتها مسحة من الجلال .

و« امرأة القاهرة » تلفها ملاءتها ذات الخطوط الرائعة في بساطتها وعلى ملامحها الرقة والعظمة اللتان يجتمعان في أروع التماثيل التى خلفتها لنا مصر القديمة ،

في هذا التمثال تكمن كل التقاليد الفنية لهذا البلد العظيم ، النبل الموروث والبساطة المعبرة والرقة التى تدل على حساسية عميقة وتمكّن في أسلوب الأداء ، ومع هذه الملامح من الماضى يلتقى التجديد الفنى الحديث ،والحياة الحاضرة، ولمحة شخصية تدل على فنان عظيم .

وتعد « امرأة شيخ‌البلد » مع « امرأة القاهرة » مثلين يدلان على موهبة مختار ، وهو إن كان قد اتخذ من المرمر مادة لتمثال امرأة القاهرة فإنه اختار لزوجة شيخ البلد خامة « البرونز » ، ويعتبر هذا التمثال من أروع قطع المعرض ، في حركته تعبير عن العظمة والنبل وفي تشكيله تلك البساطة التقليدية التى تحفظ للتمثال كل طاقته التعبيرية ، ولقد أبرز مختار التعبير عن الجوهر وأسقط التفاصيل بمقدرة فائقة على الأداء وذوق فنى أصيل ، وليس في حركة التمثال ما ينتقص من جلاله أو يؤثر على تناسق خطوطه وتناغمها ، إنه يجمع فيه التعبير الدينى والملاحظة الواقعية والانطباع الديناميكى للحظة ، ومقدرة الأداء عند الفنان .

وهناك أعمال أخرى لا بد من ذكرها ، منها « القيلولة » التى عالجها بأسلوب بنائى رائع ، التمثال يصور وضعـاً مألوفاً للفلاحة وقت الراحـة ، وخطوطه الرئيسية قد عولجت بمقدرة وتمكن .

أما التكوين فشخصى بحت ، ومع بقاء مختار أميناً للواقعية فإن تمثاله إذ يذكرنا بالأعمال العظيمة القومية التى خلفتها العصور القديمة لفن النيل فإنه في الوقت نفسه يحمل طابع العصر الحاضر الذى يبدو في بساطة مسطحاته وقوتها المعبرة .

وفي تمثال « على شاطىء النيل » من الحجر يمثل مختار فلاحة تبدو عليها المهابة والعظمة تحمل جرتها على رأسها ، ويلوح في حركتها سمو يضفى عليها مسحة من النبل وفي خطوطها توازن تشكيلى رائع ، أما بائعة الجبن فى تمثالها البرونزى بخطوطه الموجزة المعبرة إشارة محددة إلى جوهر الشكل .

أما « العميان الثلاثة » فمجموعة متماسكة ، قوية البناء ، إنها تذكرنا على نحو ما بتماثيل « برجوازى كاليه » لرودان هذا الفنان الذى أحبه مختار وتأثر به في بعض أعماله ولكن هؤلاء الثلاثة الذين يمثلون البؤس المتحرك يبدون وقد أضفى عليهم مختار تعبيراً شخصياً ، وجعل من كل منهم ممثلاً للمأساة بتعبير مختلف عن الآخر . إن خطوط هذه المجموعة بالغة الإيحاء ، وفي معالجة سطوحها قوة في التشكيل ، وهى إلى هذا تحمل طابع التعبير الشخصى .

أما « شيخ البشارين » فيعبر وجهه الصلد عن مشخصات جنسه نحتها أزميل عارم .

وفي اتجاه آخر من التعبير تمثاله « عروس النيل » بما يشعه من نضارة الحياة والرقة والتعبير عن الشباب في حركة جمعت البساطة والعفة والجلال ، وهى تشير إلى أصالة في التعبير وسمو الذوق الفنى :

ولقد نحت مختار في الجرانيت تمثال « نهضة مصر » العظيم وأقامه في أحد ميادين القاهرة سنة ١٩٢٨ . وهو يمثل به رمزاً لأبى الهول وقد أخذ يتطلع إلى فجر جديد تظله امرأة ترمز إلى مصر الحاضرة وفي طريقة المعالجة تحديد وعمق ، ومن هذه المجموعة الرائعة تشع لمحة من الأمل ، وصوت من نداء ، وتأكيد لسلطان الإدارة .

ان مختار يبدأ من الواقع المحيط به يدرسه بعمق وبلا هوادة ولكن عينه لا تحتفظ من الملاحظة والرؤيا إلا بجوهر الأشياء وبما هو جدير منها بالتعبير .

ووجوه تماثيله تنطق بالصدق ولكنه لا يقف عند حد الملامح الخارجية وإنما ينفذ إلى الأعماق ، وتعبيرات تماثيله لا تتركز في وجوهها وإنما يتردد معنى التعبير الذى يومىء إليه التمثال في الجسم كله .

وهو مع وعيه للتقاليد يضفى على أعماله تعبيره الشخصى المميز الذى يتسم بالذكاء والحساسية والذوق .

ان « مختار » ليس فقط مثالاً عظيماً ، ولكنه فنان عظيم :

من مقالين نشرا بمجلة Le Nord Artistique Neptunes
بانفرس فى ١٢ أكتوبر سنة ١٩٣٠ بقلم : استرفان لو

مجلة شيكاجو تريبون :

حديث مع مختار

أية أشياء ثثور في النفس حين تفكر في لقاء أول مثال أخرجته بلد خلال عشرين قرناً ، وأية محفزات يثيرها التفكير فيما يحاوله هذا المثال من وصل حلقات تجربة فنية انقطعت في حياة شعب منذ ألفي عام .

لقد كانت هذه الأحاسيس تتردد في نفسي ، وأفكار فيدياس وميشيل أنجلو تتجاوب في ذهني ، وأنا أستمع إلى محمود مختار يحدثني بمسكنه الحديث في باريس عن تراث مصر وأمجادها في فن النحت والمستقبل الذى يراه لها في القرن العشرين « **نعم أنا أول مثال مصرى منذ الفراعنة** » — قالها دون صلف أو اعتداد فجاءت صادقة معبرة — **قد تعجبون لذلك ، ولكن تفسير الأمر ليس عسيراً ، فلقد عشنا ألفى عام تحت وطأة الاحتلال ، حكمنا الفرس والإغريق والأتراك والفرنسيون والإنجليز . لم يكن للمصريين حرية ، والفن لا يعيش ولايتقدم إلا فى جو الحرية ....** »

ومضت لحظة صمت تطلع فيها مختار إلى تمثاله الأخير « عروس النيل » واستأنف قائلاً : « **لم تكن هناك فن كما قلت خلال ألفى عام إلى أن بدأت النهضة الفنية فى مصر منذ حوالى عشرين عاماً ، وأنشئت مدرسة للفنون الجميلة فى القاهرة ، وبدأت ممارسة فن التصوير ولكن النحت ظل متخلفاً ولم يظهر نحت مصرى أصيل ، وإنى لأبحث فى فلاحات مصر عن نموذج يربط الحلقات التى انقطع وصلها منذ ألفى عام** » .

وتحولنا إلى تمثال « عروس النيل » هذا التمثال الجميل الفياض بالحياة الذى أحرز مختار عنه الميدالية الثالثة لصالون الربيع للفنانين الفرنسيين . قال إنه يمثل شابة رائعة الجمال ، تغمرها الحلى وعلى شفتيها ابتسامة باهتة .. لمسة وجدها مختار في تماثيل مصر القديمة في عصورها الأولى .

ثم قال : هذا التمثال كما فى كل أعمالى محاولة لربط الحلقات التى ستصلنا بالماضى ومع ذلك تتيح لنا إبداع فن قومى متميز .

« إننى أومن أن أعظم شعبين فى العالم فى فن النحت هما مصر أولا وبعدها فرنسا . لقد أوجد الإغريق نحتاً فيه رشاقة عن النحت المصرى ولكنى لا أحس فيه صفاء نحت مصر القديمة وما يحمله من طاقات القوة والحياة » .

وماذا تفضل من أعمال اللوفر؟ كان هذا هو السؤال ، فأجاب : « فينوس دى ميلو ونصر ساموثراس ، إنيك بتمثال النصر ذى الأجنحة ، خذه وضعه على قمة جبل أو فى ساحة فسيحة ، إنه دائماً قوى ، معبر وجميل ، فى فينوس حقاً جمال الخطوط ولكنها تبدو على الأقل باردة بالنسبة لى ، وهذا هو ما أقصد بالفرق بين الفن الإغريقى والفن المصرى .

وماذا عن الفن الأمريكى ؟

« إن هذا يسوقنا إلى التشابه القائم بين أقدم الحضارات وأحدثها .. فكلانا يبحث عن نفس الشيء ، فن قومى ، لقد وفقتم فى إقامة ناطحات السحاب وهى جميلة فى مجموعها ، ولكنكم لم تبدعوا فناً قومياً ، فليس يكفى أن تكون لكم عمارة قومية ، وإنما يجب أن يكون لكم نحت قومى ، ومدرسة قومية فى التصوير » .

إن « مختار » يتمتع بمكانته كنحات كبير في فرنسا ومصر ، وتمثاله نهضة مصر يقف في ميدان محطة القاهرة كما أن تماثيله للفلاحات وحاملات الجرار يقتنيها مواطنوه ، وهو يعمل في مراسمه بباريس في أكثر من تمثال وتجيئه فكرة تماثيله من رحلاته المتعددة إلى وطنه ، لقد جاء إلى باريس ليدرس الفن منذ سنين وبعد عشر سنوات من الدراسة وجد نفسه يمضى على نهج التقاليد الإغريقية والفرنسية فعاد إلى بلاده حيث قرر محاولة إبداع فن قومى .

« إن فرنسا أعظم بلد فى اليوم ، أما إيطاليا قبل الفاشية فكانت تتطلع دائماً إلى ميشيل انجلو وتقلده ، وليس للإنجليز نحت قومى وإن كان لديهم فى فن التصوير تقاليد جميلة ، لقد وجدت الفرنسيين يطرقون تجارب جديدة ، ولكنهم يستندون دائماً إلى متانة الأساس الكلاسيكى . فعلى كل فنان أن يتقن التعاليم الكلاسيكية حتى يستطيع أن يخلق فناً جديداً ، لقد كان رودان وبورديل كلاسيكيين من هذا الطراز فلقد درسا التشريح إلى حد القدرة على إخراج الطبيعة كما هى ، ولكنهما فجأة نسيا

التشريح فى أعمالهما المبدعة ، وهذا هو دور كل فنان يريد أن يضيف إلى الفن خلقاً جديداً » .

لقد ولد مختار في طمبارة منذ ٣٨ سنة وهو أعزب ويعيش في شقة حديثة مزودة بالأثاث الحديث ، وراديو ، لأنه بينما يمجد تراث الماضى فإنه يقدر في نفس الوقت المباهج ووسائل الراحة التى جلبها القرن العشرون :

وطريقته في العمل تظهر إذا ما عرفنا أنه أتم تمثاله عروس النيل بالنحت المباشر في الحجر ، « **هذه هى الوسيلة التى تضفى الحياة على العمل الفنى** » كذلك يقول :

مرثیات و تذکاراتِ تمجید

عندما تخطفه الموت ، كان لارتحاله هزة ألم حزين عند أصدقائه ومعاصريه ، فبكاه المفكرون والشعراء ، ووجدت الأقلام فى رثائه متنفساً عما كانت تعانيه من ضيق وقيود وحكم مطلق .

ومن خلال هذه المرثيات نلمح تقدير مفكرى العصر لمختار ووقفتهم المتأملة أمام روائع فنه ، ولقد أيقظت هذه المرثيات الحواس ، وخلقت روحاً عامة من التقدير والإجلال لفن مختار ، هذه الروح مع إحساس الفجيعة والرغبة في تخليد فنه ترددت على الضفاف الأخرى من العالم عند أصدقائه في فرنسا ، ومنها انبثقت حركة تخليد مختار وتبلورت حول فكرة إقامة متحف تجمع فيه آثاره ومقبرة بجوار المتحف تنقل إليها رفاته ليحمل هذا وذاك معنى الإبقاء لفنه والتكريم لشخصه ...

وتبرعت أسرة مختار بآثاره للأمة موآزرة لهذه الحركة التى أيدها الشعراء والمفكرون والكتاب ، وفي الخطاب الذى ألقته السيدة هدى شعراوى في الحفل السنوى الأول لتكريم ذكرى « مختار » تسجيل لبدء هذه الحركة والداعين لها والمساهمين فيها . ونشطت على هذه الحركة فكرة « جائزة مختار » التى ساهمت خلال عشرين عاماً في تشجيع حركة فن النحت في مصر . وقامت على هذا النشاط خلال تلك السنوات جماعة أصدقاء مختار .

وبدأت آثار مختار تفد من باريس ، ووقفت الحرب دون استكمال عودتها ، ولكن أصدقاء مختار في باريس حفظوا آثاره من عدوان الدمار حتى عادت إلى وطنه بعد انتهاء الحرب . وأقيم لها جناح موقت بمتحف الفن الحديث سنة ١٩٥٢ .

وكان تخلف تنفيذ الاتفاق الذى تم بين الحكومة وورثة مختار فى سنة ١٩٣٨ حين رأت وزارة المعارف فى عهد المرحوم محمد حسين هيكل وزيرها حينئذ أن الصالح العام يقتضيها أن تقوم بقسط وافر فى تخليد ذكرى مختار . . . كان تخلف تنفيذ الحكومة لتعهدها بإقامة متحف مختار ومقبرته من مظاهر البطء فى تنفيذ المشروعات قبل الثورة . . . فلما دفعت روح الثورة أجهزة الدولة وأنشئت وزارة الثقافة نشط إحياء إقامة متحف مختار ومقبرته ، وأخذت الفكرة التى كانت حلما فى قلوب الأصدقاء تتحول إلى حقيقة .

وفي ٢٤ يوليو سنة ١٩٦٢ افتتح الدكتور ثروت عكاشة وزير الثقافة نائباً عن السيد رئيس الجمهورية متحف مختار الذى أقيم بحديقة الحرية ، وجمع آثار هذا الفنان الذى آمن بالحرية والشعب فكان افتتاح هذا المتحف تحقيقاً لآمال معاصريه وتكريماً لفكرة المبادىء التى كافح من أجلها وتقديراً للفنان الأول في عصرنا الحديث :

وفى الكلمات التالية نماذج من أسى العصر على رحيل مختار ، ومن معالم التقدير والتمجيد التى أحاطت به خلال هذه السنوات الثلاثين فى مناسبات تكريم ذكراه :

مختار مريض

للأستاذ مصطفى عبد الرازق

لقيت مختاراً أول ما لقيته في باريس عندما ذهب إليها لاستكمال دراسته في « مدرسة الفنون الجميلة » :

كنا جماعة من الشبان المصريين نسمر في بعض قهوات « الحى اللاتينى » والحى اللاتينى يومئذ مجمع الطلاب ومسرح الشباب ، فهبط علينا فتى أسمر اللون رقيق الجسم فيه وداعة وفيه حياء ، تعرف من سحنته ومن سمته ومن حديثه أنه ريفى ، وتلمح في نظراته التائهة أن استعداده الفطرى يوجه بصره إلى مرمى بعيد ، ذلك الفتى هو « محمود مختار » وقد أخذ يعرض علينا أوراقاً كان يرسم فيها أبطالاً من العرب كخالد بن الوليد وغيره ممن حفظ التاريخ فعالهم ولم يحفظ مثالهم :

وكنا كلما اجتمعنا بعد ذلك بمختار في الحى اللاتينى ، طالعنا بثمرات عمله ، وحدثنا في فنه الذى يكب عليه ، ويوجه كل همه إليه ، فأحببنا مختاراً لما في شمائله من البساطة والتواضع والصفاء ، وأحببناه لشغفه بفنه الجميل ، ولما توسمنا فيه من مخايل النبوغ :

ثم غمر الفن مختاراً واستحوذت عليه الأوساط الفنية ، وغمرتنا في الحياة شئون أخر ، فافترقنا زماناً ، وسمعت ذكر مختار حين برزت آثاره الفنية في الميدان ، وعرضت في معارض الفن في باريس ، فنالت من أسنى الجوائز وشهد لها بالبراعة كبار النقاد :

وسمعت ذكر مختار حين صور لنهضة مصر تمثالاً تجمع فيه للوثوب أبو الهول حتى كان ينتفض انتفاضاً ، فهتفت مصر كلها باسم النابغة مختار :

رأيت النابغة مختاراً فإذا الشاب النحيف الأمرد ، قد استوى رجلاً مفتولاً أصلع الهامة ، طويل اللحية ، عريض الصوت ، ضخم الملامح ، طبعه الفن بطابعه ، وألقى عليه من حب الجمال وفهمه جاذبية أهل الجمال ، ديمقراطى النزعة ، ارستقراطى

---

(١) نشرت بالرسالة ١٦ إبريل ١٩٣٤ .
ولكنها كتبت قبل موت مختار وقد استهل بها هذا الباب باعتبارها سابقة لموته وإن نشرت بعد وفاته .

الذوق ، يعجبك حديثه وجدله ، وإن كان حديد الطبع سريع الرضا والغضب ، وفي نفسه فيض من الصبا والمرح ، كأنما هو على مر السنين يزيد .

منذ ذلك العهد تكررت فرص لقائنا في السفر والحضر ، فشهدت مختاراً في عمله جاهداً مثابراً مجداً ، حتى حسبته لا يعرف اللهو ، وشهدت مختاراً لاهياً مرحاً ، حتى ظننته لا يدرى ما الجد ، وبلوته صديقاً وفياً ، ووطنياً مخلصاً ، وعرفت من جوانب حياته دلائل بر وشهامة ، وصبر وكرامة ، في شدة الحياة وفي رخائها .

ولقد يخيل إلى الناس أن مختاراً لم تنله في حياته شدة . ذلك بأنه صبور على أحداث الحياة ، لا يغيره عسر ولا رخاء . ولعلك لو اطلعت على مختار اليوم وهو في سرير المرض لوجدته باسماً صابراً . ولو أنه كان يقوى على الضحك لملأ الدنيا كعادته ضحكاً برغم أوجاعه ووحدته الموحشة .

الأستاذ مختار ، هو صاحب « نهضة مصر » أول تمثال في تاريخنا الحديث صنعه مصرى ، وهو الذى أبدع للفلاحة المصرية تماثيل لا يستطيع إبداعها إلا فنان ماهر ، أنبته الريف المصرى ، وغذاه بمائه وهوائه .

لقد قالوا إن في تمثال النهضة مآخذ : منها أنه ضئيل فوق قاعدته الضخمة : وأن حجاب الفتاة وتناسب أعضائها ، وموقع يدها من أبى الهول لا يحقق كل ما يشتهى الفن .

ليكن كل ما يقولون صحيحاً ! . فهل سلم من النقد أثر من آثار المجهود الإنسانى في القديم والحديث ؟

إن الأنظار ستصقل على مر السنين هذا التمثال العظيم القائم في ميدان المحطة رمزاً وطنياً خالصاً لمصر ، وسيبقى اسم مختار في ديوان مجدنا القومى عنواناً لنهضة الفن الجميل في وادى النيل .

بذل مختار شبابه وقوته للفن ولمجد مصر من ناحية الفن . وقد يكون المرض الذى يعانيه الآن من آثار جهده المضنى .

في بعض حجرات « المستشفى الفرنسى » بالعباسية ، يقيم مختار منذ اشتدت به العلة ، وصار في حاجة إلى علاج يقظ متواصل ، وإلى راحة لا يجدها المريض إلا في المستشفيات ، وإذا كان عواد مختار قليلين ، فقد يكون هو في شغل بأوصابه عن كثرة الزوار وقلتهم ، وعن وفاء الناس وتقصيرهم . ، لكن علينا جميعاً أن نحف بكل ما في قلوبنا من عطف وبر سرير ذلك المريض العزيز ، تحية لعبقريته وتكريماً لمجده الفنى ، وابتهالاً إلى الله العلى أن ينجيه من براثن الداء ، ويكتب له العافية والشفاء ،

مختـــار[1]

بقلم عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين

ويأبى الله أن يصفو العيد للشرق والشرقيين من كل شائبة في هذا العام ، فيبعث الحزن على قلوب كان من حقها أن تسر ، ويثير الحداد في أمم كان من حقها أن تبتهج بهذا العيد ابتهاجاً صافياً نقياً من كل ما يحزن أو يسوء .

هذه فلسطين تفقد شيخها[2] ، وهذه مصر تفقد فتاها ، وهذه بلاد العرب تنبث فيها رسل الموت ، والعيد مع ذلك باسط ظله على الناس ، باسم ثغره للناس ، يدعوهم إلى ما أتيح لهم من رضا ويغريهم بما أتيح لهم من نعيم ، والله عز وجل حكيم فيما يصرف من الأمر ، رحيم فيما يبلو الناس به من الخطوب فإذا كان الابتهاج بالعيد خليقاً أن يجمع القلوب على الرضا والأمل . فإن الحزن لهذه الخطوب خليق أن يجمع القلوب على الصبر والاحتمال والتواصي بالثبات لما يلم من الأحداث .

رحم الله فتى مصر الذى يفارقها الآن ولو قد مدت له الحياة لمضى بأمته في طريق من المجد ، كان يمضى فيها موفقاً ، أحسن التوفيق ، فائزاً أعظم الفوز . لقد كانت الحياة الفنية في مصر جذوة ملتهبة مضيئة ملأت العالم القديم نوراً واشراقاً ، وأحيت في العالم القديم قلوباً ونفوساً ، وأقامت حضارات العالم القديم على أساس من الجمال الرائع ، ثم كانت الأحداث وألمت الخطوب ، وتتابعت الكوارث . وأخذت حضارة مصر القديمة تنهار شيئاً فشيئاً ، وتخفى هذه الجذوة المضيئة قليلاً قليلاً ، حتى اختفت على الناس جميعاً ، وعلى المصريين خاصة ، وحتى نسى الناس ، ونسيت مصر نفسها أن الفن إنما هو ابن النيل ، نشأ على ضفافه ونما في ربوعه ، وأحيا أهله ، ثم أحيا غيرهم أجيالاً من الناس وما زالت مصر ناسية فنها القديم معرضة عن مجدها الأثيل ، حتى كان هذا العصر الحديث ، فاستكشف لها الأجانب هذا الفن ، واستخرج لها الأجانب هذا المجد ، وأزال لها الأجانب تلك الأنقاض الضخمة المتراكمة على هذا التراث الخالد ،

---

(١) كوكب الشرق ٢٨ مارس ١٩٣٤

(٢) المرحوم موسى كاظم الحسيني باشا .

والتاريخ المجيد فجعلت مصر تنظر جاهلة ثم جعلت مصر تنظر حائرة ، ثم جعلت مصر تنظر مشوقة متطلعة ، ثم جعلت مصر تدنو من تلك الجذوة قليلاً قليلاً ، وإذا هى تحترق بنارها ، وإذا الحياة تبعث فيها بعثاً ، وإذا مصر الحديثة تلتى مصر القديمة ، وإذاحياة الأجيال الماضية تنبت خصبة مثمرة في الأجيال الحاضرة ، وإذا شباب مصر في هذه الأيام يشاركون آباءهم برغم مامضى بينهم من القرون في هذا الشعور المقدس بجمال الفن ، ورفعته والطموح إلى مثله العليا ، وإذا مختار رسول هذه النهضة، ومثير هذه الحركة ، وعنوان هذا المجد الجديد ، تبارك الله لقد ظهر نشاط مختار في نفس الوقت الذى ظهر فيه نشاط مصر كلها للسعى إلى الاستقلال ، والإلحاح فيه ، والمطالبة بأن تعترف لها الأمم به وتقرها الأمم منه على ما تريد ، في الوقت الذى كان المصريون يثورون على ضفاف النيل ليظفروا باستقلالهم السياسى ، يضحون في سبيل ذلك بالأنفس والأموال كان نشاط مختار يؤتى ثمره في باريس على ضفاف السين ، ويثبت لأوروبا أن النهضة المصرية ليست كلاماً ولا لغواً ، ولا محاولة من هذه المحاولات التى لا تجدى وإنما هى حقيقة واقعة تصور شعباً قد استيقظ بعد نوم ، ونشط بعد فتور ، ووصل جديده بقديمه ، وأبى إلا أن يكون هذا الجديد ملائماً لذلك القديم . وكان نشاط مختار من أبلغ الدروس التى يلقيها الدهر على الناس ، درساً للمصريين يعلمهم أروع تعليم أنهم بعيدون كل البعد عما كان قد ألقى عليهم من اليأس ، قادرون كل القدرة على أن يحققوا ما تراءى لهم من الأمل ، ويعلم الأوربيين أن مصر لم تمت وما ينبغى لها أن تموت وأن الطامعين فيها والمذرين لها ، خليقون أن يقتصدوا في هذا الطمع ، وأن يخفوا من هذا الازدراء . وكذلك عطّف مختار أرقي الأوربيين على مصر، لأنه لفت إليها رجال الفن وحملهم على أن يقدروها ويكبروها وينتظروا منها الخير ، وأحيا مختار في نفوس المصريين هذه العزة الراقية التى تتصل بالفن والتى تشعر القلوب ثقة وتملؤها أملاً ، وترفعها من صغائر الأمور ومن ذلك الوقت اتصل مختار بنفس الشعب المصرى ، واختصر الشعب المصرى نفسه في شخص مختار، وأصبح مختار فتى مصر حقاً ، فتاها حين يجد فينتج آثاره الفنية العليا ، وفتاها حين يهزل فيبعث في قلوب الذين يتصلون به ، أجمل العواطف وأعظمها حظاً من الرضا والأمل والابتسام للحياة .

وما كادت آثار مختار تظهر في باريس حتى نشطت مصر كلها لتخليد هذه الآثار ، وإذا الشعب المصرى يكتتب ، ويجمع المال ليمكن مثاله الفتى من أن يقيم تمثاله الخالد ، على أرض الوطن ، وفي ذلك الوقت كانت إرادة الشعب ، تفرض نفسها على بعض الحكومات ، وفي ذلك الوقت كانت بعض الحكومات تعبر تعبيراً صادقاً عن إرادة

العدالة

من رموز تمثال القاهرة

نادى بها

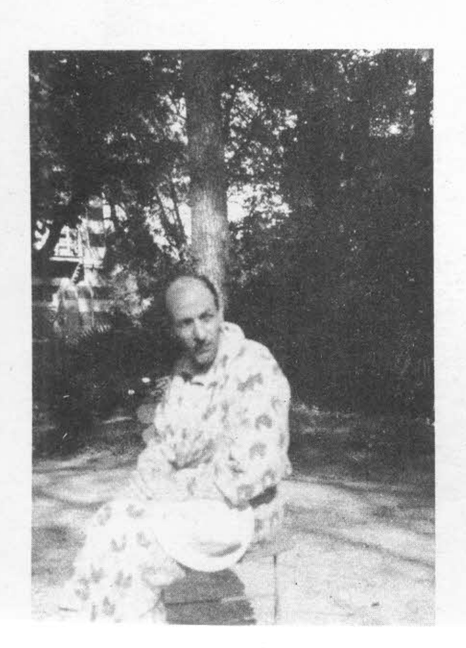
و لكنه لم ينلها

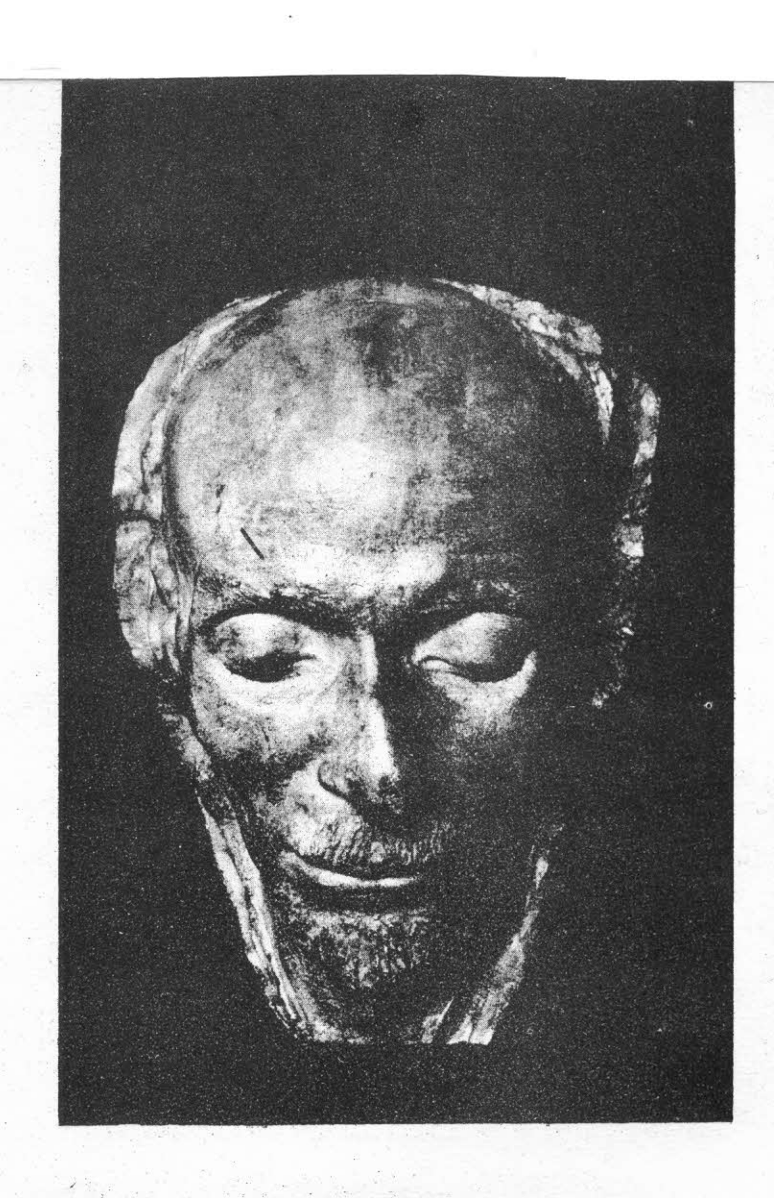
في حياته



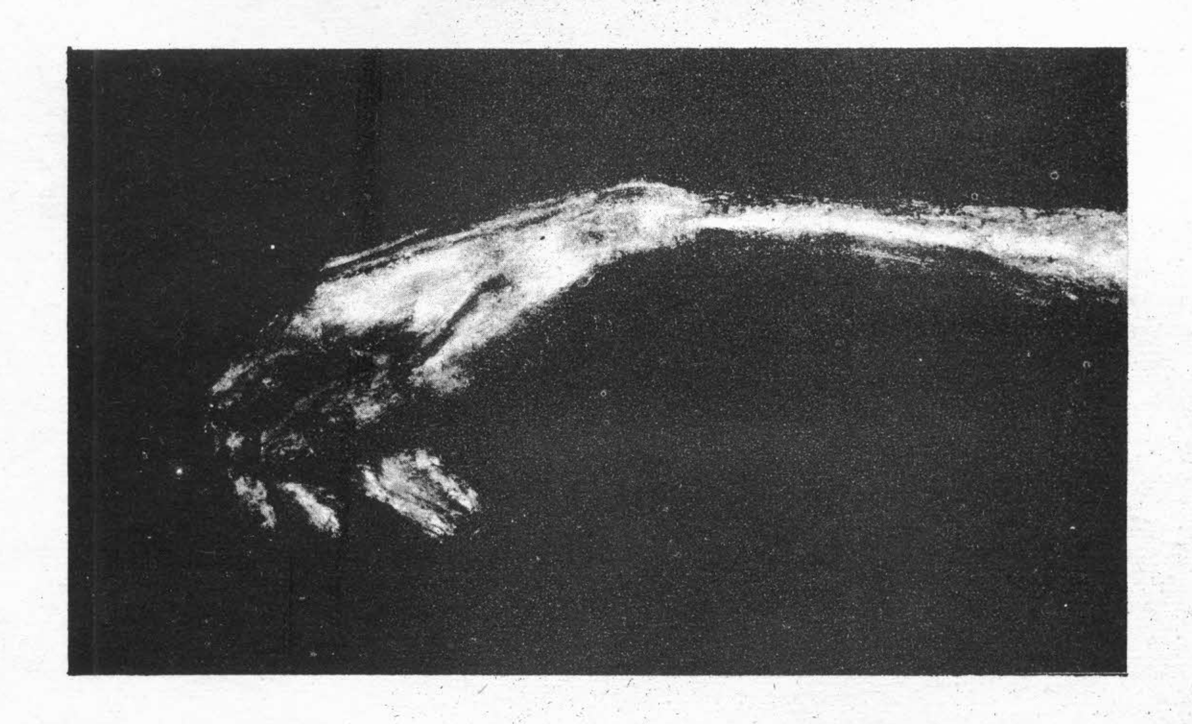


صورتان لمختار





وجه مختار ويده بعد الموت



رسالة من مختار

Paris le 19 Août 1927

dernier confort
hôtel-restaurant de la paix
225, boulevard raspail. paris-14e
métro: raspail
ascenseur
téléph.: littré 41-68

Mon cher Moret,

La Commande de "Carborundum" est faite. Ça arrivera en même temps que les machines, c'est à dire dans 4 ou 5 semaines.

En attendant vous allez recevoir bientôt quelques pierres en carborundum pour polir a la main, Donc vous pouvez mettre 2 ou 3 polisseurs, dès que les pierres arrivent au Socle à commencer par les endroits où les machines ne passent pas.

J'espère que tout marche bien chez vous.

mes amitiés

M. MOUKHTAR

Je suis à Paris depuis hier et vais chercher un X polisseur ici.

Écrivez-moi toujours
5, Bd Montmartre
chez Abel

حضرة السيدة المحترمة حفيظة هانم العيسوى

تتشرف اللجنة الأدارية لجمعية أصدقاء مختار بتقديم الشكر القلبى الجزيل مع خالص التقدير لما تفضلتم به من هبة آثار فقيدكم وفقيد الأمة للجمعية التى تكونت للمحافظة على ذكراه ٠

ومما يثلج صدورنا ويرفع رؤسنا هذه العاطفة الكريمة التى دفعتكم للتنازل عن آثار لا تقوّم بمال للأمة التى دأب مختار على خدمتها وخدمة حركتها الوطنية ببدائعه الفنية ٠ ونرجو أن تتنازلوا بقبول هذا الشكر الذى لا يوفى دين الأمة نحوكم لما أسديتم لها من جميل ونصحبه بأسمى عبارات الأحترام ؛؛

هدى شعراوى

تحريرا فى ٢٢ يونيه سنة ١٩٣٥

رسالة من السيدة هدى شعراوى إلى السيدة شقيقة المثال مختار بمناسبة تنازل والدته وشقيقته عن تماثيله إلى الأمة. وقد بعثت برسالة مماثلة إلى شقيقته السيدة بديعة العيسوى، ورسالة أخرى إلى والدته السيدة نبوية البدراوى وهى محفوظة بمجموعة التذكارات بمتحف مختار

الشعب . وفي ذلك الوقت كان التضامن بين الشعب والحكومات الوطنية خليقاً أن يأتي بالأعاجيب . وفي ذلك الوقت استطاع مختار فتى الشعب وابن الثورة أن يقيم تمثاله ، وأن يكشف الستار عنه في ميدان من ميادين القاهرة بمحضر من الشعب والملك والوزارة .

نعم في ذلك الوقت كانت مصر تستطيع أن تشعر بأنها حرة ، وعزيزة ، وبأن النشاط المصرى يستطيع أن ينتج دون أن تقوم في سبيله العقبات . ثم تمضى الأيام الزهر ، وتأتى أيام المحن ، وإذا حكومة مصر تتنكر لابن مصر ، وإذا وزارة مصرية تحارب ابن الثورة المصرية ، لماذا ؟ لأن فتى الثورة قد كلف أن يقيم التمثال لشيخ الثورة . لأن فتى مصر قد قبل أن يخلد على أرض مصر شخص هذا الرجل الخالد زعيم مصر . لأن مختار قد جد في أن يقيم تمثال سعد ، فكان من إلغاء الاتفاق الذى تم بين مختار ، وبين حكومة الشعب ، وكان ما كان من ضيق الوزارة الساقطة بهذا الفتى النابغة ، ومن إسراع الحزن إلى هذا القلب الذى لم يكن يعرف الحزن ، ومن اجتناب مختار للإقامة الطويلة ، في بلده العزيز ، لأنه لم يكن يطيق أن يرى هذا الذل بعد أن رأى تلك العزة ، ولم يكن يطيق أن يرى مقاومة الحكومة المصرية للجهود المصرية ، ولا مطاردة الحكومة المصرية لروح النشاط المصرى ، ولا محو الحكومة المصرية لآثار الثورة المصرية ، هنالك طالت إقامة مختار في أوربا ، وهنالك أخذ الحزن والمرض يسرعان إليه ، ويلحان عليه ، ويحملانه أثقالاً وأهوالاً ، وكانت أنباء المحن التى تلم بمصر تصل إليه في باريس ، فلا تزيد ألمه إلا شدة ولا تزيد حزنه إلا حدة ، لم تكتف الوزارة بالخوف من التمثال والمنع من إقامته ، بل خافت من الضريح فصرفته عن صاحبه ، ونقلت إليه ظالمة معتدية على الشعب والعلم معا أجسام الفراعنة . اضطهدت سعداً في الشعب كله ، واضطهدت سعداً في هذا الفتى الذى كان خليقاً ألا يمسه الاضطهاد والله يعلم إلى أى حد أثرت هذه الآلام في حياة ذلك الشهيد والله يعلم ماذا كانت تصير إليه حال مختار لو لم تنكب مصر بوزارة صدقي باشا ، أكان يختطف من بين المصريين وهو في الثالثة والأربعين من عمره ، أم كانت تعينه الآمال الحية على أن يحيا . أم كانت تعينه قوة الشعب على أن يقوى ، أم كانت تعينه عزة مصر على أن يقاوم الموت ، ويمضى في تشييد المجد الفنى لهذا الوطن البائس العزيز .

على أن فتى مصر إن ضاق بالحياة بين مواطنيه حباً لهم وعجزاً عن أن يراهم فيما هم فيه من الذل والبؤس ، فقد كان يحمل وطنه في قلبه العظيم الجميل ، وقد يعمل لوطنه في الغربة كما كان يعمل لوطنه حين كان يقيم به ، وقد كان يمضى في طريقه محزونا غير يائس مكلوماً غير قانط وكان يظهر آثاره في باريس فيبلغ من إرضاء رجال الفن عنه وعن مصر ما لم يبلغه أولئك الذين كانوا يبذرون أموال الدولة تبذيراً

ويعبثون بحقوقها عبثاً قبيحاً، ويستمتعون بالترف واللين على حسابها في حين يعيش أبناؤها الأكرمون عيشة الضنك والضيق مسجونين في أرض الوطن ، أو مشردين في بلاد الغربة .

ثم تلح الآلام والأحزان ويلح معها الجد والعمل على هذا الفتى الغريب . فإذا هو مريض فيما وراء البحار ، وإذا هو معرض للخطر ، وإذا هو يعالج في مستشفى من مستشفيات فرنسا حتى إذا ثابت إليه الصحة بعض الشيء عاد إلى وطنه متعباً مكدوداً لاحظ له من قوة ولا من نشاط وإذا هو يأوى إلى مستشفى من مستشفيات القاهرة ، وإذا حاله تزداد سوءاً من يوم إلى يوم وإذا أصدقاؤه وأحباؤه يسعون إليه فلا يستطيعون أن يروه وكان جماعة من الشباب يهيئون عدداً ممتازاً من مجلة من المجلات لا يتحدثون فيه إلا عن هذا البطل ، وكان أصدقاؤه يهيئون لهذا العدد مقالات وفصولاً ، وكانوا يتمنون فيه لمختار صحة وقوة وحياة ، تمكنه من أن يرى الشعب عزيزاً كما كان يعرفه ، ومن أن يستأنف حياته الخصبة المنتجة . ولكن الصحف تذيع صباح اليوم هذا النبأ الأليم ، وإذا مختار قد فارق الحياة ، وإذا مصر حرمت علماً من أعلام ثورتها ، وبطلاً من أبطال نهضتها وعنواناً من عناوين مجدها الحديث .

أحسن الله عزاء مصر عن مختار فإن خطبها فيه عظيم ، وأحسن الله تعليم هذه القلوب القاسية ، وإرشاد هذه النفوس الجامحة ، وهداية هذه الطبائع الضالة وإلهام هذه القلة التى تسرف على الشعب فتسرف على نفسها ، أحسن الله تعليم هؤلاء الناس أن حياة الافراد واستمتاعهم باللذات واستئثارهم بالجاه والسلطان ، كل هذا أهون عند الله وعند الناس من أن ، تُقترف في سبيله الآثام ومن أن تجنى في سبيله السيئات ومن أن يُضحى في سبيله بمنافع الشعب .

طه حسين

محمود مختار

وفاة المثال المصرى[1]

بقلم الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازنى

لم يعش « مختار » إلا كعمر الورود — لا تكاد تنور وتهتز وتتفتح ، حتى يسطو عليها الذوى أو كعمر الرياح الهوج ، فإن مرها عجلان ، كأنما يستنفد عنفها قوتها ، وتفنى شدة العصف حيويتها وما ثلاث وأربعون سنة في هذه الحياة ؟؟

إنها دنيا يضيع المرء نصف عمره في الاهتداء إلى نفسه أو على الأصح في العثور على الباب الذى يفضى إلى مجاهلها المحجوبة ، وقد يذهب العمر كله فى هذا البحث والتنقيب ، وما أكثر من يقضون نحبهم وما بلغوا الباب ولا عرفوا أين مكانه ولادخل في وسعهم شيء سوى تكويم التراب وتكديس الأنقاض الى جانب حياتهم ! ومنا من يصل إلى الباب فيسقط على عتبته ويهوى متمسحاً بخشبته ، ومنا من يواربه أو يفتحه ، وقبل أن تألف عينه الظلام تفيض روحه .

... نعم كلنا في حياته يمشى ؛ وفي صدره وتحت أحناء ضلوعه « قبر » مدفون ؛ فيه ما زودته الطبيعة ، حين أخرجته إلى الدنيا ، والأكثرون لا يعرفون هذا ولا يفطنون إليه ، ويجيء أحدهم الأجل فيوارى قبر في قبر ، والأقلون جداً هم المنقبون أو الحفارون ، ومن هؤلاء فقيدنا مختار المثال ، عرف أن له نفساً وأمل أن يكون فيها ذخر نفيس ، فأقبل عليها يرفع عنها التراب والحصى ، حتى كشف عن الباب وفتحه ودخل .

وفي الحياة قسوة ، وفي طباعها ما يشبه النكاية أو العبث ، أو لعل تصرفها في حيواتنا يثقل علينا ويسوء وقعه عندنا فنظن بها ذلك من الألم والكمد ، فإن الذين يهتدون إلى نفوسهم ويضعون أيديهم على مكنوناتها آحاد ، مابين ملايين وملايين متعاقبة تجيء وتروح معصوبة الأعين ، مغلولة الأيدى ، والمرء يخيل إليه أن قلة الموفقين كانت

---

(١) افتتاحية جريدة البلاغ ٢٨ من مارس ١٩٣٤ .

حقيقة بأن تغرى الحياة بأن تمهلهم حتى يتموا ما بدءوه من الكشف ، فما يستطيع غير المرء أن يصل إلى شيء في نفسه الخاصة ، ولو أنه كان من الممكن أن يواصل البحث فى نفس امرىء ، إنسان غيره ، لماكان من الخسارة أن يعجل به .

ولكن نفس المرء سره وحده ، والسر يغيب – بل يموت – حين يموت هو ، فهل نرى الحياة التي ترزق الإنسان المواهب وتغدقها عليه أحياناً لا تعود بعد أن تمده بها تباليها أو تعبأ بها شيئاً أو ترى لظهورها أو خفائها ، وللانتفاع بها أو دفنها قيمة ؟ ؟ إن هذه حكمة الحياة لاحكمتنا ، ومن نكون نحن حتى نشك فيها ؟ ؟ . . .

*

وقد جرى مختار في فنه على الاعتماد على الفن المصرى القديم أو الفرعونى ، لا على تقليده ، أو لعل الأصح أن نقول إنه كان يؤثر أن يستمد وحيه من براعاته ، غير أنه كان أميل للنسق اليونانى فيه منه إلى الفرعونى البحت ، وخطوطه في تماثيله جميعاً مستقيمة حادة ، تنقصها المرونة واللين والانسياب ، وتبدو فيها شدة الاستقامة وعنفها كأوضح وأوكد ما يكونان ، وكلها مصرى ، ومن العسير ، أن نجد فيها محاكاة أو تقليداً للفن الغربى ، وإذا كانت قد خلت من المرونة ، فقد خلت أيضاً من الضعف .

وكان مختار مصرياً صميماً لم تستطع فرنسا أن تغير فطرته أو تمسخ طبيعته ، وكانت مصريته هذه أبرز ما فيه ، وبها ينطق صوته وكلامه وإشاراته و حركاته ومشيته وعاداته ، ولم يكن فيه تكلف وتعال أو شموخ ، وهذه المصرية هى التى قربته من النفوس وحببته إلى القلوب ، لأن طينته التى جبل منها بقيت صافية لم تختلط بها أوشاب تعكرها ، ولو أن الله أنسأ في أجله .... ولكن لكل أجل كتاباً ، رحمه الله وغفر لنا .

إبراهيم عبد القادر المازنى

النبوغ المصرى والحكومات الديمقراطية (١)

بقلم الأستاذ عباس محمود العقاد

عبرت اليوم تمثال نهضة مصر ثلاث مرات في طريقى من مصر الجديدة وإليها ، فلم أر عليه في مرة من هذه المرات علامة واحدة من علامات الأسى أو الذكرى تدل على أن هذا التمثال قد فجع اليوم في بانيه ومستوحيه ، كأنما تأبى الحكومة المصرية الحاضرة أن تعترف بالنابغين المصريين حتى فى آثار نبوغهم وثمرات جهودهم ، أو تأبى أن يكون موتهم محسوساً في آيات شهرتهم ومعالم خلودهم ، فلاترضى لهم نصيباً غير الجحود والخمول .

أى أثر أولى بأن يظهر عليه اليوم نعى مختار من تمثال نهضة مصر ؟ وأى فقيد أولى بأن تشترك الحكومة المصرية في جنازته اشتراكاً كاملاً من الفقيد صانع ذلك التمثال .

ولكن « مختار » يمثل النهضة المصرية التى لا تمثلها الوزارة الحاضرة ، وفي هذا عذر الوزارة إن صح أن يقبل منها هذا العذر في عداد الأعذار .

لقد أفاد محمود مختار من رعاية الحكومة الفرنسية أكثر مما أفادته طائفة من الحكومات المصرية ، فاشترت منه فرنسا بعض تماثيله وانتدبته لبعض الأعمال في إبان الحرب العظمى ولم تقصر في تشجيعه وتزويده بما تستطيع ، وقد صنعت ذلك لأنها رأت فيه تلميذاً من تلاميذها وقبسا من ثقافتها وفنونها . فكان هذا شفيعاً له عندها وحقا له عليها وسببا من أسباب الحرص على مستقبله والحذر من إهماله .

أما تلك الطائفة من حكومات مصر فلم تكن ولادة مختار من آباء مصريين فى بيئة مصرية شفيعاً كافياً له عندها وحقاً معترفاً به لديها ولم تكن نشأته الفنية في هذا الوطن ولاتعبيره عن نهضته محسوبة له من الشفعاء والحقوق ، بل لعلها كانت إحدى ذنوبه التى استحق بها النكاية من حيث استحق الأجانب المحميون نعمة العطف والإحسان .

وليس ذلك لأن مصر تجهل حقوق النبوغ أو تضن بالتشجيع على النابغين ، ولكنه عداء بين الفن والقيود لابد أن يظهر في حياة النابغ وفي مماته على السواء

---

(١) الجهاد ٢٩ مارس ١٩٣٤

وإلا فقد لقى الفقيد مختار تشجيعاً وافياً من وزارة سعد كما لقى تشجيعاً وافياً من وزارة الائتلاف الديمقراطية ، ولولا هذا التشجيع من الوزارتين لما تسنى له صنع التمثال ولا إقامته في أظهر الميادين التى يراها القادم إلى العاصمة المصرية .

ولقد كان اليوم الذى أميط فيه الستارعن تمثاله يوماً مذكوراً في سجلات الحكومة والشعب ، فشاءت الأقدار ألا يقام تمثال نهضة مصر ولا يماط الستار عنه إلا في عهود وزارات النهضة وعلى أيدى زعمائها وأبنائها الذين يمثلونها من ناحية أخرى .

*

إننا لانريد أن نتعرض لموضوع النزاع بين الفقيد الراحل وبين الوزارة الصدقية وزميلتها الوزارة الحاضرة ، أوبعبارة أخرى لا نريد أن نتكلم من الوجهة الفنية عن التمثالين اللذين صنعهما الفقيد لسعد رحمه لله وقام من أجلهما النزاع بينه وبين الوزارة الصدقية وخليفتها .

ولكننا نريد أن نستخلص العبرة من ذلك النزاع ومن موضوعه وملابساته فلا الزعيم صاحب التمثالين — وهو مفخرة النهضة الوطنية — قد ظفر في رحاب مصر الواسعة بأشبار من الأرض لتمثاليه المهملين الآن في انتظار الإقامة والحفاوة ، ولا المثال النابغ الذى صنع التمثالين — وهو مفخرة فنية في النهضة الحديثة — قد ظفر من الوزارتين المذكورتين بالاعتراف وحسن المعاملة ، فهل بعد ذلك تخفى حقيقة الوزارات التى من هذا القبيل ؟ أو هل بعد ذلك تخفى حقيقة الموقف بينها وبين مفاخر النهضة الوطنية ؟ وهل من المصادفات التى لا معنى لها أن يجمع شهر مارس بين اضطهاد تلك الوزارات لذكرى الشهداء وبين هذه الدلائل التى كشفت عنها وفاة الفقيد مختار ؟ .

ستبقى النهضة الوطنية وتزول هذه الوزارات ، فإذا قصر صدقي باشا وأعوانه أو قصر عبد الفتاح باشا واخوانه في حق النهضة فهما أهل من جميع الوجوه لذلك التقصير ، وهما مستغربان جد الاستغراب إذا وقفا من النهضة غير ذلك الموقف ونظرا إليها بغير تلك النظرة ، ولكنهما لايستغربان فيما صنعا ويصنعان ، وخير للنهضة ألا يكونا معها على وفاء ولا يلتقيا بها في وئام .

بل خير للفقيد مختار رحمه الله أن يكون صدقي باشا وأشباهه في عداد المسيئين إليه من أن يكونا في عداد المتشيعين إليه العاطفين عليه ، ففى تقدير أمته غنى عن تقدير هؤلاء الوزراء والمستوزرين ، وفي اقتران اسمه بالنهضة الوطنية عزاء لذكراه واعتراف بفضله ، وإنه لاعتراف جميل وعزاء غير قليل .

مختار المثال والرجل[1]

في يوم من أيام عام ١٩٢٧ كنت جالساً عند الأصيل أشرب قدحاً من الشوكولاته الساخنة مع قطعة من « البريوش » الطازج و« الأهلّة » الذهبية ، وكان إلى جانبي رجل فنان تعرفه من قبعته العريضة وحديثه البوهيمى الطليق ومعه امرأة تعد آية من آيات الجمال والأناقة ، ذات وجه بيضاوى كالعاج ، شحوبه اغراء ، وكان حاجبها الأيمن إذ تتكلم يرتفع ثم يحنو على العين النجلاء ، كأنه قوس « ديانا » آلهة الصيد والقنص تصوبه إلى قلوب الناظرين وتلقى من نظراتها سهاماً فإذا البعض جرحى وإذا البعض قتلى ..

وجاء صديق : وتحدثنا بالعربية فنظر إلى ذلك الفنان برقة وعطف وقد اغرورقت عيناه بحنان الذكرى ، وقال لى : « أنت مصرى!. . » قلت : « أجل » ! قال : « أتعرف مختاراً ؟ » قلت : ومن ذا الذى لايعرف مختاراً ! » قال ألا فاعلم يا صديقى أنه زميل لى ، وهو فنان عظيم وقد ابتكر ماجعل هناك شيئاً اسمه الفن المصرى الحديث . ولكن له فضيلة أخرى ربما جهلتها وجهلها أبناء وطنه .

فاذكرها عنى . وقل عنه إنه بقدر ما هو أستاذ في الفن فهو أستاذ في المحبة والإخاء .

ومنذ أمس ، وهذه الصورة حاضرة في ذهنى لم تفارقنى لحظة ، ولا أحسبها كانت ستفارقنى لو لم أسجلها هنا على الورق وأرسلها للنشر بين الناس . فلعل هذا هو نداء روح مختار ألح على هذا الإلحاح النفسانى حتى أبلغ الرسالة فيرضى هذا المحب العظيم الذى عاش للفن والحب أقل من نصف قرن وقد اطمأن الآن في عالم الحب الأبدى .

*

كنت أرى مختاراً كل يوم تقريباً قبل سفره الأخير إلى باريس ، ذلك السفر المشئوم الذى رجع منه جريحاً لم يلتئم له جرح ولم يطمئن له جنب على فراش وكان نازلا بفندق هليوبوليس بالاس حباً بالشمس التى كان في حاجة إليها . جعلت أسأله

---

(١) الأهرام ٣٠ من مارس ١٩٣٤ .

من « باريس » ويجيبنى بصراحة الفنان ، وكنت أدون آراءه ، ثم أقرؤها له فيرضى أو يعترض حتى نتفق على ما يريد تماماً . وكان احتكاكى المتصل به من أسباب حزنى الشديد عليه لأننى عرفت فيه قلباً كريماً وعقلاً كبيراً . وهو ليس الحفار الذى يمسك الأزميل ثم يضرب فيخرج تمثالا ولكنه رجل مثقف موزون واسع المعرفة غزير الاطلاع سليم الذوق موفور الذكاء . وهو عالم بالنفس :

وهذا هو سر فوزه وتفوقه . فهو ليس « مثّالا » اتفاقاً ولكنه عرف سر مواهبه فغذى اطلاعه ودرسه وتعمق في النظر إلى الأشياء والنفوس والوجوه يستطلع مكنونها ويقارن بينها ويعود بعد ذلك ليخلقها من جديد مرمراً وحجراً وصخراً .

وراح مختار يستجوب الفن الأوروبى ولكنه لايلبى إلا نداء الفن الفرعونى وكأن الفن الذى اختاره قصة من القصص التى تقرأها اليوم على أوراق البردى ، وكأن حفارنا العظيم كان يريد به أن يضيف ليالى جديدة إلى ألف ليلة وليلة . وكأنه ولد منذ أجيال – كما لاحظ المسيو جورج جراب مدير متحف رودان بباريس عندما رأى فن مختار – وذلك في ذات قريته طمباره بالمحلة الكبرى . وعاش في كنف تقاليدنا الريفية الجامعة بين الأنفة والبساطة . في أسرة من تلك الأسر التى قامت على سواعدها ثروتنا ومجدنا والتى حافظت منذ بدء الخليقة على تقاطيع وجوه أهلها ولون بشرتهم وطبيعة أخلاقهم : تلك التى لم يفعل فيها شيئاً كر الغداة ومر العشى . كانت كذلك منذ مائة قرن وستظل كذلك على ما يلوح مائة قرن أخرى : وفتحت عينا مختار كأترابه على ذات الآفاق التى رآها أسلافه والتى سوف يراها كذلك الأحفاد . وجعل يختزن في عقله الباطن ما يراه في تلك الوجوه السمراء من قوة تعبير وروعة تقاطيع : ولاغرو فهو وارث السر المكنون المضنون به على غير أهله . ذلك السر الذى قد نقرأه وقد نعجز عن تفسيره في جنبات المتحف المصرى أوفي تل العمارنة أوتحت أعمدة معبد الكرنك أو أمام تماثيل أبو سمبل أو في ظل الدير البحرى أوأمام قصر أنس الوجود أمام تمثال شيخ البلد : ورأس نفرتيتى أو رمسيس الثانى وأبو الهول الجيزة . ذلك السر المتجلى أحياناً ، والمختفى أحياناً ، في تلك الوجوه الآلهية تارة والبشرية تارة أخرى المتخذة من الجرانيت أو البزلت أواليشب ، تلك الوجوه المشرقة بالبطولة والحزم والعزم مع الرقة والدماثة ، تلك الوجوه التى تأملها مختار طويلاً وسألها كثيراً وردت عليه الجواب : وهنا نعرف معنى قول « رودان » أعظم مثال فرنسى : « إن الفن الخفاق بالحياة لا يبعث أعمال الماضى ، ولكنه يستمر فيها يكملها » ، وهذا هو ما كرس مختار نفسه له وكان فعلاً الوارث المجيد للفراعنة العشرين سنة الأخيرة ولكن ليزداد نوراً على نور ، وليشهد الدنيا على أن روح مصر لن تخمد أبداً

وليشهدها في الوقت نفسه على أن ذلك القبس ، رمز عز الأجداد ومصير الأحفاد لا يسلم لأول طارق . فهو قبس مقدس . قدسه الفن وقدسه الزمن وهو تراث خالد لا يجوز أن تمتد إليه يد من كان غير مجدود وموعود بأن يزيده ولوقليلا . . .

وكأن قديسات الزمن الخالى ، وراهبات أديرة « انصينا » و « الرمسيوم » و « طيبة » قد أقبلن على مختار في حلم صاف فبعثهن بعد ألوف السنين أعظم مما كن جمالاً وجلالاً وكأن عذارى النيل اللواتى ارتمين في لجته فداء ووفاء قد خرجن من الأمواج فأعادهن مختار إلى الحياة والاعراس .

انظر إلى تمثال « عروس النيل » وهو الذى اشترته الحكومة الفرنسية وجعلته في أكبر متاحفها تقديراً للفن المصرى الحديث ، وتأمل براءة التعبير ورشاقة الحركة ومرونة القد ، وجمال الزينة ومجموعة هذا كله الفياضة بمالا أدرى أى مرح وانشراح واستعداد فطرى للحب والتضحية .

وانظر إلى الفلاحة تهم « نحو ماء النيل » بالنزول ، وكيف تلتفت في خفر شديد كأنها عذراء بتول والنيل رجل مصطخب الشهوات ! . .

وانظر إلى « بائعة الجبن » وكيف تراها سائرة إلى الأمام وقد وازنت « قصعتها » على رأسها وهى تعتقد أنها كل ثروتها ! ، أما الفنان فقد نظر إلى ثروتها الحقيقية . نظر إلى ذلك القوام العجيب كالخيزران ، وصور نهديها الصارخين يقضمان ثوبها الأسود كأنهما سجينان يريدان البروز إلى الهواء والنور ! .

وانظر إلى « حاملة البلاص » وتأمل قوة تمثيل الساعد الأيسر وما فعله الساعد الأيمن من خط متسق بديع مع الجسم كله بما في ذلك البلاص نفسه . وقل أليست هى آية من مختار ؟ .

وانظر صورة « القيلولة » ، وكيف انثنت فلاحتنا وعطفت برأسها على كتفها ولم يخف ذلك جمال جسمها . أولم يسجل بهذا جلسة الفلاحة التى تدأب منذ الفجر على العمل حتى غروب الشمس لا تعرف طعم الراحة ولا تأخذها من النوم إلا سنة وهى جالسة هكذا . . .

وانظر صورة « المسيو فيس » وهو من أعظم أصدقاء مختار ومن أشدهم فجيعة فيه وقد اختار مصر وطناً ثانيا له منذ ربع قرن وعنده مجموعة ثمينة جداً اشتراها الأمجاد . وأصبح وارث مصر القديمة فخر مصر الجديدة . لأن مختاراً كفيل بأن يشرف أية أمة ينتسب إليها . فالقبس قد جرى شوطه على مدى القرون والأجيال حتى تسلمته يد مختار فحملته هذه من مختار . وقل كيف تجد هذا الرأس ، ألست تراه رائعاً في تعبيره

وهو على مثال صنع مختار لسعد زغلول وثروت وعدلى وعلى ابراهيم . وعند ما تنتهى تلك القضية (البائخة) بين الحكومة وورثة الفقيد سيشهد الناس عملاً وطنياً هائلا يسجل لمختار على طول المدى : وهو تمثال سعد زغلول وصور النهضة القومية .

أما تمثال « نهضة مصر » فهو قوى فعلا ولكنه لسوء الحظ قد وضع على قاعدة ضخمة ابتلعته ، ووضع في ميدان هائل ابتلعه مرة أخرى ، ووضع في وسط الميدان مع أنه كان يجب أن يوضع أمام مدخل محطة مصر ويكون الجدار من خلفه حتى يرى من وجهه فقط إذ كل التعبير والدلالة من ذلك الجانب .

وسوف نرى يوماً ما تماثيل مختار الجميلة تزين حدائقنا وميادينا العامة . وسوف نراها محل إعجاب جميع الأمم التى تأتينا لترى الفن العربى والفن الفرعونى القديمين ويجب أن ترى الفن المصرى الحديث ، وكيف لها أن تراه إذا لم نضع تماثيل مختار في كل مكان في أعز مكان ؟ .

لقد مات أول أمس أعظم فنان أنجبته مصر الحديثة . وقد لبست عليه بنات « إيزيس » اللواتى بعثهن هو من رقادهن ثياب الحداد . لقد أقبلن استجابة لدعائه فعشن مرة أخرى في مخيلته ، ثم في قلبه ، ثم في يده حتى برزن في تماثيل عرائسه وفلاحاته وأميراته .

وتالله إن أنس لا أنسى ضجعة مختار على فراشه ، في بيت شارع أسيوط بمصر الجديدة ، وهو ينظر من نافذته إلى مئات السيارات التى تنهب كل صباح ومساء متنزه شارع فؤاد ، ولا يستطيع حراكاً . كيف يشعر عندئذ وهو الراقد هكذا رقدة أليمة مضنية ، وهو الذى ذرع الأرض طولاً وعرضاً ورأى كل بلد ، وكل شيء . هو الذى كان يحيا حياته لا يضيع منها لحظة ؟ .

وازداد كل يوم شحوباً . وازداد نحفاً ونقل إلى المستشفى وأخذته نوبة شديدة من « الزغطة » ضاعفت الويلات . وجعلت تهز ذلك الجسد النحيل الذى استحال إلى شبح هزاً عنيفاً متوالياً . فكأنها كانت تنتزع روحه من بين جنبيه في كل مرة لتردها إليه طرفة عين لتعود فتنتزعها مرة أخرى . كان الله له . فلشد ما عانى ولشد ما عانى معه أهله وأحبابه . والآن ثوى واستراح ولكنهم سيعانون طويلا مرارة فراقه وسيبكون كثيراً هذا النجم الذى هوى .

سلام على مختار .

(ا . ص . م)

أحمد الصاوى محمد

المثال محمود مختار

بقلم الدكتور أحمد ضيف

لقد كان مختار معجزة نهضتنا الحاضرة وسيبقى من معجزات مصر الخالدة ودليلاً على تلك العبقرية الكامنة في نفوس الكثيرين من أبناء وادى النيل، تلك العبقرية الفنية التى نبتت بذورها في بلادنا منذ خمسين قرناً أو أكثر حتى صارت معجزة الفن الإنسانى. ولم يدرك الباحثون إلى الآن سر هذه العبقرية المصرية التى فتنت العالم بدقة صنعها وجمال تنسيقها :

لقد سرت هذه العبقرية الفنية في نفس مختار فكان فنياً مصرياً قبل كل شىء كما لاحظ عليه ذلك أساتذته وأرباب الفن. عاش مختار في باريس وعاشر أهل الفن هناك وتأثر بالثقافة اللاتينية تلك الثقافة التى تغرس في النفس الميل إلى الرشاقة وتدفع بها إلى إلباس الحقيقية لباس الجمال في كل شىء وإلى الدقة الفنية في التعبير عن حقائق الحياة . ولم يكن مختار محاكياً أومقلداً فلم يندفع وراء مجاراة غيره من أساتذة الفن الغربى فيصبغ نفسه بالصبغة الأوروبية بل بقيت مصريته غالبة عليه ومستولية على شعوره وخياله . فلم يغب عنه طيف بلاده ولم يختف عنه شبح قومه فكان مصرياً ذا عبقرية مصرية وخيال مصرى وروح شرقي مصرى . وهذه الصبغة المصرية هى التى امتاز بها عن غيره من الفنيين في موضوعاته التى عالجها وقطعه الفنية التى نحتها .

ان تلك الملحمة الشعرية أو القصة الحماسية التى نظمها مختار وتركها رمزاً لنهضتنا يقرؤها الغريب والبعيد لدليل على عقل ذلك الفنان المصرى .

لقد رمز مختار بتمثال النهضة إلى مصر القديمة والحديثة فهذا أبو الهول الذى طال عليه القدم يقوم من رقدته نافضاً غبار الماضى يصارع الأيام وتصارعه ناشباً أظفاره في الرمال ينهض نهضة الأسود باعثا الأمل في الرجوع إلى ماكان عليه فى أيامه الماضية يملؤه الأمل والثقة بالنفس ليعيد مجد قومه وفخار بلاده وهذه المرأة المصرية القروية التى اختطفها مختار من بين أترابها المصريات اللائى يملأن القرى والحقول يعملن على إنماء ثروة مصر وهن مثال الجد والنشاط لم يدب الترف في

الأهرام ٣١ من مارس ١٩٣٤ .

نفوسهن ولم تتمش الحضارة الخداعة المغرية إلى أكواخهن ومنازلهن البالية ولم يعرفن من الحياة إلا العمل .

هذهالمرأة هى رمز للمرأة المصرية النشيطة العاملة الفلاحة المعتدلة القوام (الساذجة) الفطرية الحافية الأقدام التى تعمل لتأكل وتعيش ، بهذا ربط مختار الماضى بالحاضر ورمز لذلك بهذا التمثال . هذه هى القصيدة الحماسية القومية التى نظمها مختار لنفهمها ونحل رموزها .

وقد نظم مختار قصيدة غزلية أخرى لا تقل روعة ولاجمالاً عن ذلك وهى بين قصائده أوقصصه البليغة الجميلة الكثيرة تلك القصيدة هى التى سماها « على شاطئ النيل » وهى ذلك التمثال الصغير المنحوت من الحجر الأسود والمصقول الذى يمثل فتاة جميلة معتدلة القد حاملة على رأسها جرة مملوءة من ماء النيل . ملتفة بشعار شفاف لا يكاد يحجب ما وراءه وكأن أعضاءها مغطاة بثوب رقيق يكاد الإنسان يلمس نسيجه لا يصدق أنه من حمأ مسنون أوحجر مصقول . تنظر إليك وهى حاملة جرتها تلك النظرة التى هى شعار المصرى ، نظرة الهدوء والسكينة والرضا بالقضاء والقدر والإيمان بالله ، ولقد تحسب هذه القطعة الفنية من أجمل ما تخرجه قريحة فنى وتبرزه صناعة إنسان .

وهذه بائعة الجبن ذات القوام الطويل المعتدل والوجه الساذج البدوى حاملة على رأسها قصعتها ماسكة فيها بذراعيها سائرة في طريقها تطلب قوت يومها أومساعدة زوجها وأولادها لاتفهم من الحياة إلا عملها ولا تبالى بمن يراها في طريقها ناظراً إليها نظر المعجب بها أوالناقد عليها . كثيراً ما رأيت أنا مثل هؤلاء النساء في شارع كلوت باك يحملن الجبن والزبد من الجيزة إلى القاهرة لبيعه ، هذه أمثلة من أعمال مختار الفنية وهذه هى روحه المصرية التى لم تفارقه في جميع أعماله . لقد ترك لنا ذلك لنفهمه وإن كان لم يحن بعد لجمهور الناس حتى المتعلمين منهم أن يدركوا سر ذلك لأن السواد الأعظم منا إما راغب عن فهم هذه الحقائق وإما دعىٌّ يهدف إلى النقد قبل الفهم .

إذا كان مختار مات فلن تموت آثاره الفنية ولن تنساه مصر فإنه في مقدمة رجال النهضة الحاضرة .

أحمد ضيف(١)

---

(١) المرحوم الدكتور أحمد ضيف كان أستاذ الأدب العربي بكليه الآداب ومن آثاره الأدبية فى بداية عصر النهضة قصة « منصور » .

المصرى الغريب فى مصر . . . ! ! !

بقلم الدكتور طه حسين

هو مختار رحمه الله فقد كان في حياته مرآة صادقة كل الصدق لنفس مصر الخالدة التى لا تحد ولا تحصر . كنت تجد في هذه المرآة صوراً صادقة لنفس مصر القديمة ، ولنفس مصر الإسلامية ، ولنفس مصر هذه التى يكونها هذا الجيل ، ولآمال مصر ومثلها العليا بعد أن يتقدم الزمان ويتقدم ، وترث أجيال أرض الوطن عن هذه الأجيال التى تضطرب فيه الآن .

كان مختار هذه المرآة الصافية التى تنعكس فيها حياة مصر على اختلاف أزمنتها وما يحيط بها من الظروف فكان من هذه الناحية أشد أبناء مصر اتصالا بها وقرباً منها وتمثيلا لها . ولكنه على ذلك كان غريباً في مصر أثناء هذه الأسابيع التى ختمت مساء الثلاثاء حين ختمت حياة مختار . أقبل من أوربا فلم تكد الصحف تتحدث عن إقباله ولم يكد يخف للقائه من أصدقائه إلا نفر قليلون وأقام في مصر مريضاً مكدوداً يلح عليه الألم والسقم فلا يكاد يذكره من المصريين الذين كانوا يحتفون به ويحشدون له ويهتفون باسمه ويعتزون بمجده ويرفعون رءوسهم بآثاره إلا نفر يحصون ، ولعلك إن أحصيتهم لم تبلغ بهم العشرين ، وأخشى ألا تبلغ بهم أقل من هذا العدد اليسير . ثم اشتد عليه المرض والجأه إلى المستشفى . فلم تكد الصحف تتحدث عن ذلك إلا حديثاً يسيراً جداً . ومضى أصدقاء مختار إلى المستشفى يسألون عن صديقهم ويريدون لقاءه فحال المرض بينهم وبين اللقاء . وأعلن إليهم أن الحجاب قد ألقى بينهم وبين هذا الصديق وان كانت الحياة لا تزال تتردد في جسمه النحيل . ثم أصبح الناس يوم الأربعاء وإذا نعى مختار يملأ القاهرة ويقع من نفوس أهلها موقع الألم اللاذع والحزن الممض . ثم أمسى الناس يوم الأربعاء ، وإذا بجماعة من خاصة المصريين وقليل من الأجانب عند محطة القاهرة يستقبلون جثمان مختار ، ثم يسعون معه إلى المسجد . ثم يتفرقون ويمضى مختار إلى مستقره الأخير ، ومن حوله جماعة قل في إحصائهم ما شئت فلن تستطيع أن تبلغ بهم نصف المائة . ثم يصل مختار إلى قبره ، ثم يهبط مختار إلى هذا القبر ، وهؤلاء الأصدقاء قائمون قد ملكهم وجوم عميق لا يقطعه إلا هذا

الرسالة ، إبريل ١٩٣٤ .

الصوت الرقيق المزعج ، صوت المساحى والمعاول وهى تسوى القبر عليه ، وتقطع مابقى بينه وبين الحياة من أسباب ، وإلا هذا النداء الذى يتردد بين حين وآخر يتكلف الرفق ، طالباً الماء الذى يحتاج إليه في تسوية هذا القبر ، وإقامة السد بين صاحبه وبين الحياة ، وإلا هذا اللفظ الذى يؤذى الأسماع ، وكان من حقه أن يكون موسيقى عذبة رقيقة تأسر القلوب الجريحة وتهدئ النفوس الثائرة ، وترد الجازعين البائسين إلى ما ينبغى لهم من الإذعان لقضاء الله والرضا بحكم الله . وهو لغط هؤلاء القراء الذين يلوون ألسنتهم بالكتاب ، وقد كره الله أن يلوى الناس ألسنتهم بالكتاب ، لأنه كتاب مبين مستقيم لا عوج فيه ولا التواء . وإنما فيه هداية للعقول وشفاء لما في الصدور . ثم ينقطع كل صوت ، ويتفرق هؤلاء الأصدقاء يحملون في قلوبهم ما يحملون من حب ووجد ، من أسى ولوعة ، يحملون هذا كله لينغمسوا به في هذه الحياة التى تنتظرهم على خطوات قليلة قصيرة من مستقر الموتى .

وكذلك انتهت قصة مختار مع انتهاء النهار يوم الأربعاء ، وكذلك أسدل ستار الموت على حياة مختار في الوقت الذى أسدل فيه ظلام الليل على حياة الأحياء . وما أكثر ما تنتهى قصص الناس في كل يوم ، بل في كل ساعة ، بل في كل لحظة . وما أكثر ما يسدل ستار الموت حين تشرق الشمس أو حين تغيب ، فلا نحس ذلك ، ولانلتفت إليه ، لأن الذين تختطفهم المنية أوتحصدهم في جميع الأوقات قوم مجهولون لم تميزهم الظروف أولم تميزهم أنفسهم ، فهم يمضون دون أن يحسهم أحد كما يقبلون دون أن يحسهم أحد ، ولكن مختاراً كان غريباً حقاً فى آخر حياته ، وكان غريباً حقاً في أول موته ، وأى عجب في هذا ؟ لقد آثر حياة الغربة منذ أعوام ، فكان لايزور وطنه إلا لماماً ، وقد تعود الجفوة من مواطنيه . وأكبر الظن أن ذلك كان يؤذيه ، ولكنه كان أكرم على نفسه من أن يشكو أو يظهر الألم . ولقد سمعنا أنه احتمل المرض شجاعاً ، واستقبل الموت شجاعاً ، لم يدركه جزع ولافرق . ولو أنه رأى بعد أن مات كيف ودعه مواطنوه لما أثر فيه ذلك أكثر ما أثرت فيه جفوة مواطنيه قبل أن يموت . ولعله كان يألم لذلك في قرارة قلبه الممتازة ، ثم لايظهر من ألمه شيئاً كما كان يفعل أثناء الحياة ، إنما نحن الذين ينبغى لهم أن يألموا أشد الألم ، وأن يحزنوا أشد الحزن ، وأن يستشعروا شيئاً غير قليل من اللوعة والحسرة وخيبة الأمل حين نرى هذا العقوق ، وحين نقدر أثره في نفس صديقنا الراحل العزيز فقد كنا وما زلنا نتحدث بأن مختاراً هو الذى رد إلى مصر بعض حظها من المجد الفنى ، وكنا وما زلنا نتحدث بأن مختاراً قد مكن مصر من أن تعرب عن نفسها وعما تجد من الألم والأمل بلسان جديد لم تكن تستطيع أن تصطنعه من قبل ، وهو لسان الفن .

وكنا وما زلنا نتحدث بأن مختاراً قد أنطق مصر بهذه اللغة التي يفهمها الناس جميعاً وهي لغة الجمال ، لغة الفن بعد أن كانت لا تنطق إلا بهذه اللغة التي لايفهمها إلا جيل بعينه من الناس ، وهي لغة الكلام . وكنا وما زلنا نتحدث بأن مختاراً قد جدد في مصر سنة كانت قد درست ومضت عليها قرون وقرون ، وهي سنة الفن . وكنا وما زلنا نتحدث بأن مختاراً قد لفت الأوروبيين إلى ذلك في أشد الأوقات ملاءمة ، في وقت الثورة السياسية . وكنا وما زلنا نتحدث بأن مختاراً على حداثة عهده بالفن كان أسبق المصريين إلى إعجاب أوربا ، ألم يعرض آثاره في باريس ؟ ألم تتحدث صحف الفن عن مختار قبل أن تتحدث صحف الأدب عن كتابنا وشعرائنا ؟ ألم تستقر آثار مختار في متاحف باريس قبل أن تستقر آثار كتابنا وشعرائنا في مكاتبها ؟ كنا نتحدث بهذا كله ، وكنا وما زلنا نتحدث بأن مختاراً قد رد إلى المصريين شيئاً غير قليل من الثقة بأنفسهم ، والأمل في مستقبلهم ، والاطمئنان إلى قدرتهم على الحياة الممتازة الراقية . كنا وما زلنا نتحدث بهذا وبأكثر من هذا ، ومع ذلك فقد قضى مختار آخر حياته شريداً أوكالشريد . وقد قضى مختار آخر أيامه في مصر منسياً أو كالمنسى ، وقد عبرت جنازة مختار مدينة القاهرة يطيف بها جماعة من الخاصة ليس غير ! ! نستغفر الله بل مرت جنازة مختار أمام التمثال الذى صنعه بيديه كما تمر أمام أى شيء لم يظهر على التمثال ما يدل على الحزن أو ما يدل على الاكتئاب ، أو ما يدل على الشكر وعرفان الجميل . وعبرت جنازة مختار مدينة القاهرة تجهلها الحكومة المصرية أوتكاد تجهلها ، لم يمش في جنازة مختار ولم يقم على قبر مختار وزير العلوم والفنون . ولم يلق أحد على قبر مختار كلمة الوداع ، وإنما كان الصمت يشيعه ، وكان الصمت يواريه التراب ، وكان الصمت يودعه حينما تفرق من حوله الأصدقاء . ولو قد مات مختار في بلدغير مصر لكان لموته شأن آخر . ولو قد كان مختار فرنسياً أوانجليزياً أو إيطاليا وأدى لبلده مثل ما أداه لمصر لقامت الدولة له بشيء آخر غير الإهمال والإعراض ، إذن لكانت جنازته رسمية تنفق عليها الدولة ، ويمشى فيها رجال الدولة ، ويخطب فيها كبار الدولة ، ولكن مختاراً نشأ في مصر ، وعمل لمصر ، ومات في مصر ، فحسبه ما أتيح له يوم الأربعاء من توديع الذين كانوا من أصدقائه وأحبائه ليس غير .

ولا ننسى أن رئيس الوزراء قد تفضل فندب من مثله في جنازة مختار . وهذا ، وبالسخرية الأقدار ، كثير جداً ينبغي أن يشكر لرئيس الوزراء . فقد ينبغي ألا ننسى أن مختاراً لم يكن من أنصار السياسة الرسمية ، ولامن الذين يستمتعون بعطفها وحبها ورضاها ، فكثير أن يتفضل رئيس الوزراء فيندب من يمثله في جنازة هذا المعارض وإن كان صاحب فن ، وإن كان قد أنفق حياته كلها لمصر لا لحزب من الأحزاب

ولا لجماعة من الجماعات . لا أكذب المصريين أن لنا في مثل هذه الأحداث والخطوب مواقف لا تشرفنا ولا تلائم ما نحب لأنفسنا من الكرامة ، ولا تشجع العاملين على على أن يعملوا . ومن ذا الذى نسى موت الشاعرين العظيمين حافظ وشوقي وموقف السياسة منهما . ذهب المعارضون بحافظ ، واستأثر المؤيدون بشوقي ، ثم ذهب المعارضون بمختار منذ أيام ، وضحى بالأدب والفن في سبيل الأهواء والشهوات ، وظهر المصريون في مظهر العقوق الذى لايليق بالشعب الكريم . لا أكذب المصريين أنهم في حاجة إلى أن يرفعوا أنفسهم أمام أنفسهم وأمام غيرهم عن هذه المنزلة المهينة ، إنهم في حاجة إلى أن يرفعوا الأدب والعلم والفن عن أغراض الحياة ، وأغراض الخصومة السياسية ، لأن في الحياة أشياء أرقي وأطهر وأكرم من السياسة وخصوماتها ، والأدب والعلم والفن أول هذه الأشياء . لقد هم أصحاب حافظ أن يخلدوا ذكرى حافظ فلم يوفقوا . وهذا حافظ يخلد ذكر نفسه — ولقد هم المستأثرون بشوقي من رجال السياسة الرسمية أن يخلدوا ذكر شوقي فلم يفلحوا . وهذا شوقي يخلد ذكر نفسه فهل بين المصريين من يهتمون بحماية آثار مختار من الضياع وبتخليد ذكر مختار ، وهل هم إن فعلوا موفقون إلى ما يريدون ؟ أم هل تدخل السياسة في أمر مختار فتفسده كما أفسدت أمر حافظ وشوقي ؟

سؤال مؤلم ما كان ينبغي أن يلقى ، ولكن انتظار جوابه لن يكون طويلاً ، ولعله لا يضيف ألماً إلى ألم ، ولاحزناً إلى حزن .

طه حسين

مختار

بقلم محمود سعيد

كان الليل قد هب ، وأعمدة النور تلقى من بعيد أشعة صفراء ذابلة تكاد تمحى قبل أن تصل إلى الأرض والسفن تقبل متباطئة وتلقى على الأرصفة مراسيها الثقال .

وكان الصديق نيقولايبدس قد أخطرني بمقدم مختار من فرنسا فذهبنا للقائه مشوقين وسعداء بعودته إلينا . ورأيناه يقدم نحونا مرتدياً عباءة الفنانين الداكنة وعلى عينيه منظار لم يحجب الطيبة والابتسامات التي تشع منهما وقال لنا :

« لو عرفتم كيف عدت من بعيد ، لقد قضيت لحظات مفزعة وكان الموت يهزني من قريب » .

وصحبناه إلى الفندق حيث كان لقاؤنا الأخير معاً ، لم أره بعدها ، وإن سمعت صوته في التليفون وأردت أن أغتنم فرصة العيد لزيارته فقدمت القاهرة ، ولكن الوقت كان متأخراً لقد ذهب مختار ، وعلى سرير الموت كان وجهه الملىء بالكبرياء يتطلع نحو الأبدية .

لقد انبعث فجأة منذ خمسة عشر عاما كهذه الشهب التي تعبر السماء وتخلف خطاً من النور ، وفي عيوننا شيئا من الانبهار .

قد أقبل مختار في لحظة كانت قلوبنا تخفق فيها بحماس متطلعة نحو المستقبل فأدرك رسالته وعرف كيف يضحى كل شىء من أجل فنه بهذه الإرادة والشجاعة والعظمة التي ستبقى رمزاً عالياً فخوراً للأجيال المقبلة .

وإنا لنجد خلقه النبيل وحماسه المولع بالجمال ، وحبه العميق للحياة ، ورقته وحساسيته التي كان يسره أن يخفيها تحت مظاهر العنف . إنا نجد ذلك كله خلال أعماله في هذه القصائد الصامتة من الجرانيت والرخام والبرونز.

ولقد قدم لبلاده تمثاله الأول كما قدم الأخير ولعله أروعها — الملحمة الزغلولية التي تمثل نهضة وكفاح شعب قدم للعالم الحضارات وخلال هذه الأثناء أعطانا مجموعة

---

(١) مترجمة عن مجلة أفور «un Effort» إبريل ١٩٣٤ .

رائعة من التماثيل بدت فيها المرأة المصرية في عظمتها ورشاقتها الفاتنة وهذا السحر الذى يثير حواسنا وقلوبنا .

وان قدرته على التحوير والتركيب وإضفاء الصفاء على الأشكال تجعل من تماثيله أثراً فريداً وقمة من قمم فن النحت .. فهو دون أن يتقيد بالنهج التكعيبي الذى يجمد حيوية العمل الفنى ودون أن يلتزم التقليد الجامد للطبيعة على طريقة الأكاديميين استطاع أن يحقق معجزة التوافق بين مقتضـيات النحت والإحساس العميق بالحياة ، ولقد استطاع مختار بإحساسه الفطرى بالتوازن وبالتناسق النبيل في تماثيله وبالبساطة الواعية التى تبدو في مسطحاته ، واستطاع فوق ذلك بهذه الشاعرية التى كونها الحماس والعاطفة والحب الذى ينبض به تماثيله أن يعيد تقاليد أجداده المصريين الذين وقفت طرقات أزميلهم منذ آلاف السنين .

وداعاً يا مختار .. إن هذا الموت الذى انتزعك في حماس العمل ، وعزمة الكفاح قد أحاطك بهالة من المجد والنور في قمة عصرنا الدامى المضطرم .

الفنان

بقلم : جورج صباغ

لقد ذهب مختار ، شيعته أمس مودعاً بالأسى إلى مستقره الأخير .

لقد ذهب ولكن أعماله باقية ، فنحن نفتقد بذهابه إنتاجه الذى كنا ننتظره . . ذهب مختار في أوج نضجه وفي أوج نشاطه في الوقت الذى اكتمل فيه إحساسه بفنه وبإمكاناته .

إننا نبكى فيه جميعاً – نحن الذين عرفناه – الصديق الرقيق الذى كان يفيض بالجاذبية والحماس والحيوية بل والصحة التى حملها عبئاً كبيراً في إنجاز عمل كان يكفى وحده لأن يشغل حياة فنان .

لقد كان معرضه الذى أقامه في باريس سنة ١٩٣٠ حدثاً هاماً وقد رأت الحكومة الفرنسية أن أعماله جديرة بأن تمثل في متحف لوكسمبرج إلى جانب أعمال كبار المثالين الفرنسيين المعاصرين .

لقد كان مختار مصرياً ومن حق مصر أن تفخر به ، لقد كان مصرياً وكان حريصاً على الاحتفاظ بمصريته وإذا كان تكوينه الفنى يرجع إلى فرنساً إلا أن هذا التكوين لم يكن إلا وسيلة لاكتساب العناصر الأولية التى تعينه على التعبير . . ولكن إلهاماته كانت مصرية صادقة ، لقد تأمل ودرس واستوعب الفن الفرعونى وحاول رغم القرون التى تفصله عنه أن يجدد تقاليده ، وما من شك في أن جهده في الحقبة التى عاشها مجرداً من كل المحفزات كان أكبر من جهد أجداده حيث كان الفنان ينتسب إلى مرسم يديره أستاذه .

لقد اتجه مختار إلى أن يودع أشخاصه معانى الجلال والنبل وكل جوانب عظمة مصر ، وهو لم يقف عند التفاصيل ولم يحتفظ من نماذجه إلا بما يضفى عليها النبل ، وقد استحوذ عليه هذا التفكير حتى أحالها جميعاً من حياتها الواقعية إلى الثبات والسكون الجديرين بالفن .

ولقد كان الكرم والحماس والإقدام صفات أصيلة في نفسه وهى صفات لايكون الفنان بدونها إلا مجرد صانع فن .

ولقد وجهت إرادته وإصراره هذه العواطف وأخضعتها لنظام توصل به إلى تحقيق أسلوبه الذاتى الذى قام على البساطة التى تعد جوهر المعرفة والفن . . وإن الشكل الفنى عنده ليتحرر من كل ما يحجب نبل تعبيراته ويبدو صافياً من كل شوائب التفاصيل ؛

وجدير بمصر أن تذكر على الدوام هذا الذى كرس حياته كلها لاستمرار فن أضفى عليه طابع الأصالة والقومية .

(مجلة أفور أبريل ١٩٣٤)

إلى مختار ــ العظيم الراحل

لقد عاد دون ضجيج إلى أرض بلاده التى أحبها وقدم لها أجمل ما في نفسه .

عاد منذ ستة أشهر ، وأقام أياماً بفندق الكونتننتال ولكنه أحس باستفحال المرض فاستأجر شقة صغيرة بشارع أسيوط بمصر الجديدة فى مواجهة الصحراء .

وهناك كان يفتح أبواب نوافذه ليفسح لأشعة الشمس السبيل .

ولقد كنت أحب في هذه الشقة الصغيرة بساطتها وكنت أقضى ساعات إلى جانبه ، أخدمه وأقرأ له صفحات جميلة وأحاول أن أثبت له أن في مصر شباباً يمجد فيه الرجل والفنان ويستطيع أن يحيط به عند اللزوم ولكنى كنت أخشى أن أقطع عليه تأملاته أو أسبب له التعب .

ولقد كان يحدثنى دائماً عن أصدقائنا المشتركين . عن مسيو فيس الذى طاف العالم في رحلة رائعة ، عن مستقبل مصر الذى كان يشغله دائماً ورغم كل شىء ، عن حالة الفلاح التعسة البائسة ، عن جيهان ريكتيس الفنان الذى اخترمه قدر لايرحم والذى عرفه في باريس ، وعن حافظ ابراهيم هذا الصديق المحب الودود ، وعن أشياء أخرى .

ولقد كنت أود أن استمع إليه يتحدث عن فنه أو نفسه ولكنه لم يطرق هذا الحديث أبدا وماجرؤت على أن أسأله وأناقشه في هذا الشأن حتى لا أخجل تواضعه أوحتى لايتصور أننى جئت لأحصل منه على حديث .

وكل من عرف مختاراً يدرك كيف كان صلباً وشجاعاً أمام الموت كما كان طوال حياته .

ولقدرأيته منذ أسابيع وقد أحاط ذراعه بالأربطة وهو يهبط درجات السلم متظاهراً بالراحة مخفياً ألمه حتى لاينقلوه إلى المستشفى الفرنسى محمولا والتفت لى قائلا : « إنه أمر هين ، ليس هناك إلا خراج تحت الذراع ، وعما قريب سيزول الألم » . وما كنت من أجل هذا أتصور خطورة مرضه ، ولذا فقد رجوته يوماً

لو استطاع الحضور في محاضرة الدكتور طه حسين بجماعة الأسايبست ذلك تقديراً مني لحبه الشديد له .

ولكنه التفت إلي بابتسامة أسيفة وقال : « سأبذل كل جهدى للحضور لسماع صديقى طه رغم أننى ممنوع من التعرض للهواء في الليل » .

أيها العزيز الراحل مختار . . .

لقد انبعث مختار من أرض مصر ، وكان ابناً صميماً من أبناء النيل . . إنه أمل وفخر لمصر الحديثة فهو أحد المصريين القلائل الذين عرفوا كيف ينسون قرون الاستعباد التى مرت ببلادهم . . فهل تدرك مصر خسارتها فيه ؟ .

جبرائيل بقطر

(مترجمة عن مجلة أفور عدد أبريل فى ١٩٣٤) .

خطوط من شخصية مختار

عرفت «مختار» في باريس سنة ١٩١١ ، وشهدت بداية حياته الفنية التى كانت انعكاساً من حياة تلك الحقبة . . هناك في الحى اللاتينى حيث كان يتجمع الشباب من كل صوب ليدرسوا تحت إشراف أساتذتهم ، وكانت الحياة رخية لايسودها الاضطراب وكان الجو البوهيمى المتحرر من الضغط المادى والقيود وهموم الحياة هو طابع الطلبة يعيشون طلقاء ويدرسون ويكتسبون ضروب المعرفة .

في هذا الجو كانت بداية مختار :

ولما عاد إلى مصر لقى إعجاب وتقدير الجميع :

وفي هذه الأثناء كنت أراه عديد المرات في المتحف المصرى حيث كان يحب أن ينعزل ويتأمل طويلا في قاعات الطابق الأول أمام روائع الدولة القديمة وخصوصاً لوحات النحت الغائر :

وذات يوم رأيته في إحدى هذه القاعات منذ الصباح الكبير وعند مرورى بعد انقضاء ساعتين انتابتنى الدهشة إذ رأيته في نفس المكان غارقاً في تأملاته ودراسته العميقة للنحت الغائر :

وعندئذ قال لى :

« إن إعجابى بهذه الأعمال يفوق الوصف حتى أننى لم أحس انقضاء الوقت::: انه إعجاب إلى حد الهوس » ؛

وكان بهذا يشير إلى ذروة الكمال الفنى التى بلغها المصريون حينئذ ، لقد أحب مختار النحت الغائر وأبدع فيه . . . وإنى لأتأمل الآن لوحته عن الزراعة في قاعدة تمثال سعد ، فى هذه اللوحة تفوق مختار على أجداده حين أضفى على ملامح الأشخاص تعبيراً تصويرياً وحياة عميقة مركزة ولم يخضع للقواعد الجامدة التى كانت التقاليد الدينية تفرضها على الفنانين الفراعنة .

إن مختار مصرى عظيم وفنان ويحق لنا أن نفخر به لأنه أكمل تراث أجداده لآلاف السنين بعد أن استوحى تقاليدهم :

دكتور سامى جبرة
العالم الأثرى ورئيس قسم الآثار بكلية الآداب سابقا

مجله أفور أبريل ١٩٣٤ .

فن مختار وروحه

من مقالة للدكتور محمد سامى كمال

أوجد مختار فناً خاصاً وطبعه بطابع تكاد تتعرفه عندما تلقى بنظرك إلى أية قطعة من قطعه البديعة التى خلفها ، ولتدرك ذلك الطابع تماماً تصور ذلك الفنان القوى ، وقد نشأ في قرية مصرية ، أفعم قلبه بحب الفلاحين ، وملأ عينيه من تلك التماثيل المصرية القديمة ، ثم من ذلك الفن المصرى في جميع صوره وقد امتاز بالبساطة وجمال التنسيق وعدم الاكتراث بما يقع تحت الحس تماماً ، غير ناظر إلا إلى الموضوع المطلوب تصويره فينتظم التصوير في أسلوب واحد ، كأن الجمال فيه لتلك الخطوط والمسطحات المنتظمة .

أخذ الغربيون بذلك الفن عندما قاموا بتمثيل رموزهم العسكرية بعد الحرب العظمى . فلا ترى إلا مستويات لا تستوقف النظر ، إنما يحرض التمثال فكرك لتبحث فيه عن معنى ينبىء به . تلك كانت آية الفن عند قدماء المصريين فلما انتقل منهم إلى اليونان فالرومان فالغرب أخيراً ، عمدوا إلى تصوير الجمال كما يجب أن يكون في الواقع لا في الخيال ، فجمال المرأة أو الرجل صار تمثيلا لبعض النساء أو الرجال فعلا .

وعندما انتهت الحرب العظمى لم يرد الفنانون في جميع العالم أن يتقيدوا بما كان نظاماً وأسلوباً للفن فيما قبل الحرب ، وأخذوا يبحثون عن فن عصرى لم يستقر إلى اليوم نظامه فإنك ترى لهم في كل يوم اتجاهاً وميلا .

أثناء تجاربهم هذه تطاير بعض الشرر الفنى من مقبرة توت عنخ آمون ، فدققوا النظر من جديد في ذلك الفن المصرى القديم ونحوا نحوه ، وصاروا لا يقفون في التمثيل على ما يرون بعيونهم ، إنما عمدوا إلى الرمز في النحت والتصوير لترسل مخيلتك في البحث عما يرمزون ، فلا يقف نظرك على تفاصيل الجسم أو الرداء بل يلجئك الفنان إلى البحث عما يريد من معنى ، وليس من السهل الوصول إلى ما يريد أو الوقوف عليه . ويمتاز الفنان الماهر بأن يقدم لك ماتقرأ فيه كل يوم جديداً ، ألم يحدثنا الصديق الدكتور طه حسين بأن هذا مانحا نحوه بعض شعراء الفرنسيين ؟ عاش مختار في هذا الجو وأدرك سر الأقدمين المصريين ، فعمد بالمعاول إلى رسم الطريق للمجددين وبعث من جديد فناً كان يشعر أنه ينبض من حبه لمصر ، فغنى على قيثارته « القاهرية » و« الفلاحة » و« بنت الشلال » .

نشرت بالعدد الصادر فى ١٤ مايو سنه ١٩٣٤ من مجله الرسالة

أطياف يبيدها الزمان

ويحييها فن مختــــار

لله أيامنا الخوالى : يوم كنا نشهد أسراب الملاح ، وهنّ يحملن الجرار عند الشروق وعند الغروب ، فقد كان للشباب صبوات ، وكانت فتنة الريف تتمثل في تلك الأسراب وكانت الأغانى والمواويل تدور حول تلك الأطياف الشوارد ، أطياف الملاح يحملن الجرار .

هل تذكرون : « صيد العصارى يا سمك » ؟

وهل تذكرون : « أحب مشى العصارى لاجل ما اشوفك » ؟

وهل تذكرون : « يا طير ، يا اخضر ، يا وارد ع الميّه » ؟

وهل تذكرون : « بالله يابحر حبى جاش ملا بدرى » ؟

وهل تذكرون : « يا ساقية الحب دورى وانزحى سكر » ؟

هل تذكرون ، وهل تذكرون ؟

ذلك أدب رقيق ، مضى زمانه وضاع ، لأن الدنيا تغيرت ، وصار أهل الريف يعيشون وفي كل بيت طلمبة تجذب المياه من جوف الأرض ، وعدنا نطوف حول النيل في سنتريس وفي غير سنتريس فلا نلمح طيفاً للعروس الحسناء « حاملة الجرة » .

فإلى ذكراك يا محبوبتى القديمة ألف تحية وألف سلام .

ولكن مهلا ، فقد بقى من الطيف طيف ، بقيت صورة « مختار » التى خلد بها صورة الحسناء حاملة الجرة ، وعلى وجهها مسحة من الحزن الرقيق .

إن الأدب يحيا وقد يموت حين يصبح غير موصول الأواصر بما يعبر عنه من صور وأطياف ، أما الفن فيحيا ويندر أن يموت ، لأنه ينقل صور الحياة ويمشى بها من جيل إلى جيل .

وسيذكر ناس لم يروا بأعينهم حاملة الجرة أنها شخصية طريفة ، وأنها في فن « مختار » تحفة باقية خليقة بالخلود .

وسلام الأدب على « مختار » وعلى فنه الرفيع .

زكى مبارك

المثال مختار — ٢٢٥

حفل تأبين مختار الذى نظمته جماعة الأسايست(*)
في ٢٢ من أبريل سنة ١٩٣٤ بمعهـد تيجرمان

كلمـة الأستاذ الجليل

مصطفى عبد الرازق

في ريعان العمر ، وازدهار الأمل ، وفي إقبال النجاح والمجد ، يخرج مختار من هذه الدنيا بما فيها من أمل ومن نجاح ومن مجد .

ودع مختار الحياة وهو يحب الحياة ، وكانت الحياة تحب مختاراً ، ألم تركيف نازعت فيه الموت ليالى وأياماً حتى أعيا الحياة أن تستخلص حشاشة ألح عليها الداء وأنهكها الجهد وهدها الهم والصبر هداً .

كان مختار يعشق الحياة ، لما يدرك فيها من آيات الجمال ، صوره معانيه ، وقد ألهمته فطرة الفنانين محاسن الحياة ، وشحذ المران فهمه وذوقه وشوقه فذاق وعرف .

بلغ مختار بعض ما أوحى إليه من سر الجمال في آثار من تماثيله بارعة : منها ما يصور الجمال النسائى ملامح لا نرى فيها إلا بساطة وإلا سحراً ، وقواماً سليماً في اعتداله وفي هيفه روعة الوقع ولطف الأثر ، وصدراً يتسامى في قوة ونبل ، ويفعل بالألباب ما تفعل الأعين النجل .

ومنها ما يرسم المعانى فيكشف عنها الأسرار ، ويترك حقائقها المجردة نهباً للأبصار ، فهذه العدالة ميزان تستوى كفتاه استواء في ظلم صارم بتار ، يعتمد على مقبضه ساعد مفتول لإنسان تجمعت في مظاهره كل مخايل الشجاعة التى لا تعرف تردداً ، وكل مخايل الجد الذى لا يعرف هزلا ، وكل مخايل القوة التى لا تعرف هوادة إذا هم الميزان أن يميل .

وهذه الإرادة عملاق تفيض من أعطافه القوة يقبض على سلسلتين من حديد بيدين كأنما قدتا من حديد وقد أشاح بوجهه ونكب عن ذكر العواقب جانباً .

(*) تكلم فى هذا الحفل أيضاً — الدكتور طه حسين — وألقى خليل مطران قصيدته عن تمثال نهضة مصر .

ولو أن مختاراً أمهله الأجل لبلغ رسالة الفن كلها ولجعل من المعانى والمثل العليا تماثيل من مرمر مسنون ، يلحظ الناظر في آثار مختار امتلاء نفسه بحب بلاده فطراز الحسن في تماثيله مصرى ، والثياب مصرية ، والسمت مصرى كما نرى في تماثيله المعروفة : على شاطىء النيل ، امرأة شيخ البلد ، بائعة الجبن ، المرأة القاهرية ، إلى ماء النيل ، هجعة القيلولة ، نهضة مصر .

ولئن كان الفن غاية في نفسه لأن الفن مظهر الجمال ، والجمال غاية الغايات وعلة وجود الأرض وعلة وجود السموات فإن مختاراً كان يحاول أن يسخر فنه المحبوب لخدمة وطنه المحبوب .

ليس مختار هو أول فنان مصرى في التاريخ الحديث فحسب ، ولكن مختاراً هو أول من حاول أن يبث في الحياة المصرية ذوق الفن وحب الفن ، وحاول أن يخلق لأهل هذا الشأن جواً فنياً يسع متاع الجمال وينفس العواطف ونزوات المرح ووثبات الخيـــال .

لقى في بادئ الأمر خصومات ولقى انكاراً عنيفاً لهذا اللون من العيش في وسط حياتنا العابسة القاسية التى تريد أن تفرض حتى على الفنانين عبوسها وقسوتها ويأبى الفن إلا أن يعيش ضاحكاً حراً .

في صيف سنة ١٩٢٨ حضرت مؤتمر الأديان في « لند » من بلاد « السويد » وقضيت أسبوعاً كله في عشرة طائفة من شيوخ العلم والفكر في العالم يفنون شبابهم في الدرس ولا يضنون بشيخوختهم على البحث المتأصل العميق .

ولما انفض المؤتمر انحدرت إلى باريس على موعد من مختار فدعانى للسفر معه إلى « لورماران » وهى قرية من قرى « البروفانس » بفرنسا ليس فيها إلا فندق واحد التقى فيه جماعة من أهل الفن بين حفار ورسام وقد وجهوا همتهم لترميم قصر أثرى هناك وإعداده ليكون متحفاً لفن البلاد الواقعة على البحر الأبيض المتوسط في مختلف العصور وقضيت بين أولئك الفنانين أسبوعاً .

شهدت في أسبوع العلماء كيف ينصرف أهل العلم إلى إدراك الحقائق بإجهاد الفكر والتعمق في الدرس والنظر ، فتغلب حياتهم الذهنية على كل نواحى حياتهم حتى لتراهم في الدنيا وكأنهم ليسوا من أهلها وتحسب شابهم وهو في ميعة الشباب شيخاً وقوراً .

أما أهل الفن فشأنهم أن يلتمسوا حقيقة الحقائق وهى الجمال بإدراك هو ألطف من العقل جوهراً وأنفذ مأخذاً وأهدى سبيلاً لا يتكلفون جهداً إلا أن تنشرح صدورهم للحياة ويقبلوا بكليتهم عليها فتجلى في صدورهم سر الحياة وجمالها .

بين لهوهم ومرحهم وضحكهم ينقدح في نفوسهم من معانى الوجود مالا يصل إليه الفكر مجهوداً معنى ، كأنما كل أولئك الفنانين في « لورماران » كانوا شباباً يتخذون الحياة لهواً ولعباً ، وتفتنهم زخارفها وظواهرها على حين كانت ظواهر الحياة تكشف لهم عن بواطنها وكانت تماثيلهم وصورهم تعبر عن معان تسمو على العبارات والتماثيل والصور .

ليست الآثار الفنية بأقل خطراً في حياة الجماعات من الآثار العلمية ، وليست دونها في الهداية إلى فهم الكون والكشف عن حقائقه ، فنشر الثقافة الفنية مجهود صالح لخدمة الإنسانية كنشر الثقافة العلمية .

العناية بآثار الفن واجب إنسانى ، ورجال الفن عالميون لا يختص بهم جيل من الناس ولا بلد . من أجل هذا كان مختار وفنه سبباً متصلا بكل من يعرف للفن قدره من أى شعب ومن أى وطن – وإن كان مختار نبت من هذه الأرض وعادت إليها رفاته .

وإذا كان موت مختار – يرحمه الله – قد فجع أصدقاءه في صديق عزيز ، وفجع بنى وطنه في مصرى مخلص لمصر ، فإن موت مختار الفنان خسارة للإنسانية ، وذكر مختار تراث للإنسانية خالد إلى جانب آثاره الفنية الخالدة .

احتفالات الذكرى الأولى التى أقامتها جماعة
أصدقاء مختــار فى ٢٨ من مارس ١٩٣٥

كلمة السيدة الجليـــلة

هدي شعراوي

سادتى وسيداتى :

أرجو أن تسمحوا لى أولا أن أتقدم بخالص الشكر لحضرة صاحب المعالى وزير المعارف لتفضله بشمول هذه الحفلة برعايته وتشريفها بنفسه وأن أشكر حضراتكم جميعاً لتلبيتكم دعوتنا سواء أكان الدافع لهذه التلبية الوفاء للفقيد العزيز تقديراً لفنه أو مشاطرة للأمة المصرية في مصابها فيه .

سادتى وسيداتى :

قررت لجنة « محبى مختار » أن أفتتح هذه الحفلة التأبينية لمناسبة مرور عام على وفاة فقيدالفن والوطن مختار وأن أكون في الوقت نفسه أول الخطباء المؤبنين. فامتثلت لهذه المجاملة نزولا على ارادتهم رغم وجود من هم أكفأ وأحق منى بهذا الشرف معتقدة أنى بهذه الشجاعة أؤدى فرضاً يحتمه الوفاء لفنان مصرى كنت أغبط نفسى أنى من أوائل المعجبين بفنه المقدرين لنبوغه ومن أكثر الناس رجاء في إنتاجه في هذا الفن الذى بنى عليه مجد مصر وحرمت منه أحقاباً طويلة .

سادتى وسيداتى :

أحسنّا الظن بالقدر عند ما أشرقت شمس هذا الفن من جديد فوق تمثال نهضة مصر وقلنا في أنفسنا لعل هذا أول حجر يضعه مختار لتشييد مجد مصر من جديد ولم نكد نطمئن لهذا الخاطر حتى خذلنا القضاء فاختطف من بيننا مختاراً .

ومن دواعى الأسى والحسرة أن مصر السخية على القريب والبعيد تضن على مختار بابتسامة تشجيع في حياته . ودمعة وداع عند مماته ، حتى لقد فارقها الفراق الأخير وهو معتقد أن بلاده التى وقف على مجدها حياته بجسته حقه ولم تنصفه في تقديرها إياه .

أحس ذلك نفر من المعجبين به المقدرين لفنه فأرادوا مواساته وهو في نزعه القاسى واحتضاره الطويل فخصصوا عدداً من مجلة « أفور » لتدوين عبقريته والتغنى بفضله وجهاده بأقلام نوابغ الأدباء من أصدقائه عله يجد في ذلك بعض السلوى والعزاء . ولكن القدر قد أبى عليه هذا فعجل به قبل وصول هذا العدد إليه .

وما كان ذلك ليثنى من عزيمة هؤلاء الأوفياء فعاهدوا أنفسهم على أن يصلوا بمختار ميتاً إلى المجد الذى كان يطمح إليه حياً . ففكروا في تكوين لجنة تحضيرية باسم « لجنة أصدقاء مختار » لحصر تراثه والمحافظة عليه فيظل ذخراً لمصر ونبراساً يهتدى المثالون الناهجون نهجه .

شرفنى أعضاء هذه اللجنة برياستها وطلبوا منى قبيل سفرى في السنة الماضية أن أزور متحفه في باريس لأقف على جميع تحفه وكنوزه وأن أوافيهم بأسهل الطرق لنقلها إلى مصر . فقمت بما عهد إلى وقابلت زميله « موريه » وما كان أشد جزعه وفرحه عند ما رآنى هناك . وعلم بمهمتى . فلقد قابلنى والحزن والسرور يتنازعان أسارير وجهه . فلقد فرح لاهتمامنا بتراث مختار وحزن لحرمان الفن من مختار . وكان يقول ليت مختاراً كان حياً ليغتبط بتحقيق أمنيته التى كانت تملأ نفسه وتمده بروح الشجاعة والإقدام في عمله .

وقفنا برهة وقفة حداد . ثم مشى أمامنا وتبعناه لمشاهدة ما حواه هذا المصنع فدهشنا لما رأينا لأننا ككثير غيرنا ماكنا نظن ولانتصور أن مختاراً أمكنه في هذه المدة القصيرة ورغم العقبات التى اعترضته في غضون هذه المدة أن ينتج هذه المجموعة الغالية النادرة .

دونا كشفاً مفصلا ببيانها وسترون بعضها بأعينكم على الفانوس السحرى في آخر الحفلة . وأترك لحضراتكم بعد رؤيتها تقدير قيمتها الفنية والمادية . على أنها بعض من كل . وإذ ذاك تستطيعون أيضاً تقدير سخاء ورثة مختار الذين طابوا نفساً عن هذا التراث الثمين الخالد لمصر وللفن لأنهم على استعداد للتنازل عنه وعلى أن تقوم الأمة بنفقات نقله إلى مسقط رأس فقيدهم ومقر جثمانه ، على أن يعد له المكان اللائق . وإنها لمأثرة عظيمة ترشدنا بأنهم ليسوا أقل كرماً وتضحية من مختار. ولئن كان — مختار غصناً مباركاً فإنهم شجرته وأصله وهم الذين أمدوه بهذه النفس الكبيرة وورث عنهم تلك الهمة العالية .

فلم يبق على الأمة ازاء هذه الهمة العالية إلا أن تبرهن على استحقاقها لها فتقوم بما فرض عليها أداؤه .

ولا أظن أن الأمة المصرية ستنفرد بذلك بل إن لى أملاً كبيراً في أن عظماء الجاليات الأجنبية القاطنين بمصر سيساهمون بقسط وافر في تنفيذ هذا المشروع كما أسهموا بسخاء في كل عمل حيوى مفيد للبلد وهم الذين كان لهم فضل السبق في تشجيع الفنون وإحيائها بمصر . هذا إلى أن جماعة من زملائه وأصدقائه الفرنسيين الذين عرفوه وأحبوا مصر من أجله أبى عليهم وفاؤهم إلا أن يساهموا في تخليد ذكراه وتعهد مجده قائلين إن مختاراً وإن كان مصرياً فلنا في تكوينه ونبوغه الأثر الذى لا يجحد ويجب أن نتعاون في رد الأمانة إلى أهلها واكتتب فريق منهم كل بمقدار يساره وهم على استعداد للدفع عند قيامنا بتحقيق هذا الواجب .

نعم تبرع فريق منهم بما جادت به أنفسهم كما وعدوا بمعاونتنا في سبيل تخفيض اجر النقل والشحن وجمع كل ما اقتنوه من مختار وما كتبوه عنه وما تنبئوا به له وهو يبتدىء صغيراً ليتكون من مجموع ذلك كتاب يدون فيه تاريخ حياة مختار ونماذج فنه .

ولا ينبغى في هذا المقام أن أغفل ذكر بعض رفاقه وأساتذته فى مقدمة هؤلاء الأوفياء أذكر بالشكر :

المسيو فيس الذى كان يقدر مختاراً حق قدره ويعتبره كولده :

والمسيو جراب أمين متحف رودان بباريس :

والمسيو موريه الذى كان زميلا له .

والمسيو آبيل والمسيو كولون .

والمسيو مجليه الذى لم يسعدنى الحظ بلقائه في باريس فكتب إلى كتاباً بليغاً جديراً بأن يلقى على مسامعكم ولكنى أشفق عليكم من الملل :

وجميع هؤلاء عاونونا في مهمتنا وشاطرونا في أحزاننا :

وإذا ذكرت بعض أصدقاء مختار فمن الواجب على أن أذكر اسم شاب ما كان صديقاً له وإنما متفانياً في إعجابه وهو جبرائيل بقطر الذى كان له أثر واضح في هذا المشروع :

سادتى وسيداتى :

برغم ثقتى العظيمة بنزاهة حكومتنا الرشيدة وبسخاء الأمة المصرية وغيرتها على مجدها وعزتها وبرغم أن اليأس لا يجد سبيلا إلى نفسى ، برغم كل هذا لا أكتمكم ما تربنى أحياناً من فزع وقلق كلما توهمت إمكان الفشل في تحقيق هذا المشروع

القومى الخطير – لاعتبارات فجائية قد تعترضنا – فتظهر الأمة المصرية في أعين المترقبين لحركتنا بمظهر يشوه من جلال نهضتنا ويهدم من عزة قوميتنا ومن أجل ذلك أتقدم إلى أولى الأمر منا وإلى رجالات الشعب المصرى الكريم وعقيلاته راجية أن ينصفوا مصر في مشروع مختار أمام العالم المتمدين .

على أن المبلغ المطلوب لتنفيذ هذا المشروع بجميع مشتملاته من نقل وشحن وصب التماثيل ومشترى قطعة أرض وبناء دار عليها كل هذا لا يتجاوز خمسة عشر ألف جنيه .

وهذا المبلغ الضئيل إذا تجزأ على سكان القطر يخص كل مليون منهم ألف فضآلة هذا المبلغ تجعلنى أخطئ نفسى كلما اعترتنى هذه الأوهام بيد أن أكبر خوفي إنما هو من الإبطاء في تنفيذ هذا المشروع إذا لم تساهم الحكومة فيه فتتعرض بعض القطع للتلف وتصبح سمعة مصر هدفاً للقيل والقال وتضعف همم المتنافسين في هذا الفن من أبناء مصر : وقد أظهرت لنا المسابقة التى أجريناها في عمل التمثال النصفى لمختار ما لم نكن ننتظره إذ برز في ميدان المسابقة نيف وعشرون شاباً لا يبعد أن ينبغ من بينهم مختار آخر إذا صادف تشجيعاً وتأييداً ؛ إذ من المقرر الثابت أن النبوغ الكامن في النفوس مثله كمثل البذور النقية لا تؤتى ثمرها إلا في تربة خصبة وجو صالح كما هو الحال في العصور الذهبية التى تتعهد تنمية النبوغ وتشجيعه فيظهر فيها بكثرة وذلك عكس العصور المظلمة التى كان النبوغ يختنق فيها اختناقاً تحت تأثير ضغط تيارات الجهل والاستبداد الخانقه . وفي الواقع لا شيء في التاريخ أدل على مدنيات الأمم في العصور المختلفة من الآثار الفنية وها قد وضع مختار لنا الحجر الأول لإحياء فن الحفر الجميل . فلنبن عليه البناء الذى يصلح أن يكون حلقة اتصال بين الماضى البعيد والمستقبل القريب .

سدد الله خطانا ووفقنا إلى النجاح والفلاح .

كلمة

الأستاذ مصطفى عبد الرازق

من قبل عام كان اسم مختار يثير في الناس معنى الحياة بمرحها ونشاطها ، وما في الحياة من بهجة وجمال ، وما في الحياة من فتنة ، وما في الحياة من آمال .

واليوم تثير ذكرى مختار صورة الموت وما في صورة الموت من كآبة الهمود ووحشة القبر . الموت هو ذلك المصير المحتوم المزعج الذى حارت البرية فيه . فقائل : الموت أشد مما قبله وأخف مما بعده . وقائل : ما الموت إلا تنقل الأرواح في الأجسام فهو خروج من لون من ألوان هذه الحياة إلى لون من ألوان هذه الحياة . ويحكى عن بعض الصوفية أنه عند موته فتح عينيه ونظر إلى أصحابه وقال : ارتع فهذا مرتع الأحباب وخرجت روحه . ويقول أناس إن الموت فناء يبدد الأجساد ويجعل الحياة هشيما تذروه الرياح ويقول أبو العلاء المعرى:

ضجعة الموت رقدة يستريح الـ جسم فيها والعيش مثل السهاد

ليكن الموت ما يكون ، ففى الناس من تحيا بعدهم آثارهم وتحيا في آثارهم كل معانى نفوسهم ، فليس يعدو الردى منهم إلا على اللحم والدم . لا يعرف أحد اليوم أين تكون رفات البهاء زهير شاعرنا المصرى لعهد الأيوبيين ولكننا نعرف لطف روحه ورداعة شمائله ، وما للحب في فؤاده من سحر ونغم حين نتغنى كل يوم بقوله :

يا كثير الصدود والإعراض أنا راض بما به أنت راض
أشتهى أن أفوز منك بوعد ودع العمر ينقضى في التقاضى

وقوله :

أيا قلب تعرف من قد أتا ك و ياعين تدرين من قد حضر
ويا قمر الأفق عد راجعاً فقد بات في الأرض عندى قمر
ويا ليلتى هكذا هكذا وبالله بالله قف يا سحر

وابن سينا من ذا الذى لا يرى صورة حياته ويشهد خصائص نفسه حين يقرأ قوله في كتاب « الإشارات » : « العارف هش بش بسام يبجل الصغير من تواضعه مثلما يبجل الكبير ، وينبسط من الخامل مثلما ينبسط من النبيه . وكيف لايهش وهو فرحان بالحق وبكل شىء فإنه يرى فيه الحق . وكيف لا يسوى والجميع عنده سواسية ؟

العارف شجاع ، وكيف لا وهو بمعزل عن تقية الموت . وجواد ، وكيف لا وهو بمعزل عن محبة الباطل . وصفاح ، وكيف لا ونفسه أكبر من أن تحرجها زلة بشر ، ونساء للأحقاد ، وكيف لا وذكره مشغول بالحق » .

ومن هذا الطراز مختار فقد خلد في فنه معانى من روحه هى فيض عبقريته وفيض حياته وقد أودع خصائص ذاته في هذا الفن الجميل المتصل بجمال الوجود فليس يفنى مختار ما دام في هذا الكون فن وجمال .

تماثيل مختار تعبر عن منازع نفسه وتفصل بالصميم من روحه وذوقه ، هو ديموقراطى بكل ما في الديموقراطية من بساطة ورحمة ، هم نفسه الفلاحون ، يستشف الجمال في فلاحة على شاطىء النيل تحمل البلاص فوق رأسها في وضع رشيق تسنده يد لا تكاد تمسه تأنقاً واختيالا وتثنى اليد كأنما تريد أن تستر زينة الصدر وهى لا تزيد الصدر إلا تزيناً .

ولما أراد مختار أن يصور امرأة القاهرة غلبه الوفاء للريفية الفلاحة فصور امرأة القاهرة في نوع من ثياب الريف وجعلها أكثر تناسباً في الملامح وأظهر اصطناعاً للتظرف ولكنها دون امرأة الريف رشاقة في الحركة وحياة في الجمال . والقيلولة نفسها . حين مثلها مختار لم يمثلها امرأة منعمة نضت عنها ثيابها إلا لبسة المتفضل لتهجع هجعة الظهيرة في سرير وثير ،ولكنها امرأة فلاحة أيضاً أخذ الجهد من بدنها والقيظ فقد نامت كأنها تتأهب للسجود تجثو على إحدى ركبتيها وترفع الأخرى لتسند بها جذعاً لا يكاد يستقيم بغير سناد وأخذت كتفها بإحدى يديها ثم القت رأسها واستغرقت في سبات كأنه حلم . أو فلاحة تبيع الجبن في قصعة ليست أقل من البلاص لطفاً وتسند القصعة اليدان مرفوعتين معا وشغل بائعة الجبن بالكسب والخسارة المحوج للإسراع في المسير وكثرة الدوران في الطرق يحملها على التخفف من المطارفة والحبر وإن لم تنس في ثوبها البسيط وقدميها الحافيتين وكدها المتعب أقراطها تتدلى من أذنيها حول وجه يكاد على فرط المتاعب يبسم .

وفي إيثار مختار للقامة الطويلة في عامة ما يمثله إشعار بما في نفسه من سمو وطموح . ثم إن الوجوه التى يرسمها قلما تشرق ابتسامتها إلا لمحاً في خلال ضباب من حزن وألم . وكذلك كان مختار يبسم للحياة على رغم مايكون في صدره من غصص الحياة وآلامها .

أما امرأة شيخ البلد فهى كذلك فلاحة لكن قدميها ليستا بحافيتين ووجهها يكاد ينطق بشىء من أثر النعمة وجسمها البض ليس يبدو إلا توهماً من وراء المروط والأزر . على حين تشف ملابس الفلاحة على شاطئ النيل عن جسمها كله رقيقاً مهفهفاً من غير أن يكون متراخياً ولا متكسراً . ولعلها أروع جمالاً في نحولها البادى من أختها البضة الناعمة تتثنى في ثوبها الفضفاض .

ولمختار تمثال عنوانه « حزن » وددت لو أنى رأيته لأشهد كيف استطاع مختار أن يجعل الحزن شخصاً ماثلا ولقد كان من دأبه أن يخفى كل مظاهر الحزن حين تأخذه الهموم . وصوّر مختار الراحة فياليت شعرى كيف مثل الراحة مختار وهو في دار التعب ، ومن يدرى ؟ فقد يكون أقدر الناس على تخيل الراحة من لم يذق للراحة طعماً .

أما بعد فإنا إذا تحدثنا عن فن مختار في ليلة الذكرى لعام وفاته الأول ، فإن أجيالاً بعدنا لم يعرف بهم الزمان سوف يتحدثون عن فن مختار ، ويكشف لهم الزمان عن أسراره ما لم يكشف الزمان لمعاصريه .

وبقى على أصدقاء مختار أن يذكروا الليلة مختار الصديق في حسرة لاذعة وأن يتوجهوا في خشوع إلى شخصه الدانى البعيد بتحية دامعة .

كلمة

الدكتور محمد حسين هيكل(1)

لا أريد لمناسبة انقضاء عام على وفاة مختار أن أثير في نفوسكم الألم لذكرى هذا الرجل الذى ودعنا وهو في شبابه . فكلنا قد تألم وما زال يتألم لموت مختار ، وإنما أريد أن انتهز هذه الفرصة لأذكر شيئاً عن سر العظمة في فن مختار كما فهمتها من مختار نفسه لا في محاضرة ولا في حديث متصل ، ولكن خلال سنوات عدة ربطت بيننا بأوثق روابط الصداقة . وما كان مختار يستطيع أن يكشف عن سر فنه إلا على هذه الطريقة ، يمكنني للدلالة على ذلك أن أشير إلى ما كتبه صديقه الأستاذ محمد حسن عن موقفه يوم جمعت آلاف الناس لتكريمه على أثر عودته في سنة ١٩٢٠ بعد أن نال تمثاله نهضة مصر الجائزة التى نالها . فقد طلب إليه الجمهور أن يتكلم فاعتذر وألح الجمهور وأمعن في الإلحاح فوقف يبحث عما يقوله فكرر ثلاث مرات كلمة « الفنان . الفنان الفنان » ، ثم ارتج عليه وبدأ الحاضرون يضحكون فجمع كل قواه وقال « الفنان لا يعرف أن يتكلم بل هو يفصح عن نفسيته بعمله . لقد انتهيت « أشكركم » على هذا النحو كان تعبيره عن سر فنه وقد ألهم هو هذا السر حين عمل تمثال نهضة مصر ممثلا في أبى الهول والفتاة . فأبو الهول كان بالنسبة له أول الطريق الذى سار من بعد ذلك فيه . وهو حين كان يذهب إلى أسوان ليقطع الجرانيت الذى يقيم منه تماثيله يرى تماثيل أسوان والاقصر وسقارة وغيرها من التماثيل المصرية القديمة مما أوحى في نفسه وراثة أجداده الفراعنة وجعله يتجه في فنه إلى هذا الاتجاه ويجمع فيه بين ما امتاز به الفن المصرى القديم من العظمة والبساطة . فالعظمة والبساطة كانتا الظاهرتين الواضحتين في كل تماثيل الأقدمين . وهما الظاهرتان الواضحتان في فن مختار . وسيان أكان التمثال الذى يصنعه صغيراً أو كبيراً فإنك تلمح فيه دائماً هاتين الظاهرتين واضحتين كل الوضوح . ولقد أشار بعض الذين سبقونى إلى هذه الابتسامة التى تبدو في كثير من تماثيل مختار فذكرنى ذلك يوماً كنت فيه مع مختار ومع جماعة من الأصدقاء في سنة ١٩٢٣ أو حولها نزور البدرشين وسقارة ، هناك في الطريق تمثالان لرمسيس أحدهما ملقى على الأرض والآخر محاط بسياج . وإلى جانب هذا السياج بركة فيها تمثال لأبى الهول كان مختار يعجب به أشد الاعجاب ويحبه أشد الحب . ومن أشد ما كان يعجب

---

(1) ألقيت في حفل الذكرى الأولى لوفاة مختار .

به فيه ابتسامة خفيفة على ثغره ما أشبهها بالابتسامة التى ترى في بعض تماثيل مختار والتى تفوق في رشاقتها ابتسامة الجيوكاندا التى يكثر حديث الناس عنها . ما كان مختار مقلداً ابتسامة أبى الهول ناقلاً إياها إلى تماثيله . ولكن البيئة التى أوحت إلى صانع تمثال أبى الهول ذلك هى البيئة التى أوحت إلى مختار والتى جعلته يتجه بفنه في هذه الناحية الفرعونية التى تمثل في نظرى أقوى صور الفن . وإنى لأعتقد أن هذا « المودرن » الذى يسود الآن في العمارة ويسود في الفن ويسود في كثير من مظاهر الحياة إنما استمد إلهامه من هذه المدرسة التى أحياها مختار ، فكان مختار طليعة ملهمة إياه وفي اعتقادى أن مختار لو لم يمت في شبابه ولو أتاح له القدر أن يعيش سنوات أخرى لسما بفنه أكثر مما سما ولثبت أقدامه أكثر مما ثبتها . وإنى لأرجو أن يقوم من بين رجال الفن من شبابنا الذين يعملون التماثيل من يسير في خطى مختار ويعمل على مذهبه ويقيم مدرسته. إنه بذلك يعمل عملاً عظيماً حقاً . لقد زرت الكثير من آثارنا الفرعونية فلم أقف عند الإعجاب بها ، بل شعرت بوحى عظمتها للنفس فأرجو أن يوحى شبابنا باتباعهم مذهب مختار هذه العظمة في الفن المصرى .

دعاء من أجل مختار

بعد سبعة عشر قرناً من الصمت والنسيان جاء مختار فالتقط من جديد ذلك الأزميل الذى هوى من يد آخر فنان فرعونى وأعاد إليه الحياة ، وراح ينصت إلى أنغام الجرانيت الخالد ويستجيب لندائه ويجدد تقاليد فن مجيد ، ولقد وجد في الجلباب والملاءة ، تلك الخطوط الرائعة التى خلدها نحّاتو خوفو وأمينوفيس .

وبهرته مشاهد أرض بلاده فراح يحلم بها ونفض عن نفسه فن الأكاديميين وأخذ يتحدث بلغته الرائعة الخاصة .

ومن أجل هذا يدين له كل مصرى وكل فنان بأكثر من الذكرى ؛

بتحية ، بل دعاء . ومن أجل هذا أيضاً يستحق هذا الشرف الذى كان يوليه الحكام خير رجالهم « قبر منيف مهيب الجلال » .

لقد مات مختار في سن الأربعين ... وحين أتحدث عن صديق يخيل إلى أننى لا أستطيع أن أعبر عنه أو أتصوره مقترناً بكلمة « الموت » .... وأعمال مختار تحيا بيننا .

لقد انتقدها البعض وانتقدها هو عن رغبة في أن يبلغ قمة الكمال ، ولكني أوجه إلى هذا النقد الظالم كلمات قصيرة .

إن صرح سعد زغلول في الاسكندرية يمثل مصر في جلالها وندائها النبيل نحو الحرية والاستقلال . وتلك الروائع التى أقامها لبنات النيل وأبنائه في صور متعددة للفلاحة حاملة الجرة أو حاملة السلال وللفلاح في مشيته الخالدة وعصاه على كتفيه أو في طريقه مع القافلة إلى الحقل ، هذه الصور التى تشع بالجلال والبساطة والنبل تستحوذ على كل من يراها وتعاوده في صفائها فيعيش محباً لها وأسيراً .

لقد شاهدت أيام احتضاره برفقة صديقى وصديقه الكبير (عزيز المصرى) وكان المرض لم يبق من جسده غير غضون وملامح عاد يشكلها من جديد وكأنه يعد صورته التى سيستقبل بها الخلود ، وكأن كل الجو النبيل الذى أحاطه فى هذه الفترة والمجد

الذى اقترب منه .... والسيدات العظيمات اللائى كن يعدنه في مرضه والآلام التى عاناها والموت الذى كان يقترب منه ، كل ذلك قد أخذ يجرده من هيكله المادى وزاده نبلاً وصفاء .

لقد كان ينتسب في هذه الأيام إلى عالم آخر دخله في جلال وفي هذه الأيام كان يردد لى « سوف أشفى وأعيش وسترى ما سأعمله حينئذ ، لقد رأيت كثيراً وتعلمت كثيراً خلال هذه الشهور من التأمل والمرض » . وظل نداء الفن مستحوذاً عليه ولقد كنت أحدثه في هذه الأيام عن صراع ميكيل آنج مع الخلق الفنى ، وكانت هذه الأحاديث تستهويه ، وعاش أسير أفكاره وآماله حتى حرره الموت فأطلقه من القيود .

كم أود أن ألقاك عاجلاً أيها الصديق القديم ....فكم من أشياء نود أن نتبادلها معاً. إن صداقة الأخوة ورغبة التطلع إلى المجهول تدعونى إليك بعد هذه السنوات التى فصلت بيننا ولم أحصد منها غير المتاعب والآلام والتجارب التى لا تجدى .

من كلمات الأستاذ جورج ريمون
مدير الفنون الجميلة سابقاً
بمناسبة افتتاح جناح متحف مختار
سنة ١٩٥٢

مختار مثّال النيل

لقد حبا الله مصر بهبة كبرى إذ خصها بالمقومات الثلاثة اللازمة لإبداع نحت عظيم : الروح والأحجار والنور .. ومن كل الحضارات كانت مصر صاحبة أكبر نصيب في إرساء قواعد فن النحت .. وإذا كانت مصر قد عانت منذ أواخر القرن التاسع عشر من تأثير الأكاديميزم الفرنسى إلا أن الخروج على هذا الوضع وامتداد تقاليد مصر القديمة فى العصر الحديث تحقق فى أعمال محمود مختار .

ومن الإنصاف لمختار أن نقرر أنه لم يهتد إلى لغته الخاصة إلا بعد كفاح مع الفقر والمتاعب والعقبات التى كانت من نصيبه . إلا أن هذه اللغة يمكن أن تسمى بحق لغة مصرية .

وإن التماثيل الكبرى التى أقامها هذا المثال تمثل موضوعات من وحى الأمانى الوطنية غير أن أكثر من نصف إنتاجه تمثل في المنحوتات ذات الأحجام الصغيرة ، وفي هذه المنحوتات بساطة الشعر وصفاؤه وإيجازه ، ولعله وفق فيها أكثر مما وفق في تماثيله البطولية في إدراك حاسة البناء وخصائص النحت الكبير .

وكثير من أعماله استلهام للجنس المصرى فهو قد تناول الفلاحة وهى تملأ الماء من الترعة والفلاح عند عودته من الحقل وأحالهما إلى ألحان خالدة كلحن هذه الأرض الذى لا يعرف الزمن ، وأمام هذه التماثيل يحس الإنسان بسلام أبدى وبهدوء وشاعرية وسكينة كهذه التى تهمس بها لوحات فرميز ، إنها أعمال رجل اتصل بقادة الفن في عصره وخبر مذاهبهم ولكنه آثر العودة إلى بلاده وهو حين وجه حماسته المبدعة إلى فلاحى بلاده استطاع أن يعبر عن الإنسانية الشاملة خلال هذه اللهجة المحلية .

ولنتناول على سبيل المثال تمثاله « الحزن » الذى نحته من البازلت الأسود : انه يذكرنا من وجوه كثيرة بتماثيل الكتبة في العصر الفرعونى ، وهو مثل منحوتات الدولة القديمة التى لا بد أن تكون قد استحوذت على إعجاب مختار. بناء التمثال يقوم على نسق منتظم وتكرار متشابه مع قدر بسيط من الاختلاف فنرى الحركة في قاعدة الدرج تتكرر وتقودك تدريجياً عن طريق الخط والفورم من الجسم إلى الوجه فالفكرة ، وعلى خلاف سطوح التماثيل الحجرية القديمة نرى عناية باللمعة النهائية للتمثال ، وبهذا أتيح للنور أن يحيط « الفورم » ويلف مع استدارة التمثال ، كذلك فإن مسطحات التمثال قد نحتت بطريقة جعلت الوجه هو بداية التعبير ونهايته ، فكل التفاصيل قد اختفت لتجعل التعبير الرئيسى المؤكد للوجه .. إن تمثال الحزن ــ وقد يكون أروع أعمال مختار ــ لا ينتمى لطراز معين ... إنه خالد ومطلق وحافل بالمشاعر الإنسانية ، وإن هذا الموضوع الذى يكاد أن يكون قد عالجه كل مثال في القرن العشرين قد وجد في هذا التمثال حلاً تشكيلياً نبيلاً وموفقاً .

ويمكن أن يقال من ناحية الموضوع ان مختار تأثر في أغلب الأحوال بالمثل والاتجاهات السائدة في عصره فهو مثل « رودان » أحب المعبود الخالد .. ومثل « بورديل » عبر بأسلوب وطنى متين .. وهو يلتقى مع « مينيه » في أنه وهب فنه للرجل العادى ، وقد وجد مختار قوته المميزة في وفائه لهذا الجنس العريق .. الفلاح ، تلك القوة التى تهيىء للفنان أن يتكلم لغة عالمية من خلال لهجته الخاصة .

غير أن هناك عملاً فذاً في إنتاج كل فنان يخرج عن إطار إنتاجه .. وهذا العمل بين آثار مختار هو تمثاله الخماسين ... هذا التمثال الذى نحته سنة ١٩٢٩ واستمد موضوعه من هذه الريح العاتية التى تهب من الصحراء كل ربيع على وادى النيل ، مثل ريح المسترال التى تهب على جنوبى فرنسا والسيروكو في المحيط الأطلسى ، والخماسين . هى الطبيعة تذكر الإنسان بسطوتها عليه .

وما من شك في أن الخماسين هى أكثر أعمال مختار أصالة ، قد يكون ذلك لجدة الموضوع ولأنه لم يسبقه إلى تناوله أحد ، وقد تكون بداية طريق كان الفنان متجهاً إليه ليقدم لنا أعمالاً من نظائره لولم يدهمه الموت وهو فى قمة إبداعه الفنى .

ومن الممكن أن نقول إن الخماسين فى روحها هى صورة من صانعها ، هى رمز لحياته العاصفة في جرأة خطوطها وصلابة تكوينها ، وفيها الحقيقة والتجريد والحركة والنظام ، وهى من ناحية أخرى تمثل شيئاً من مصر المعاصرة بما تحمله من تعبير الانطلاق .

لقد درس الفنان أعمال القدماء ، ولكن الدليل الوحيد على تأثره بهم هو سيطرته على المادة المنحوتة ومعالجته لها ، إننا هنا أمام مختار وقد نسى كل شيء رآه وسمعه ليعبر عما آمن به .

لقد كان مختار فلاحاً فسجل العنصر الريفي الذى يمثل صلابة الحياة المصرية وبناءها المتين .. لقد استطاع مختار أن يعبر عن الفلاحين إذ كان منهم فسجلهم في الأحجار التى تحمل في مادتها أروع خصائصهم ، الصلابة والمقاومة والجمال ، وهو لم يصور الفرد ولكنه صور النموذج ، وتماثيله مثل نماذجه من الفلاحين لا تعرف حدا للزمن ولا تنتمى لوقت محدد . ومع ما طرأ على أساليب الفن من تطور طبيعى فإن مختار سيبقى قائداً وأستاذاً ، وأثره في مصر لا يتمثل في النحت فقط ، انه كالنيل يمثل تقليده الطبيعى في تجديد الحياة ، وكالخماسين اجتاح الوادى تاركاً الأرض خالصة للجيل فأتاح له أن يهتدى إلى نفسه وأن يدرك معنى الحرية الفنية .

مارك سبوننبرج

الأستاذ مارك ريترسبوننبرج مثال أمريكى وأستاذ لتاريخ الفن بجامعه أوريجون للفنون وفد إلى مصر سنتى٥٢ و ٥٣ لدراسه الفن المصرى و بصفة خاصه فن مختار الذي بدا تعرفه عليه من خلال صور فوتوغرافية لأعماله شهدها مع بعض الطلبه المصريين بجامعة اور يجون وقد اختص مختار بدراسات تعتبر هذه الكلمة ملخصاً لها . وقد أعدت فى وقت صاحب افتتاح جناح مختار بمتحف الفن الحديث .

ذكرى مختار

« نظمت حثاً على إحضار آثاره الفنية المغفلة فى باريس
وعلى إنشـــاء متحف شعبى خاص بها فى القـــاهرة »

« إيزيس » يا نبع الحنان وأم « مصر » الشاعره
هذا رسولك للجمال قضى بدنيـــا كافره

من ذا سواك يصون « للفن الجميل » مآثره ؟
من ذا سواك ترى بطلعتها الحياة بشائره ؟

من ذا ، وفي « أنس الوجود » مناك عاشت آسره ؟
غرقت ولكن لم تزل للفن أسمى ساحره

أبقى لدى الفنان من تلك النجوم الحـــائره
من ذا وما زلت الحبيبة للجمال الناصره ؟

لا تبخلى بالوحى ينهض بالنفوس الخائره
ويردنا « للفن » إيمـــاناً يصون مصائره

حتى تعود العبقرية روحه ومنـــائره
لولاه أجدبت المشاعر والقلوب الناضره

فيض من الأرباب يُنْشَد كالأمانى العاطره
مذ أُصْغِر « الفن الجميل » بمصر عاشت صاغرة !

« إيزيس » ! كم من لوعة تُشجي القلوب الذاكره
أيموت « مختار » العظيم و « مصر » تحيا سادره[1] ؟!

نسيت مفاخره وقد صان الغريب مفاخره
صينت « بباريس » الوفية للفنون الثائره

صينت ، ولكن ربما دارت عليها الدائره
ماغيرُ « مصر » بكنزها أحرى ، و « مصر » قادره
لولا السّبَاتُ ، فأرجعى للفن « مصر » الساهره !

*

عار بنى وطنى تراخينا كبُهْم ٍ قاصره
في عالم ما فيه إلا ماكر أو ماكره

عار إذا مات العظيم ولم تصنْه الذاكره
أنسيتمو « مختار » ؟ أين إذن ترون نظائره ؟

ما كان إلا آيةً من فن « مصر » الغابره
منها استمد حنانه وبيانه ومناظره

من نفح « إيزيس » الجميلة والقرون القاهره
الفاتحات عوالم الفنان غير مغامره

الواهبات من الخلود إلى الحياة العابره
المسعدات وجودنا بروًى الجمال الغامره (٢)

أولى بنا إعزازها في أرض « مصر » الشاغره
أنكون في عوز إليها وهى بعد مهاجره ؟
ما المال جنب ِ نفائس ٍ توحى الحياة الزاخرة ؟ !

*

(١) سادرة : غير مبالية
(٢) الغامرة : الشاملة .

أنماذجِ النحت المخلّد في النفوس الكابره
هل للحياة إذا اشرأبت غير مثلك ظافره ؟

حبست — وأشبعها الرخام غنى — « فتاةُ القاهره »(١)
ممشوقة القد المغرد باللحون الطـائره

لفت مُلاءتها وما لفت مناها الجائره
حال الرخام ولم يحل فهى الحنون النافره

وقفت كأن مثالها « إيزيس » ترنو آمره
وبدت بكل ثنيّة منها معان باكره

ومن الجمال مفاخراً بالجرة المتفاخره (٢) ؟ !
أيرى الجمال بها غرائب حسنه وجواهره ؟ !

مهلاً فتاة الريف ! لم نجحد لحسنك بادره !
جسم يُطّل من الثياب مفاتناً متناظره !

عُصِم الجمال من التعثر في القيود العاثره
من ذا يحجب ما حملت من الرموز الباهره ؟

يا بنت فرعون الذى وهب « الجمال » عساكره
ولى ولكن خلّف الذكرى فكنت ذخائره

يرنو إليك « الفن » يستوحى الدنان الفاخره
من كل جزء فيك كالشعر المغالب شاعره

ومن المهابة للملاحة في شموخ قياصره
ومن السذاجة في كساء ، كالطيوف السائره

أطلعتها في عزة صوفية متواتره
فتطلّعت في ثورة وتراجعت كالفاتره

---

(١) تمثال امرأة القاهرة .
(٢) تمثال حاملة الجرة .

جمَع الجمالُ بها أمانيه وصان عناصره
لولا أشعته التى نَسْتافها متناثره

غنت حنين الكون في بدء وشامت آخره
لسن الحياة ومجدها في الصدق غير مكابره

في اللحظ أو في القلب أو في النفس أو في الخاطره
ولمن تبيع الجبن صاحبَةُ اللحاظ الشاطره ؟ (١)

قد توجتها صَحْفَة مغرورة متشاعره
سخرت من الدنيا وأحرى أن تدوم الساخره

تغْوى العيون الذائقات الحالمات السّاكره
وتكاد تلتهم العواطفُ جسمَها ومزاهره

أو ليس من عزف « الطبيعة » ؟ فالطبيعة ثائره
ولئن تحدانا القوام فلن تكون مقامره

ومن الممثّل زوج « شيخ البلدة » المتظاهره(٢)
بأحبّ من هذا السلام على صباحة عاطره ؟

مدت يداً هى باقة للحب تبقى ناشره
وكأنما سَبْك البرونز عفافُ نفس صابره

وكأن يسراها على الرأس العزيز النّاهره
فلاحة طهرُ الألوهة في رؤاها الطاهره

واخفض خيالك « لابنة الشلال »(٣) غير الخادره
برزت فما أبقى « الربيع » حليّه وحبائره

---

(١) الشاطرة : القاطعة . الصحفة : القصعة . الإشارة إلى تمثال بائعة الجبن
(٢) المتظاهرة : الناشدة الظهور . الإشارة إلى تمثال زوجة شيخ البلد »
(٣) غير الخادرة : التى تبقى رهن خدرها .

وكأن في نظراتها ذكرى « أمونَ » وخاطره
وكأن من سمك النضار شعاره وشعائره(١)

حلى الجبين فحوله تلقى الأشعة دائره
ما بين مكسور يذوب وبين أخرى كاسره

وترى الإباء هو السهام إلى العيون الغادره(٢)
وترى بهدأتها قوى الشلال تكمن زاجره

من ذا سوى « مختار » شام بها الرموز الوافره ؟
متقمصا روح القديم وقد أزاح ستائره

متغلغلا فى مربأ « الفن الجميل » وحافره
فإذا « الجمال » أمامنا آثاره المتقاطره

وإذا « القديم » هو الجديد صميمه ومظاهره
وإذا « الحياة » جميعها في وحدة كالدائره !

« مختار » ! كم سور لنحتك ناطقات عامره
بل معجزات بالرشاقة والطلاقة نادره

لا الشعر ينصفها ولا نبض القلوب الشاكره
إن غيبت « فالفن » ما كان التغرّب ضائره

لكن غيبتها لنا عار وبؤسى سافره
ستعود تبصرها « بمصر » إلى جوارك زاهره

---

(١) إشارة إلي تقديس أشعه الشمس الذهبية في ذلك النضار ، وقد كان « أمون رع » معدوداً أخيراً إله الشمس .

(٢) عيون الناظرين غير البريئة .

المرجع : الأستاذ حامد القصبي .

تفضل السيد المهندس حامد القصبى وكيل وزارة الأشغال سابقاً وممن شاركوا في أعمال جمعية أصدقاء مختار بإعطائي هذه القصيدة الرائعة التى لم تنشر للشاعر الكبير أحمد زكى أبو شادى كما تفضل أيضا بكلمة الدكتور زكى مبارك التى لم يسبق نشرها وكلتاهما من بين ما اجتمع لسيادته حين كان يشارك فى نشاط جمعية أصدقاء مختار فله منى أخلص الشكر .

في متحف للشعب صان به نهاك ضمائره

« الفن » مثل « المجد » يلقى في الحياة مخاطره

دنياك لا دنيا « سليمان » يطيل عمائره

هى وحى « مصر » بأمسها لجلال « مصر » الحاضره

ترجمته ونشرته للروح قبل الناظره

إن كنت تغفر « فالثقافة » لن تكون الغافره

لا بد « للفن » المؤصل أن ينال منابره

فتوثبي يا أمتى واستقبليه مفاخره

وقفى على شط الزمان بما جمعت محاذره

أحمد زكى أبو شادى





ميدالية صالون الفنون بباريس

نالها سنة ١٩٢٩

من أجل تمثال عروس النيل

INVITATION

L'ART EGYPTIEN CONTEMPORAIN

SOUS LA PRESIDENCE D'HONNEUR DE
MONSIEUR LE SOUS-SECRÉTAIRE D'ÉTAT
AUX BEAUX-ARTS

EXPOSITION DES ŒUVRES DE

MOUKTAR

SCULPTEUR

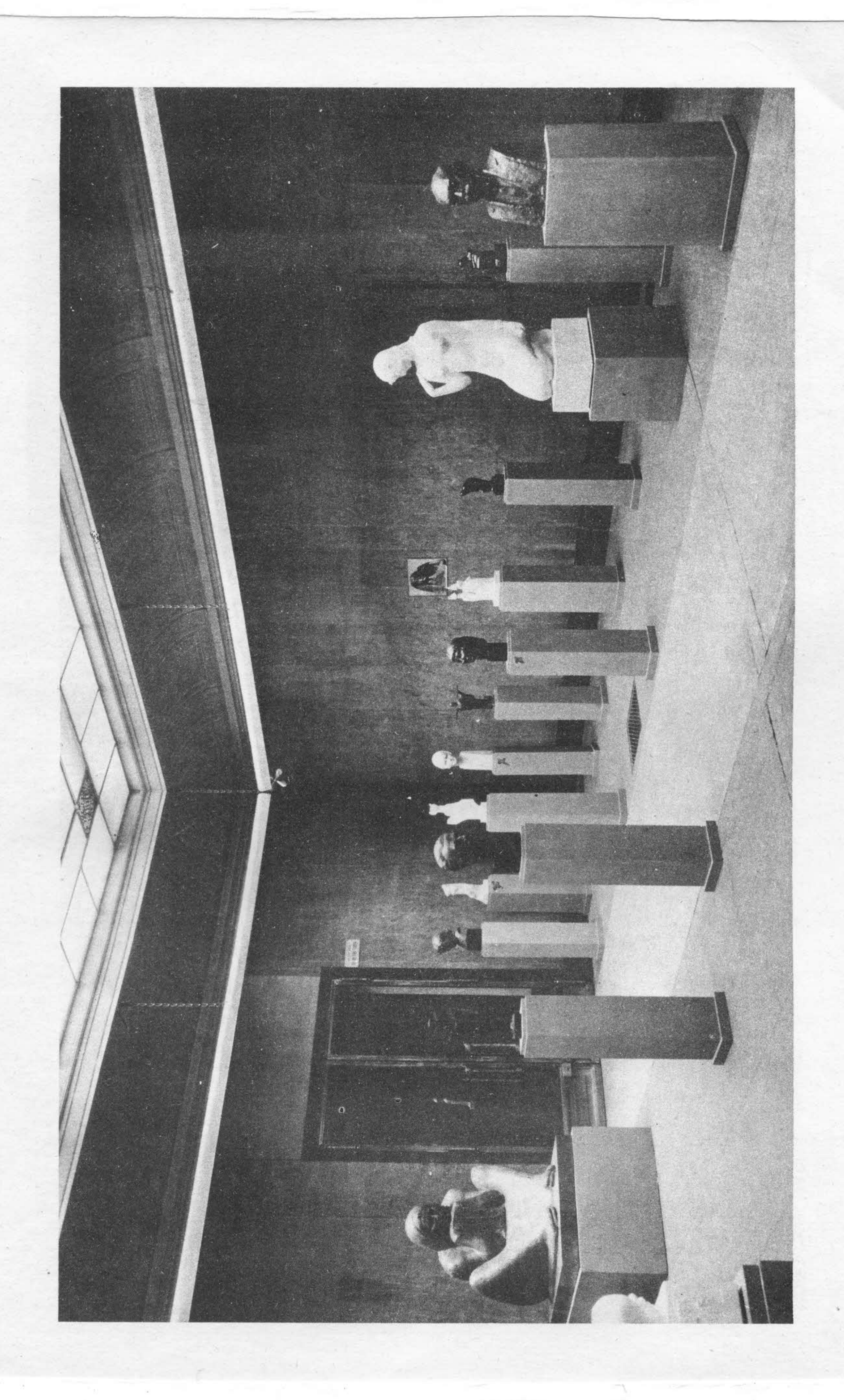
DU 10 MARS AU 21 MARS

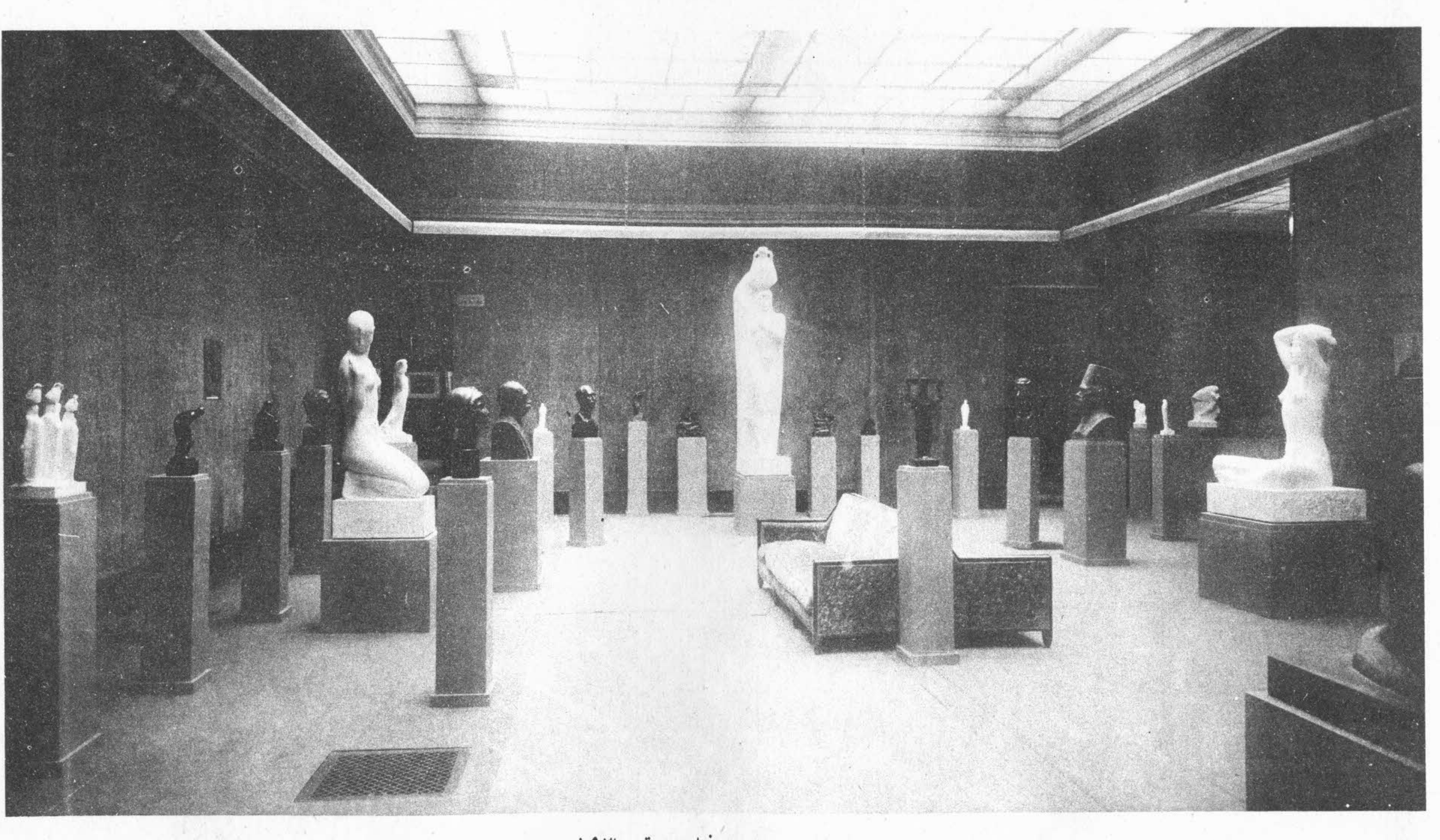
CHEZ

MM. BERNHEIM-JEUNE, ÉDITEURS D'ART
83, FAUBOURG St-HONORÉ ET 27, AVENUE MATIGNON, PARIS-8e

بطاقة معرض مختار بباريس سنة ١٩٣٠

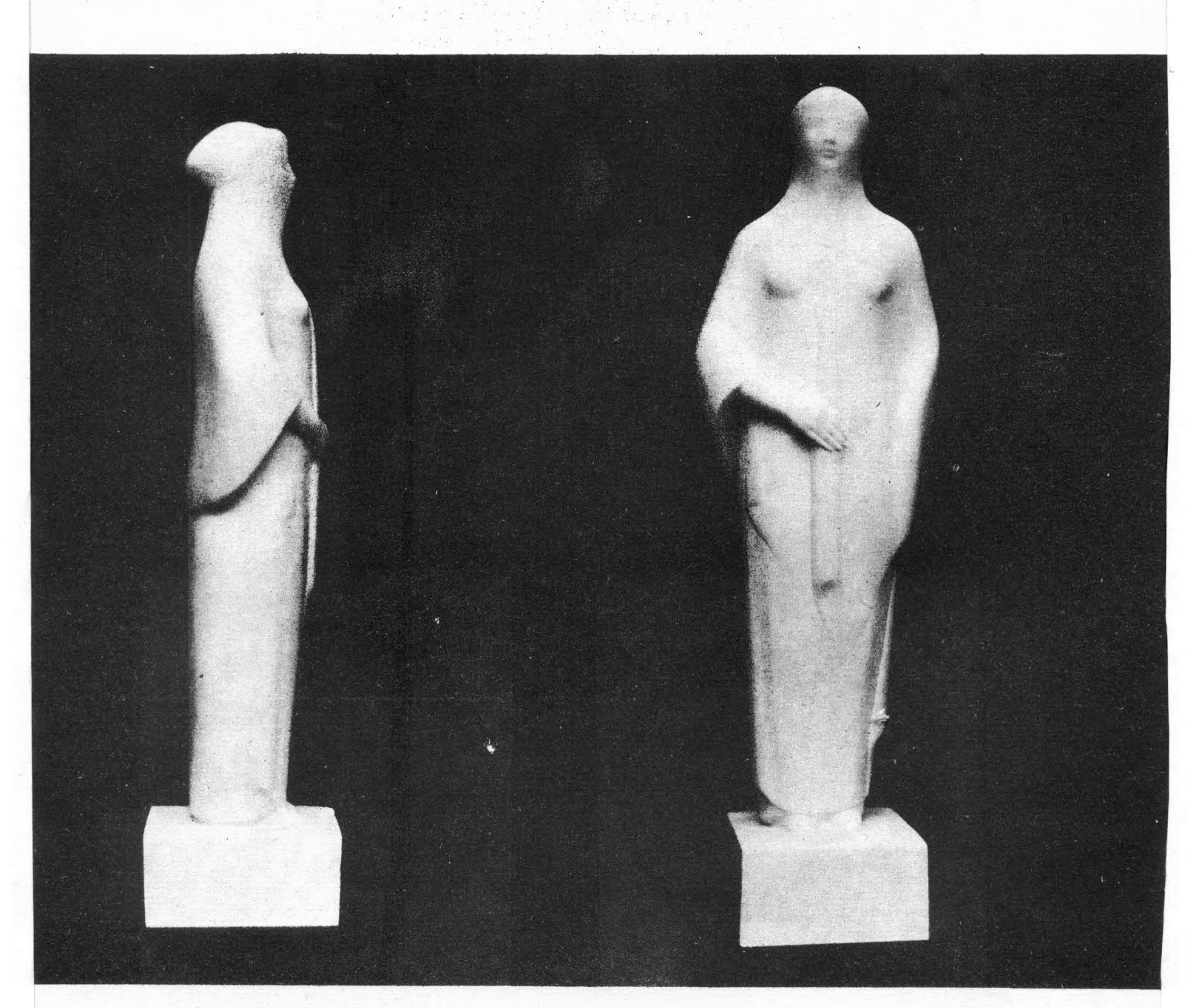
قاعة برنهيم چين



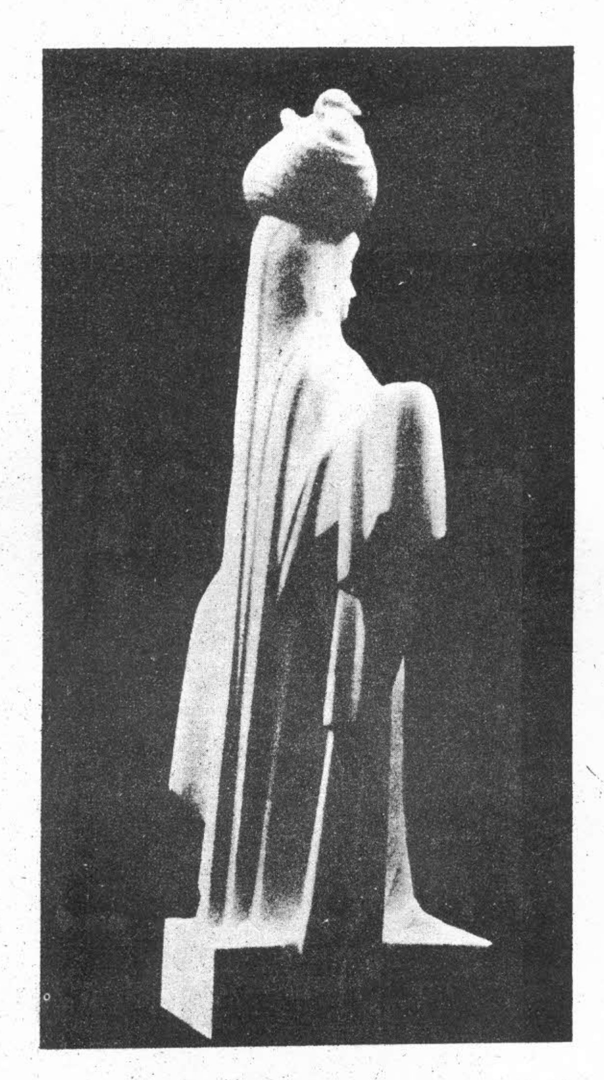


معرض مختار سنة ١٩٣٠

قاعة برنهيم چين



تمثال الأميرة



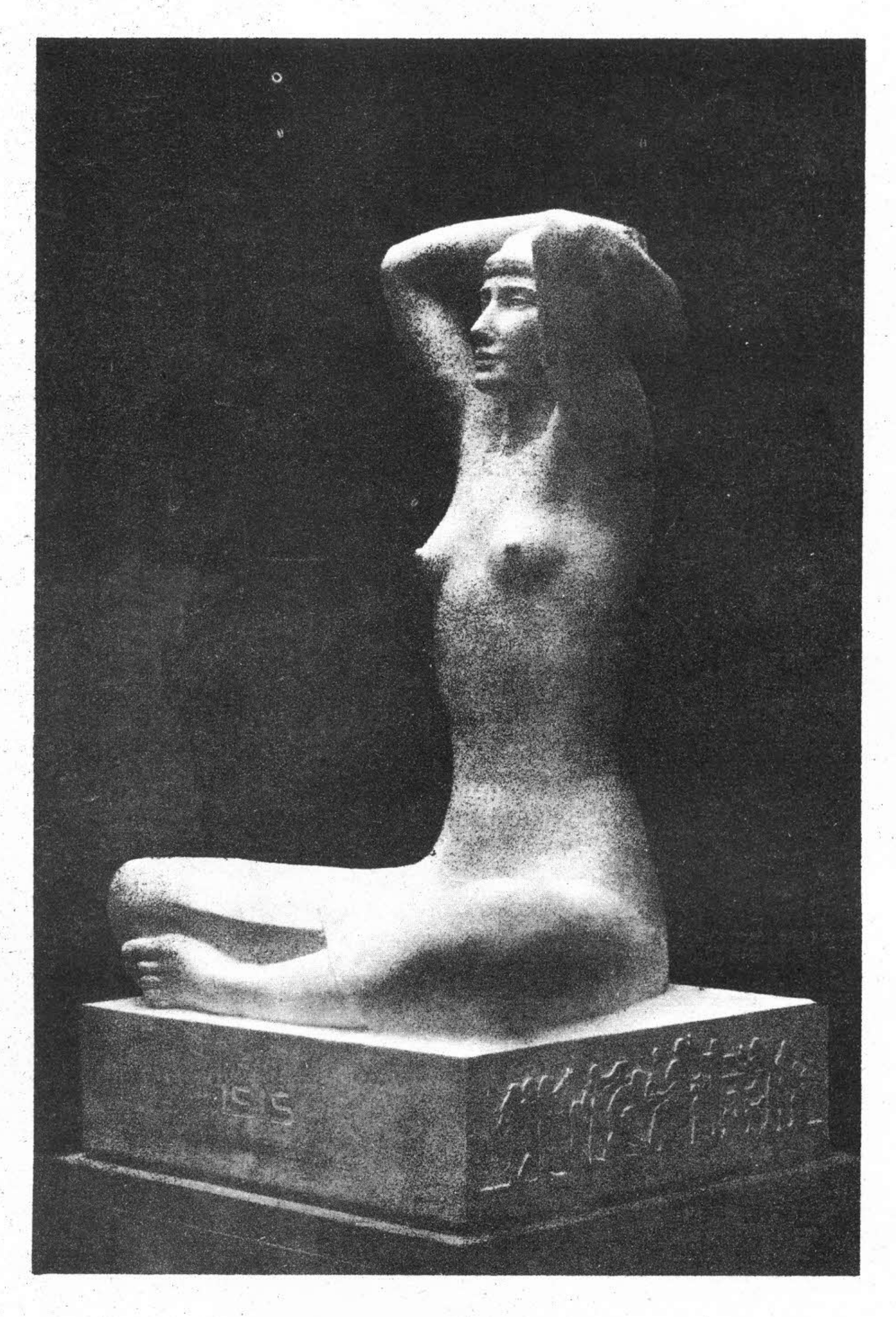
العودة من السوق



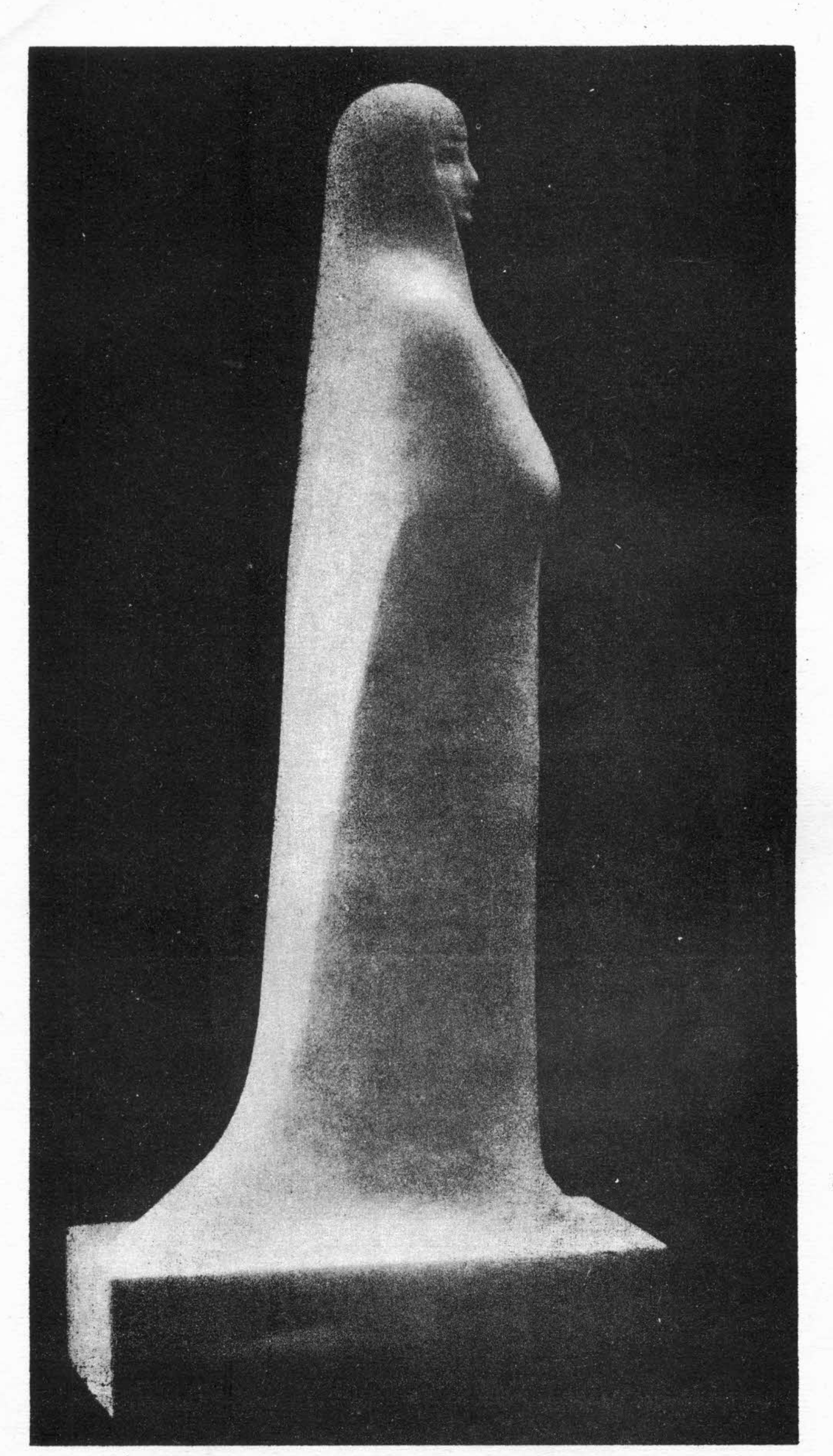
اللقية



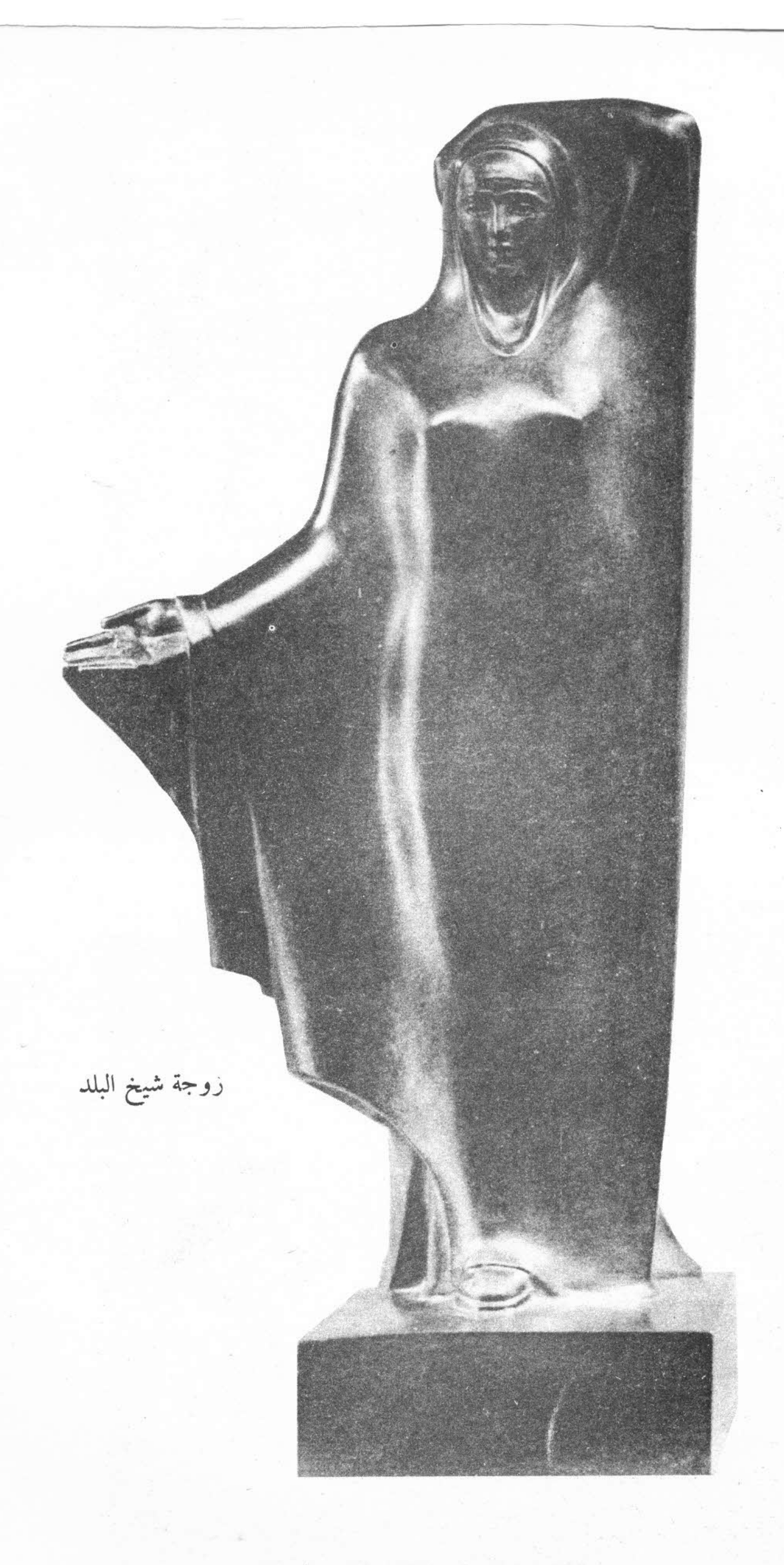
الخماسين (برونز)



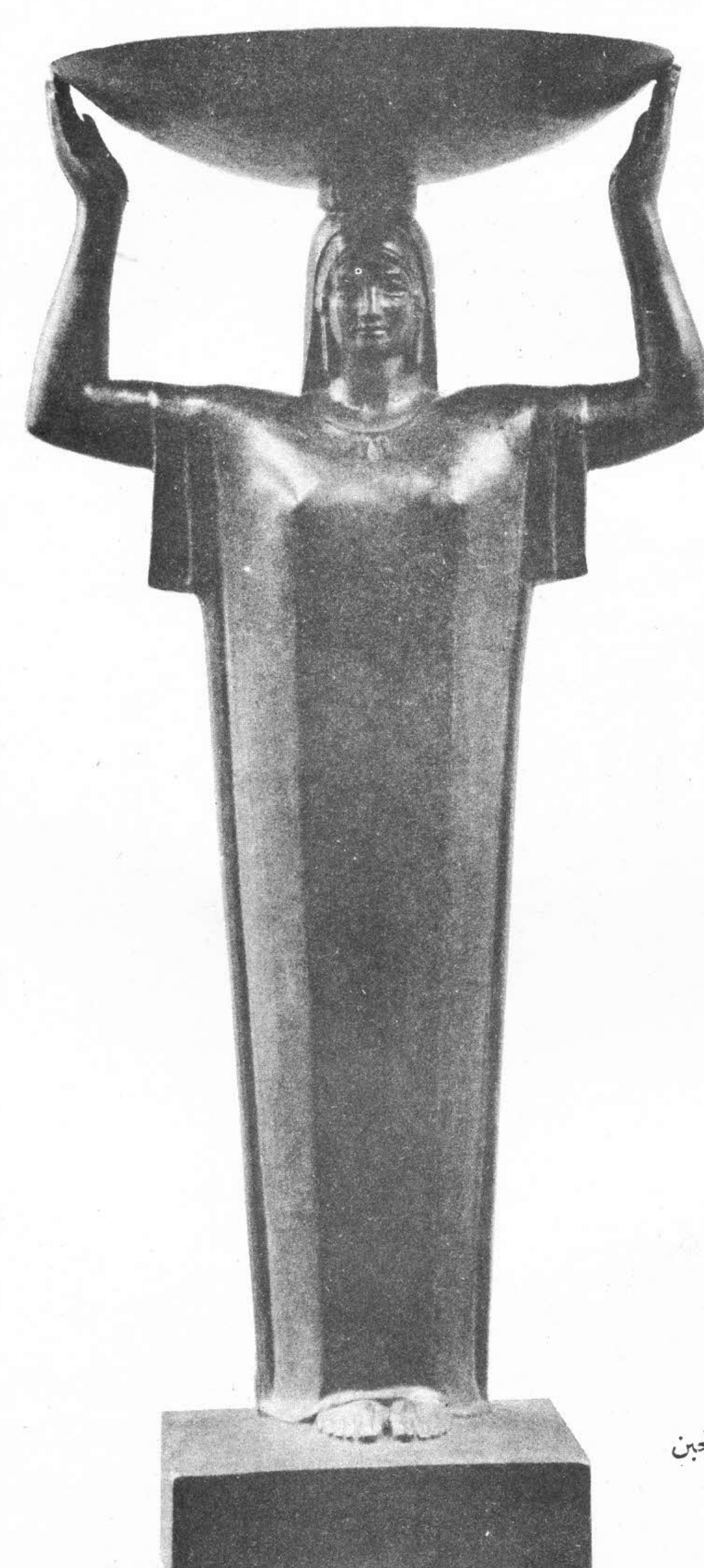
ایزیس



امرأة القاهرة



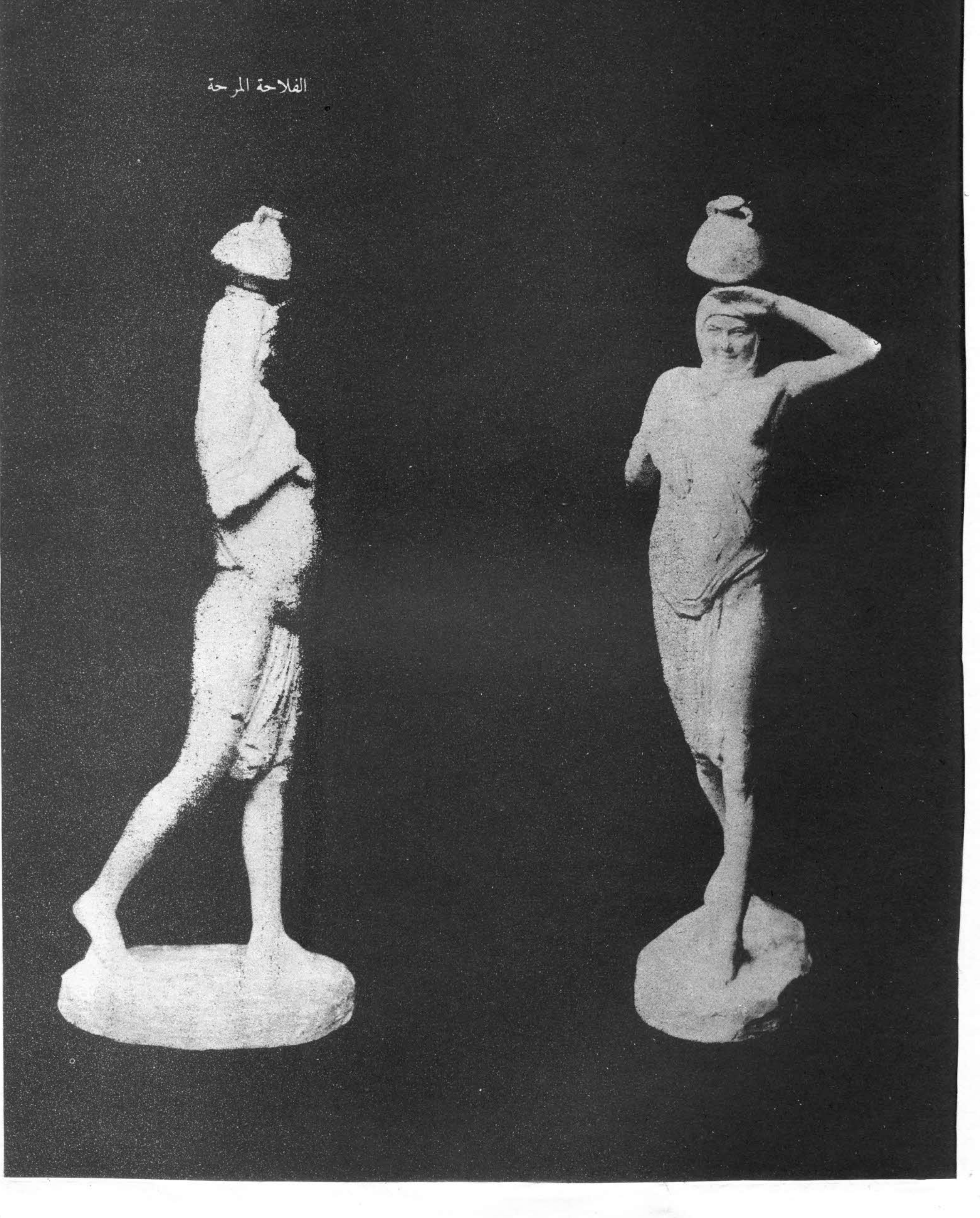
زوجة شيخ البلد



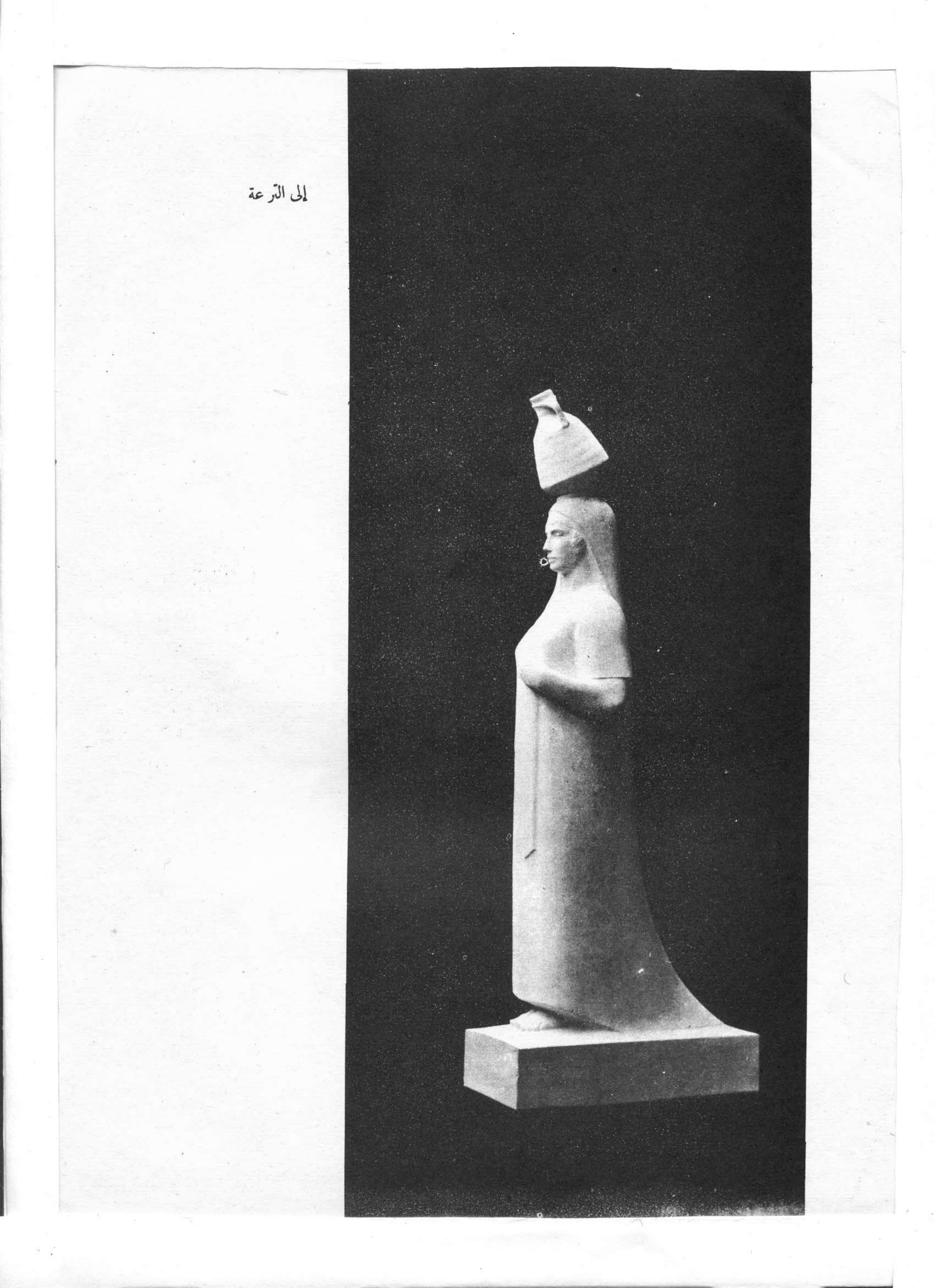
بائعة الجبن



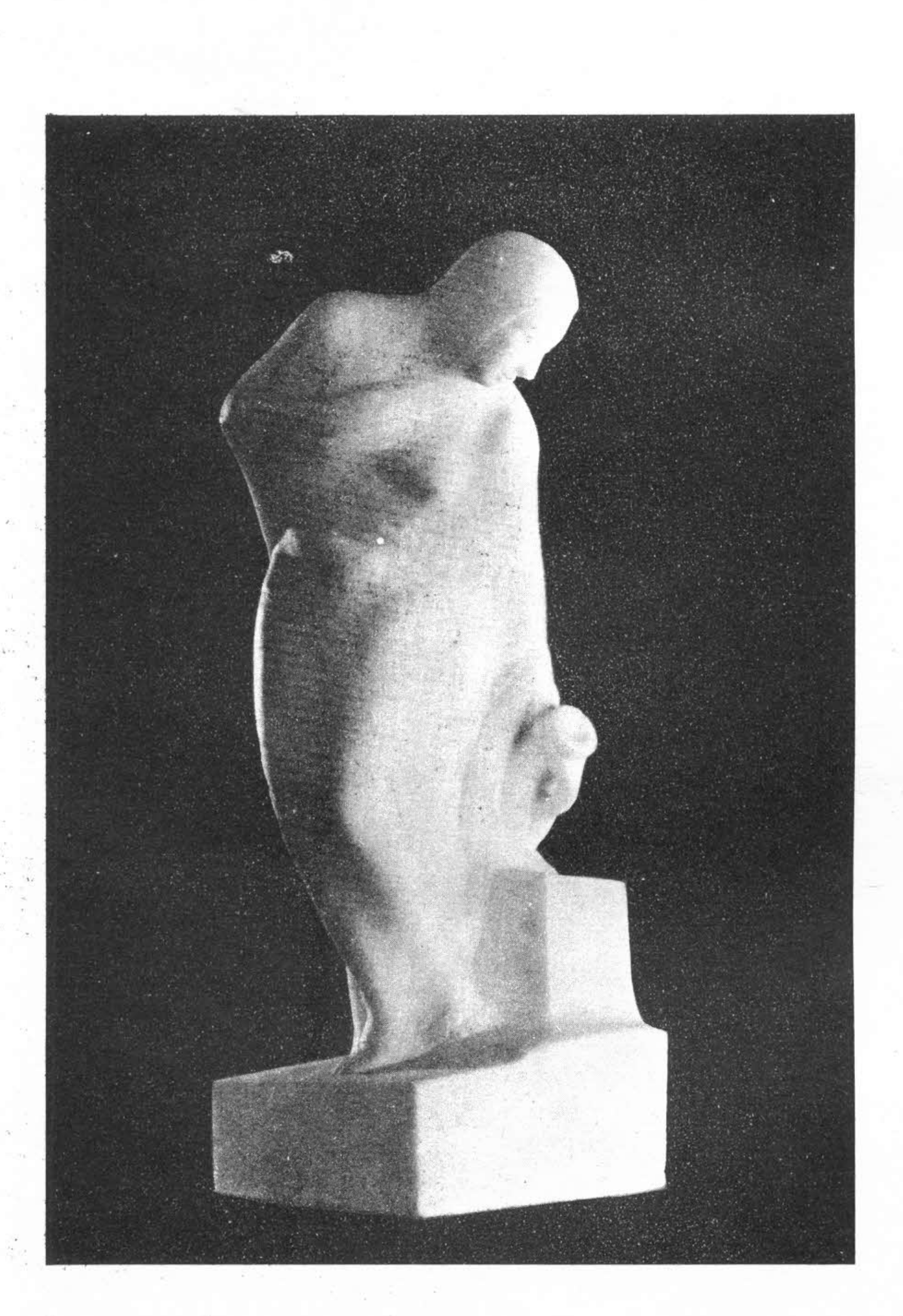
بنت الشلال



الفلاحة المرحة

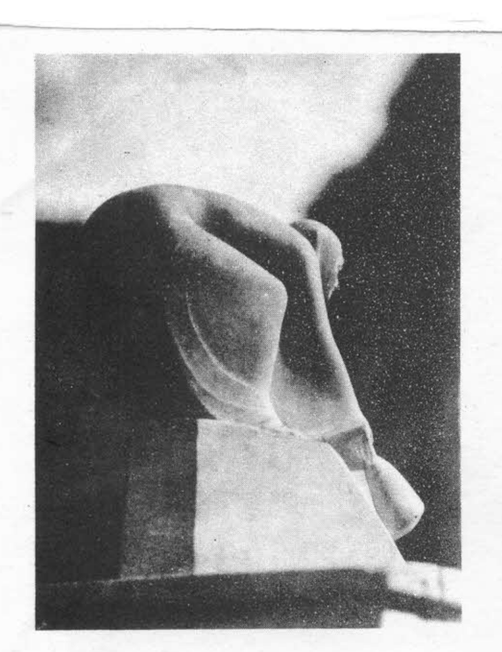


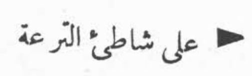
إلى الترعة



نحو ماء النيـــل





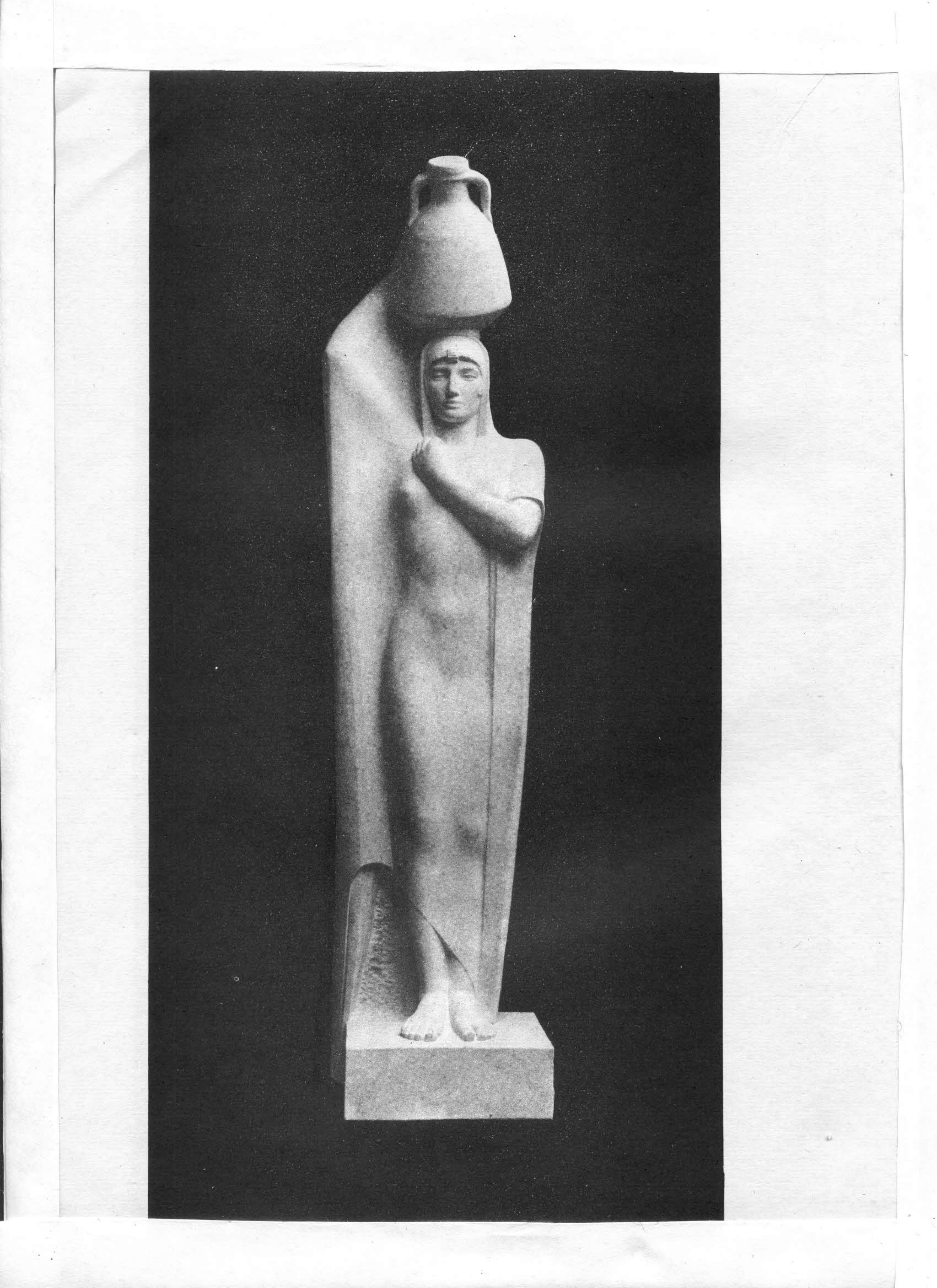


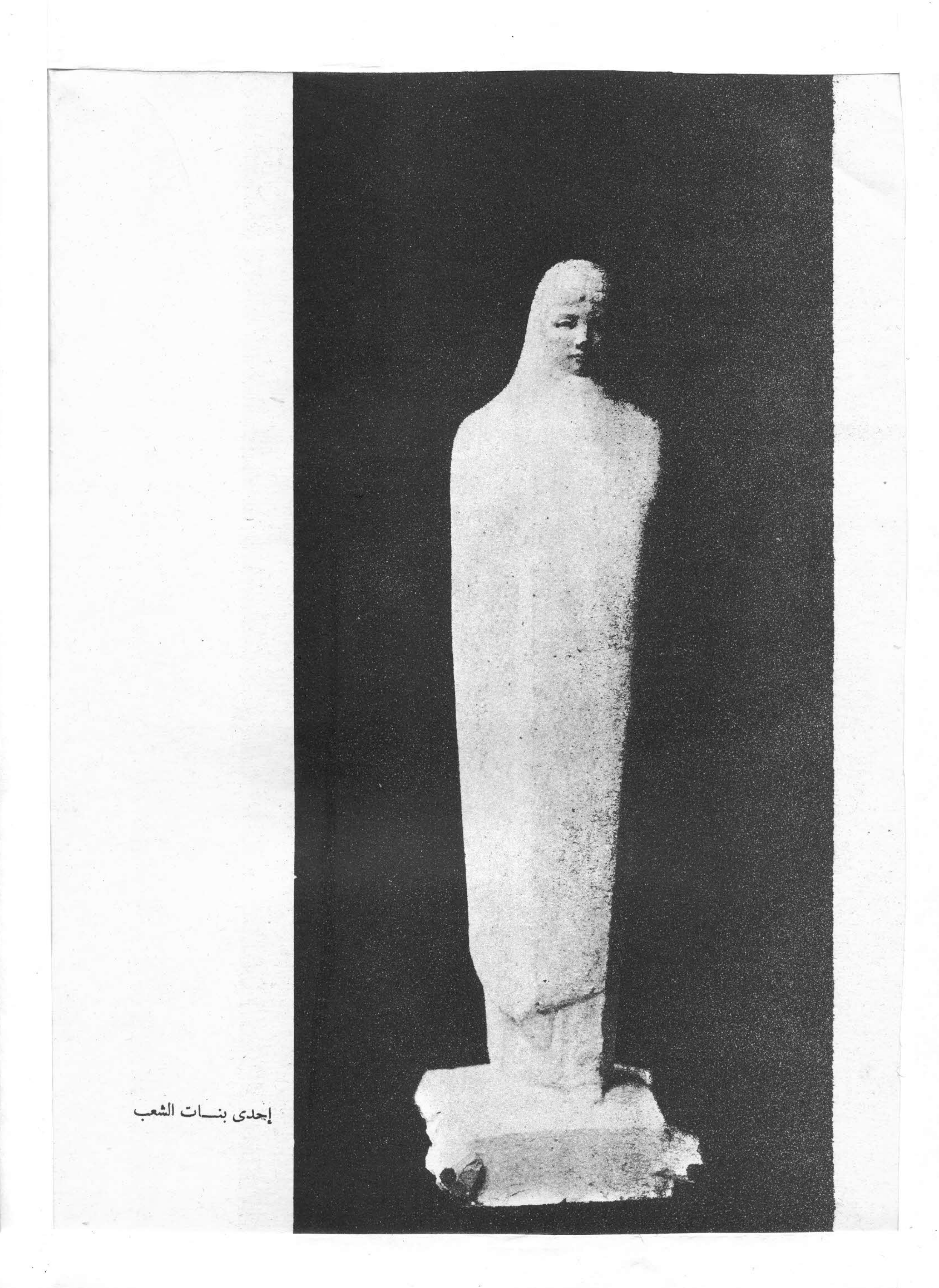
◄ على شاطئ الترعة

الفلاحة والمـــاء

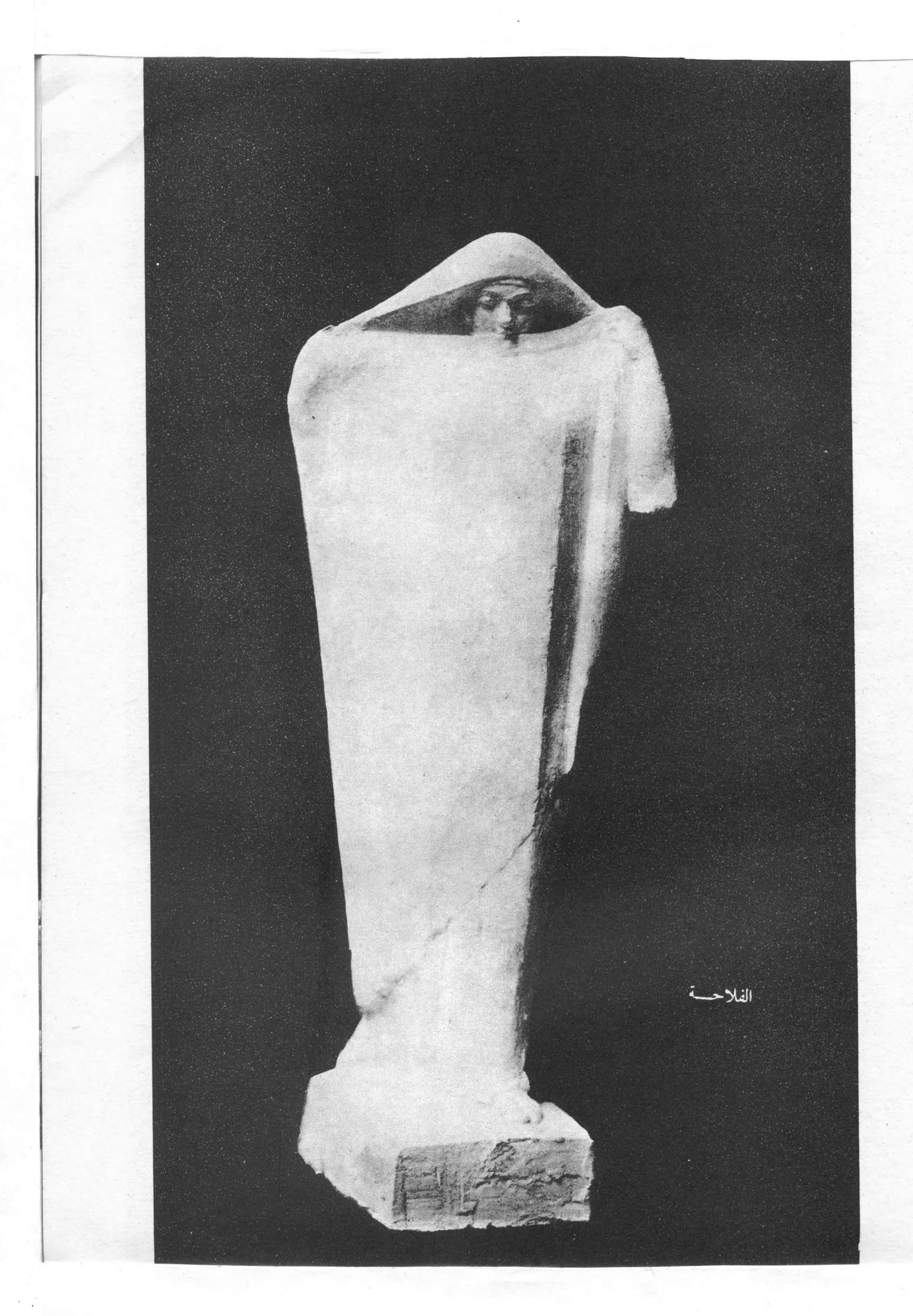
مهلا فتاة الريف ! لم نجد لحسنك بادرة !
جسم يطـــل من الثياب مفاتنـــا متناظره !
عصم الجمال من التعثر فى القيود العـــاثرة !
من ذا يحجب ما حملت من الرموز الباهرة !
أحمد زكى أبو شادى

على شاطىء النيـــل ◄



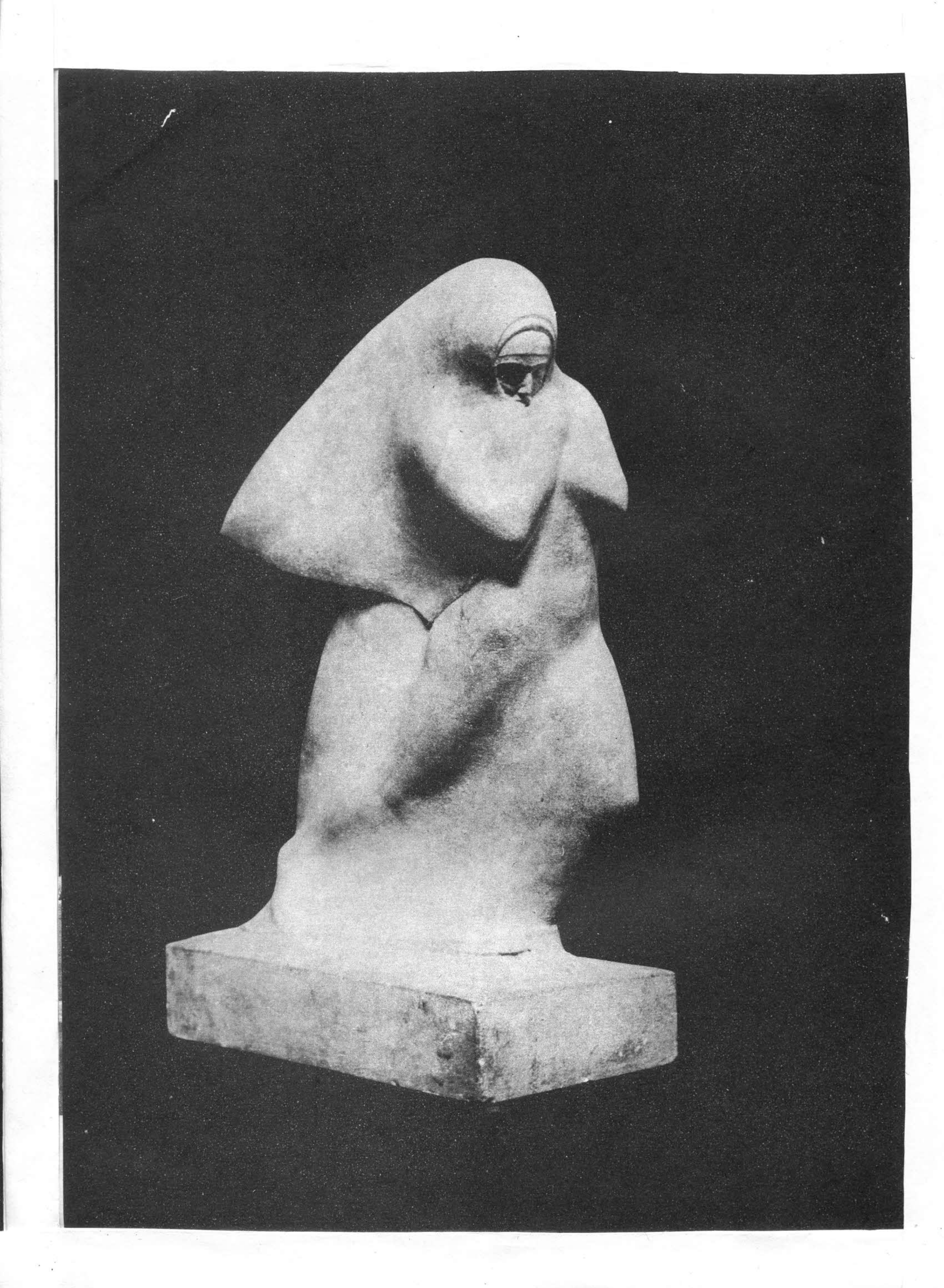


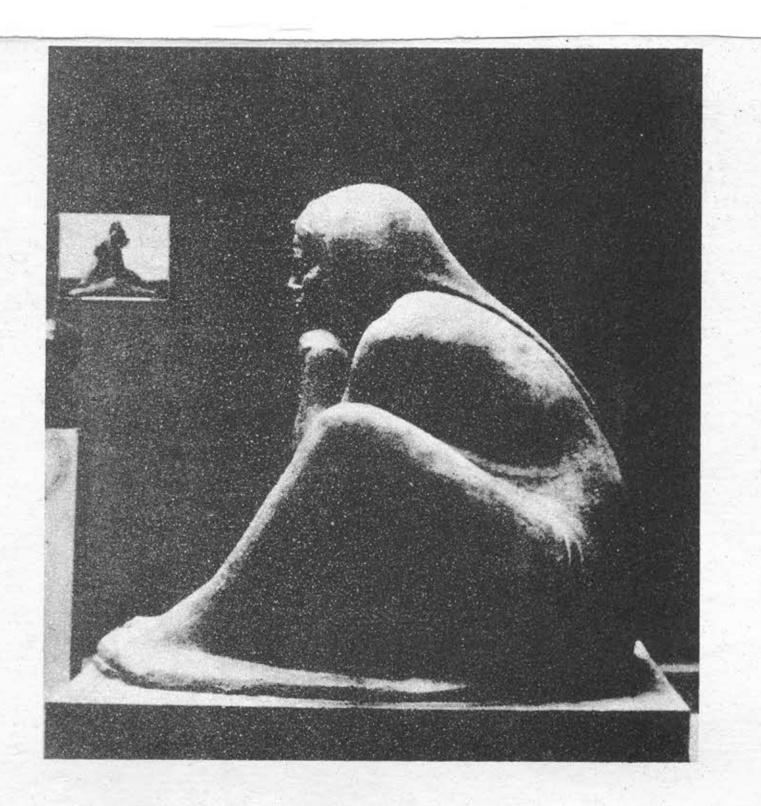
إحدى بنــات الشعب



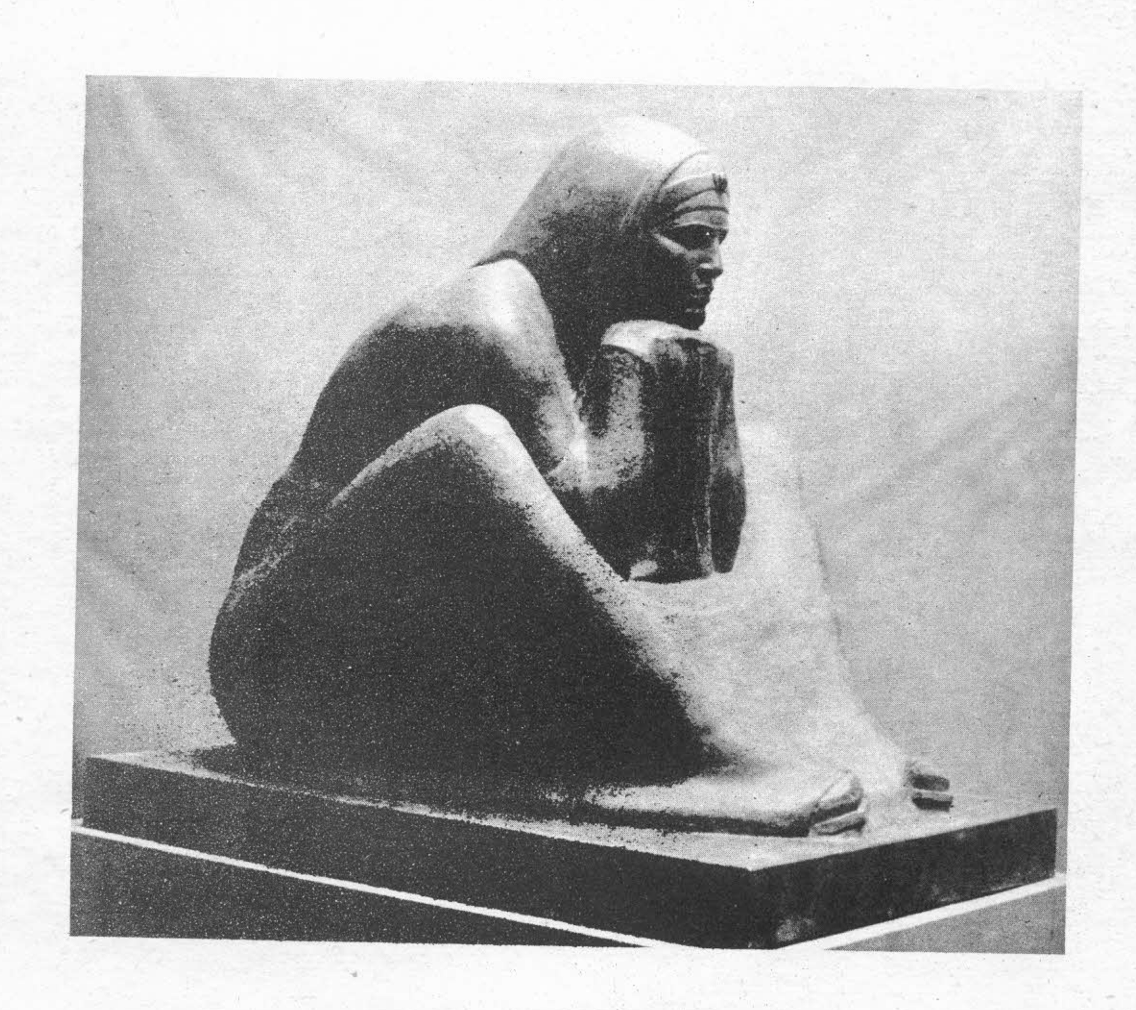
الفلاحـة

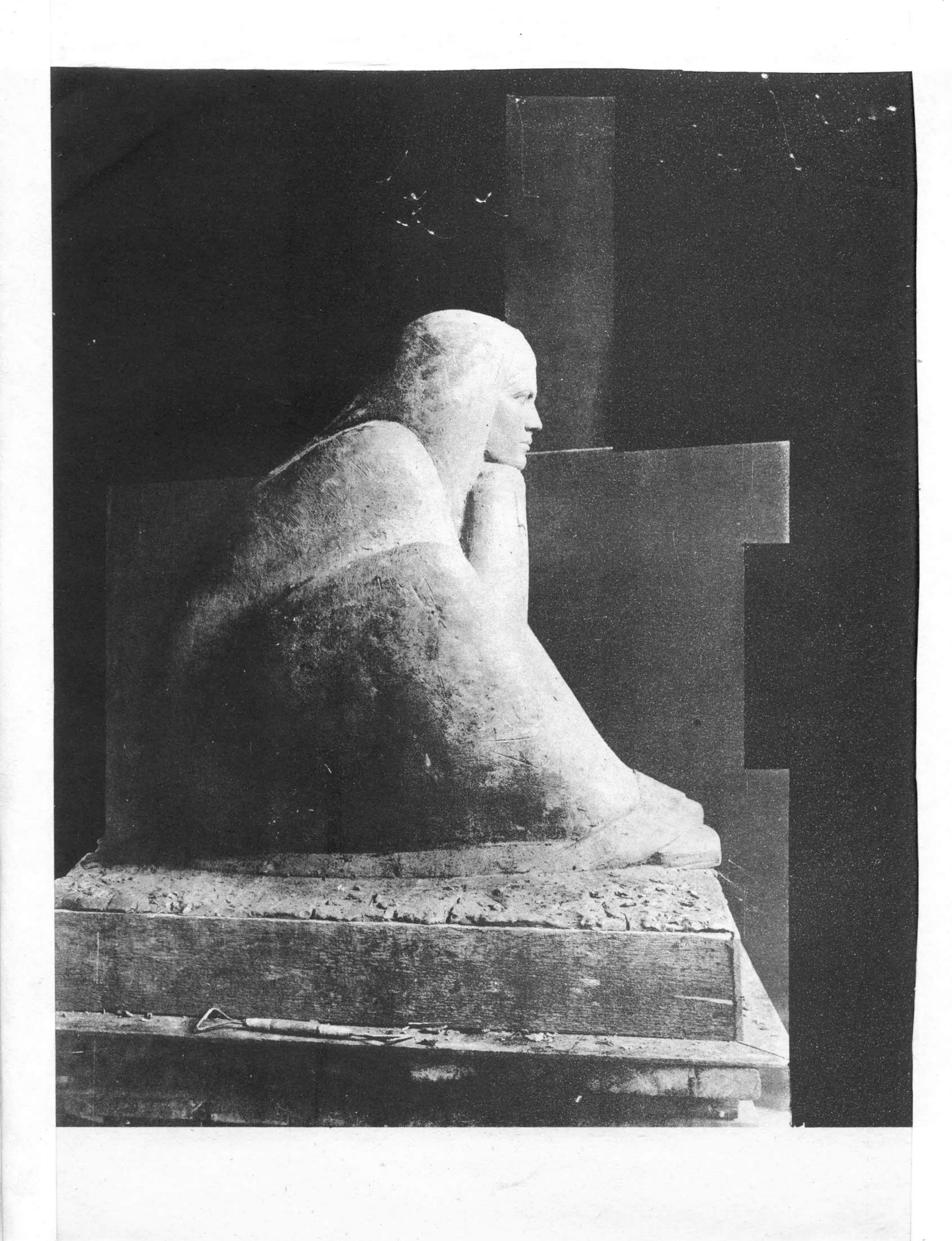
الخماسين ◄





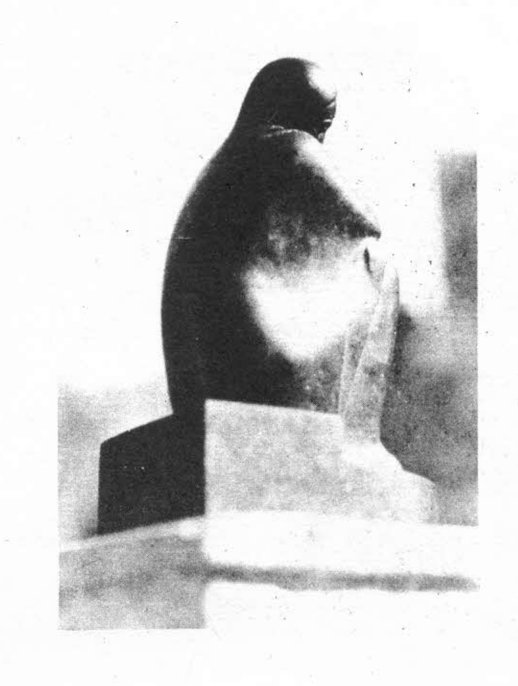
كاتمة الأسرار

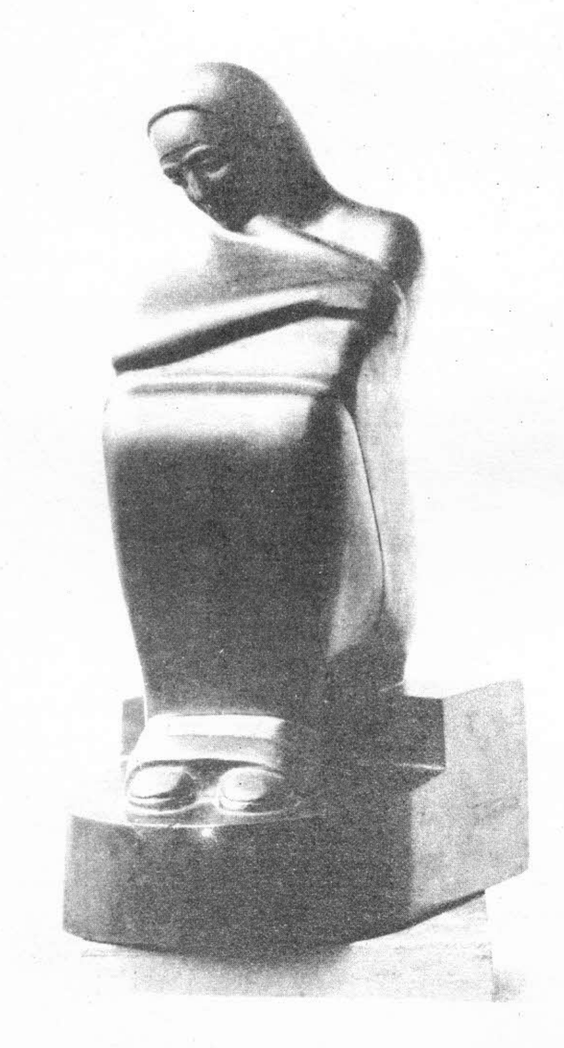




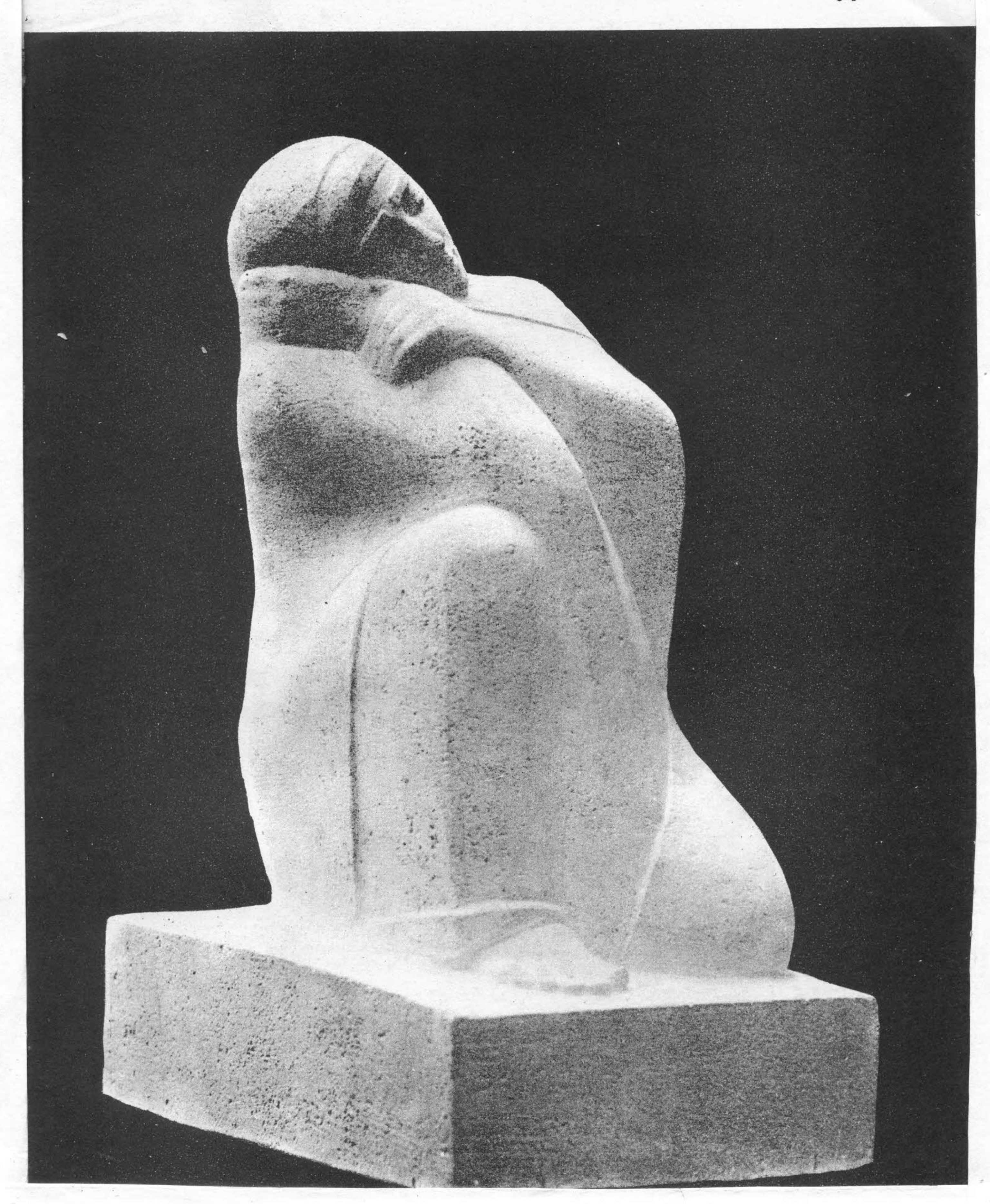


الحزن

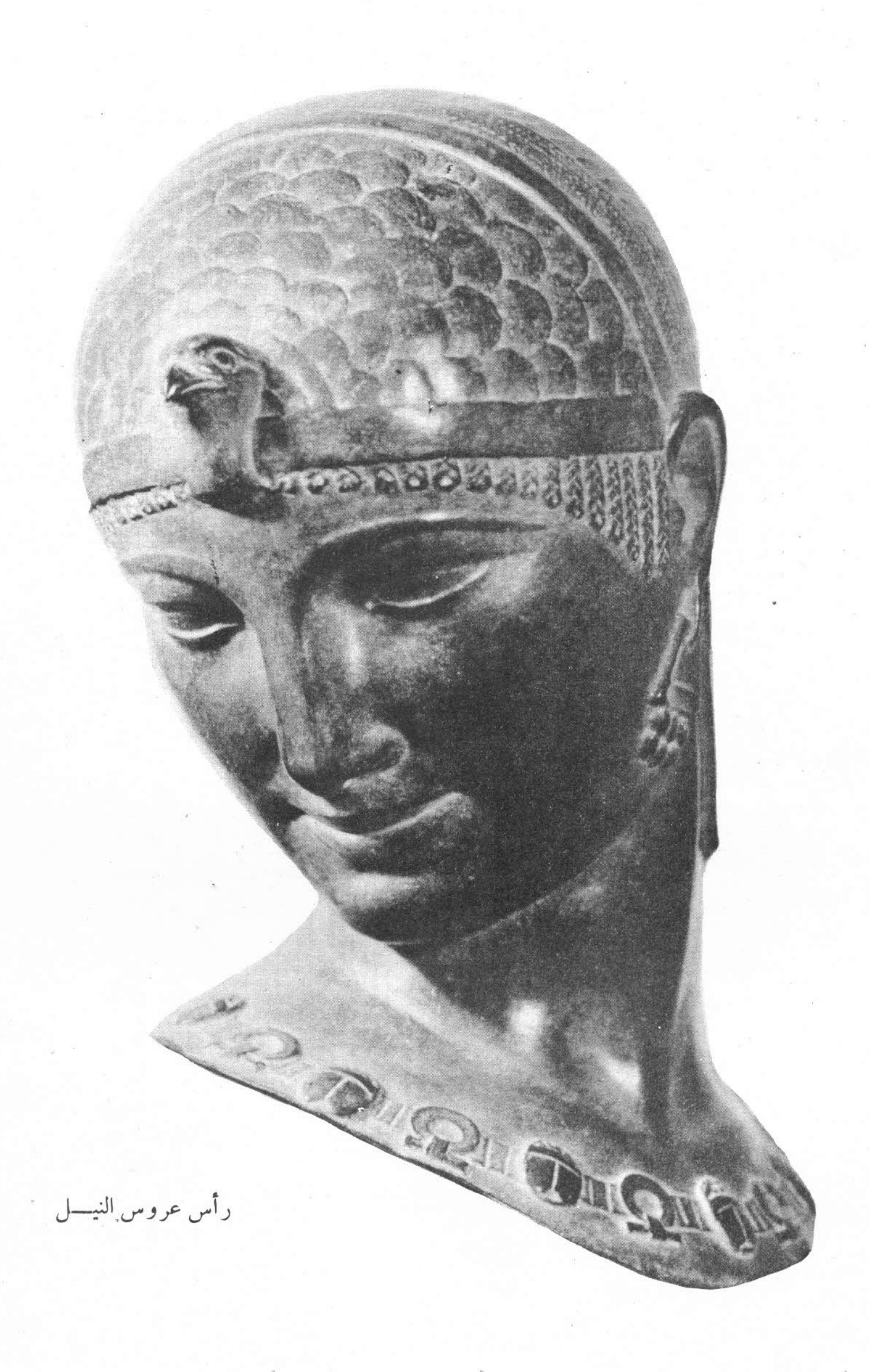




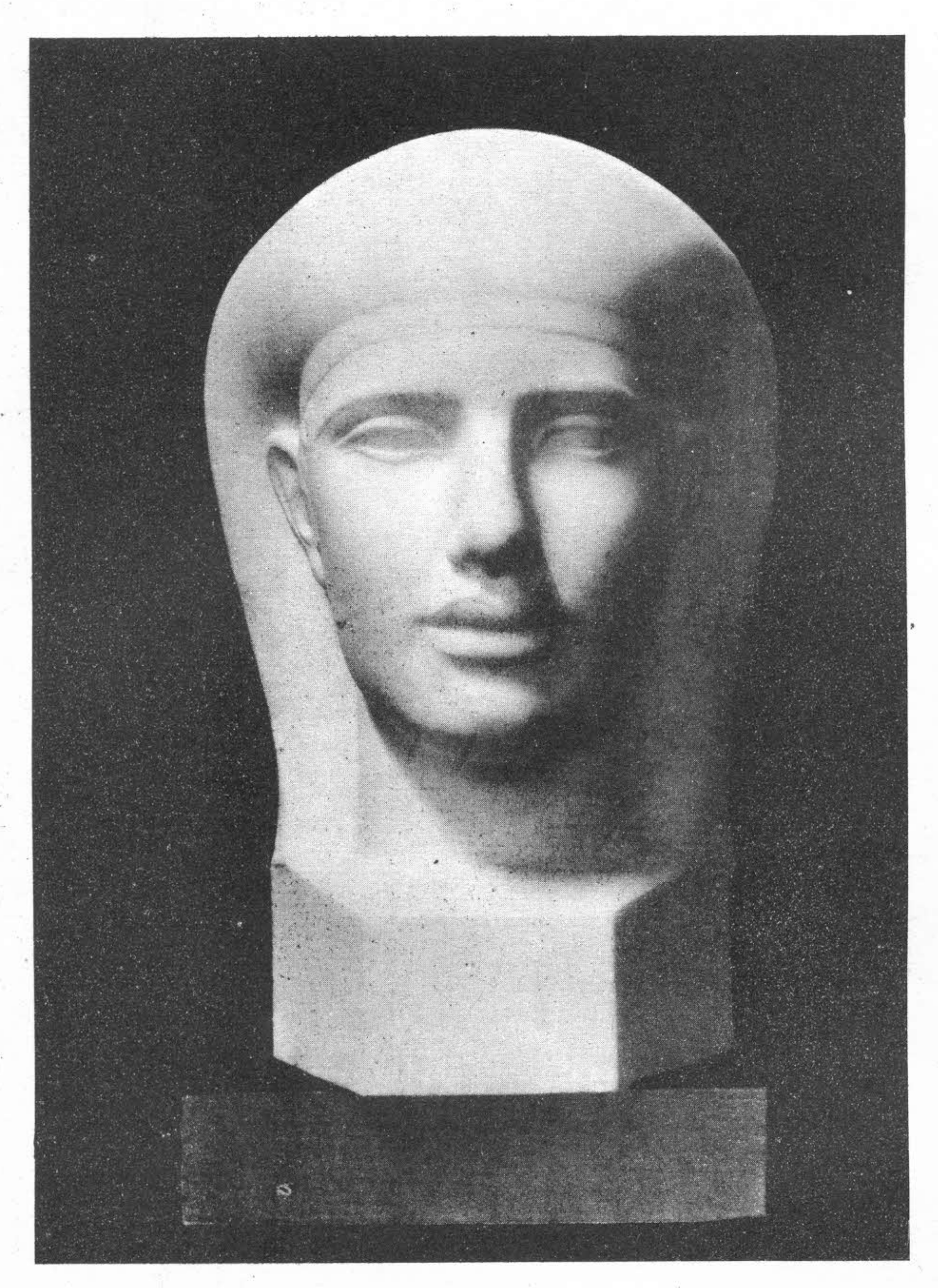
القيلولة



مناجاة الحب



رأس عروس النيـــل



رأس مصرية

رأس علي إبراهيم

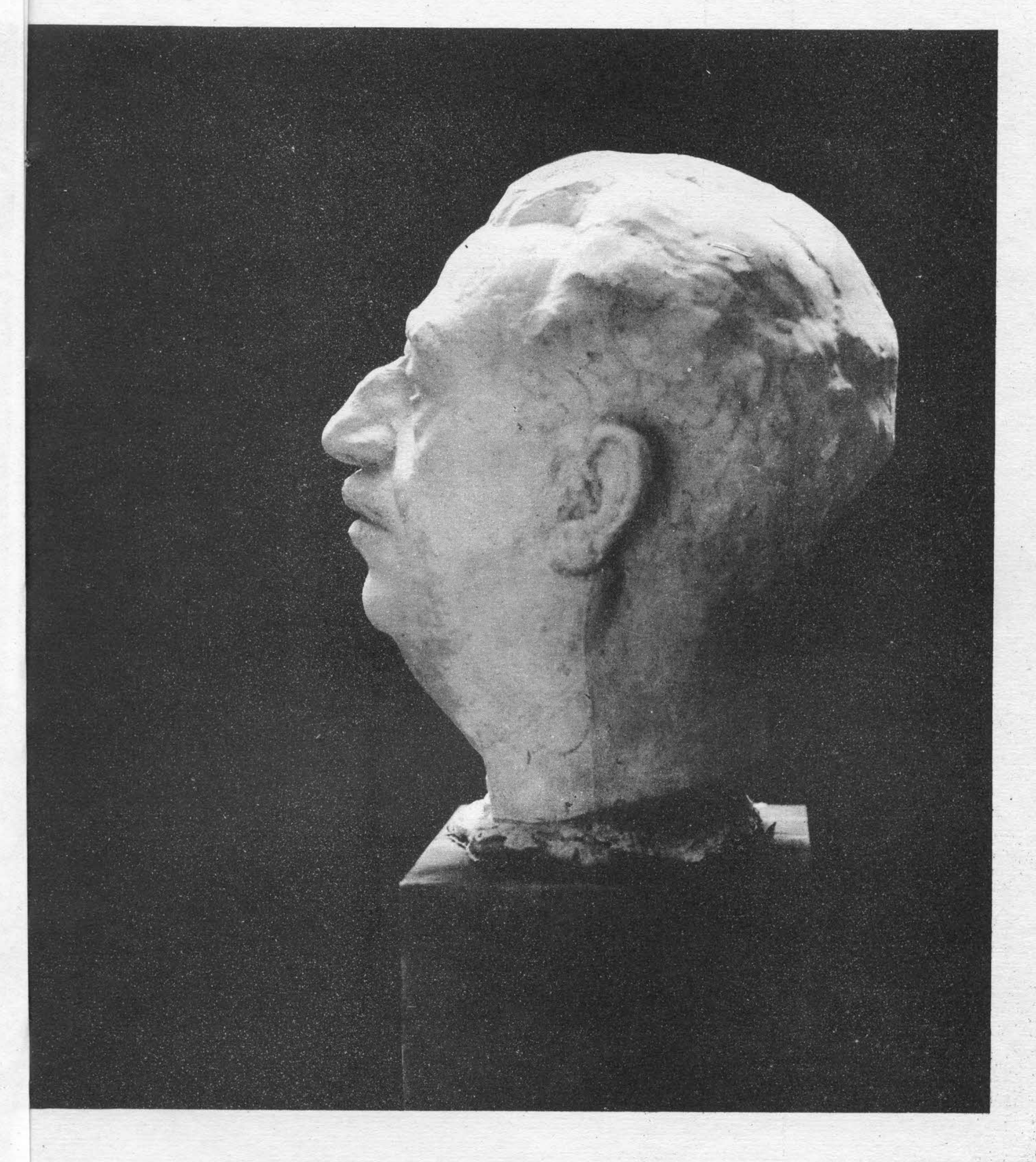


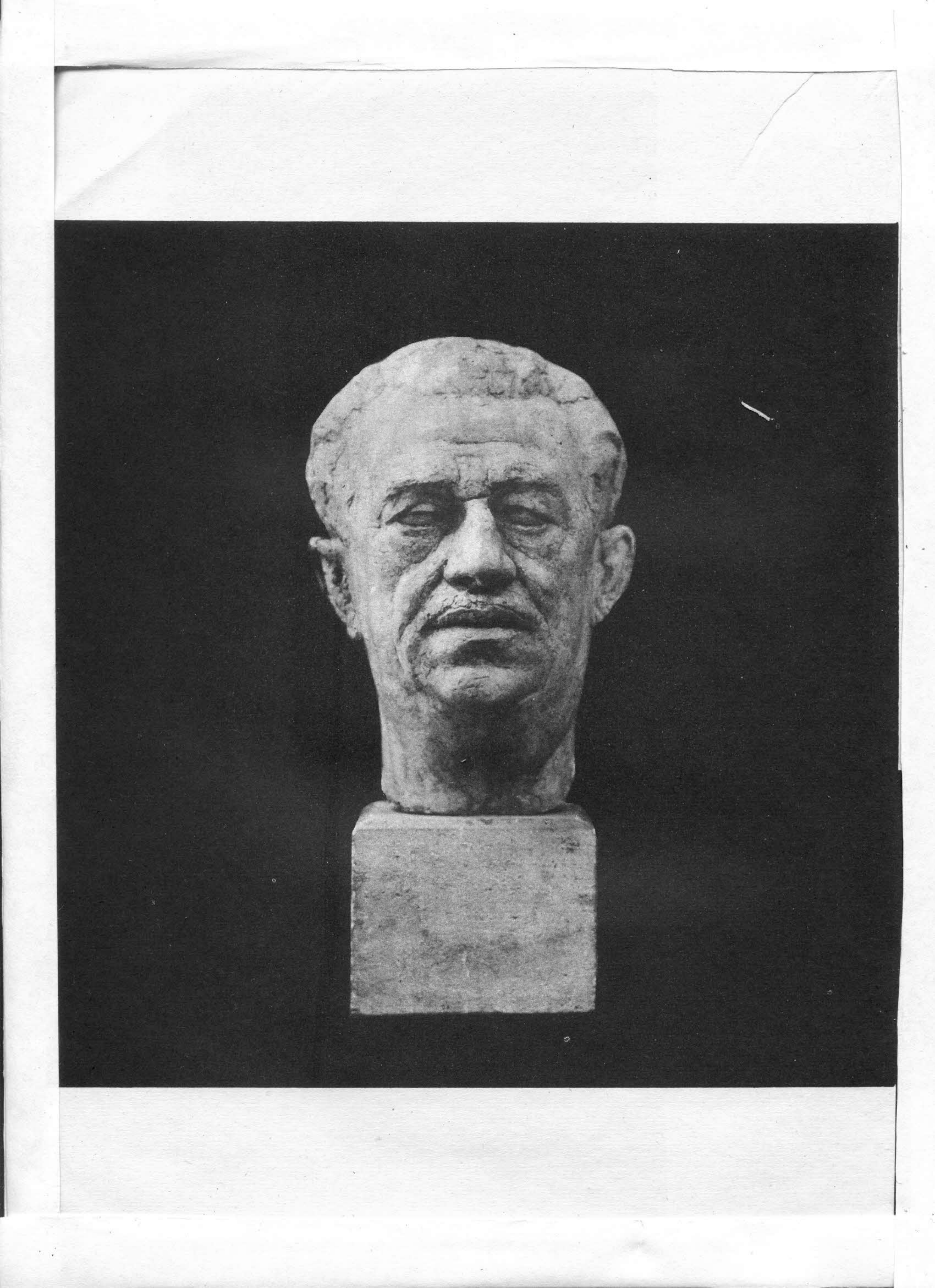


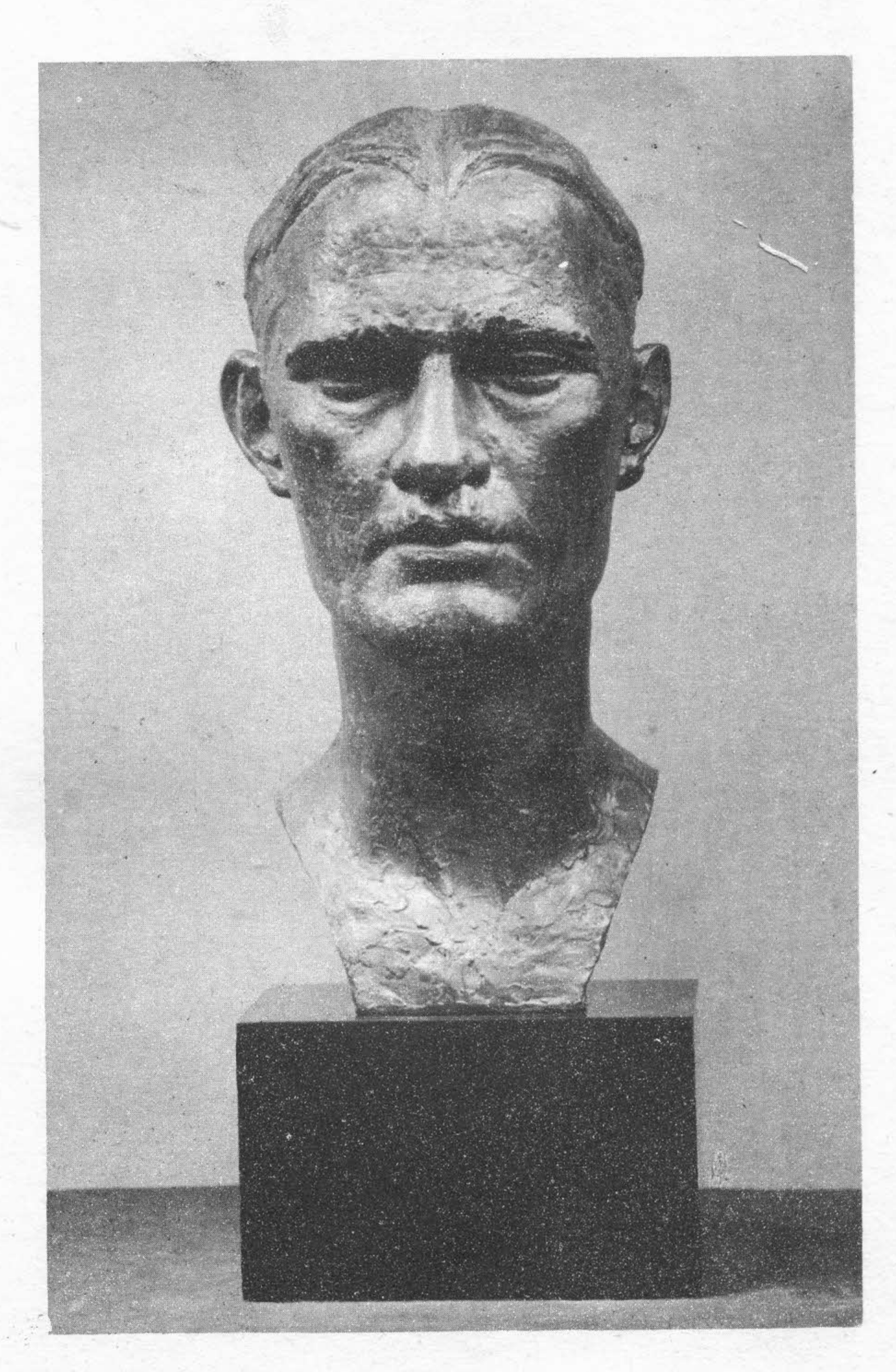


تمثـال ثروت

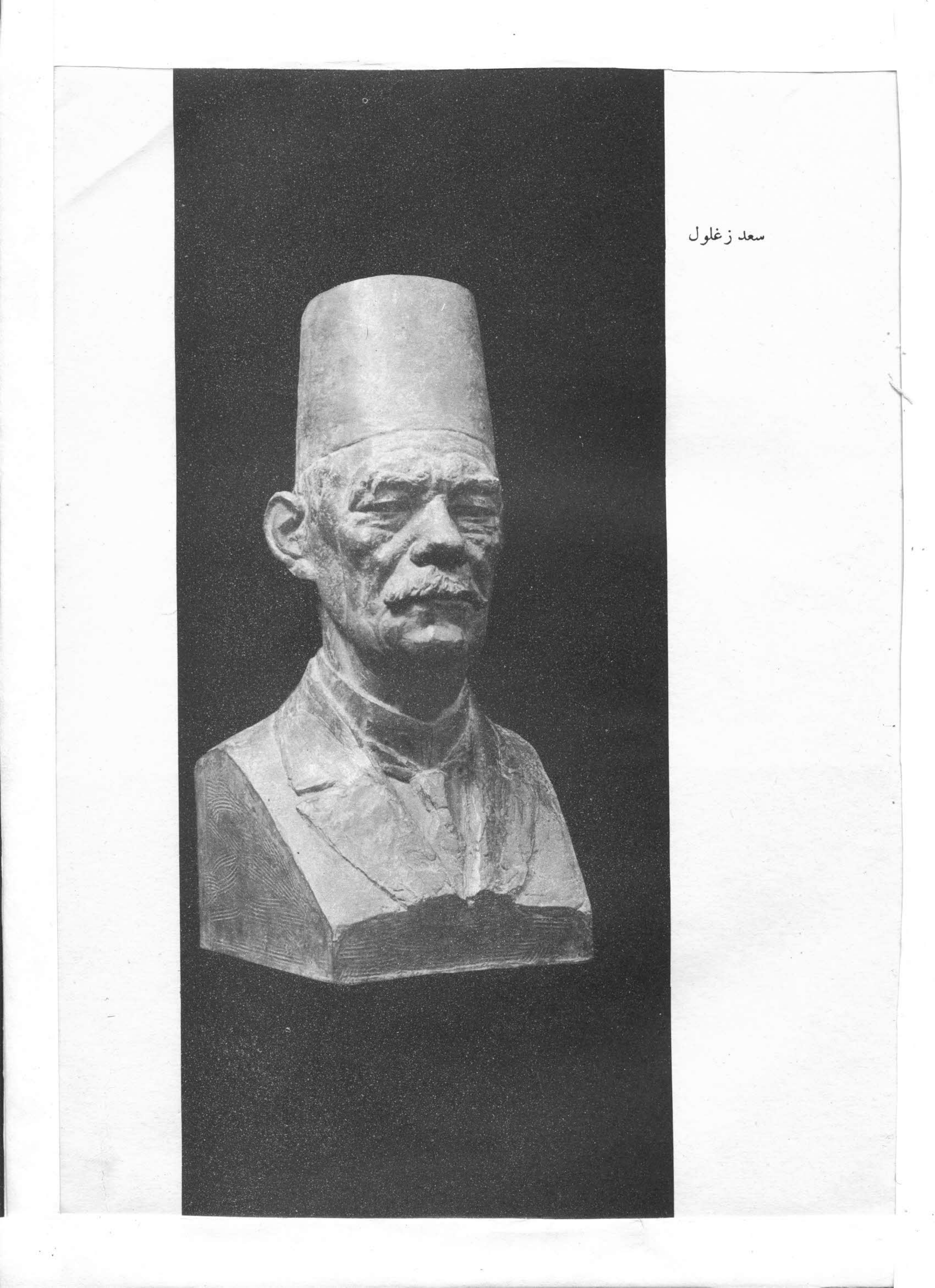
پـول فیس







میجلیـــه



سعد زغلول



شيخ البشارين



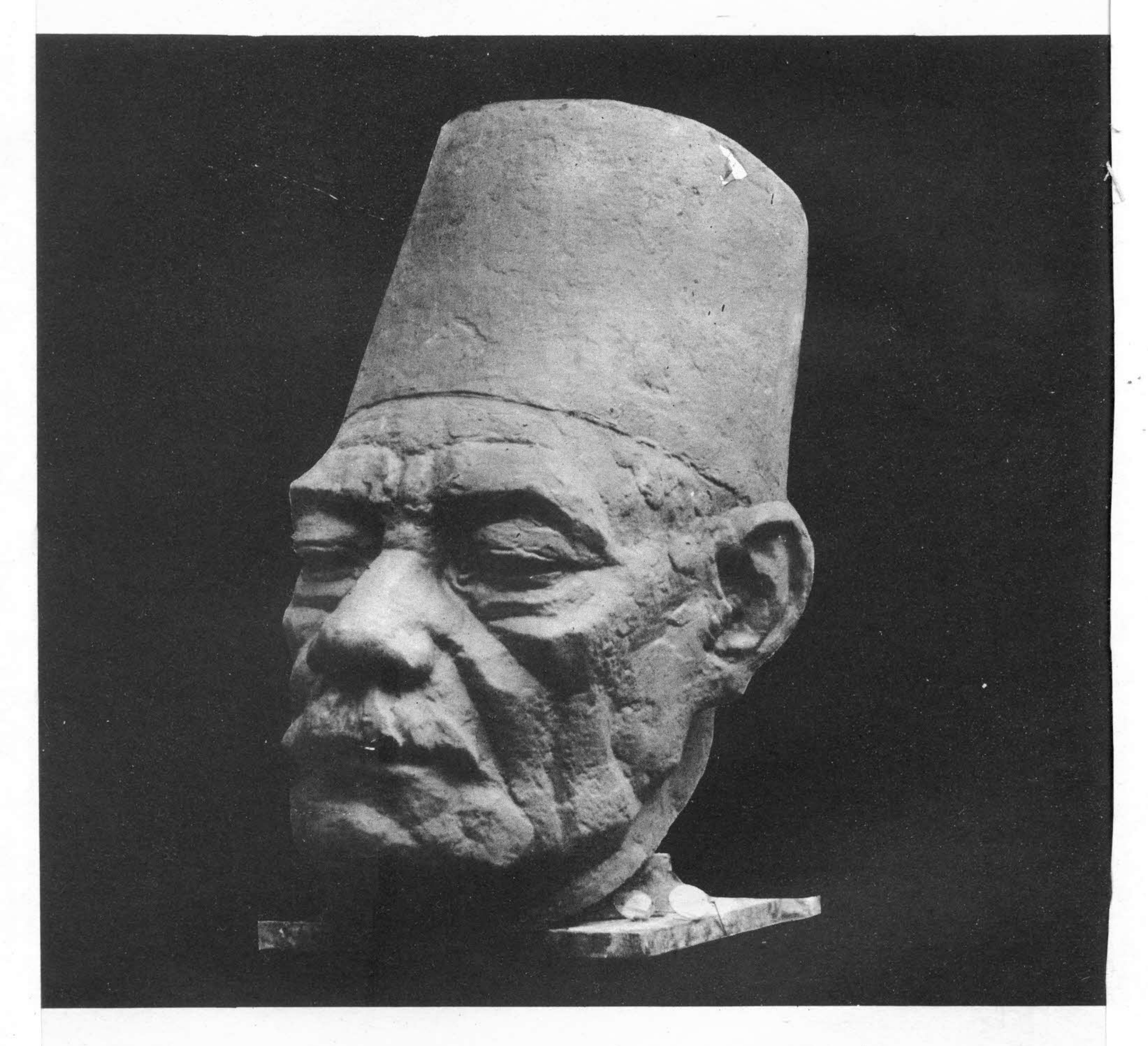
الفلاح يسير

شيخ البلـــد



فارس وحصان

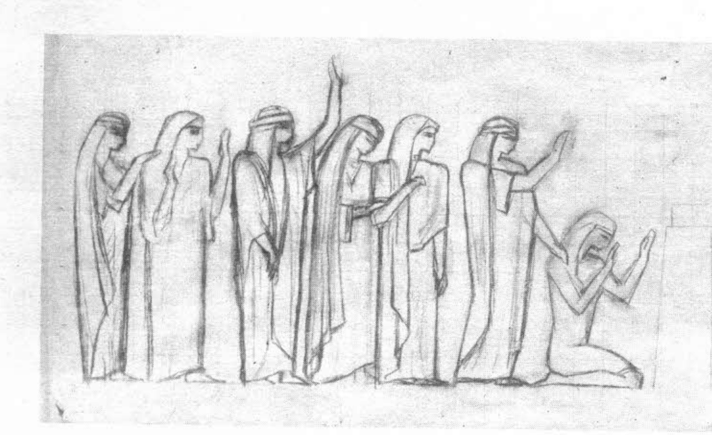
رأس سعد زغلول



سعد زغلول

تمثال القاهرة



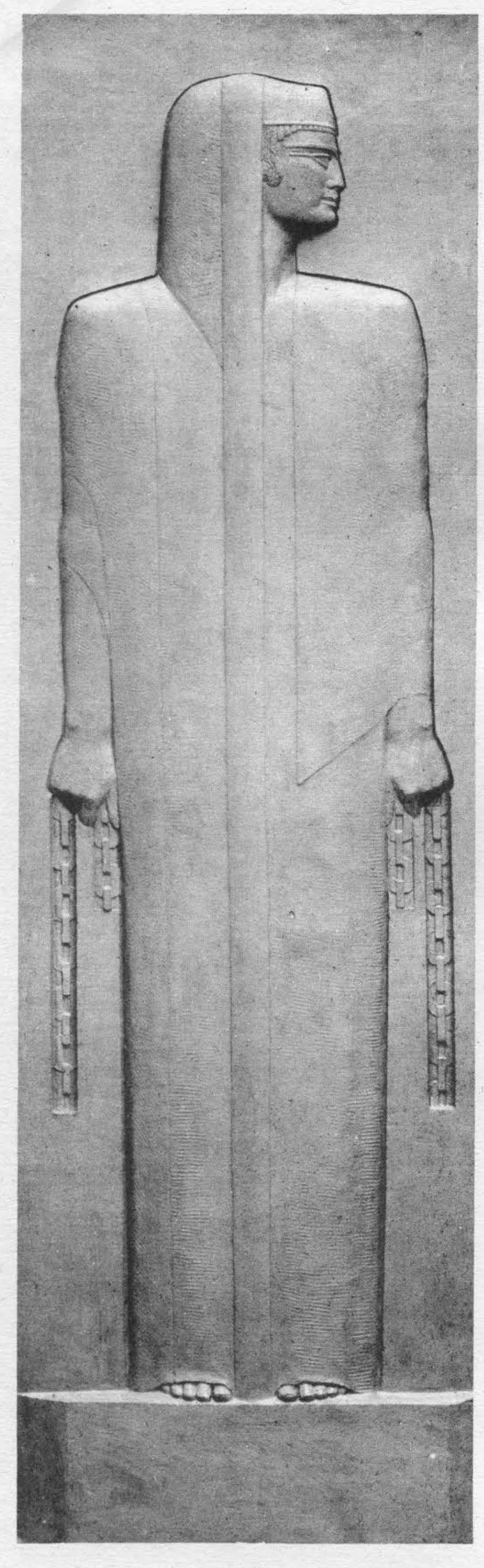




تحية أقاليم مصر — رسم

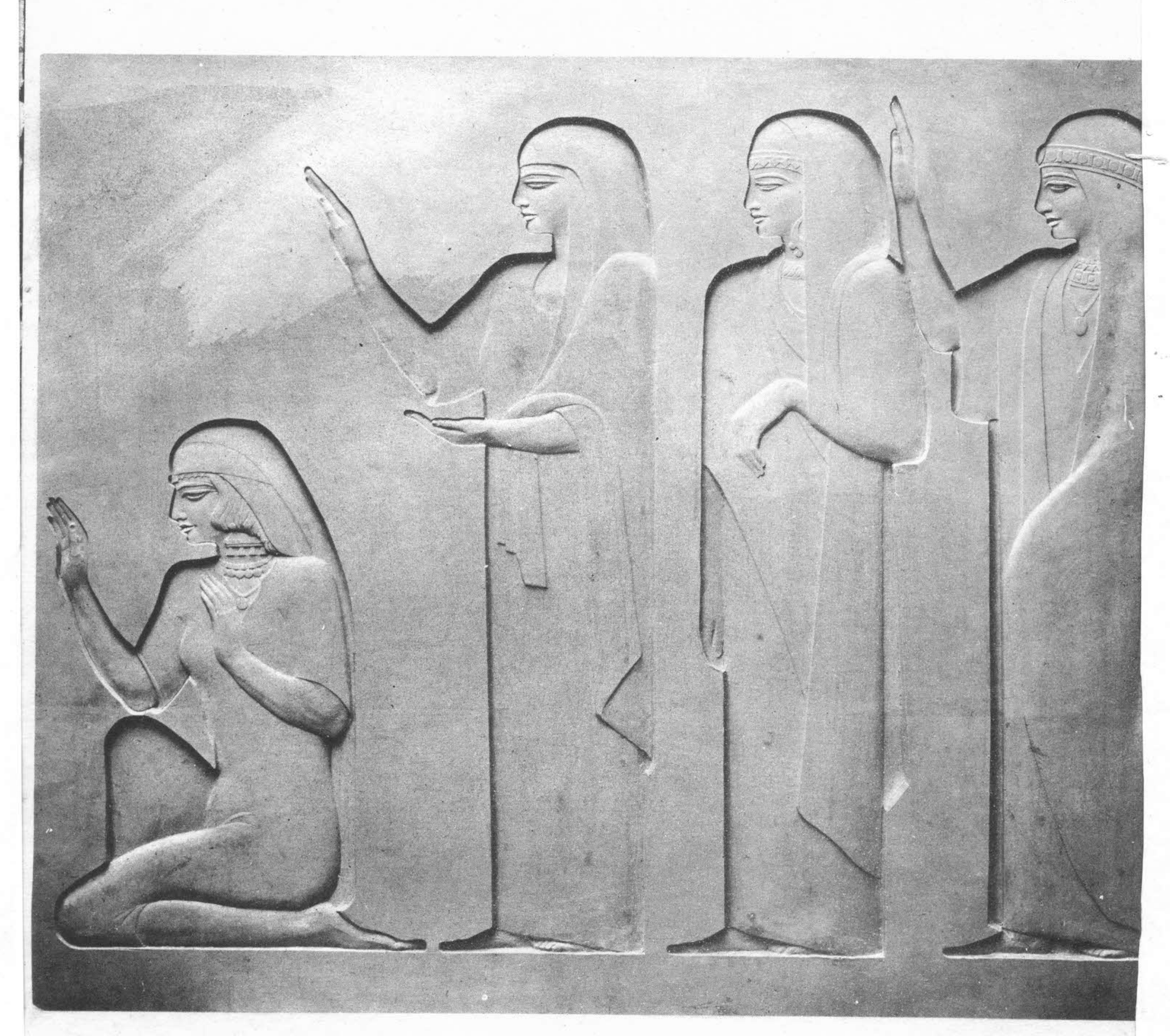


تحية الوطن

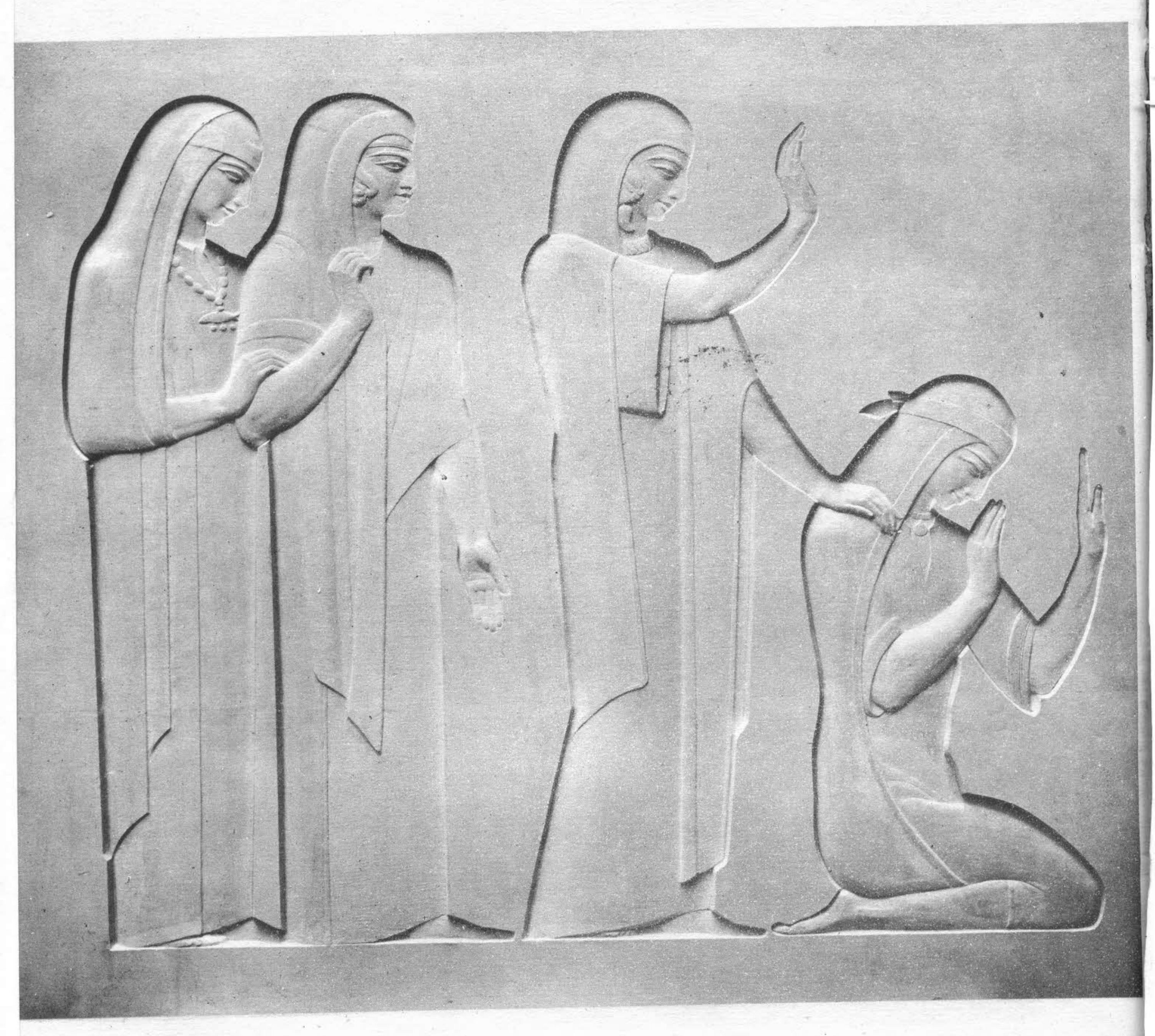


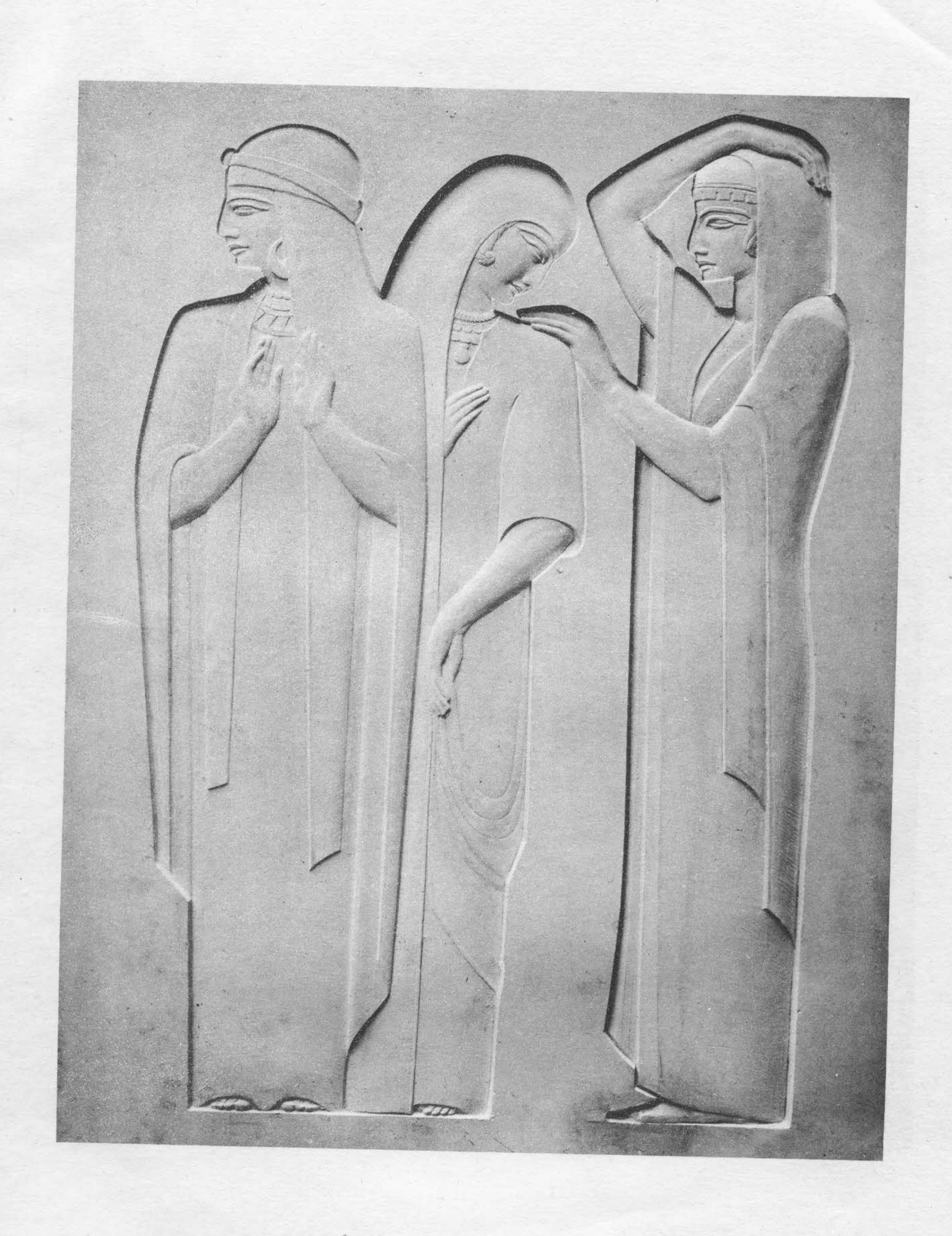
الإرادة

تحية أقاليم مصر — تفصيل

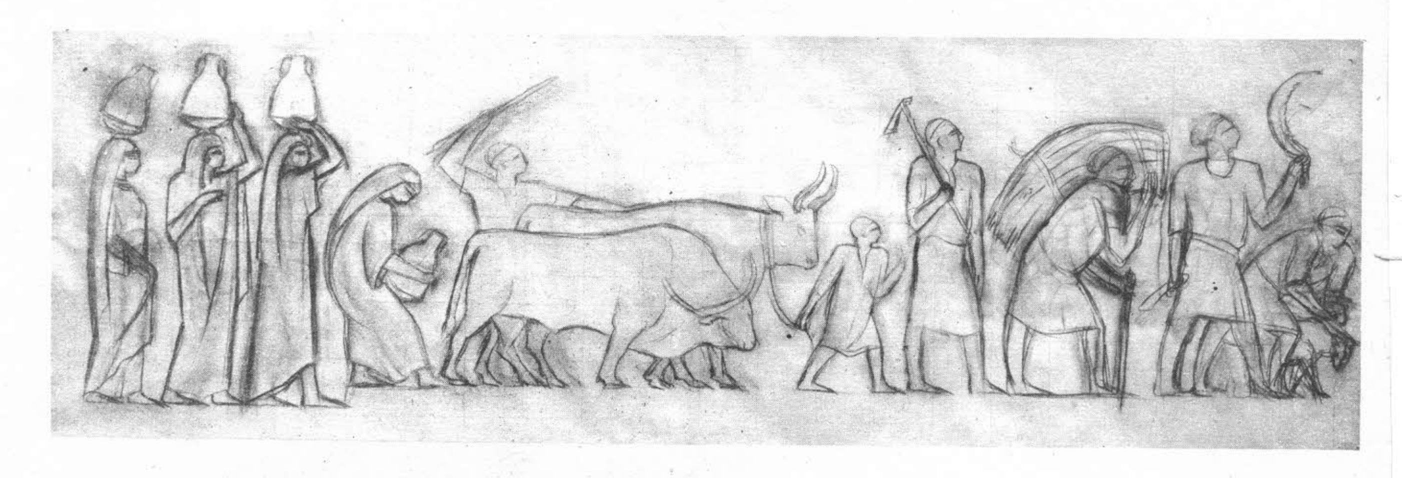


تحية أقاليم مصر





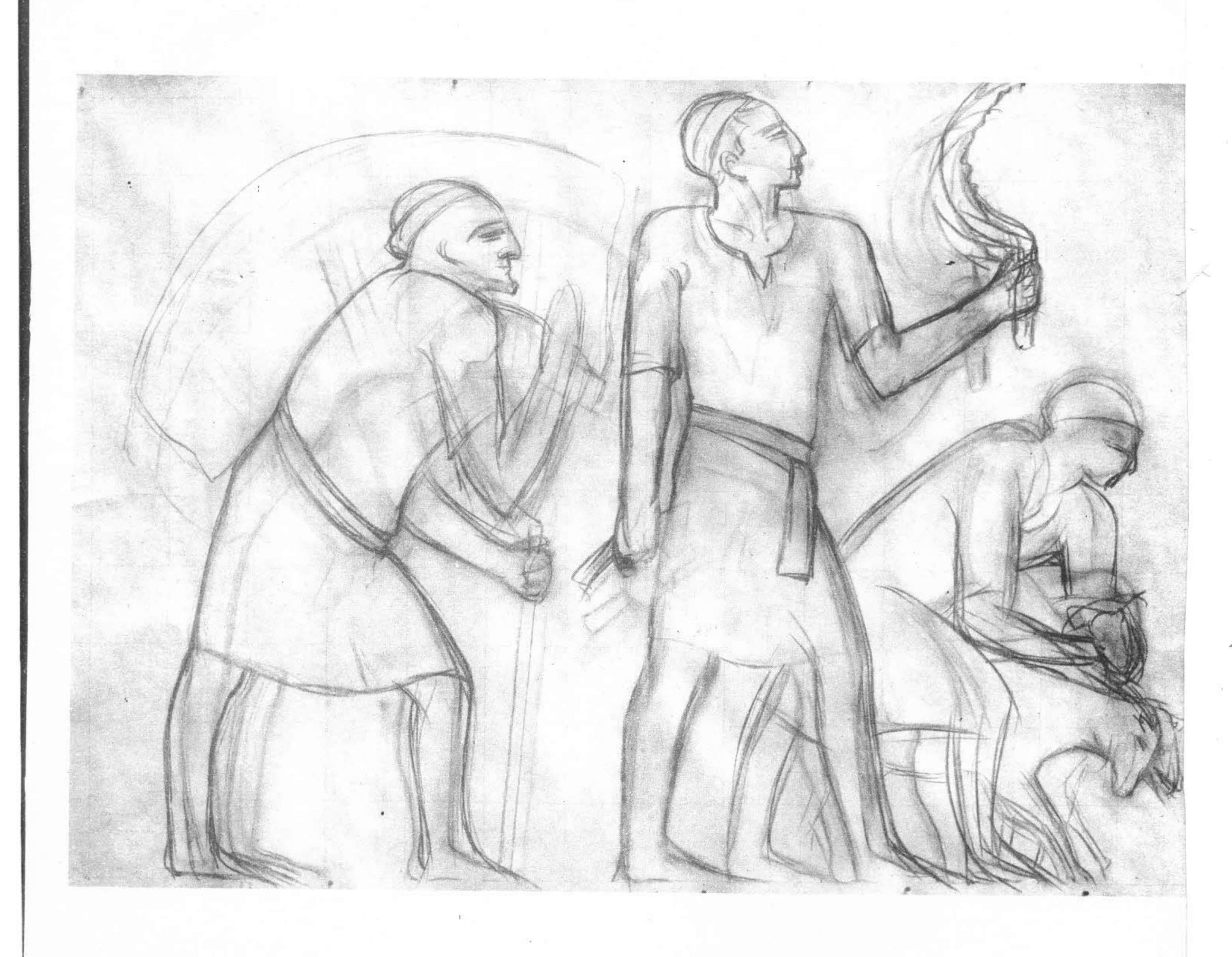




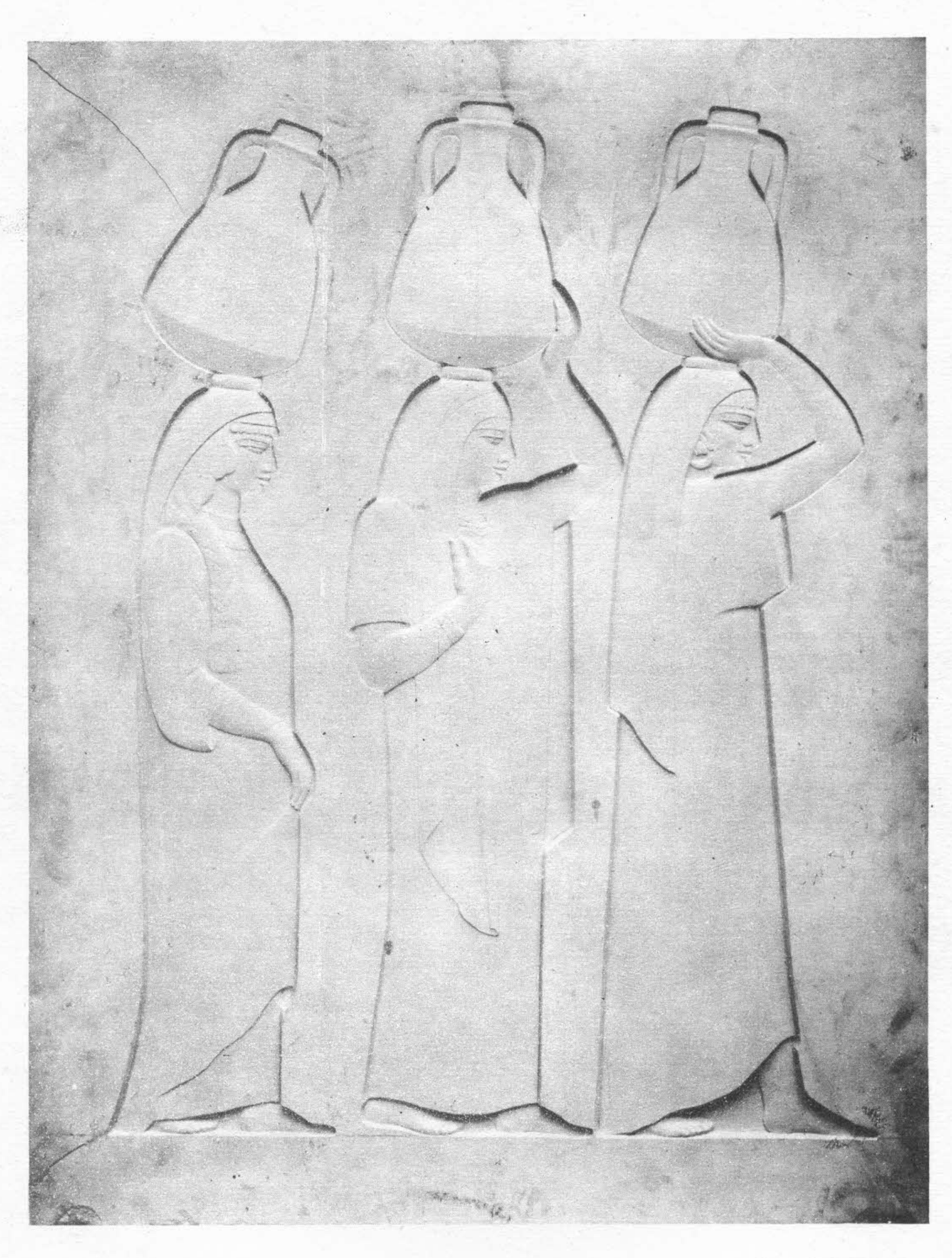
الزراعـــة ـــ رسم



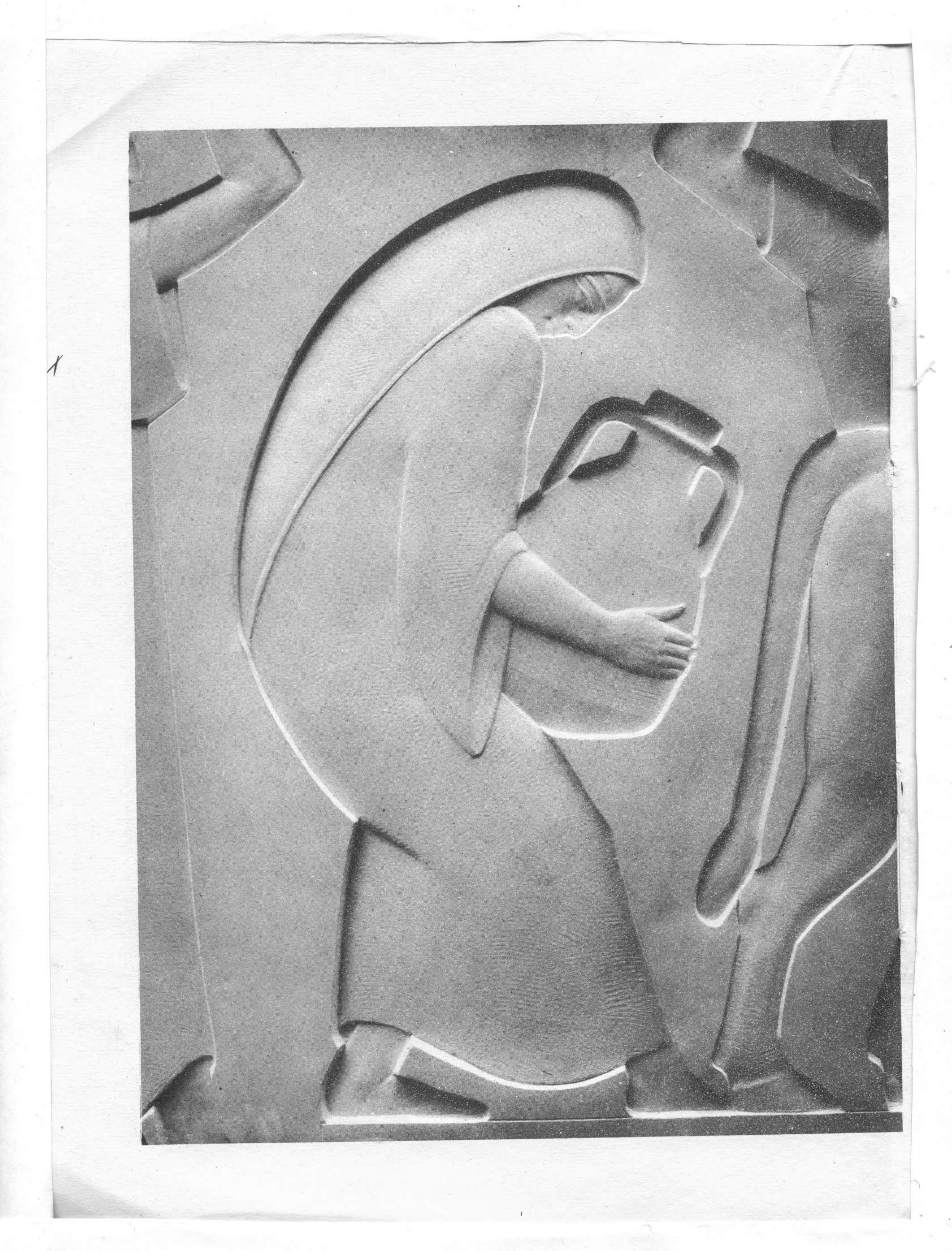
سکیس نحت



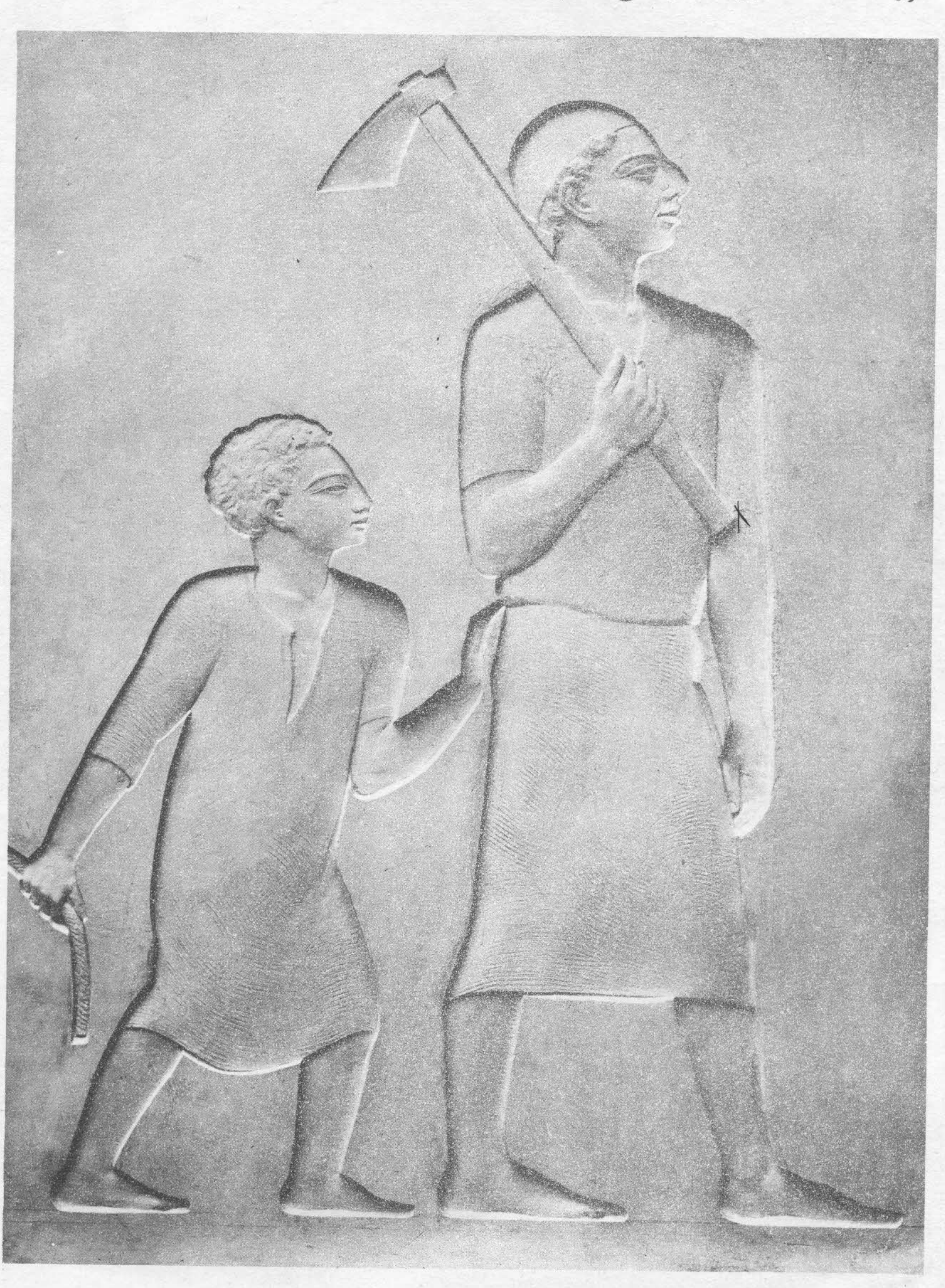


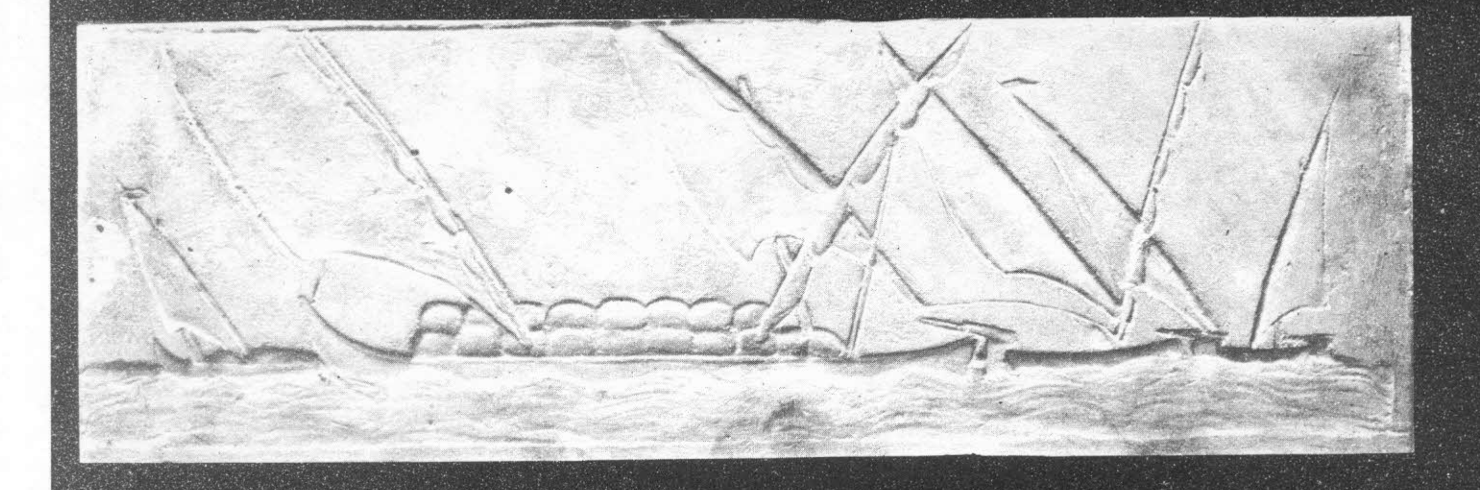


الزراعـــة (حاملات الجرار)



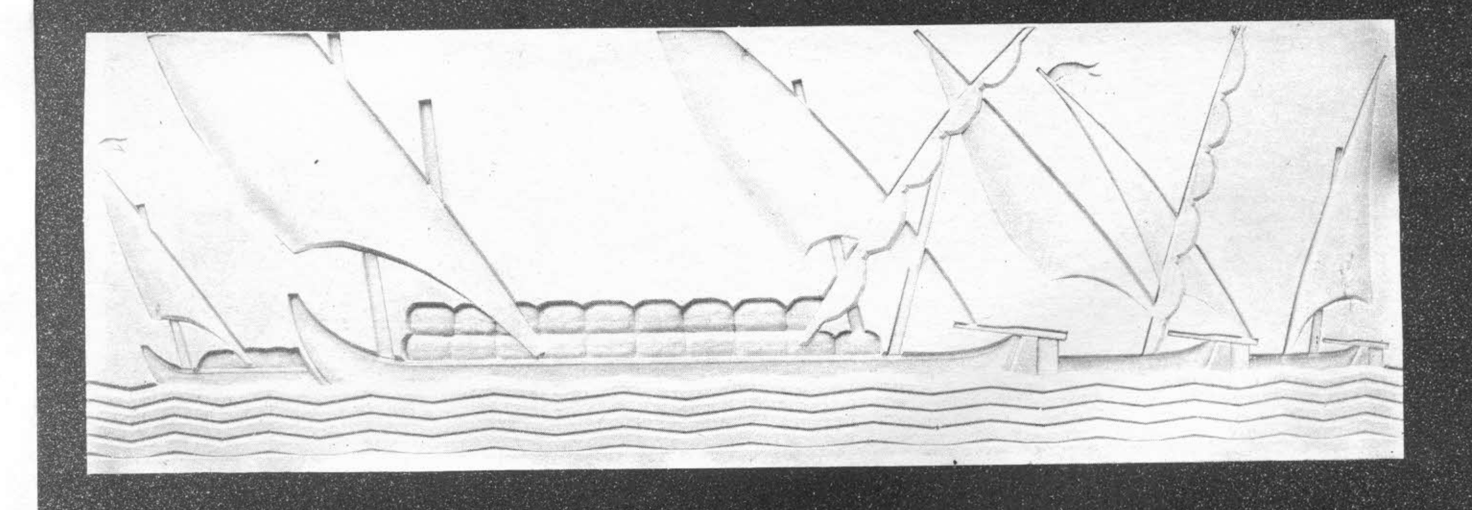
الزراعـــة – تفصيل – (الفلاح والصبى)

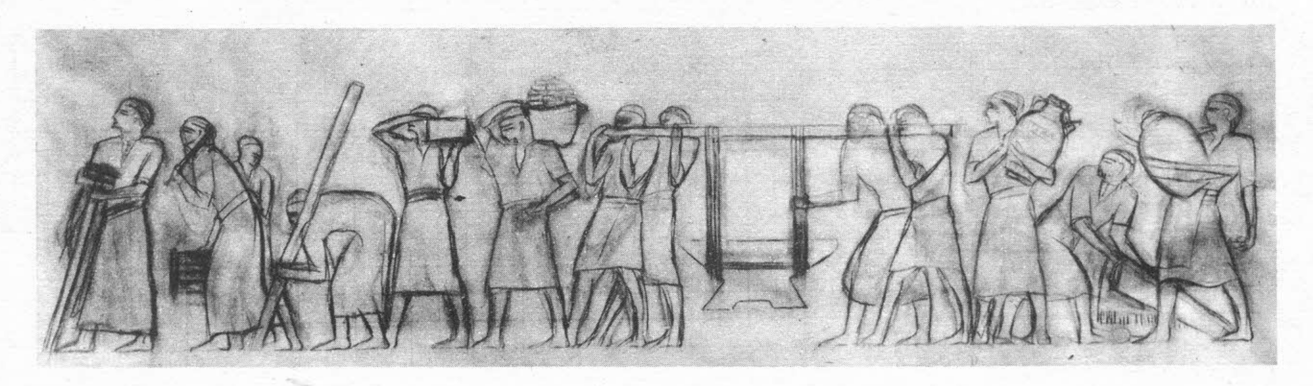




النيـــل – سكيس نحت

النيـــل – نحت



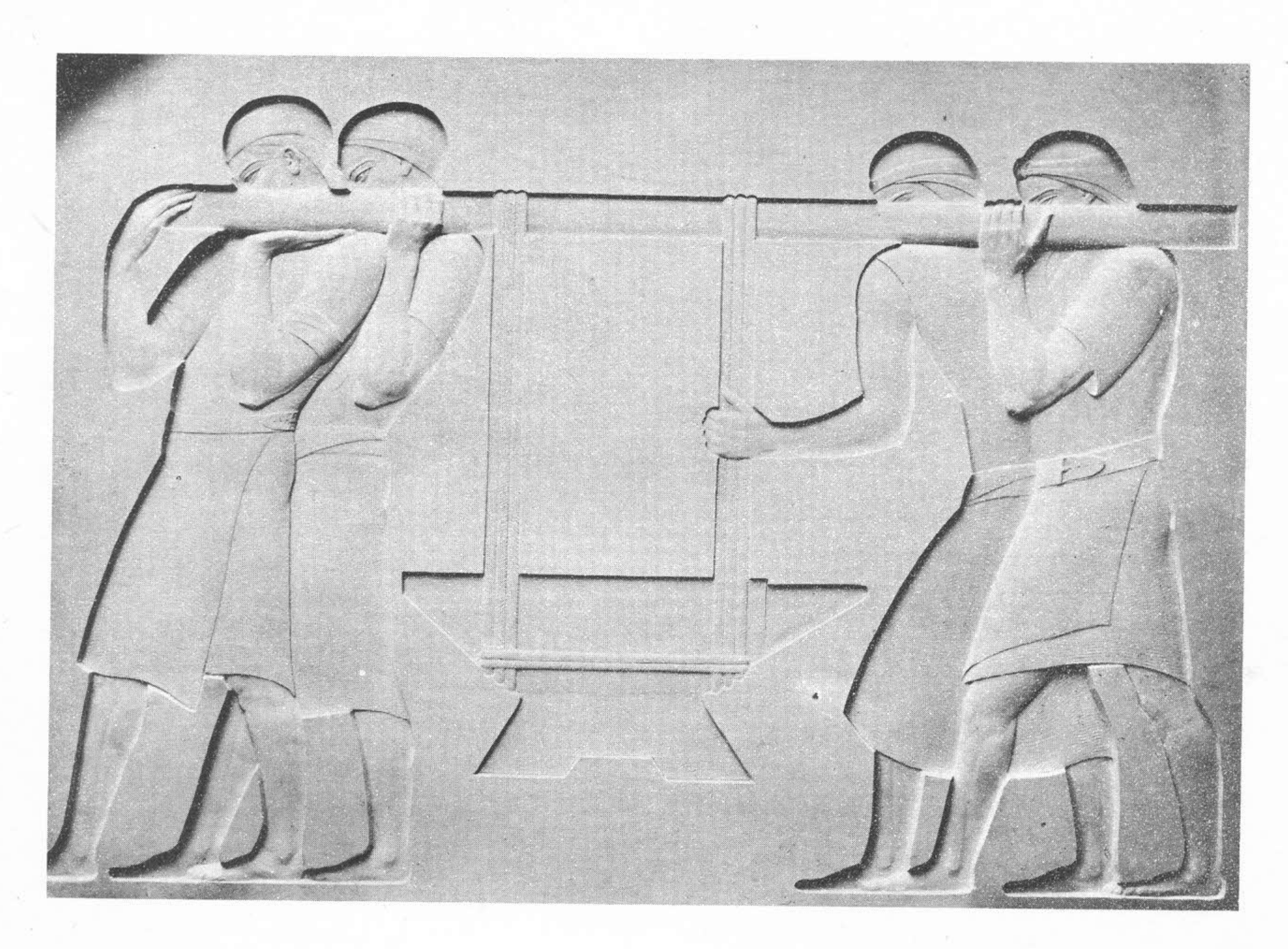


أصحاب الحرف — رسم

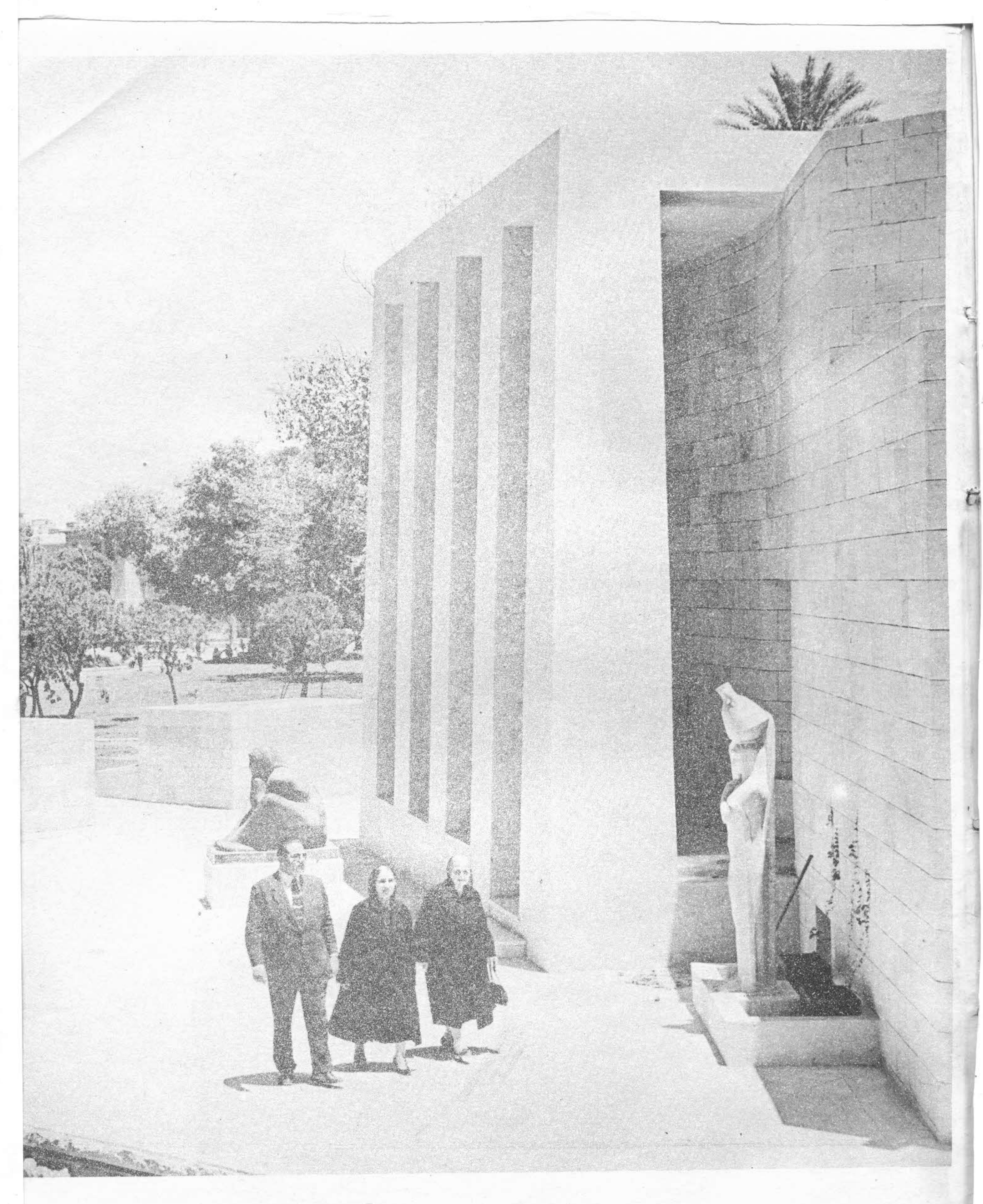
باعة العرقسوس



البناءون



أصحاب الحرف (الحدادون)



متحف مختار



مراجع عن مختار

كتب :

بدر الدين أبو غازى : مختار ؛ حياته وفنه ؛ مايو سنة ١٩٤٩

بدر الدين أبوغازى وجبرائيل بقطر : مختار ونهضة مصر ؛ « باللغة الفرنسية » أكتوبر سنة ١٩٤٩

كتالوجات :

تذكار الاحتفال بإزاحة الستار عن تمثال نهضة مصر ٢٠ مايو من سنة ١٩٢٨

كتالوج معرض مختار بباريس بقاعة برنهيم جين ١٠ من مارس سنة ١٩٣٠ وبه مقدمة بقلم جورج جراب مدير متحف رودان .

« كتالوج متحف مختار » الجناح الذى افتتح بمتحف الفن الحديث في « ٢٧ من مارس ١٩٥٢ » ، وبه مجموعة من المقالات والذكريات والدراسات النقدية .

كتالوج متحف مختار « افتتح في ٢٤ من يوليو ١٩٦٢ » ، ويشتمل على : كلمة الدكتور ثروت عكاشة ، ومقدمة بقلم المثال عبدالقادر رزق ، وكلمة عن فن مختار بقلم بدر الدين أبو غازى .

أعداد خاصة و كتيبات :

عدد خاص من مجلة افور « Un effort » التى كانت تصدرها جماعة الأيسايست « تحية لمختار » صدر في أبريل ١٩٣٤ ، ويشتمل على :

مقالات بأقلام : الدكتور طه حسين ، والسيد على الشمسى ، والشيخ مصطفى عبد الرازق ، والدكتور حافظ عفيفى ، والأستاذ محمد محمود خليل ، والفنان محمود سعيد ، وناجى ، وجورج صباغ ، وجبرائيل بقطر ، وجول ليڤى ، وأندرى دى لاموى .

وذكريات بأقلام : لبيب تادرس ، وروجيه بريفال ، وهدايت ، وغيرهم .

كراسة صدرت في الذكرى الأولى لوفاة مختار ، بقلم المرحوم محمد حسن .

« أسبوع مختار » كتيب صدر في سنة ١٩٤٦ متضمناً كلمات : السيدة هدى شعراوى ، وجبرائيل بقطر ، وموريك بران في ذكرى مختار .

محاضرات وبرامج إذاعية وأفلام :

مختـــار محاضرة لجورج جراب آلقيت في معرض المثالين الفرنسيين وتماثيل مختار الذى أقيم سنة ١٩٣٨ بالسراى الصغرى بالجمعية الزراعية وقد ألقى جورج جراب بمناسبة هذا المعرض ثلاث محاضرات ، الأولى عن رودان والثانية عن ديجا والثالثة عن مختار .

المثال مختار برنامج إذاعى أعده محمود مرسى وبدرالدين أبوغازى ، وشارك فيه الأستاذ فتحى رضوان حين كان وزيراً للثقافة ، والدكتور محمدصبرى ، والأستاذ محمدحسن ، والأستاذ أحمدأحمديوسف ، والأستاذ على الديب ، والأستاذ عبد القادر رزق سنة ١٩٥٧ .

فيلم مختار إخراج ولى الدين سامح :

سيناريو : نجيب محفوظ ، وبدر الدين أبو غازى ، وأحمد أحمد يوسف .

المكتبة العربية

تصدرها

الثقافة والإرشاد القومي

يشترك في توزيعها

المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية

المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر

"الدار القومية للطباعة والنشر – الدار المصرية للتأليف والترجمة"

الناشر الدار القومية للطباعة والنشر القاهرة

الثمن